

المجلد الأول

■■

ألف ليلة وليلة

وإعداد:

الحسينى الحسينى معدى

الإشراف العام

وائل سمير

الناشـــر



تليفون: 01281607185

dar_alkholoud@yahoo.com

الإخراج والتنفيذ الفنى



01065086008

رقم الإيداع: 2012/19988

الترقيم الدولى:978-977-5313-21-8

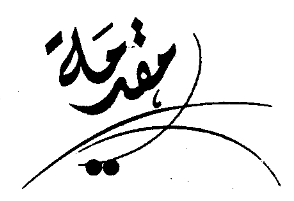


ذات الحوادث العجيبة.. والقصص المطربة الغربية لياليها غرام فى غرام وتفاصيل حب وعشق وهيام وحكايات ونوادر فكاهية.. ولطائف وظرائف أدبية بالصور المدهشة البديعة من أبدع ما كان ومناظر أعجوبة من عجائب الزمان

المجلد الأول







ألف ليلة وليلة هى حكايات شعبية جمعت فى كتاب، وصل إلينا مدوناً يحمل خصائص الأدب الشعبى الذى يتوجه إلى السامعين ليمتعهم بالأسمار، فيروى الأحداث ويمزج فيها الواقع بالأسطورة والحقيقة بالغرائب والعجائب.

ويتداخل الزمان والمكان فى حكايات ألف ليلة وليلة مثله فى ذلك مثل الحكايات الأسطورية، وتحكى قصصاً من التاريخ والعادات وأخبار الملوك وعامة الناس، وعن العيارين واللصوص والمستغلين، كما تتحدث عن الجن والعفاريت والمردة، وفيها قصص على ألسنة الحيوانات. وتمثل الحكايات بيئات الرافدين وحاضرتها بغداد فى العهد العباسى، ومصر وبلاد الشام فى العهد الفاطمى وما بعده. ويبدو أن تسمية الليالى بألف ليلة سببها رواية الحكايات على ليال متتالية تمتد زمناً طويلاً، وقد تعزى إلى تفاؤل العرب بلفظ ألف.

●●

أصل الكتاب

ليس من اليسير على الباحث معرفة مؤلفى حكايات هذا الكتاب وما قام به كل منهم، ومما لا شك فيه أن ما نعنيه بالكتاب لا يجرى مجرى التأليف على النحو الذى نقصده اليوم، ذلك أن القاص، وإن كان ينقل الحكايات شفاهاً إلى مستمعيه، فقد كانت له نسخته المدونة التى كان يروى حكاياتها بأسلوبه الخاص، ولهذا نقل القصاصون



الحكايات وفق لهجاتهم المتعددة، وعصورهم المختلفة، وأقطارهم التى كانت تسرد فيها الحكايات.

وقد اتفق أكثر دارسى كتاب ألف ليلة وليلة، من العرب والمستشرقين، على أنه يمكن تقسيم أصول الكتاب إلى مجموعات من الحكايات على الوجه التالى:

المجموعة الأولى:

وتضم مقدمة هى أصل الكتاب ونواته، وهى أقاصيص هندية وفارسية تسمى هزار أفسانة (ألف خرافة) ويستدل على ذلك بما أورده كل من المسعودى وابن النديم، فقد جاء فى مروج الذهب للمسعودى (ت٣٤٦هـ) حين عرض لأخبار شدّاد بن عاد ومدينة إرم ذات العماد: «أنّ هذه أخبار موضوعة، فى خرافات مصنوعة، نظمها من تقرّب من الملوك برواياتها، وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة من الفارسية والهندية والرومية، مثل كتاب هزار أفسانة، وتفسير ذلك بالفارسية ألف خرافة، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة».

ويأتى بعده ابن النديم (ت٣٨٥هـ) فيذكر فى الفهرست فى المقالة الثامنة من الفن الأول من أخبار المسامرين والمخرّفين (أى الذين يروون الحكايات الخرافية) وأسماء الكتب المصنفة فى ذلك ما نصّه عن محمد بن إسحاق: «أول من صنف الخرافات وجعل لها كتباً وأودعها الخزائن وجعل بعض ذلك على ألسنة الحيوان الفرسُ الأُوَل، ونقلته العرب إلى اللغة العربية، وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه وصنفوا فى معناه ما يشبهه، فأول كتاب عمل فى هذا المعنى كتاب هزار أفسان، ومعناه ألف خرافة، وكان السبب فى ذلك أن ملكاً من ملوكهم كان إذا تزوج امرأة وبات معها ليلة، قتلها من الغد، فتزوج بجارية من أولاد الملوك ممن لها عقل ودراية يقال لها شهرزاد، فلما حصلت معه (تزوجته) ابتدأت تخرّفه (تروى له حَكايات مشوقة) وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها، ويسألها فى الليلة الثانية عن تمام الحديث، إلى أن أتى عليها ألف ليلة، ورزقت منه ولداً فأظهرته، وأوقفته على حيلتها عليه فاستعقلها ومال

إليها واستبقاها، وكان للملك قهرمانة يقال لها دينار زاد فكانت موافقة لها على ذلك»، ثم يقول ابن النديم: «والصحيح أن أول من سمر بالليل الاسكندر، وكان له قوم يضحكونه ويخرفونه واستعمل لذلك بعده الملوك هزار أفسان ويحتوى على ألف ليلة وعلى دون المئتى سمر، لأن السمر ربما حدث فى عدة ليال، وهو بالحقيقة كتاب غثّ بارد الحديث».

وهكذا نرى أن المؤرخَيْن متفقان على وجود كتاب فى العربية منقول عن هزار أفسانة الفارسى، وأن اسمه كان ألف خرافة وترجم باسم ألف ليلة، وإن كان بين المؤرخَيْن بعض الاختلاف فى رواية تفاصيل قصة شهرزاد.

وتشمل قصص هزار أفسانة، أو نواة ألف ليلة، إضافة إلى حكاية شهرزاد، حكاية التاجر مع العفريت، وحكاية الصياد مع العفريت، وحكاية حسن البصرى، وحكاية الحصان المسحور الأبنوسى، وحكاية باسم وجوهرة السمندلية، وحكاية أردشير وحياة النفوس، وحكاية قمر الزمان ابن الملك شهرمان والأميرة بدور، وحكاية سيف الملوك وبديعة الجمال.

وفى الفارسية بعض الحكايات التى تقابل هذه الحكايات، غير أن الدارسين اختلفوا فى الأصل الفارسى لبعضها وأرجعوه إلى أصل هندى كقصة شهرزاد التى بنيت عليها الليالى، مستدلّين على ذلك بقصص يشبه الباعث الأول لتأليفها، وهو اكتساب الوقت وثنى المتهور عن عزمه، بقصص هندية تدور حول الباعث نفسه كقصة «سوكا سابتاتى» التى تدور حول حكاية ببغاء ذكية تحول بين زوجة صاحبها وبين خيانتها لزوجها المسافر بأن تشغلها بسرد قصص لا تتمها فى ليلتها، وتختمها دائماً بقولها: سأقص بقية القصة غداً إذا بقيتِ فى البيت، وهكذا تغريها بالبقاء وعدم الخيانة حتى يعود زوجها.

ويضاف إلى ذلك أن الحكايات الهندية تكوّن سلسلة متماسكة الحلقات متعاقبة الخطوات، يتصل بعضها ببعض، فتستدعى الحكاية رواية حكاية أخرى، ومن لوازمها أن يقول القاص الهندى للسامع فى ذكر أحداث قصته: لا تفعل ذلك وإلاّ أصابك ما أصاب



فلاناً، فيسأل السامع بعبارة: وكيف كان ذلك؟ فيجيب القاص برواية أخرى. ونجد أحياناً هذا الأسلوب فى **ألف ليلة وليلة**.

والحكايات فى أوائل جميع النسخ المخطوطة والمطبوعة من الكتاب تمثل هذه الطريقة التى قام عليها هيكل الكتاب، وتحمل السمات القديمة للحكايات الشعبية الهندية التى وجدت طريقها إلى الفارسية ثم إلى العربية عن طريق الترجمة فى أيام العصر العباسى الأول، وإن أصاب الحكايات كثير من التبديل والتغيير والتهويل والتكرار.. ثم تجمعت حول هذه الحكايات - نواة ألف ليلة - حكايات عربية مختلفة، وامتدّ ذلك ما بين القرنين الرابع والعاشر الهجريين، وفى هذه الحكايات أقسام واضحة تؤلف المجموعتين البغدادية والمصرية.

●●

المجموعة البغدادية

وتشمل هذه المجموعة حكايات شعبية عربية قديمة متوارثة كانت تتناقلها الأجيال وحكايات عربية ألفها المسلمون فى العصر العباسى وحوادث وسيراً تاريخية. ويذكر ابن النديم أنّ الجَهْشيارى صاحب كتاب الوزراء: «ابتدأ بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم. كل جزء قام بذاته، لا يعلق بغيره، وأحضر المسامرين وأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون، واختار من الكتب المصنفة فى الأسمار والخرافات ما يحلو بنفسه، فاجتمع له من ذلك أربعمئة ليلة وثمانون ليلة، كل ليلة سمر تام يحتوى على خمسين ورقة وأقل وأكثر، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما فى نفسه من تتميمه ألف سمر» ويضيف ابن النديم: «وكان قبل ذلك ممن يعمل الأسمار والخرافات على ألسنة الناس والطير والبهائم جماعة منهم عبد الله بن المقفع وسهل بن هارون وعلى بن داود». كما يذكر ابن النديم كتباً كثيرة، مؤلفة أو مترجمة من كتب الأسمار، عرفها العرب فى أيام خلفاء بنى العباس، ولاسيما فى أيام المقتدر بالله (حكم ٢٩٥ - ٣٢٠هـ) ويذكر أن الأسمار والخرافات كان مرغوباً فيها مشتهاة، فصنّف الورّاقون فيها وكذبوا.

وقد تجمّعت هذه الحكايات فى مدى القرنين الرابع والخامس للهجرة، مما أثر عن الرواة ودوّن فى الكتب، وأضيف إليها حوادث تاريخية دخلتها زيادات وتعديلات فضلاً عن كثير من سير الشعراء والأشخاص الذين عاشوا فى زمن العباسيين كأبى نواس وأبى دلامة، واستغلت تلك الحكايات والأخبار استغلالاً متنوع الغايات. وأشهر حكايات هذا القسم: حكاية على بن بكار وشمس النهار، وحكاية أنس الوجود والورد فى الأكمام، إلى غير ذلك من الحكايات التى يصوّر أكثرها المحبين وما يلاقون فى حبهم، كما تصوّر حياة النعيم والترف، وتبيّن ما وصلت إليه الحضارة فى بغداد والبصرة من ترف وأبّهة، وتشهد على الغنى فى الأسواق، وتمثل الجوارى فى المقاصير، وتجعل من الرشيد مثالاً للعدل والصلاح.

••

المجموعة المصرية من الحكايات

يرى كثير من الباحثين فى الأدب أن صورة كتاب ألف ليلة وليلة عرفت طريقها إلى مصر نحو منتصف القرن الخامس الهجرى، وأنها ظلّت تزاد على مرّ الزمن وتنمو، فتكوّنت المجموعة المصرية الجديدة التى هى أكبر أقسام ألف ليلة وليلة، وفيها كُررت موضوعات بعينها أو قصص صغيرة، وإن تغيرت أسماء أبطالها ثم أُلفت قصص جديدة. وتضم هذه المجموعة ما كتب من القصص فى مصر أو بلاد الشام، لاتصال البلدين بصلة وثيقة أيام الفاطميين ثم المماليك والعثمانيين، وقد تألفت هذه القصص ما بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين من القصص العربية والتقاليد الإسلامية والأساطير الشرقية.. ويشير المَقَّرى (ت١٠٤١هـ) فى نفح الطيب إلى أن ابن سعيد الأندلسى الغرناطى (٦١٥-٦٨٥هـ) يذكر فى كتابه «المحلى بالأشعار» ما يدل على أن كتاب ألف ليلة وليلة كان شائعاً ومعروفاً فى مصر فى القرنين الخامس والسادس الهجريين.

تتألف قصص ألف ليلة وليلة فى المجموعة المصرية من قسمين: قسم قديم ينتهى فى القرن الثامن الهجرى، وقسم حديث ينتهى فى القرن العاشر الهجرى.



أما القسم القديم فحسن الأسلوب، مطّرد السياق مهذب العبارة، يدور حول المغامرة والحرب وتعارض الأخلاق وتضارب العواطف، وتعتمد القصص فيه على الطلاسم والأرصاد والجن والسحر والقدر، كحكاية «جودر التاجر وإخوته»، وحكاية «مسرور التاجر مع معشوقته زين المواصف»، وحكاية «على شار مع زمرد الجارية».

أما القسم الثانى من الحكايات المصرية فأكثره ركيك الأسلوب جرىء العبارة، تدور أحداثه حول حيل المحتالين ومكايد العيّارين ومخاطر اللصوص، إلى جانب قصص التصوف والزهد السائدين فى المجتمع المصرى آنذاك، وأشهر حكايات هذا القسم حكاية «معروف الإسكافى» وحكاية «أبى قير وأبى صير» وحكاية «مدينة النحاس» وحكاية «على الزيبق ودليلة المحتالة» وحكاية «زينب النصابة» وحكاية «الرجل الصعيدى وامرأته الإفرنجية».

مجموعة القصص التى أضيفت كاملة إلى كتاب ألف ليلة وليلة:

وهذه القصص ترد فى نسخ من دون الأخرى، وكانت إضافتها ليبلغ عدد الليالى الألف، كما يدلّ على ذلك عنوان الكتاب، وأشهر هذه القصص قصة «السندباد».

مجموعة الأخبار: وهى الأخبار المنتزعة من التاريخ الماضى والتاريخ المعاصر لتلك القصص عن عجائب البلاد والخلق وأخبار الملوك وآدابهم.

●●

جمع كتاب ألف ليلة وليلة

ترى سهير القلماوى أن النسخة المصرية من الكتاب جمعها مؤلف مصرى، وأدخل فيها تحويراً أو تعديلاً فى الجمع وفى الأسلوب طبعها فى جملتها بالطابع المصرى، ثم أضيفت إليها قصص جديدة وحذفت منها قصص أخرى، ولهذا اختلفت النسخ فى عدد القصص وترتيبها، وإن اتفقت كلها فى جوهر الكتاب فى حين يرى المستشرق وليم لين W.Lane أن هذا الكتاب قد تجمعت قصصه حتى نهاية القرن التاسع الهجرى

وأعاد تأليفه مؤلف شاميّ، وأن ما بين النسخ من وصف حالات اجتماعية متوافقة يدل على أن الجامع واحد، وذلك على الرغم من الفروق بين النسخ المختلفة، وأنه ليس بين قصص هزار أفسانة وبين ألف ليلة وليلة من روابط إلاّ المقدمة ولفظ «ألف».

أما الدنماركى أويسترب Oestrup فيرى أن «الليالى» مجموعة قصص يختلف عددها وترتيبها باختلاف جامعها فى نسخة واحدة، فى إطار واحد، ويرى أن القصص قد تحوّلت على مرّ العصور واستمرت فى النمو والتغيير، وكانت دائماً ذات صبغة شعبية عند عامة المسلمين، يُضْفى عليها ما يدل على أنها من بلد عربى.

أما ماكدونالد Mecdonald فيرى أن ألف ليلة وليلة عنوان دلّ على أشياء مختلفة فى عصور مختلفة، وقد مرّت مادة الليالى بأطوار ثلاثة: الأول وجودها على ألسنة العامة وفى ذاكرتهم، وهى أدب شعبى صرف، والثانى تهيئة هذه العناصر على أيدى كتّاب وأدباء لتصبح قصصاً مكتوبة ومسموعة، وآخر طور استعانة ناشرى ألف ليلة وليلة بمواد جاهزة أضافوها كما هى إلى الليالى.

ويتفق الدارسون على أن ألف ليلة وليلة فى كل نسخها تتفق فى جوهر الكتاب الذى يبدو فى الأمور التالية:

- إن الكتاب قصص شعبية يتوجه قاصها إلى السامعين لإمتاعهم.
- إن الكتاب يصور الحياة فى المجتمعات على اختلافها، لذلك تتعارض مذاهبه وتتناقض مراميه وتختلف الآراء فيه، لأنه يمثل المجتمع فى أزمان متباينة وأطوار مختلفة.
- إن الكتاب فى كل نسخه - على ما بينها من اختلاف - يعتمد على قصة شهرزاد التى تكوّن الإطار العام لليالى والمقدمة فى كل النسخ المخطوطة والطبعات الموجودة.
- إن قصص الكتاب لم تلاق تشجيعاً عند الأدباء وأصحاب الفن الراقى، لذلك عمل واضعو القصص على أن يكون فيها عبرة لتجعل للأدب المسموع قيمة.



- إن الكتاب اعتراه كثير من التحوير والزيادة لأن طبيعته كانت تسمح بالتصرف فيه، أما الزيادة فتبدو فى إضافة الأحداث القصصية الخارقة، أو التفاصيل الخرافية المبالغ فيها، أو الأشعار الدخيلة عليها، أو وضع قصص جديدة توجد فى بعض النسخ ولا توجد فى سواها، كما يبدو التصرف فى تقسيم الأسمار إلى ليالٍ على نحو اعتباطى، يطول أو يقصر بحسب رغبة القاص، ولذلك يختلف هذا التقسيم من نسخة إلى أخرى.

ويبدو أن الأسمار التى أدخلها النسّاخ على الليالى أضيفت بعد أن وصل الكتاب إلى أيديهم، فطبقوا ما جاء فى المقدمة على ما بين أيديهم من أسمار، يؤيد ذلك اختلاف النسخ فى تقسيم الليالى، وما ذلك إلا ليحققوا التقسيم إلى ألف ليلة. ومما لا شك فيه أن العدد ألف يدل على التكثير وليس على عدد الأسمار تحديداً.

●●

أسلوب الكتاب

يختلف أسلوب قصص الكتاب بحسب مجموعاته، فهو فى المقدمة والمجموعة البغدادية، غالباً، متين العبارة، حسن السبك، دقيق الوصف، كثير السجع، قليل الفضول، وإن كان يسفّ أحياناً ويتجرأ بالعبارة النابية عن الحشمة. وهو فى المجموعة المصرية الأخيرة مهلهل النسج، عامى اللفظ، فيه تهويل ممجوج، وهو سىء التلفيق، شديد الوطأة على الحياء، لصدوره عن قصاصين يتملقون شهوات العامة بالإفحاش.

غير أن أسلوب الكتاب على العموم يتسم بالوضوح والصراحة والتشويق والبعد عن التعقيد والتكلف، ولغة الكتاب بسيطة صادقة، شعبية، صريحة، جريئة الإشارة، تراوح بين الفصحى والعاميّة، فتساير العامة وتلذّ لهم.

ويتخلل القصص شعر، يفتقر أحياناً إلى الوزن السليم وقد وضع القصاصون الأشعار لتطويل القصة حيناً أو للتأثير فى السامعين حيناً آخر. وهذه الأشعار قد تكون أشعاراً منقولة عن شعراء مجيدين، حفظها القاص فزيّن بها موقفاً، أو أشعاراً أراد بها

أن ينسج على منوال ما حفظ، فهى أبيات ركيكة غالباً من السهل تمييزها من الأصل الجيّد، ويتردد الشعر عادة على لسان بطل القصة فى مواقف الوعظ، ويكثر فى مواقف فراق العاشقين، وتبدو معظم الأشعار دخيلة على سياق القصة لا تتناسب وأحداثها.

●●

مضمون الكتاب

تأتلف فى كتاب ألف ليلة وليلة النزعات البشرية وأساطيرها وثقافتها القديمة، ولكن لا يمكن اعتمادها مصدراً للتاريخ، إذ يمتزج فى قالبها القصصى الأسطورة مع الخيال الشعبى، والواقع مع المبالغة، وسرد الحوادث الخيالية وكأنها الحقيقة. وتستوفى بعض القصص شروط الفن القصصى ويفتقر بعضها إلى الترتيب والتناسق، ويعتمد كثير من القصص على كثرة الحوادث وتسلسلها مع عرض نماذج مختلفة من البشر.

والأقسام المهمة الأساسية فى الليالى هى الخرافات ثم قصص الغرام ثم الأساطير أو القصص القديمة، ثم القصص التعليمية والفكاهية وأخيراً الأحاديث والأخبار.

وقد ملئت الليالى بذكر الجن والعفاريت، واحتلّ جنُّ سليمان مكانة ممتازة. وتقوم العفاريت غالباً بدور الحبّ والسحر واللهو بالبشر، كما فى قصة قمر الزمان ابن الملك شهرمان. وتظهر الليالى قدرة الجن الخارقة، وهى القدرات التى تميّزها من الأنس، ويدخل السحر فى شفاء المرضى وفى تحويل الآدميين إلى حيوانات وأحجار وفى إظهار المخبوء من الكنوز. والساحر غالباً ما يكون مجوسياً.

ويلحظ فى نفوس أبطال القصص الشعور الدينى الإسلامى الذى يعكس المعتقدات الدينية الشعبية كما يبدو أثر القرآن والسنة فى الحياة الاجتماعية الشعبية التى تصورها الليالى، وخاصة فى الجزء المصرى منه، ويتجلى الروح الإسلامى فى القصص فى الإذعان للقضاء والقدر، وأن كل شىء مسطور فى كتاب، لذلك على الإنسان أن يتوكل دائماً على الله، كما يبدو هذا الروح فى إحقاق العدل فى آخر تتابع الأحداث.



وتسيطر على أكثر قصص الكتاب بيئة التجار المتصلة بطبقة الحكام من جهة وبطبقة الفقراء المقتر عليهم فى الرزق من جهة أخرى. ومع أن بعض القصص يرجع إلى أصل هندى أو فارسى فقد صبغها القصاصون بالروح الإسلامى، وأدمجوها فى الحياة الاجتماعية عند المسلمين.

وقد صورت الليالى فى القصص المصرية بيئة عجيبة هى بيئة الشطّار والعيارين، كما صورت بيئة الطبقات الفقيرة التى لا تكاد تجد قوتها، ثم تمتعها بالغنى بعد أن تفتح لها الكنوز المرصودة.

واحتلت المرأة فى كتاب الليالى مكانة كبيرة وحيّزاً بارزاً متعدد الجوانب متباين الأبعاد، فتنوعت صورها واختلفت اختلافاً بيناً، وليس ذلك بغريب، إذ إن الكتاب لا تجمعه وحدة المؤلف ولا العصر، فهو لذلك يجمع أشتاتاً من صور المرأة على مرّ العصور فى مختلف البيئات. ففى الليالى صور كثيرة عن ملكات وعن نساء عاديات، ميسورات وفقيرات، وقد استمدت الشخصيات من الواقع حيناً ومن خيال القاص أحياناً، وأكبر دور قامت به المرأة فى الليالى هو دور العاشقة، وهى فى كل صور هذا الدور، سواء أكانت ملكة أم جارية مشتراة، تخضع لحبيبها وتناديه يا سيدى، وتقوم على خدمته، وهى فى سبيل حبها تبدو أحياناً خائنة لزوجها، قادرة على الكيد للوصول إلى من تحبّ والتخلص من زوجها.

والعجوز فى هذه القصص شمطاء، وهى مصدر شر كبير، تفرّق المحبين وتكون وسيلة بشعة للكيد والانتقام، وكثيراً ما يستعين بها اللصوص أحياناً، ونجدها فى أحيان أخرى تجمع بين المحبين بطرق مشروعة أو غير مشروعة.

والمرأة غالباً ذات دهاء ومكر، وقد يبدو ذلك فى كيدها السياسى كما فى «شواهى» بطلة قصة عمر النعمان وولديه.

وهناك المرأة المحاربة، والمرأة الجارية العالمة كما فى شخصيتى «نزهة الزمان، وتودد».

وفى القصص نساء من الجن يعشن كالنساء العاديات فى الحب والكره، وإن كانت لهن قدرات غير عادية.

ولقد أفاضت القصص فى وصف النساء ومفاتنهن، وكان هذا من أسباب رواج هذه القصص شعبياً.

وأخيراً، ومع سيطرة فكرة ظلم الرجل للمرأة وحظها المنكود، فإنها تحتلّ المقام الأول فيما يحدث فى القصة من أحداث وما يثار فيها من عواطف.

●●

ترجمة الكتاب وطبعاته

لا شك فى أن أول من نبه الغرب على وجود الكتاب هم المستشرقون الذين قاموا بترجمته، ثم انكبّوا على دراسته. وأول ما لفت نظر الغربيين إلى الكتاب الترجمة التى قام بها أنطون غالان Antoine Galland وهو أستاذ فرنسى تخصص فى العلوم الشرقية، وكان قد ترجم قصص السندباد، ثم وجد أن هذه القصص جزء من مجموعة كبيرة من هذا النوع بعد أن أرسلت إليه من حلب أربعة مجلدات من هذا المؤلَف الضخم، فبدأ بالترجمة سنة ١٧٠٤م، وانتهت طباعة الكتاب سنة ١٧١٧م، وقد ترجم ثلاثة مجلدات من المجلدات الأربعة.

ولكن هذه الترجمة لم تكن أمينة، فلم يترجم غالان كل الليالى، وزاد بين المجلد الثانى والثالث قصص السندباد، وتصرّف فى ترجمته فأضاف وحذف وغيّر، حتى يلائم الذوق الأوربى، وقد لاقت الترجمة الفرنسية نجاحاً لأن النص كتب بلغةٍ فرنسيةٍ ناصعة سلسة جميلة، يتداولها القارئ الفرنسى بسهولة. لذلك أعيد طبع الليالى مراراً، وظلت هذه الترجمة طوال القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر تمثّل للأوربيين المعنى المفهوم لألف ليلة وليلة.

وقد صدرت عن هذه الترجمة ترجمات إلى اللغات: الإنكليزية والألمانية والإيطالية والدنماركية والروسية والفلمنكية والرومانية والهولندية واليونانية والسويدية والبولونية والهنغارية.



ومن أشهر ترجمات الليالى ترجمة هابِكْت Habicht الألمانى الذى أصدرها فى برسلو (١٨٣٧ - ١٨٤١م) وأغلب الحكايات الواردة فيها وأهمها أخذت بطريقة غير مباشرة من مخطوط غالان وترجمة هنرى تورنز (Henry Tornes ١٨٣٨) ومن أشهر هذه الترجمات كذلك ترجمة وليم لين (١٨٣٩) الذى ترجم الشعر فى الليالى إلى شعر إنكليزى، ولكنه لم ينجز إلا الليالى الخمسين، ثم ريتشارد بورتُن Burton الذى نشر ترجمة ضخمة فى عشرة أجزاء وأتبعها بملحق من سبعة أجزاء وصدرت ما بين ١٨٨٦ و١٨٨٨م، وقد حافظ على تقسيم الكتاب إلى ليال بعد أن أهمل المستشرقون هذا التقسيم. وهناك أيضاً ترجمة مارْدروسى الفرنسى (Mardrus ١٨٩٩).

ثم عمد بعض المستشرقين إلى ترجمة الليالى عن الأصل العربى فكان من أبرز هذه الترجمات ترجمة كرايمسكى Krymski الروسى (١٩٠٤)، وإنوليتمان Enolittnman الألمانى مابين ١٩٢١ و١٩٢٨.

كما شغل المستشرقون بالبحث فى أصل الليالى، فلم تخل ترجمة من مقدمة تدرس الليالى وتتكلم عن أصلها، أو تحلل بعضاً من قصصها، وأول عالمين أسهبا فى بحث هذا الموضوع سلفستر دى ساسى وفون هامر.

ومع تعدد النسخ المخطوطة التى أخذت عن الطبعات العربية المختلفة، فإنه يمكن إرجاع النسخ المخطوطة إلى ثلاث مجموعات مختلفة: مجموعة آسيوية، ومجموعتين مصريتين. فأما المجموعة الآسيوية فتشمل القسم الأول من الكتاب وقد طبعت فى كلكتة فى جزأين ما بين سنتى ١٨١٤ و١٨١٨ وهى نسخة كلكتة الأولى - أول مخطوطة طبعت - ثم نسخة برسلو بإشراف هابكت فى اثنى عشر جزءاً مابين سنتى ١٨٢٥ و, ١٨٤٣ ثم طبعت المجموعتان المصريتان، وبينهما اختلاف شديد فى الأسلوب والترتيب والعدد والقصص، جمعها ماكناتن Macnaghten فى أربعة مجلدات ما بين ١٨٣٠ و١٨٤٢ فكان منهما نسخة كلكتة الثانية. ثم كانت طبعة بولاق فى القاهرة فى مجلدين، وهى أصح الطبعات، وعنها صدرت جميع الترجمات التى لم تعتمد على ترجمة غالان.

وهناك طبعة الآباء اليسوعيين التى حذف منها كثير من الأحداث، وهذب فيها كثير من العبارات مما أبعدها عن الأصل.

●●

أثر «الليالى» فى الأدب الغربى

أثارت ألف ليلة وليلة فى نفوس الغربيين شغفاً بجمع الأدب الشعبى ودراسته على نحو لم يكونوا قد بدؤوا يحسنون بالحاجة إليه أو الحافز نحوه، كما أثارت فى نفوسهم التطلّع إلى معرفة هذه الشعوب التى أنتجت هذا الأثر والتى دارت حوادث الكتاب حولها. وقد كانت ألف ليلة وليلة فى عداد الحوافز التى دفعت الغرب إلى زيادة اهتمامه بالشرق إضافة إلى النواحى الاستعمارية والتجارية والسياسية، وكان لها تأثيرها فى حركة الاستشراق وتوق الأدباء إلى زيارة البلاد الشرقية، ويمثل هذا المستشرق لين الذى زار الشرق ثم أقام فى مصر.

وتغلغلت الليالى فى نفوس أدباء الغرب وأثّرت فى أدبهم، وبدا ذلك فى تأثرهم بالخيال والشخصيات التى دارت حولها القصص، وغدت ترجمة غالان للقصص جزءاً من الأدب العالمى، وأمدّت الليالى الأدباء بعالم وافر من الشخصيات والحوادث. وقد استعان كثير من مؤلفى قصص الأطفال بما فى الكتاب من أدب سهل، قريب المنال، يتسم بالبساطة والسذاجة التى هى من أخص مميزات قرائهم الأطفال، كقصة علاء الدين وقصة على بابا وقصة السندباد، فكتبوا فى أدب الرحلات التى تتسم بالمغامرات كرحلات غولفر Gullever وروبنسون كروزو Robenson Grusoe والرحلات التى ألفها جول فرن Jules Verne.

واستمدت القصة الغربية من ألف ليلة وليلة آفاقاً جديدة وميادين مبتكرة لحوادثها وعواطفها، كما أصبحت صناعة المناظر المسرحية تعتمد اعتماداً قوياً فى إبراز الأدب المسرحى الشرقى على الصورة التى أوحت بها الليالى، كذلك أثّرت ألف ليلة وليلة فأدخلت موضوعات جديدة فى أدب الغرب كقصص الحيوان والجن، وأدخلت هذه الموضوعات فى الفنون الأخرى كالرقص والرسم.



وغدت شَخصية شهرزاد شخصية عالمية، وقد تأثر بها غوته، فراح يكتب عن الليلة الثانية بعد الألف، وكذلك فعل إدغار آلان بو بأسلوبه الساخر.

وقد أدّى الإقبال على تأليف قصص عن الشرق مستوحاة من ألف ليلة وليلة إلى استلهام الكتّاب الغربيين القصص الشرقية الأخرى التى ترجمت إلى لغاتهم بعد ترجمة ألف ليلة وليلة.

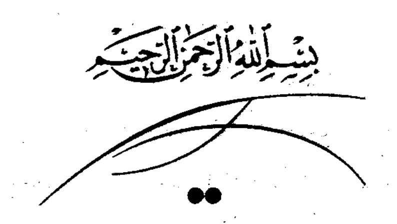
كذلك أوحت الليالى إلى الموسيقيين بأوبرات عالمية كأوبريت معروف الإسكافى، وباليه شهرزاد التى ألفها ريمسكى كورساكوف، وباليه ثورة الحريم.

وقد طبعت الليالى أكثر من ثلاثين مرة فى فرنسا وإنجلترا فى القرن الثامن عشر وحده، ونشرت نحو ثلاثمئة مرة بلغات أوربة الغربية منذ ذلك الحين.

بقلم الكاتب

د. الحسينى الحسينى معدّى

■■■



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه وصلاة وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين (وبعد) فإن سير الأولين صارت عبرة للآخرين لكى يرى الإنسان العبر التى حصلت لغيره فيعتبر ويطالع حديث الأمم السالفة وما جرى لهم فينزجر فسبحان من جعل حديث الأولين عبرة لقوم آخرين (فمن) تلك العبر الحكايات التى تسمى ألف ليلة وليلة وما فيها من الغرائب والأمثال .

(حكاية الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان)

(حكى) والله أعلم إنه كان فيما مضى من قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من ملوك ساسان بجزائر الهند والصين صاحب جند وأعوان وخدم وحشم له ولدان أحدهما كبير والآخر صغير وكانا فارسين بطلين وكان الكبير أفرس من الصغير وقد ملك البلاد وحكم بالعدل بين العباد وأحبه أهل بلاده ومملكته وكان اسمه الملك شهريار وكان أخوه الصغير اسمه الملك شاه زمان وكان ملك سمرقند العجم ، ولم يزل الأمر مستقيمًا فى بلادهما وكل واحد منهما فى مملكته حاكم عادل فى رعيته مدة عشرين سنة وهم فى غاية البسط والانشراح ولم يزالا على هذه الحالة إلى أن اشتاق الكبير إلى أخيه الصغير فأمر وزيره أن يسافر إليه ويحضر به فأجابه بالسمع والطاعة وسافر حتى وصل بالسلامة ودخل على أخيه وبلغه السلام وأعلمه أن أخاه مشتاق إليه وقصده أن يزوره فأجابه بالسمع والطاعة وتجهز للسفر وأخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه وأعوانه وأقام وزيره حاكمًا فى بلاده وخرج طالبًا بلاد أخيه فلما كان فى نصف الليل تذكر حاجة نسيها فى قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة فى فراشه معانقة عبدًا أسود من العبيد فلما رأى هذا اسودت الدنيا فى وجهه وقال فى نفسه : إذا كان هذا الأمر قد وقع وأنا مافارقت المدينة فكيف حال هذه العاهرة إذا غبت عند أخى مدة ثم إنه سل سيفه



وضرب الاثنين فقتلهما فى الفراش ورجع من وقته وساعته وأمر بالرحيل وسار إلى أن وصل إلى مدينة أخيه ففرح بقدومه ثم خرج إليه ولاقاه وسلم عليه ففرح به غاية الفرح وزين له المدينة وجلس معه يتحدث بانشراح ؛ فتذكر الملك شاه زمان ما كان من أمر زوجته فحصل عنده غم زائد واصفر لونه وضعف جسمه فلما رآه أخوه على هذه الحالة ظن فى نفسه أن ذلك بسبب مفارقته بلاده وملكه فترك سبيله ولم يسأل عن ذلك ، ثم إنه قال له فى يوم من بعض الأيام أنا فى باطنى جرح ولم يخبره بما رأى من زوجته فقال إنى أريد أن تسافر معى إلى الصيد والقنص لعلك ينشرح صدرك فأبى ذلك فسافر أخوه وحده إلى الصيد وكان فى قصر الملك شبابيك تطل على بستان أخيه فنظر وإذا بباب القصر فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبداً وامرأة أخيه تمشى بينهم وهى فى غاية الحسن والجمال حتى وصلوا إلى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم وإذا بامرأة الملك قالت يامسعود فجاءها عبد أسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك باقى العبيد فعلوا بالجوارى ولم يزالوا فى بوس وعناق نحو ذلك حتى ولى النهار فلما رأى ذلك أخو الملك فقال والله إن بليتى أخف من هذه البلية وقد هان ماعنده من القهر والغم وقال هذا أعظم مما جرى لى ولم يزل فى أكل وشرب ، وبعد هذا جاء أخوه من السفر فسلما على بعضهما ونظر الملك شهريار إلى أخيه الملك شاه زمان وقد رد لونه واحمر وجهه وصار يأكل بشهية بعد ماكان قليل الأكل فتعجب من ذلك وقال يا أخى كنت أراك مصفر اللون والوجه والآن قد رد إليك لونك فأخبرنى بحالك ؛ فقال أما تغير لونى فأذكره لك واعف عنى عن إخبارك برد لونى فقال له أخبرنى أولا بتغير لونك وضعفك حتى أسمعه ، فقال له يا أخى إنك لما أرسلت وزيرك إلى يطلبنى للحضور بين يديك جهزت حالى وقد برزت من مدينتى ثم إنى تذكرت الخرزة التى أعطيتها لك فى قصرى فرجعت فوجدت زوجتى معها عبد أسود وهو نائم فى فراشى فقتلتهما وجئت إليك وأنا متفكر فى هذا الأمر فهذا سبب تغير لونى وضعفى وأما رد لونى فاعف عنى من أن أذكره لك فلما سمع أخوه كلامه قال له أقسمت عليك بالله أن تخبرنى بسبب رد لونك فأعاد عليه جميع مارآه فقال شهريار لأخيه شاه زمان مرادى أن أنظر بعينى فقال له أخوه شاه زمان اجعل إنك مسافر للصيد والقنص واختف عندى وأنت تشاهد ذلك وتحققه عيانا فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر والخيام إلى ظاهر المدينة وخرج الملك ، ثم إنه جلس فى الخيام وقال لغلمانه لايدخل على أحد ثم إنه تنكر

وخرج مختفيًا إلى القصر الذى فيه أخوه وجلس فى الشباك المطل على البستان ساعة من الزمان وإذا بالجوارى وسيدتهن دخلوا مع العبيد وفعلوا كما قال أخوه واستمروا كذلك إلى العصر فلما رأى الملك شهريار ذلك الأمر طار عقله من رأسه وقال لأخيه شاه زمان قم بنا نسافر إلى حال سبيلنا وليس لنا حاجة بالملك حتى ننظر هل جرى لأحد مثلنا أولا فيكون موتنا خير من حياتنا فأجابه لذلك ثم إنهما خرجا من باب سر فى القصر ولما يزالا مسافرين أيامًا وليالى إلى أن وصلا إلى شجرة فى وسط مرج عندها عين ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين وجلسا يستريحان فلما كان بعد ساعة مضت من النهار إذا هم بالبحر قد هاج وطلع منه عمود أسود صاعدًا إلى السماء وهو قاصد تلك المرجة قال فلما رأيا ذلك خافا وطلعا إلى أعلى الشجرة وكانت عالية وصارا ينظران ماذا يكون الخبر وإذا بجنى طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر على رأسه صندوق فطلع إلى البر وأتى الشجرة التى هما فوقها وجلس تحتها وفتح الصندوق وأخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت صبية غراء بهية كأنها الشمس المضيئة كما قال الشاعر :

أشرقت فى الدجى فلاح النهار	واستنارت بنورها الأسحار
من سناها الشموس تشرق لما	تتبدى وتنجلى الأقمار
تسجد الكائنات بين يديها	حين تبدو وتهتك الأستار
وإذا أومضت بروق حماها	هطلت بالمدامع الأمطار

قال فلما نظر إليها الجنى قال ياسيدة الحرائر التى قد اختطفتك ليلة عرسك أريد أن أنام قليلاً ثم إن الجنى وضع رأسه على ركبتها ونام فرفعت رأسها إلى أعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فرفعت رأس الجنى من فوق ركبتها ووضعتها على الأرض ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالإشارة انزلا ولاتخافا من هذا ا لعفريت فقالا لها بالله عليك أن تسامحينا من هذا الأمر فقالت لهما بالله عليكما انزلا وإلا نبهت عليكما العفريت فيقتلكما شر قتلة فخافا ونزلا إليها فقامت لهما وقالت ارصعا رصعا عنيفًا وإلا أنبه عليكما العفريت فمن خوفهما قال الملك شهريار لأخيه الملك شاه زمان يا أخى افعل ما أمرتك به فقال لا أفعل حتى تفعل أنت قبلى وأخذا يتغامزان على نكاحها فقالت مالى أراكما تتغامزان فإن لم تتقدما وتفعلا وإلا نبهت عليكما العفريت فمن خوفهما من الجنى فعلا ما أمرتهما به فلما فرغا قالت لهما أقفا



وأخرجت لهما من جيبها كيسًا وأخرجت لهما منه عقدًا فيه خمسمائة وسبعون خاتمًا فقالت لهما أتدرون ما هذه؟ فقالا لا ندرى فقالت لهما أصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بى على غفلة قرن ذلك العفريت فأعطيانى خاتميكما أنتما الاثنان الآخران فأعطياها من يديهما خاتمين فقالت لهما إن هذا العفريت قد اختطفنى ليلة عرسى ثم إنه وضعنى فى علبة وجعل العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة أقفال وجعلنى فى قاع البحر العجاج المتلاطم بالأمواج ويعلم أن المرأة منا إذا أردات أمرًا لم يغلبها شىء كما قال بعضهم :

لا تأمنن إلـى النسـاء   ولا تثـق بعهـودهـن

فـرضاؤهـن وسخطهـن   معـلـق بفــروجـهـن

يبـدين ودا كـاذبـًا   والغـدر حشـو ثيابهن

بحديث يوسـف فاعتبر   متحـذرًا مـن كيدهـن

أو مـا تــرى إبليـس   أخرج آدما من أجلهن



(ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالإشارة انزلا)

فلما سمعا منها هذا الكلام تعجبا غاية العجب وقالا لبعضهما إذا كان هذا عفريتًا وجرى له أعظم مما جرى لنا فهذا شيء يسلينا ثم إنهما انصرفا من ساعتهما عنها ورجعا إلى مدينة الملك شهريار ودخلا قصره ثم إنه رمى عنق زوجته وكذلك أعناق الجوارى والعبيد وصار الملك شهريار كلما يأخذ بنتًا بكرًا يزيل بكارتها ويقتلها من ليلتها ولم يزل على هذا ثلاث سنوات فضجت الناس وهربت ببناتها أو لم يبق فى تلك المدينة بنت تتحمل الوطء ثم إن الملك أمر الوزير أن يأتيه ببنت على جرى عادته فخرج الوزير وفتش فلم يجد بنتًا فتوجه إلى منزله وهو غضبان مقهور خائف على نفسه من الملك وكان الوزير له بنتان ذاتا حسن وجمال وبهاء وقد واعتدال ، الكبيرة اسمها شهر زاد والصغيرة اسمها دنيا زاد وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين وأخبار الأمم الماضيين ، وقيل إنها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالأمم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت لأبيها مالى أراك متغيرًا حامل الهم والأحزان وقد قال بعضهم فى المعنى شعرًا :

قل لمن يحمل همًا إن همـا لايـدوم
مثل مايفنى السرور هكذا تفنى الهموم

فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ماجرى له من الأول إلى الآخر مع الملك فقالت له بالله يا أبت زوجنى هذا الملك فإما أن أعيش وإما أن أكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهن من بين يديه ؛ فقال لها بالله عليكى لاتخاطرى بنفسك أبدًا فقالت له لابد من ذلك فقال أخشى عليك أن يحصل لك ما حصل للحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذى جرى لهما يا أبت .

(حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع)

(قال) اعلمى يابنتى أنه كان لبعض التجار أموال ومواشى وكان له زوجة وأولاد وكان الله تعالى أعطاه معرفة ألسن الحيوانات والطير وكان مسكن ذلك التاجر فى الأرياف وكان عنده فى داره حمار وثور فأتى يومًا الثور إلى مكان الحمار فوجده مكنوسًا مرشوشًا وفى معلفه شعير مغربل



وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفى بعض الأوقات يركبه صاحبه لحاجة تعرض له ويرجع على حاله فلما كان فى بعض الأيام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيئًا لك ذلك أنا تعبان وأنت مستريح تأكل الشعير مغربلا ويخدمونك ، وفى بعض الأوقات يركبك صاحبك ويرجع وأنا دائمًا للحرث والطحن ، فقال له الحمار إذا خرجت إلى الغيط وضعوا على رقبتك الناف فارقد ولاتقم ولو ضربوك فإن قمت فارقد ثانيًا فإذا ارجعوا بك ووضعوا لك الفول فلا تأكله كأنك ضعيف وامتنع عن الأكل والشرب يومًا أو يومين أو ثلاثة فإنك تستريح من التعب والجهد وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السواق إلى الثور بعلفه أكل منه شيئًا يسيرًا فأصبح السواق يأخذ الثور إلى الحرث فوجده ضعيفا فقال له التاجر خذ الحمار وحرثه مكانه اليوم كله فلما رجع آخر النهار شكره الثور على تفضلاته حيث أراحه من التعب فى ذلك اليوم فلم يرد عليه الحمار جوابًا وندم أشد الندامة فلما كان ثانى يوم جاء المزارع وأخذ الحمار وحرثه إلى آخر النهار فلم يرجع الحمار إلا مسلوخ الرقبة شديد الضعف فتأمله الثور وشكره ومجده فقال له الحمار كنت مقيمًا مستريحًا فما ضرنى إلا فضولى ، ثم قال اعلم أنى لك ناصح وقد سمعت صاحبنا يقول إن لم يقم الثور من موضعه فأعطوه للجزار ليذبحه ويعمل جلده قطعًا وأنا خائف عليك ونصحتك والسلام فلما سمع الثور كلام الحمار شكره وقال فى غد أسرح معهم ثم إن الثور أكل علفه بتمامه حتى لحس المدود بلسانه كل ذلك وصاحبهما يسمع كلامهما فلما طلع النهار وخرج التاجر وزوجته إلى دار البقر وجلسا فجاء السواق وأخذ الثور وخرج فلما رأى الثور صاحبه حرك ذنبه وظرط وبرطع فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه فقالت له زوجته من أى شىء تضحك فقال لها شىء رأيته وسمعته ولا أقدر أن أبوح به فأموت فقالت له لابد أن تخبرنى بذلك وما سبب ضحكك ولو كنت تموت فقال لها ما أقدر أن أبوح به خوفًا من الموت فقالت له إنت لم تضحك إلا على ، ثم إنها لم تزل تلح عليه وتلج فى الكلام إلى أن غلبت عليه فتحير وأحضر أولاده وأرسل أحضر القاضى والشهود وأراد أن يوصى ثم يبوح لها بالسر ويموت لأنه كان يحبها محبة عظيمة لأنها بنت عمه وأولاده وكان قد عمر من العمر مائة وعشرين سنة ، ثم إنه أرسل أحضر جميع أهلها وأهل حارته وقال لهم حكايته وإنه متى قال لأحد على سره مات فقال

لها جميع الناس ممن حضر بالله عليكى اتركى هذا الأمر لئلا يموت زوجك أبو أولادك فقالت لهم لا أرجع حتى يقول لى ولو يموت فسكتوا عنها ثم إن التاجر قام من عندهم وتوجه إلى دار الدواب ليتوضأ ثم يرجع يقول لهم ويموت وكان عنده ديك تحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع الكلب ذلك الأمر فأعاد الكلب عليه القصة قال له الديك والله إن صاحبنا قليل العقل أنا لى خمسون زوجة أرضى هذه وأغضب هذه وهو ماله إلا زوجة واحدة ولا يعرف صلاح أمره معها فما له لا يأخذ لها بعضًا من عيدان التوت ثم يدخل إلى حجرتها ويضربها



(بنت الوزير زوجة الملك تبدأ حديثها فى قصة ألف ليلة وليلة)



حتى تموت أو تتوب ولاتعود تسأله عن شيء . قال : فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب رجع إلى عقله وعزم على ضربها ثم قال الوزير لابنته شهرزاد بما فعل التاجر بزوجته فقالت له ما فعل ، قال : دخل عليها الحجرة وقال لها تعالى داخل الحجرة حتى أقول لك ولاينظرنى أحد ثم إنه قفل باب الحجرة عليهما ونزل عليها بالضرب إلى أن أغمى عليها فقالت له تبت ثم إنها قبلت يديه ورجليه وتابت وخرجت هى وإياه وفرح الجماعة وأهلها وقعدوا فى أسر الأحوال إلى الممات فلما سمعت ابنة الوزير مقالة أبيها قالت له لابد من ذلك فجهزها وطلع إلى الملك شهريار وكانت قد أوصت أختها الصغيرة وقالت لها إذا توجهت إلى الملك أرسلت أطلبك فإذا جئت عندى ورأيت الملك قضى حاجته منى فقولى يا أختى حدثينا حديثًا غريبًا نقطع به السهر وأنا أحدثك حديثًا يكون فيه الخلاص إن شاء الله ثم إن أباها الوزير طلع بها إلى الملك فلما أراد أن يدخل عليها بكت فقال لها مالك فقالت أيها الملك إن لى أختًا صغيرة أريد أن أودعها فأرسل الملك إليها فجاءت إلى أختها وعانقتها وجلست تحت السرير فقام الملك وأخذ بكارتها ثم جلسوا يتحدثون فقالت لها أختها الصغيرة بالله عليك يا أختى حدثينا حديثًا نقطع به سهر ليلتنا فقالت حبا وكرامة إن أذن لى هذا الملك المهذب فلما سمع ذلك الكلام وكان به قلق ففرح بسماع الحديث .

***

(حكاية التاجر مع العفريت)

الليلـة (الأولى)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان تاجر من التجار كثير المال والمعاملات فى البلاد قد ركب يومًا وخرج يطالب فى بعض البلاد فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده فى خرجه وأكل كسرة وكانت معه تمرة فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة وإذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف فدنا من ذلك التاجر وقال له قم حتى أقتلك مثل ماقتلت ولدى فقال له التاجر كيف قتلت ولدك قال له لما أكلت التمرة ورميت نواتها جاءت النواة فى صدر ولدى

فقضى عليه ومات من ساعته فقال التاجر للعفريت اعلم أيها العفريت أنى علىَّ دين ولى مال كثير وأولاد وزوجة وعندى رهون فدعنى أذهب إلى بيتى وأعطى كل ذى حق حقه ثم أعود إليك ولك على عهد وميثاق أنى أعود إليك فتفعل بى ماتريد والله على ما أقول وكيل فاستوثق منه الجنى وأطلقه فرجع إلى بلده وقضى جميع تعلقاته وأوصل الحقوق إلى أهلها وأعلم زوجته وأولاده بما جرى له فبكوا وكذلك جميع أهله ونسائه وأولاده وأوصى وقعد عندهم



(الجنى وبيده سيف مسلول يجذب التاجر من وسط الشيوخ)



إلى تمام السنة ، ثم توجه وأخذ كفنه تحت إبطه وودع أهله وجيرانه وجميع أهله وخرج رغمًا عن أنفه وأقيم عليه العياط والصراخ فمشى إلى أن وصل إلى ذلك البستان وكان ذلك اليوم أول السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكى على ما يحصل له وإذا بشيخ كبير قد أقبل عليه ومعه غزالة مسلسلة فسلم على التاجر وحياه وقال له : ما سبب جلوسك فى هذا المكان . وأنت منفرد وهو مأوى للجن؟ فأخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريت وبسبب قعوده فى هذا المكان فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال والله يا أخى مادينك إلا دين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت بالأبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ، ثم إنه جلس بجانبه وقال والله يا أخى لا أبرح من عندك حتى أنظر ماجرى لك مع ذلك العفريت ثم إنه جلس عنده يتحدث معه فغشى على ذلك التاجر وحصل له الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه وإذا بشيخ ثان قد أقبل عليهما ومعه كلبتان سلاقيتان من الكلاب السود فسألهما بعد السلام عليهما عن سبب جلوسهما فى هذا المكان وهو مأوى الجان فأخبراه بالقصة من أولها إلى آخرها فلم يستقر به الجلوس حتى أقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن سبب جلوسهم فى هذا المكان فأخبراه بالقصة من أولها إلى آخرها وبينما هم كذلك إذا بغبرة هاجت وزوبعة عظيمة قد أقبلت من وسط تلك البرية فانكشف الغبرة وإذا بذلك الجنى وبيده سيف مسلول وعيونه ترمى بالشر فأتاهم وجذب ذلك التاجر من بينهم وقال له قم أقتلك مثل ما قتلت ولدى وحشاشة كبدى فانتحب ذلك التاجر وبكى وأعلن الثلاثة شيوخ بالبكاء والعويل والنحيب فانتبه منهم الشيخ الأول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له يا أيها الجنى وتاج ملوك الجان إذا حكيت لك حكايتى مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة وهبت لى ثلث دمه فقال ذلك الشيخ الأول أعلم يا أيها العفريت أن هذه الغزالة هى بنت عمى ومن لحمى ودمى وكنت تزوجتها وهى صغيرة السن وأقمت معها نحو ثلاثين سنة فلم أرزق منها بولد فأخذت لى سرية فرزقت منها بولد ذكر كأنه البدر إذا بدا بعينين مليحتين وحاجبين مزججين وأعضاء كاملة فكبر شيئًا فشيئًا إلى أن صار ابن خمس عشرة سنة فطرأت لى سفرة إلى بعض المدائن فسافرت بمتجر عظيم وكانت بنت عمى هذه

الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلا وسحرت الجارية أمه بقرة وسلمتها إلى الراعي ثم جئت أنا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدى وعن أمه فقالت لى جاريتك ماتت وابنك هرب ولم أعلم أين راح فجلست مدة سنة وأنا حزين القلب باكى العين إلى أن جاء عيد الضحية فأرسلت إلى الراعى أن يخصنى ببقرة سمينة فجاءنى ببقرة سمينة وهى سريتى التى سحرتها تلك الغزالة وأمرت ذلك الراعى فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحمًا ولا لحمًا غير جلد وعظم فندمت على ذبحها حيث لاينفعنى الندم وأعطيتها للراعى وقلت له ائتنى بعجل سمين فأتانى بولدى المسحور عجلا فلما رآنى ذلك العجل قطع حبله وجاءنى وتمرغ على وولول وبكى فأخذتنى الرأفة وقلت للراعى ائتنى ببقرة ودع هذا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها ما أطيب حديثك وألطفه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله ما أقتلها حتى أسمع بقية حديثها إنهم باتوا تلك الليلة إلى الصباح متعانقين فخرج الملك محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت إبطه ثم حكم الملك وولى وعزل إلى آخر النهار ولم يخبر الوزير بشىء من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار قصره .

***

الليلـــة (٢)

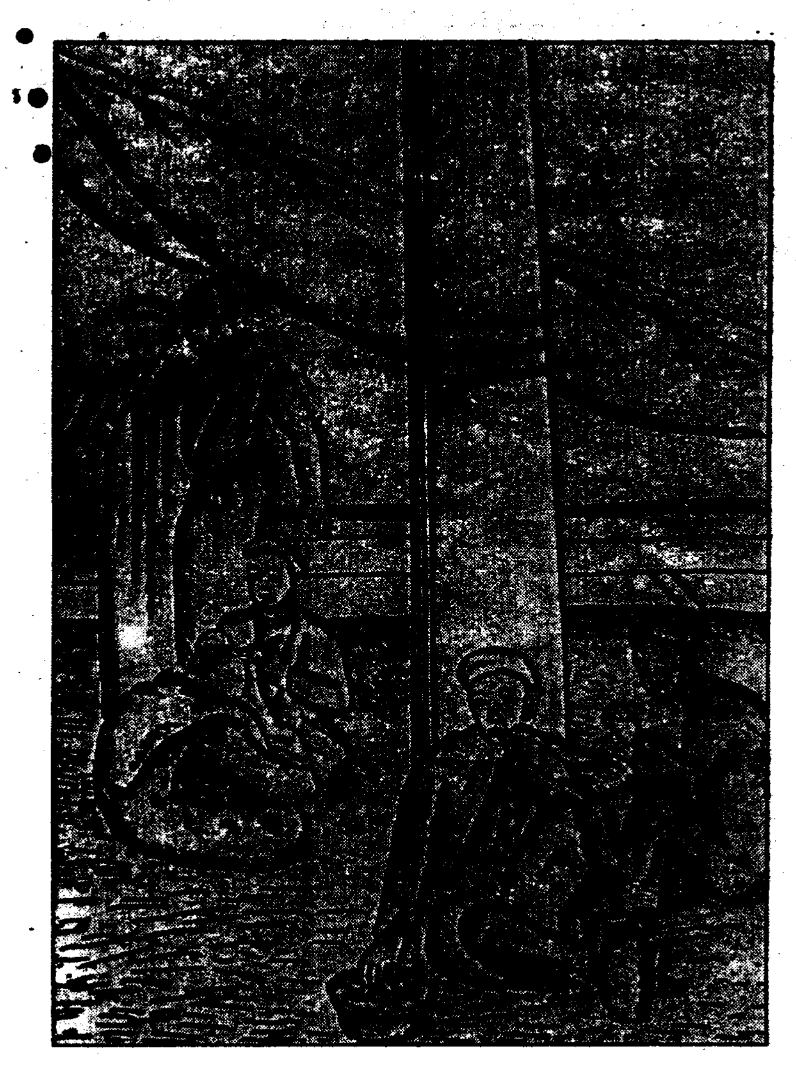
قالت دنيا زاد لأختها شهرزاد : يا أختى تممى لنا حديثك الذى هو حديث التاجر والجنى قالت حبا وكرامة إن أذن لى الملك فى ذلك فقال لها الملك احكى فقالت بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أنه لما رأى بكاء العجل حن قلبه إليه وقال للراعى ابق هذا العجل بين البهائم كل ذلك والجنى يتعجب من ذلك الكلام العجيب ، ثم قال صاحب الغزالة ياسيد ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمى هذه الغزالة تنظر وترى وتقول اذبح هذا العجل فإنه سمين فلم يهن على أن أذبحه وأمرت الراعى أن يأخذه ويتوجه به ؛ ففى ثانى يوم وأنا جالس إذا بالراعى



أقبل على وقال ياسيدى إنى أقول شيئًا تسر به ولى البشارة فقلت نعم فقال أيها التاجر إن لى بنتًا كانت تعلمت السحر فى صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كنا بالأمس وأعطيتنى العجل دخلت به عليها فنظرت إليه بنتى وغطت وجهها وبكت ثم إنها ضحكت وقالت يا أبى قد خس قدرى عندك حتى تدخل على الرجال الأجانب فقلت لها وأين الرجال الأجانب ولماذا بكيت وضحكت فقالت لى إن هذا العجل الذى معك ابن سيدى التاجر ولكنه مسحور سحرته زوجة أبيه هو وأمه فهذا سبب ضحكى ، وأما سبب بكائي فمن أجل أمه حيث ذبحها أبوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وماصدقت بطلوع الصباح حتى جئت إليك لأعلمك فلما سمعت أيها الجنى كلام هذا الراعى خرجت معه وأنا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور الذى حصل إلى أن أتيت إلى داره فرحبت بى ابنة الراعى وقبلت يدى ثم إن العجل جاء إلى وتمرغ على فقلت لابنة الراعى أحق ما تقولينه عن ذلك العجل فقالت نعم ياسيدى أنه ابنك وحشاشة كبدك فقلت لها أيتها الصبية إن أنت خلصتيه فلك عندى ماتحت يد أبيك من المواشى والأموال فتبسمت وقالت ياسيدى ليس لى رغبة فى المال إلا بشرطين الأول أن تزوجنى به والثاني أن أسحر من سحرته وأحبسها وإلا فلست آمن مكرها فلما سمعت أيها الجنى كلام بنت الراعى قلت ولك فوق جميع ما تحت يد أبيك من الأموال وزيادة وأما بنت عمى فدمها لك مباح فلما سمعت كلامى أخذت طاسة ، وملأتها ماء ثم إنها عزمت عليها ورشت بها العجل وقالت له إن كان الله خلقك عجلا فدم على هذه الصفة ولا تتغير وإن كنت مسحورًا فعد إلى خلقتك الأولى بإذن الله تعالى وإذا به انتفض ثم صار إنسانًا فوقعت عليه وقلت له بالله عليك احك لى جميع ماصنعت بك وبأمك بنت عمى فحكى لى جميع ماجرى لهما فقلت ياولدى قد قيض الله لك من خلصك وخلص حقك ثم إنى أيها الجنى زوجته ابنة الراعى ، ثم إنها سحرت ابنة عمى هذه الغزالة وجئت إلى هنا فرأيت هؤلاء الجماعة فسألتهم عن حالهم فأخبرونى بما جرى لهذا التاجر فجلست لأنظر ما يكون وهذا حديثى ، فقال الجنى هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه ؛ فعند ذلك تقدم الشيخ صاحب الكلبتين السلاقيتين وقال له

اعلم يا سيد ملك ملوك الجان أن هاتين الكلبتين إخوتى وأنا ثالثهم ومات والدى وخلف لنا ثلاثة آلاف دينار ففتحت أنا دكانًا أبيع فيه وأشترى وسافر أخى بتجارته وغاب عنا مدة سنة مع القوافل ثم أتى وما معه شىء فقلت له يا أخى أما أشرت عليك بعدم السفر فبكى وقال يا أخى قدر الله عز وجل علىّ بهذا ولم يبق لهذا الكلام فائدة ولست أملك شيئًا فأخذته وطلعت به إلى الدكان ثم ذهبت به إلى الحمام وألبسته حلة من الملابس الفاخرة وأكلت أنا وإياه وقلت له يا أخى إنى أحسب ربح دكانى من السنة إلى السنة ثم أقسمه دون رأس المال بينى وبينك ثم إنى عملت حساب الدكان من ربح مالى فوجدته ألفى دينار فحمدت الله عز وجل وفرحت غاية الفرح وقسمت الربح بينى وبينه شطرين وأقمنا مع بعضنا أيامًا ثم إن إخوتى طلبوا السفر أيضاً وأرادوا أن أسافر معهم فلم أرض وقلت لهم أى شىء كسبتم فى سفركم حتى أكسب أنا فألحوا على ولم أطعهم بل أقمنا فى دكاكيننا نبيع ونشترى سنة كاملة وهم يعرضون على السفر وأنا لم أرض حتى مضت ست سنوات كوامل ، ثم وافقتهم وقلت لهم يا إخوتى إننا نحسب ماعندنا من المال فحسبناه فإذا هو ستة آلاف دينار فقلت ندفن نصفها تحت الأرض لينفعنا إذا أصابنا أمر ويأخذ كل واحد منا ألف دينار وتسبب فيها قالوا نعم الرأى فأخذت المال وقسمته نصفين ودفنت ثلاثة آلاف دينار وأما الثلاثة آلاف دينار الأخرى فأعطيت كل واحد منهما ألف دينار وجهزنا بضائع واكترينا مركبا ونقلنا فيها حوائجنا وسافرنا مدة شهر كامل إلى أن دخلنا مدينة وبعنا بضائعنا فربحنا فى الدينار عشرة دنانير ثم أردنا السفر فوجدنا على شاطئ البحر جارية عليها خلق مقطع فقبلت يدى وقالت ياسيدى هل عندك إحسان ومعروف أجازيك عليهما قلت نعم إن عندى الإحسان والمعروف ولو لم تجازينى فقالت يا سيدى تزوجنى وخذنى بلادك فإنى قد وهبتك نفسى فافعل معى معروفًا لأنى ممن يصنع معه المعروف والإحسان يجازى عليهما ولايغرنك حالى فلما سمعت كلامها حن قلبى إليها لأمر يريده الله عز وجل فأخذتها وكسوتها وفرشت لها فى المركب فرشًا حسنًا وأقبلت عليها وأكرمتها ثم سافرنا وقد أحبها قلبى محبة عظيمة وصرت لا أفارقها ليلا ولا نهارًا واشتغلت بها عن إخوتى فغاروا منى وحسدونى على مالى وكثرة بضاعتى وطمحت عيونهم فى المال جميعه وتحدثوا بقتلى وأخذ

مالى وقالوا نقتل أخانا ويصير المال جميعه لنا ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فجاؤنى وأنا نايم بجانب زوجتى ورمونى فى البحر فلما استيقظت زوجتى انتفضت فصارت عفريتة وحملتنى وأطلعتنى على جزيرة وغابت عنى قليلا وعادت إلى عند الصباح وقالت لى أنا زوجتك التى



(واكترينا مركبًا ونقلنا فيها حوائجنا مدة شهر كامل)

حملتك ونجيتك من القتل بإذن الله تعالى واعلم أنى جنية رأيتك فحبك قلبى وأنا مؤمنة بالله ورسوله ﷺ بالحال الذى رأيتنى فيه فتزوجت بى وها أنا نجيتك من الغرق وقد غضبت على إخوتك ولابد أن أقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها أما هلاك إخوتى فلا ينبغى ثم حكيت لها ما جرى لى معهم من أول الزمان إلى آخره فلما سمعت كلامى قالت أنا فى هذه الليلة أطير إليهم وأغرق مركبهم وأهلكهم فقلت لها بالله لا تفعلى فإن صاحب المثل يقول «يا محسناً لمن أساء كفى المسىء فعله» . وهم إخوتى على كل حال قالت لابد من قتلهم فاستعطفتها ثم إنها حملتنى وطارت بى فوضعتنى على سطح دارى ففتحت الأبواب وأخرجت الذى خبأته تحت الأرض وفتحت دكانى بعد ما سلمت على الناس واشتريت بضائع فلما كان الليل دخلت دارى فوجدت هاتين الكلبتين مربوطتين فيها فلما رأيانى قاما إلىّ وبكيا وتعلقا بى فلم أشعر إلا وزوجتى قالت هؤلاء إخوتك فقلت من فعل بهم هذا الفعل قالت أنا أرسلت إلى أختى ففعلت بهم ذلك ومايتخلصون إلا بعد عشر سنوات فجئت وأنا سائر إليها تخلصهم بعد إقامتهم عشر سنوات فى هذه الحال فرأيت هذا الفتى فأخبرنى بما جرى له فأردت أن لا أبرح حتى أنظر ما يجرى بينك وبينه وهذه قصتى (قال الجنى) إنها حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمه فى جنايته ؛ فعند ذلك تقدم الشيخ الثالث صاحب البغلة وقال للجنى أنا أحكى لك حكاية أعجب من حكاية الاثنين وتهب لى باقى دمه وجنايته فقال الجنى نعم فقال أيها السلطان ورئيس الجان إن هذه البغلة كانت زوجتى سافرت وغبت عنها سنة كاملة ثم قضيت سفرى وجئت إليها فى الليل فرأيت عبداً أسود راقداً معها فى الفراش وهما فى كلام وضحك وتقبيل وهراش فلما رأتنى عجلت وقامت إلى بكوز فيه ماء فتكلمت عليه ورشتنى وقالت اخرج من هذه الصورة إلى صورة كلب فصرت فى الحال كلبا فطردتنى من البيت فخرجت من الباب ولم أزل سائراً حتى وصلت إلى دكان جزار فتقدمت وصرت آكل من العظام فلما رآنى صاحب الدكان أخذنى ودخل بى بيته فلما رأتنى بنت الجزار غطت وجهها منى فقالت أتجىء لنا برجل وتدخل علينا به فقال أبوها أين الرجل قالت إن هذا الكلب سحرته امرأة أنا أقدر على تخليصه فلما سمع أبوها كلامها قال بالله

عليكى يابنتى خلصيه فأخذت كوزًا فيه ماء وتكلمت عليه ورشت علىّ منه قليلاً وقالت اخرج من هذه الصورة إلى صورتك الأولى فصرت إلى صورتى الأول فقبلت يدها وقلت لها أريد أن تسحرى زوجتى كما سحرتنى فأعطتنى قليلا من الماء وقالت إذا رأيتها نائمة فرش هذا الماء عليها فإنها تصير كما أنت طالب فوجدتها نائمة فرششت عليها الماء وقلت اخرجى من هذه الصورة إلى صورة بغلة فصارت فى الحال بغلة وهى هذه التى تنظرها بعينك أيها السلطان ورئيس ملوك الجان ثم التفت إليها وقال أصحيح هذا فهزت رأسها وقالت بالإشارة نعم هذا صحيح فلما فرغ من حديثه اهتز الجنى من الطرب ووهب له باقى دمه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها أختها ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقانى الملك فقال الملك والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لأنه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين إلى الصباح فخرج الملك إلى محل حكمه ودخل عليه الوزير والعسكر واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وأمر إلى آخر النهار ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار إلى قصره .

***

الليلــة (٣)

قالت لها أختها دنيا زاد يا أختى أتمى حديثك فقالت حبًا وكرامة ، بلغنى أيها الملك السعيد أن التاجر أقبل على الشيوخ وشكرهم وهنؤه بالسلامة ورجع كل واحد إلى بلده وما هذه بأعجب من حكاية الصياد فقال لها الملك وما حكاية الصياد .

(حكاية الصياد مع العفريت)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان رجل صيادًا وكان طاعنًا فى السن وله زوجة وثلاثة أولاد وهو فقير الحال وكان من عادته أنه يرمى شبكته كل يوم أربع مرات لاغير ثم إنه خرج يومًا من الأيام فى وقت الظهر إلى شاطئ البحر وحط مقطفه وطرح شبكته وصبر إلى أن استقرت فى الماء ثم جمع خيطانها فوجدها ثقيلة فجذبها فلم يقدر على ذلك فذهب بالطرف إلى البر

ودق وتداً وربطها فيه ثم تعرى وغطس فى الماء حول الشبكة ومازال يعالج حتى أطلعها ولبس ثيابه وأتى إلى الشبكة فوجد فيها حماراً ميتاً فلما رأى ذلك حزن وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم قال إن هذا الرزق عجيب وأنشد يقول :

يا خائضاً فى ظلام الليل والهلكه　　اقصر عناك فليس الرزق بالحركه

ثم إن الصياد لما رأى الحمار الميت خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وبعد ذلك نزل البحر وقال بسم الله وطرحها فيه وصبر عليها حتى استقرت ثم جذبها فثقلت ورسخت أكثر من الأول فظن أنه سمك فربط الشبكة وتعرى ونزل وغطس ثم عالج إلى أن خلصها وأطلعها على البر فوجد فيها زيراً كبيراً فلما رأى ذلك تأسف وأنشد قول الشاعر :

ياحرقة الدهر كفى　　إن لم تكفى فعفى　　فلا بحظى أعطى
ولا بصنعة كفى　　خرجت أطلب رزقى　　وجدت رزقى توفى
كم جاهل فى ظهور وعالم متخفى

ثم إنه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله وعاد إلى البحر ثالث مرة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شقافة وقواوير فأنشد قول الشاعر :

هو الرزق لاحل لديك ولاربط　　ولا قلم يجدى عليك ولاخط

ثم إنه رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إنك تعلم أنى لم أرم شبكتى غير أربع مرات وقد رميت ثلاثاً ثم إنه سمى الله ورمى الشبكة فى البحر وصبر إلى أن استقرت وجذبها فلم يطق جذبها وإذا بها اشتبكت فى الأرض فقال لاحول ولاقوة إلا بالله فتعرى وغطس عليها وصار يعالج فيها إلى أن طلعت على البر وفتحها فوجد فيها قمقماً من نحاس أصفر ملان وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان فلما رآه الصياد فرح وقال هذا أبيعه فى سوق النحاس فإنه يساوى عشرة دنانير ، ثم إنه حركه فوجده ثقيلا فقال لابد أنى أفتحه وأنظر مافيه وأدخره فى الخرج ثم أبيعه فى سوق النحاس ثم إنه أخرج سكيناً وعالج فى الرصاص إلى أن فكه من القمقم وحطه على الأرض وهزه لينكت مافيه فلم ينزل منه شىء ولكن خرج من ذلك القمقم



دخان وصعد إلى عنان السماء ومشى على وجه الأرض فتعجب غاية العجب وبعد ذلك تكامل الدخان واجتمع ثم انتفض فصار عفريتًا رأسه فى السحاب ورجلاه فى التراب برأس كالقبة وأيد كالمدارى ورجلان كالصوارى وفم كالمغارة وأسنان كالحجارة ومناخير كالإبريق وعينين كالسراجين أشعث أغبر فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائصه وتشبكت أسنانه ونشف ريقه وعمى عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا إله إلا الله سليمان نبى الله ، ثم قال العفريت يانبى الله لا تقتلنى فإنى لاعدت أخالف لك قولا ولا أعصى لك أمرًا ، فقال له الصياد أيها المارد أتقول سليمان نبى الله وسليمان مات من مدة ألف وثمانمائة سنة ونحن فى آخر الزمان فما قصتك وماحديثك وماسبب دخولك فى هذا القمقم؟ ، فلما سمع المارد كلام الصياد قال لا إله إلا الله أبشر يا صياد قال الصياد بماذا تبشرنى فقال بقتلك فى هذه الساعة أشر القتلات قال الصياد تستحق على هذه البشارة ياقيم العفاريت زوال الستر عنك يا بعيدًا لأى شىء تقتلنى وأى شىء يوجب قتلى وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر وأطلعتك إلى البر ، فقال لابد من قتلك فتمن علىّ أى موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع العفريت وقال اعف عني إكرامًا لما أعتقتك فقال العفريت وأنا ما أقتلك إلا لأجل ماخلصتنى فقال له الصياد ياشيخ العفاريت هل أصنع معك مليحًا فتقابلنى بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال :

فعلنا جميلا قابلونا بضده	وهذا لعمرى من فعال الفواجر
ومن يفعل المعروف مع غير أهله	يجازى كما جوزى مجير أم عامر

فلما سمعَ العفريت كلامه قال لاتطمع فلابد من موتك ، فقال الصياد هذا جنى وأنا إنسى وقد أعطانى الله عقلا كاملاً وها أنا أدبر أمرًا فى هلاكه بحيلتى وعقلى وهو يدبر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت صممت على قتلى قال نعم فقال له بالاسم الأعظم المنقوش على خاتم سليمان أسألك عن شىء وتصدقنى فيه قال نعم ثم إن العفريت لما سمع بذكر الاسم الأعظم اضطرب واهتز وقال له اسأل وأوجز فقال له كيف أنت فى هذا القمقم والقمقم لايسع يدك ولارجلك

فكيف يسعك ذلك فقال له العفريت وهل أنت لا تصدق أننى كنت فيه فقال الصياد لا أصدق أبداً حتى أنظرك فيه بعينى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٤)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصياد لما قال للعفريت لا أصدقك أبدا حتى أنظرك بعينى فى القمقم فانتفض العفريت وصار دخانًا صاعداً إلى الجو ، ثم اجتمع ودخل فى القمقم قليلا قليلا حتى استكمل الدخان داخل القمقم وإذا بالصياد أسرع وأخذ السدادة الرصاص المختومة وسد بها القمقم ونادى العفريت وقال تمن على أى موتة تموتها فقال العفريت افتح لى حتى أحسن إليك فقال الصياد تكذب يامعلون أنا مثلى ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم رويان فقال العفريت وماشأن وزير الملك يونان والحكيم رويان وما قصتهما .

(حكاية الملك يونان والحكيم رويان وهى من ضمن ماقبلها)

(قال) الصياد : اعلم أيها العفريت أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان فى مدينة الفرس وأرض رومان ملك يقال له الملك يونان وكان ذا مال وجنود وبأس وأعوان من سائر الأجناس وكان فى جسده برص عجزت فيه الأطباء والحكماء ولم ينفعه منه شرب أدوية ولاسفوف ولا دهان ولم يقدر أحد من الأطباء أن يداويه وكان قد دخل مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن فى السن يقال له الحكيم رويان وكان عارفًا بالكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية وعلم الطب والنجوم وعالمًا بأصول حكمتها وقواعد أمورها من منفعتها ومضرتها عالمًا بخواص النباتات والحشائش والأعشاب المضرة والنافعة قد عرف علم الفلاسفة وحاز جميع العلوم الطبية وغيرها ثم إن الحكيم لما دخل المدينة وأقام بها أيامًا قلائل سمع خبر الملك وماجرى له فى بدنه من البرص الذى ابتلاه الله به وقد عجزت عن مداواته الأطباء وأهل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولا فلما أصبح الصباح لبس أفخر ثيابه ودخل على الملك يونان وقبّل الأرض ودعا له بدوام العز والنعم وأحسن ما به تكلم وأعلمه بنفسه فقال أيها الملك بلغنى ما اعتراك من هذا الذى فى جسدك وإن كثيراً من الأطباء لم



يعرفوا الحيلة فى زواله وها أنا أداويك أيها الملك ولا أسقيك دواء ولا أدهنك بدهن فلما سمع الملك يونان كلامه تعجب وقال له كيف تفعل فوالله إن أبرئتنى أغنيك لولد الولد وأنعم عليك وكل ما تتمناه فهولك وتكون نديمى وحبيبى ثم إنه خلع عليه وأحسن إليه وقال له أتبرئنى من هذا المرض بلا دواء ولا دهان قال نعم أبرئك بلا مشقة فى جسدك فتعجب الملك غاية العجب ثم قال له أيها الحكيم الذى ذكرته لىَ يكون فى أى الأوقات وفى أى الأيام فأسرع به ياولدى قال له سمعا وطاعة ، ثم نزل من عند الملك واكترى له بيتًا وحط فيه كتبه وأدويته وعقاقيره ثم استخرج وجعل منها صولجانًا وجوفه وعمل له قصبة وصنع له كرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع إلى الملك فى اليوم الثانى ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه وأمره أن يركب إلى الميدان وأن يلعب بالكرة والصولجان وكان معه الأمراء والوزراء وأرباب الدولة فما استقر به الجلوس فى الميدان حتى دخل عليه الحكيم رويان نواوله الصولجان وقال له خذ هذا الصولجان واقبض عليه مثل هذه القبضة وامش فى الميدان واضرب به الكرة بقوتك حتى يعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسرى فى سائر جسدك فإذا عرفت أثر الدواء فيك فارجع إلى قصرك وادخل الحمام واغتسل ونم فقد برئت والسلام فعند ذلك أخذ الملك يونان ذلك الصولجان من الحكيم ومسكه بيده وركب الجواد وركب الكرة بين يديه وساق خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وهو قابض بكفه على قصبة الصولجان ومازال يضرب به الكرة حتى عرق كفه وسائر بدنه وسرى له الدواء من القبضة وعرف الحكيم رويان أن الدواء سرى فى جسده فأمره بالرجوع إلى قصره وأن يدخل الحمام من ساعته ودخل الحمام واغتسل غسلا جيدًا ولبس ثيابه داخل الحمام ولما خرج الملك من الحمام نظر إلى جسده فلم يجد فيه شيئًا من البرص وصار جسده نقيًا مثل الفضة البيضاء ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما أصبح الصباح دخل الديوان وجلس على سرير ملكه ودخلت عليه الحجاب وأكابر الدولة ودخل عليه الحكيم رويان فلما رآه قام إليه مسرعًا وأجلسه بجانبه وإذا بموائد الطعام قدمت فأكل صحبته ومازال عنده ينادمه طول نهاره فلما أقبل الليل أعطى الحكيم ألفى دينار غير الخلع والهدايا وأركبه جواده وانصرف إلى داره والملك يونان يعجب من صنعه ويقول هذا دوانى من ظاهر الجسد ولم يدهنى بدهان فوالله ماهذه إلا حكمة فيجب على لهذا الرجل الإنعام والإكرام وأن أتخذه جليسًا

وأنيسًا مدى الزمان وبات الملك يونان مسروا بصحة جسمه وخلاصه من مرضه فلما أصبح الصباح خرج الملك إلى الديوان وقد احدقت به الأمراء والوزراء وكان له وزير من وزرائه بشع المنظر نحس الطالع لئيم بخيل حسود مجبول على الحسد والمقت فلما رأى ذلك الوزير أن الملك قرب الحكيم رويان وأعطاه هذه الأنعام حسده عليه وأضمر له الشر كما قيل فى المعنى : ما خلا جسد من حسد ، وقيل فى المعنى : الظلم كمين فى النفس ، القوة تظهره والعجز يخفيه . ثم إن الوزير تقدم إلى الملك يونان وقبل الأرض بين يديه وقال له يامللك العصر والأوان أنت الذى شمل الناس إحسانك لك عندى نصيحة عظيمة فإن أخفيتها عنك أكون ولد زنا فإن أمرتنى أن أبديها أبديتها لك فقال الملك وقد أزعجه كلام الوزير ، وما نصيحتك فقال أيها الملك الجليل قد قالت القدماء من لم ينظر فى العواقب فما الدهر له بصاحب وقد رأيت الملك على غير صواب حيث إنعم على عدوه وعلى من يطلب زوال ملكه وقد أحسن إليه وأكرمه غاية الإكرام وقربه غاية القرب وأنا أخشى على الملك من ذلك فانزعج الملك وتغير لونه وقال له من الذى تزعم أنه عدوى وأحسنت ، فقال له أيها الملك إن كنت نائمًا فاستيقظ فإنى أشير إلى الحكيم رويان فقال له الملك إن هذا صديقى وهو أعز الناس عندى وما أظن أنك تقول ذلك إلا حسدًا كما بلغنى عن الملك السندباد . ثم قال الملك يونان ذكر والله أعلم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها يا أختى ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله لا أقتلها حتى اسمع بقية حديثها لأنه حديث عجيب ثم إنهم باتوا تلك الليلة متعانقين إلى الصباح ثم خرج الملك مخل حكمه واحتبك الديوان فحكم وولى وعزل وأمر ونهى إلى آخر النهار ثم انفض الديوان فدخل الملك قصره وأقبل الليل وقضى حاجته من بنت الوزير شهرزاد .

***

الليلة (٥)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك يونان قال لوزيره أيها الوزير أنت داخلك الحسد من أجل هذا الحكيم فتريد أن أقتله بعد ذلك أندم كما ندم الملك السندباد على قتل البارى فقال

الوزير وكيف كان ذلك فقال الملك ذكر أنه كان ملك من ملوك الفرس يحب الفرجة والتنزه والصيد والقنص وكان له بازى رباه لايفارقه ليلا ولا نهاراً فبينما الملك جالس وإذا بالوكيل على طير الصيد يقول ياملك الزمان هذا أوان الخروج إلى الصيد فاستعد الملك للخروج وأخذ البازى على يده وصاروا إلى أن وصلوا إلى واد ونصبوا شبكة الصيد وإذا بغزالة وقعت فى تلك الشبكة فقال الملك كل من فاتت الغزالة من جهته قتلته فضيقوا عليها حلقة الصيد وإذا بالغزالة أقبلت على الملك وشبت على رجليها وحطت يديها على صدرها كأنها تقبل الأرض للملك فطاطا الملك للغزالة ففرت من فوق دماغه وراحت إلى البر فقال الملك وحياة رأسى لأتبعنها حتى أجىء بها ثم طلع الملك فى أثر الغزالة ولم يزل وراءها وصار البازى يلطشها على عينيها إلى أن أعماها ودوخها فسحب الملك دبوسًا وضربها فقلبها ونزل فذبحها وسلخها وعلقها فى قربوس السرج وكانت ساعة حر وكان المكان قفراً لم يوجد فيه ماء فعطش الملك وعطش الحصان فالتفت الملك فرأى شجرة ينزل منها ماء مثل السمن وكان الملك لابسًا فى كفه جلدًا فأخذ الطاسة من رقبة البازى وملأها من ذلك الماء ووضع الماء قدامه وإذا بالبازى لطش الطاسة فقلبها فأخذ الملك الطاسة ثانيا وملأها وظن أن البازى عطشان فوضعها قدامه فلطشها ثانيا وقلبها فغضب الملك من البازى وأخذ الطاسة ثانيا وقدمها للحصان فقلبها البازى بجناحه فقال الملك الله يخيبك تم ضرب البازى بالسيف فرمى أجنحته فصار البازى يقيم رأسه ويقوم بالإشارة انظر الذى فوق الشجرة فرفع الملك عينه فرأى فوق الشجرة حية والذى يسيل سمها فندم الملك على قص أجنحة البازى تم قام وركب حصانه وسار ومعه الغزالة حتى وصل إلى مكانه الأول فألقى الغزالة إلى الطباخ وقال له خذها واطبخها ، ثم جلس الملك على الكرسى والبازى على يده فشهق البازى ومات فصاح الملك حزنًا وأسفًا على قتل البازى حيث خلصه من الهلاك هذا ما كان من حديث الملك السندباد فلما سمع الوزير كلام الملك يونان قال أيها الملك العظيم الشأن ما الذى فعلته من الضرورة ورأيت منه سوء إنما فعلت هذا شفقة عليك وستعلم صحة ذلك فإن قبلت منى نجوت وإلا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك وكان لذلك الملك ولد مولع بالصيد والقنص وكان له وزير فأمر الملك ذلك الوزير أن يكون مع ابنه أينما

توجه فخرج يوما من الأيام إلى الصيد والقنص وخرج معه وزير أبيه فسارا جميعًا فنظر إلى وحش كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحش فاطلبه فقصده ابن الوزير حتى غاب عن العين وغاب عنه الوحش فى البرية وتحير ابن الملك فلم يعرف أين يذهب وإذا بجارية على رأس الطريق وهى تبكى فقال لها ابن الملك من أنت قالت بنت ملك من ملوك الهند وكنت فى البرية فأدركنى النعاس فوقعت من فوق الدابة ولم أعلم بنفسى فصرت منقطعة حائرة فلما سمع ابن الملك كلامها رق لحالها وأردفها على ظهر دابته وسار حتى مر بجزيرة فقالت له الجارية ياسيدى أريد أن أزيل ضرورة فأنزلها إلى الجزيرة ثم تعوقت فاستبطأها فدخل خلفها وهى لاتعلم به فإذا هى غولة وهى تقول لأولادها يا أولادى قد أتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها آتينا به يا أمنا نأكله فى بطوننا فلما سمع ابن الملك كلامهم أيقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشى على نفسه ورجع فخرجت الغولة فرأته كالخائف الوجل وهو يرتعد فقالت له مابالك خائفًا فقال لها إن لى عدوًا وأنا خائف منه فقالت الغولة إنك تقول أنا ابن الملك قال لها نعم قالت له مالك لاتعطى عدوك شيئًا من المال فترضيه به فقال لها إنه لا يرضى إلا بالروح وأنا خائف منه وأنا رجل مظلوم فقالت له إن كنت مظلومًا كما تزعم فاستعن بالله عليه فإنه يكفيك شره وجميع ماتخافه فرفع ابن الملك رأسه إلى السماء وقال يامن يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء انصرنى على عدوى واصرفه عنى إنك على ما تشاء قدير فلما سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه وانصرف ابن الملك إلى أبيه وحدثه بحديث الوزير وأنت أيها الملك متى آمنت لهذا الحكيم قتلك أقبح القتلات وإن كنت أحسنت إليه وقربته منك فإنه يدبر فى هلاكك أما ترى أنه أبرأك من المرض من ظاهر الجسد بشىء أمسكته بيدك فلا تأمن أن يهلكك بشىء تمسكه أيضا فقال الملك يونان صدقت فقد يكون كما ذكرت أيها الوزير الناصح فلعل هذا الحكيم أتى جاسوسًا طلب هلاكى وإذاك كان أبرأنى بشىء أمسكته بيدى فإنه يقدر أن يهلكنى بشىء اشمه ثم إن الملك يونان قال للوزيره أيها الوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير أرسل إليه فى هذا الوقت واطلبه فإن حضر فاضرب عنقه فتكفى شره وتستريح منه واغدر به قبل أن يغدر بك فقال الملك يونان صدقت أيها الوزير ثم إن الملك أرسل إلى الحكيم فحضر وهو فرحان ولايعلم ما قدره الرحمن فلما حضر الحكيم رويان قال له الملك أتعلم لماذا أحضرتك؟ فقال الحكيم لايعلم الغيب



إلا الله تعالى فقال له الملك أحضرتك لأقتلك وأعدمك روحك فتعجب الحكيم رويان من تلك المقالة غاية العجب وقال أيها الملك لماذا تقتلنى وأى ذنب بدا منى فقال له الملك قد قيل لى إنك جاسوس وقد أتيت لتقتلنى وها أنا أقتلك قبل أن تقتلنى ثم إن الملك صاح على السياف وقال له اضرب رقبة هذا الغدار وأرحنا من شره فقال الحكيم ابقنى يبقيك الله ولا تقتلنى يقتلك الله ثم إنه كرر عليه القول مثل ما قلت لك أيها العفريت وأنت لا تدعنى بل تريد قتلى فقال الملك يونان للحكيم رويان إنى لا آمن إلا أن أقتلك فإنك أبرأتنى بشىء أمسكته بيدى فلا آمن أن تقتلنى بشىء أشمه فلما تحقق الحكيم أن الملك قاتله لا محالة بكى وتأسف على ما صنع من الجميل مع غير أهله كما قيل فى المعنى :

ميمونة من سمات العقل عارية　　لكن أبوها من الألباب قد خلقا

لم يمش فى يابس يوم ولا وحل　　إلا بنور هداه يتقى الزلقا

وبعد ذلك تقدم السياف وغمى عينيه وشهر سيفه وقال ائذن والحكيم يبكى ويقول الملك أبقنى يبقيك الله ولاتقتلنى يقتلك الله وأنشد قول الشاعر :

نصحت فلم أفلح وغشوا فأفلحوا　　فأوقعنى نصحى بدار هوان

فإن عشت فلم أنصح وإن مت فانع لى　　ذوى النصح من بعدى بكل لسان

ثم إن الحكيم قال للملك أيكون هذا جزائى منك فتجازينى مجازاة التمساح قال الملك وما حكاية التمساح فقال الحكيم لايمكننى أن أقولها وأنا فى هذا الحال فبالله عليك أبقنى يبقيك الله ولا تقتلنى يقتلك الله فلما تحقق الحكيم أيها العفريت أن الملك قاتله لا محالة قال له أيها الملك إن كان ولابد من قتلى فأمهلنى حتى أنزل إلى دارى فأخلص نفسى وأوصى أهلى وجيرانى أن يدفنونى واهب كتب الطب وعندى كتاب خاص الخاص أهبه لك هدية تدخره فى خزانتك فقال الملك للحكيم وماهذا الكتاب قال فيه شىء لايحصى وأقل مافيه من الأسرار إذا قطعت رأسى وفتحته وعددت ثلاث ورقات ثم تقرأ ثلاثة أسطر من الصحيفة التى على يسارك فإن الرأس تكلمك وتجاوبك عن جميع ماسألتها عنه فتعجب الملك غاية العجب واهتز من الطرب وقال أيها الحكيم وهل إذا قطعت رأسك تكلمت فقال نعم أيها الملك وهذا أمر عجب ثم

إن الملك أرسله مع المحافظة عليه فنزل الحكيم إلى داره وقضى أشغاله فى ذلك اليوم وفى اليوم الثانى طلع الحكيم إلى الديوان وطلعت الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة جميعًا وصار الديوان كزهر البستان وإذا بالحكيم دخل الديوان ووقف قدام الملك ومعه كتاب عتيق

(فوضع أصبعه فى فمه وبله بريقه)



ومكحلة فيها ذرور وجلس وقال ائتونى بطبق فأتوه وكب فيه الذرور وفرشه وقال أيها الملك خذ هذا الكتاب ولاتعمل به حتى تقطع رأسى فإذا قطعتها اجعلها فى ذلك الطبق وأمر بكبسها على ذلك الذرور فإذا فعلت ذلك فإن دمها ينقطع ثم افتح الكتاب ففتحه الملك فوجده ملصوقًا فحط أصبعه فى فمه وبله بريقه وفتح أول ورقة والثانية والثالثة والورق ماينفتح إلا بجهد ففتح الملك ست ورقات ونظر فيها فلم يجد كتابة فقال الملك أيها الحكيم مافيه شىء مكتوب فقال الحكيم قلب زيادة على ذلك فقلب فيه زيادة فلم يكن إلا قليلا من الزمان حتى سرى فيه السم لوقته وساعته فإن الكتاب كان مسمومًا فعند ذلك تزحزح الملك وصاح وقد قال سرى فى السم فأنشد الحكيم رويان يقول :

تحكموا فاستطالوا فى حكومتهم ... وعن قليل كان الحكم لم يكن
لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى ... عليهم الدهر بالآفات والمحن
وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم ... هذا بذاك ولاعتب على الزمن

فلما فرغ رويان الحكيم من كلامه سقط الملك ميتًا من وقته فاعلم أيها العفريت أن الملك يونان لو أبقى الحكيم رويان لا أبقاه الله ولكن أبى وطلب قتله فقتله الله وأنت أيها العفريت لو أبقيتنى لا أبقاك الله . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها أختها دنيازاد ما أحلى حديثك فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقانى الملك وباتوا تلك الليلة فى نعيم وسرور إلى الصباح ثم طلع الملك إلى الديوان ولما انفض الديوان دخل قصره واجتمع بأهله .

***

الليلة (٦)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصياد قال للعفريت لو أبقيتنى كنت أبقيتك لكن ما أردت إلا قتلى فأنا أقتلك محبوسًا فى هذا القمقم وألقيك فى هذا البحر ثم صرخ المارد وقال بالله عليك أيها الصياد لاتفعل وأبقنى كرمًا ولاتؤاخذنى بعملى فإذا كنت أنا مسيئًا كن أنت محسنًا وفى الأمثال السائرة «يامحسنًا لمن أساء كفى المسىء فعله . . . ولاتعمل كما عمل

أمامة مع عاتكة» قال الصياد وما شأنهما فقال العفريت ما هذا وقت حديث وأنا فى السجن حتى تطلعنى منه وأنا أحدثك بشأنهما فقال الصياد لابد من إلقائك فى البحر ولا سبيل إلى إخراجك منه فإنى كنت أستعطفك وأتضرع إليك وأنت لا تريد إلا قتلى من غير ذنب استوجبته منك ولا فعلت معك سوءاً قط فقال العفريت أطلقنى فهذا وقت المروءات وأنا أعاهدك أنى لم أسؤك أبداً بل أنفعك بشىء يغنيك دائمًا فأخذ عليه العهد إنه إذا أطلقه لا يؤذيه أبدا بل يعمل معه الجميل ، فلما استوثق منه بالإيمان والعهود وحلف له باسم الله الأعظم فتح له الصياد فتصاعد الدخان حتى خرج وتكامل فصار عفريتًا مشوه الخلقة ورفس القمقم رماده فى البحر ، فلما رأى الصياد أنه رمى القمقم فى البحر أيقن بالهلاك وبال فى ثيابه وقال هذا ليست علامة خير ثم إنه قوى قلبه وقال أيها العفريت قال الله تعالى ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾ وأنت قد عاهدتنى وحلفت أنك لاتغدر بى فإن غدرت بى يجزك الله فإنه غيور يمهل ولا يهمل وأنا قلت لك مثل ماقال الحكيم رويان للملك يونان أبقنى يبقيك الله ، فضحك العفريت ومشى قدامه وقال أيها الصياد اتبعنى فمشى الصياد وراءه وهو لم يصدق بالنجاة إلى أن خرجا من ظاهر المدينة وطلعا على جبل ونزلا إلى برية متسعة وفى وسطها بركة فوقف العفريت عليها وأمر الصياد أن يطرح الشبكة ويصطاد فنظر الصياد إلى البركة وإذا بهذا السمك ألوانًا الأبيض والأحمر والأزرق والأصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم إنه طرح شبكته وجذبها فوجد فيها أربع سمكات كل سمكة بلون فلما رآها الصياد فرح فقال له العفريت ادخل بها إلى السلطان وقدمها إليه فإنه يعطيك ما يغنيك وبالله اقبل عذرى فإننى فى هذا الوقت لم أعرف طريقًا وأنا فى هذا البحر مدة ألف وثمانمائة عام ما رأيت ظاهر الدنيا إلا فى هذه الساعة ولاتصطد منها كل يوم إلا مرة واحدة واستودعتك الله ثم دق الأرض بقدميه فانشقت وابتلعته ومضى الصياد إلى المدينة وهو متعجب مما جرى له مع هذا العفريت ثم أخذ السمك ودخل به منزله وأتى بماجور ثم ملاه ماء وحط فيه السمك فاختبط السمك من داخل الماجور فى الماء ثم حمل الماجور فوق رأسه وقصد به قصر الملك كما أمره العفريت فلما طلع الصياد إلى الملك وقدم له السمك تعجب الملك غاية العجب من ذلك السمك الذى قدمه إليه الصياد لأنه لم ير فى عمره مثله صفة ولا شكلا فقال ألقوا هذا السمك للجارية تقليه وقال لها



يا جارية إن الملك يقول لك ما ادخرت دمعتى إلا لشدتى ففرجينا على طهيك وحسن طبيخك فإن السلطان جاء إليه واحد بهدية ثم رجع الوزير بعدما أوصاها فأمره الملك أن يعطى الصياد أربعمائة دينار فأعطاه الوزير إياها هذا ما كان من أمر الصياد (وأما) ما كان من أمر الجارية فإنها أخذت السمك ونظفته ورصته فى الطاجن ثم إنها تركت السمك حتى استوى وجهه وقلبته على الوجه الثانى وإذا بحائط المطبخ قد انشق وخرجت منه صبية وفى يدها قضيب من الخيزران فغرزت القضيب فى الطاجن وقالت يا سمك يا سمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفع السمك رأسه فى الطاجن وقال نعم ثم قال جميعه هذا البيت :

إن عدت عدنا وإن وافيت وافينا ‏ ‏ ‏ ‏ وإن هجرت فإنا قد تكافينا

فعند ذلك قلبت الصبية الطاجن وخرجت من الموضع الذى دخلت منه والتحم حائط المطبخ ثم قامت الجارية فرأت الأربع سمكات محروقة مثل الفحم الأسود فقالت تلك الجارية من أول غزوته حصلت كسر عصبته فبينما هى تعاتب نفسها وإذا بالوزير واقف على رأسها وقال لها هاتى السمك للسلطان فبكت الجارية وأعلمت الوزير بالحال وبالذى جرى فتعجب الوزير من ذلك وقال ماهذا إلا أمر عجيب ثم إنه أرسل إلى الصياد فأتوا به إليه فقال أيها الصياد لابد أن تجىء لنا بأربع سمكات مثل الذى جئت بها أولا فخرج الصياد إلى البركة وطرح شبكته ثم جذبها وإذا بأربع سمكات فأخذها وجاء بها إلى الوزير فدخل بها الوزير إلى الجارية وقال لها قومى اقليها قدامى حتى أرى هذه القضية فقامت الجارية وأصلحت السمك ووضعته على النار فما استقر إلا قليلا وإذا بالحائط قد انشق والصبية قد ظهرت وفى يدها القضيب فغرزته فى الطاجن وقالت يا سمك يا سمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفعت السمكات رؤوسها وأنشدت هذا البيت :

إن عدت عدنا وإن وافيت وافينا ‏ ‏ ‏ ‏ وإن هجرت فإنا قد تكافينا

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٧)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه لما تكلم السمك قلبت الصبية الطاجن بالقضيب وخرجت من الموضع الذى جاءت منه والتحم الحائط فعند ذلك قام الوزير وقال هذا أمر لايمكن إخفاؤه عن الملك ثم تقدم من الملك وأخبره بما جرى قدامه فقال لابد أن أنظر بعينى فأرسل إلى الصياد أن يأتى بأربع سمكات مثل الأول وأمهله ثلاثة أيام فذهب الصياد إلى البركة وأتاه بالسمك فى الحال فأمر الملك يعطوه أربعمائة دينار ثم التفت الملك إلى الوزير وقال له سو أنت السمك ههنا قدامى فقال الوزير سمعًا وطاعة فأحضر الطاجن ورمى فيه السمك بعد أن نظفه ثم قلبه وإذا بالحائط قد انشقت وخرج منها عبداً أسود كأنه ثور من الثيران أو من قوم عاد وفى يده فرع من شجرة خضراء وقال بكلام فصيح مزعج يا سمك يا سمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم وأنشد هذا البيت :

إن عدت عدنا وإن وافيت وافينا وإن هجرت فإنا قد تكافينا

ثم أقبل العبد على الطاجن وقلبه بالفرع إلى أن صار فحما أسود ثم ذهب العبد من حيث أتى قال الملك هذا أمر لايمكن السكوت عنه ولابد أن هذا السمك له شأن غريب فأمر بإحضار الصياد فلما حضر قال له من أين هذا السمك؟ فقال له من بركة بين أربعة جبال وراء هذا الجبل الذى بظاهر مدينتك فالتفت الملك إلى الصياد وقال له مسيرة كم يوم؟ قال له يامولانا مسيرة نصف ساعة فتعجب السلطان وأمر بخروج العسكر من وقته مع الصياد وساروا إلى أن طلعوا الجبل ونزلوا منه إلى برية متسعة لم يروها مدة أعمارهم والسلطان وجميع العسكر يتعجبون من تلك البرية التى نظروها بين أربعة جبال والسمك فيها على أربعة ألوان أبيض وأحمر وأصفر وأزرق فوقف الملك متعجبًا وقال للعسكر ولمن حضر هل أحد منكم رأى هذه البركة فى هذا المكان فقالوا كلهم لا فقال الملك والله لا أدخل مدينتى ولا أجلس على تخت ملكى حتى أعرف حقيقة هذه البركة وسمكها ثم إن الملك غيرحالته وتقلد سيفه وانسل من بينهم ومشى بقية ليله إلى الصباح فلم يزل سائرًا حتى اشتد عليه الحر فاستراح ثم مشى بقية يومه وليلته



الثانية إلى الصباح فلاح له سواد من بُعد ففرح وقال لعلى أجد من يخبرنى بقضية البركة وسمكها فلما قرب من السواد وجده قصرًا مبنيًا بالحجارة السود مصفحًا بالحديد وأحد شقى بابه مفتوح والآخر مغلق ففرح الملك ووقف على الباب ودق دقًا لطيفًا فلم يسمع جوابًا فدق ثانيًا وثالثًا فلم يسمع جوابًا فدق رابعًا مزعجًا فلم يجبه أحد فقال لاشك أنه خال فشجع نفسه



(فخرج الصياد إلى البركة وطرح الشبكة)

ودخل من باب القصر إلى دهليزه ثم صرخ وقال يا أهل القصر إنى رجل غريب و عابر سبيل هل عندكم شيء من الزاد وأعاد القول ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فقوى قلبه وثبت نفسه ودخل من الدهليز إلى وسط القصر فلم يجد فيه أحداً غير أنه مفروش وفى وسطه فسقية عليها أربع سباع من الذهب الأحمر تلقى الماء من أفواهها كالدر والجواهر وفى دائره طيور وعلى ذلك القصر شبكة تمنعها من الطلوع فتعجب من ذلك وتأسف حيث لم ير فيه أحد ، يستخبر منه عن تلك البركة والسمك والجبال والقصر ، ثم جلس بين الأبواب يتفكر وإذا هو بأنين من كبد حزين فسمعه يترنم بهذا الشعر :

لما خفيت ضنى ووجدى قد ظهر والنوم من عينى تبدل بالسهر
ناديت وجدا قد تزايد بى الفكر يا وجد لاتبقى على ولا تذر
ها مهجتى بين المشقة والخطر

فلما سمع السلطان ذلك الأنين نهض قائمًا وقصد جهته فوجد سترا مسبولا على باب مجلس فرفعه فرأى خلف الستر شابًا جالسًا على سرير مرتفع عن الأرض مقدار ذراع وهو شاب مليح بقد رجيح ولسان فصيح وجبين أزهر وخد أحمر وشامة على كرسى خدهِ كترس من عنبر كما قال الشاعر :

ومهفهف من شعره وجبينه مشت الورى فى ظلمة وضياء
ما أبصرت عيناك أحسن منظر فيما يرى من سائر الأشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمر إذ تحت المقلة السوداء

ففرح به الملك وسلم عليه فرد السلام على الملك وقال له ياسيدى اعذرنى فى عدم القيام فقال الملك أيها الشاب أخبرنى عن هذه البركة وعن سمكها الملون وعن هذا القصر وسبب بكائك ؛ فقال كيف لا أبكى وهذه حالتى ومد يده إلى أذياله فرفعها فإذا نصفه التحتانى إلى قدميه حجر ومن سرته إلى شعر رأسه بشر ، ثم قال الشاب ياسيدى إنه كان والدى ملك هذه المدينة وكان اسمه محمود صاحب الجزائر السود وصاحب هذه الجبال الأربعة أقام فى الملك



سبعين عاماً ثم توفى والدى وتسلطنت بعده وتزوجت بابنة عمى فمكثت فى عصمتى خمس سنين إلى أن ذهبت يومًا من الأيام إلى الحمام فأمرت الطباخ أن يجهز لنا طعامًا لأجل العشاء ثم دخلت هذا القصر ونمت فى الموضع الذى أنا فيه وأمرت جاريتين أن يروحا على وجهى فجلست واحدة عند رأسى والأخرى عند رجلى فسمعت التى عند رأسى تقول للتى عند رجلى يا مسعود إن سيدنا مسكين شبابه ويا خسارته مع سيدتنا الخبيثة الخاطئة فقالت الأخرى لعن الله النساء الزانيات ولكن مثل سيدنا وأخلاقه لايصلح لهذه الزانية التى كل ليلة تبيت فى فراشه فقالت التى عند رأسى وإن سيدنا مغفل حيث لم يسأل عنها فقالت الأخرى ويلك وهل عند سيدنا علم بحالها أو هى تخليه باختياره بل تعمل له عملا فى قدح الشراب الذى يشربه كل ليلة قبل المنام فتضع فيه البنج فينام ولم يشعر بما يجرى ولم يعلم أين تذهب ولا بما تصنع لأنها بعد ماتسقيه الشراب تلبس ثيابها وتخرج من عنده فتغيب إلى الفجر وتأتى إليه وتبخره عند أنفه بشيء فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام الجوارى صار الضيا فى وجهى ظلامًا وما صدقت أن الليل أقبل وجاءت بنت عمى من الحمام فمددنا بالسماط وأكلنا وجلسنا ساعة زمانية نتنادم كالعادة ثم دعوت بالشراب الذى أشربه عند المنام فناولتنى الكأس فتزاوغت عنه وجعلت أنى أشربه مثل عادتى ودلقته فى عبى ورقدت فى الوقت والساعة وإذا بها قالت نم ليتك لم تقم والله كرهتك وكرهت صورتك وملت نفسى من عشرتك ثم قامت ولبست أفخر ثيابها وتبخرت وتقلدت سيفا وفتحت باب القصر وخرجت فقمت وتبعتها حتى خرجت من القصر وشقت فى أسواق المدينة إلى أن انتهت إلى أبواب المدينة فتكلمت بكلام لا أفهمه فتساقطت الأقفال وانفتحت الأبواب وخرجت وأنا خلفها وهى لاتشعر حتى انتهت إلى ما بين الكيمان وأتت حصنًا فيه قبة مبنية بطين لها باب فدخلته هى وصعدت أنا على سطح القبة وأشرفت عليها وإذا بها قد دخلت على عبد أسود إحدى شفتيه غطاء وشفته الثانية وطاء وشفاهه تلقط الرمل من الحصى وهو مبتلى وراقد على قليل من قش القصب فقبلت الأرض بين يديه فرفع ذلك العبد رأسه إليها وقال لها ويلك ماسبب قعودك إلى هذه الساعة فقالت ياسيدى أما تعلم أنى متزوجة بابن عمى وأنا أكره النظر فى صورته فقال العبد تكذبين

ياعاهرة وأنا أحلف وحق فتوة السودان وألا تكون مروءتنا مروءة البيضان أن بقيت تقعدى إلى هذا الوقت من هذا اليوم لا أصاحبك قال الملك فلما سمعت كلامهما وأنا أنظر بعينى ما جرى بينهما صارت الدنيا فى وجهى ظلاماً ولم أعرف روحى فى أى موضع وصارت بنت عمى واقفة تبكى وتضرع له حتى رضى عليها ففرحت وقامت قلعت ثيابها ولباسها وقالت له ياسيدى هل عندك ما تأكله جاريتك؟ ؛ فقال لها اكشفى اللقان فإن تحتها عظام فيران مطبوخة فكليها ومرمشيها وقومى لهذه القوارة تجد فيها بوظة فاشربيها فقامت وأكلت وشربت وغسلت يديها وجاءت فرقدت مع العبد على قش القصب وتعرت ودخلت معه تحت الهدمة والشراميط فلما نظرت إلى هذه الفعال التى فعلتها بنت عمى غبت عن الوجود فنزلت من فوق أعلى القبة ودخلت وأخذت السيف من بنت عمى وهممت أن أقتل الاثنين فضربت العبد أولا على رقبته فظننت أنه قضى عليه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فلما أصبح الصياد دخل الملك إلى محل الحكم واحتبك الديوان إلى آخر النهار ثم طلع الملك قصره فقالت لها أختها دنيا زاد تمى لنا حديثك قالت حبا وكرامة .

***

الليلــة (٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب المسحور قال للملك لما ضربت العبد فظننت أنى قتلته فشخر شخيراً عاليًا فتحركت بنت عمى وقامت بعد ذهابى فأخذت السيف ورددته إلى موضعه وأتيت المدينة ودخلت القصر ورقدت فى فراشى إلى الصباح ورأيت بنت عمى فى ذلك اليوم قد قطعت شعرها ولبست ثياب الحزن وقالت يا ابن عمى لا تلمنى فيما أفعله فإنه بلغنى أن والدتى توفيت وأن والدى قتل فى الجهاد وأن إخوتى أحدهما مات ملسوعًا والآخر رديما فيحق لى أن أبكى قلت لها افعلى ما بدا لك فإنى لا أخالفك فمكثت فى حزن وبكاء عديد سنة كاملة من الحول إلى الحول وبعد السنة قالت لى أريد أن ابنى لى فى قصرك مدفنًا مثل القبة فقلت لها افعلى ما بدا لك فبنت لها بيتًا للحزن فى وسطه قبة ومدفنًا مثل الضريح ثم نقلت العبد وأنزلته فيه وهو ضعيف جداً حيث لاينفعها بنافعة لكنه يشرب الشراب فصارت

كل يوم تدخل عليه القبة بكرة وعشيا وتبكى عنده وتعدد عليه وأنا أطول بالى عليها إلى أن دخلت عليها يوماً من الأيام على غفلة فوجدتها تبكى وتلطم وجهها وتقول هذه الأبيات :

عدمت وجودى فى الورى بعد بعدكم ... فإن فؤادى لايحب سواكم
خذوا كرما جسمى إلى أين سرتموا ... وأين حللتم فادفنونى حداكم
وأن تذكروا اسمى عند قبرى يجيبكم ... أنين عظامى عند صوت نداكم

فلما فرغت من شعرها قلت لها وسيفى مسلول فى يدى هذا كلام الخائنات اللاتى ينكرن العشرة وما يحفظ الصحبة وأردت أن أضربها فرفعت يدى فى الهواء ثم وقفت على قدميها وتكلمت بكلام لم أفهمه وقالت جعل الله بسحرى نصفك حجراً ونصفك الآخر بشراً فلما صرت هكذا سحرت المدينة وما فيها فسحرتهم سمكا فالأبيض مسلمون والأحمر مجوس والأزرق نصارى والأصفر يهود وسحرت الجزائر الأربعة أربعة جبال وأحاطتها بالبركة ثم إنها كل يوم تعذبنى وتضربنى بسوط من الجلد مائة ضربة ثم إن الشاب بكى وأنشد هذا الشعر .

صبراً لحكمك يا إله فى القضى ... أنا صابر إن كان لك فيه الرضا
قد ضقت بالأمر الذى قد نابنى ... فوسيلتى آل النبى المرتضى

فعند ذلك التفت الملك إلى الشاب وقال له : وابن تلك المرأة قال : فى المدفن الذى فيه العبد راقد فى القبة وهى تجىء له كل يوم مرة وعند مجيئها تجىء إلى وتجردنى من ثيابى وتضربنى بالسوط مائة ضربة وأنا أبكى وأصيح ولم يكن فى حركة حتى أدفعها عن نفسى ثم بعد أن تعاقبنى تذهب إلى العبد بالشراب والمسلوقة بكرة النهار ، قال الملك والله يا فتى لأفعلن معك معروفاً أذكر به وجميلا يؤرخونه سيراً من بعدى ثم جلس الملك يتحدث معه إلى أن جاء وقت السحر فتجرد من ثيابه وتقلد سيفه ثم قصد العبد وضربه فقتله ثم حمله على ظهره ورماه فى بئر كانت فى القصر ولبس ثياب العبد وهو داخل القبة والسيف معه مسلول فى طوله فبعد ساعة أتت العاهرة الساحرة وعند دخولها جردت ابن عمها من ثيابه وأخذت سوطاً وضربته فقال آه يكفينى ما أنا فيه فارحمينى فقالت : هل كنت أنت رحمتنى وأبقيت لى معشوقى؟ ،

ثم نزلت إلى العبد ومعها قدح الشراب وطاسة المسلوقة ودخلت عليه القبة وبكت وولولت وقالت : ياسيدى كلمنى حدثنى وأنشدت تقول :

فإلى متى هذا التجنب والجفا إن الذى فعل الغرام لقد كفى
كم قد تطيل الهجر لى متعمدا إن كان قصدك حاسدى فقد اشتفى

ثم إنها بكت وقالت : ياسيدى كلمنى وحدثنى فخفض صوته وعوج لسانه وتكلم بكلام السودان وقال آه . . آه لا حول ولاقوة إلا بالله فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح وغشى عليها ثم إنها استلقت وقالت لعل سيدى صحيح فخفض الملك صوته بضعف وقال ياعاهرة أنت لاتستحق أن أكلمك قالت ماسبب ذلك قال سببه أنك طول النهار تعذبين زوجك وهو يتضرع ويدعو عليك حتى أقلقنى صوته ولولا هذا لكنت تعافيت فهذا الذى منعنى عن جوابك فقالت عن إذنك أخلصه مما هو فيه فقال لها خلصيه وأريحينا فقالت سمعا وطاعة وخرجت من القبة إلى القصر وأخذت طاسة ملأتها ماء ثم تكلمت عليها فصار الماء يغلى كما يغلى القدر ثم رشته منها وقالت بحق ما تلوته أن تخرج من هذه الصورة إلى صورتك الأولى فانتفض الشاب وقام على قدميه وفرح بخلاصه وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ ، ثم قالت له : اخرج فخرج من بين يديها وعادت إلى القبة ونزلت وقالت ياسيدى اخرج إلى حتى أنظرك فقال لها أرحتينى من الفرع ولم ترحينى من الأصل فقالت ياحبيبى وما هو الأصل قال أهل هذه المدينة والأربع جزائر كل ليلة إذا انتصف الليل يرفع السمك رأسه ويدعو على وعليك فلما سمعت كلام الملك وهى تظنه العبد قالت وهى فرحة ياسيدى على رأسى وعينى بسم الله ثم نهضت وقامت وهى مسرورة تجرى وخرجت إلى البركة وأخذت من مائها قليلاً . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية الساحرة لما أخذت شيئًا من ماء البركة وتكلمت عليه بكلام لايفهم تحرك السمك ورفع رأسه وصار آدميين فى الحال وانفك السحر عن أهل



المدينة وصارت المدينة عامرة والأسواق منصوبة وصار كل واحد فى صناعته وانقلبت الجبال جزائر كما كانت ثم إن الصبية الساحرة رجعت إلى الملك فى الحال وهى تظن أنه العبد وقالت ياحبيبى ناولنى يدك الكريمة أقبلها فقال الملك بكلام خفى تقربى منى فدنت منه وقد أخذ صارمه وطعنها به فى صدرها حتى خرج من ظهرها ثم ضربها فشقها نصفين وخرج فوجد الشاب المسحور واقفًا فى انتظاره فهنأه بالسلامة وقبل يده وشكره فقال له الملك أتقعد فى مدينتك أم تجيء معى إلى مدينتى فقال الشابياملك الزمان أتدرى ما بينك وبين مدينتك فقال الملك يومان ونصف فعند ذلك قال له الشاب أيها الملك إن كنت نائمًا فاستيقظ فإن بينك وبين مدينتك سنة للمجد وما أتيت فى يومين ونصف إلا لأن المدينة كانت مسحورة وأنا أيها الملك لا أفارقك لحظة عين ففرح الملك بقوله ثم قال الحمد لله الذى من على بك فأنت ولدى لأنى طول عمرى لم أرزق ولدًا ثم تعانقا وفرح فرحًا شديدًا ثم مشيا حتى وصلا إلى القصر ولما استقر الحال أنعم السلطان على أناس كثيرين ثم قال للوزير على بالصياد الذى أتى بالسمك فأرسل إلى ذلك الصياد الذى كان سببًا لخلاص أهل تلك المدينة فأحضره وخلع عليه وسأله عن حاله وهل له أولاد فأخبره أن له ابنا وبنتين فتزوج الملك بإحدى بنتيه وتزوج الشاب بالأخرى وأخذ الملك الابن عنده وجعله خازندارا ثم أرسل الوزير إلى مدينة الشاب وهى الجزائر السود وقلده سلطنتها وأرسل معه الخمسين مملوكًا الذين جاءوا معه وأرسل معه كثيرًا من الخلع لسائر الأمراء فقبل الوزير يديه وخرج مسافرًا واستقر السلطان والشاب وأما الصياد فإنه صار أغنى أهل زمانه وبناته زوجات الملوك إلى أن أتاهم الممات وما هذا بأعجب مما جرى للحمال .

(حكاية الحمال مع البنات)

فإنه كان إنسان من مدينة بغداد وكان أعزب وكان حمالا فبينما هو فى السوق يومًا من الأيام متكئًا على قفصه إذ وقفت عليه امرأة ملتفة بإزار موصلى من حرير مزركش بالذهب وحاشيتاه من قصب فرفعت قناعها فبان من تحته عيون سوداء بأهداب وأجفان وهى ناعمة الأطراف كاملة الأوصاف وبعد ذلك قالت بحلاوة لفظها هات قفصك واتبعنى فما صدق

الحمال بذلك وأخذ القفص وتبعها إلى أن وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل لها رجل نصرانى فأعطته دينارًا وأخذت منه مقدارًا من الزيتون ووضعته فى القفص وقالت له احمله واتبعنى فحمل القفص وتبعها إلى أن وقفت على دكان الحلوانى واشترت طبقًا وملأته من جميع ما عنده من مشبك وقطائف وميمونة وأمشاط وأصابع ولقيمات القاضى ووضعت جميع أنواع الحلاوة فى الطبق ووضعته فى القفص فقال الحمال لو أعلمتينى لجئت معى ببغل تحمل عليه هذه الأمور فتبسمت ثم وقفت على العطار واشترت منه عشرة مياه ماء ورد وماء زهر وخلافه وغير ذلك وأخذت قدرًا من السكر وأخذت مرش ماء ورد ممسك وحصى لبان ذكر وعودًا وعنبرًا ومسكًا وأخذت شمعًا إسكندرانيًا ووضعت الجميع فى القفص وقالت احمل قفصك واتبعنى فحمل القفص وتبعها إلى أن أتت دارًا مليحة وقدامها رحبة فسيحة وهى عالية البنيان مشيدة الأركان بابها بشفتين من الأبنوس مصفح بصفائح الذهب الأحمر فوقفت الصبية على الباب ودقت دقًا لطيفًا وإذا بالباب انفتح بشفتيه فنظر الحمال إلى من فتح لها الباب فوجدها صبية رشيقة القد قاعدة النهد ذات حسن وجمال وقد واعتدال وجبين كغرة الهلال وعيون كعيون الغزلان وحواجب كهلال رمضان وخدود مثل شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان ووجه كالبدر فى الإشراق ونهدين كرمانتين باتفاق وبطن مطوى تحت الثياب كطى السجل للكتاب فلما نظرا الحمال إليها سلبت عقله وكاد القفص أن يقع من فوق رأسه ثم قال مارأيت عمرى أبرك من هذا النهار فقالت الصبية البوابة للدلالة والحمال مرحبًا وهى من داخل الباب ومشوا حتى انتهوا إلى قاعة فسيحة مزركشة مليحة ذات تراكيب وشاذروانات ومصاطب ومدلات وخزائن عليها الستور مرخيات وفى وسط القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر عليه ناموسية من الأطلس الأحمر ومن داخله صبية بعيون بابلية وقامة ألفية ووجه يخجل الشمس المضية فكأنها بعض الكواكب الدرية أو عقيلة عربية كما قال فيها الشاعر :

من أقاس قدك بالغصن الرطيب فقد ... أضحى القياس به زورًا وبهتانًا
الغصن أحسن ما نلقاه مكتسيا ... وأنت أحسن ما نلقاك عريانا



فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير وخطرت قليلا إلى أن صارت فى وسط القاعة عند أخيها وقالت ما وقوفكم وحطوا عن رأس هذا الحمال المسكين فجاءت الدلالة من قدامه والبوابة من خلفه وساعدتها الثالثة وحططن عن الحمال وأفرغن ما فى القفص وصفوا كل شىء فى محله وأعطين الحمال دينارين وقلن له توجه يا حمال فنظر إلى البنات وماهن فيه من الحسن والطبائع الحسان فلم ير أحسن منهن ولكن ليس عندهن رجال ونظر ماعندهن من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك فتعجب غاية العجب ووقف عن الخروج فقالت له الصبية مالك لاتروح هل أنت استقللت الأجرة والتفتت إلى أختها وقالت أعطيه دينارًا آخر فقال الحمال والله ياسيداتى إن أجرتى نصفان وما استقللت الأجرة وإنما اشتغل قلبى وسرى بكن وكيف حالكن وأنت وحدكن وما عندكن رجال ولا أحد يؤانسكن وأنتن تعرفن أن المنارة لاتثبت إلا على أربعة وليس لكن رابع ومايكمل حظ النساء إلابالرجال كما قال الشاعر :

انظر إلى أربع عندى قد اجتمعت   جنك وعود وقانون ومزمار

أنتن ثلاثة فتفتقرن إلى رابع يكون رجلا عاقلا لبيبًا حاذقًا وللأسرار كاتمًا فقلن له نحن بنات ونخاف أن نودع السر عند من لايحفظه وقد قرأنا فى الأخبار شعرًا :

صن عن سواك السر لا تودعنه   من أودع السر فقد ضيعنه

فسمع الحمال كلامهن قال وحياتكن إنى رجل عاقل أمين قرأت الكتب وطلعت التواريخ أضهر اجميل وأخفى القبيح وأعمل بقول الشاعر :

لا يكتم السر إلا كل ذى ثقة   والسر عند خيار الناس مكتوم
السر عندى فى ميت له غلق   ضاعت مفاتحه والباب مختوم

فلما سمعت البنات الشعر والنظام وما أبداه من الكلام قلن له أنت تعلم أننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال فهل معك شىء تجازينا به فنحن لاندعك تجلس عندنا حتى تغرم مبلغًا من المال قال والله ما استفتحت بالدراهم إلا منك فقلن اجلس على الرأس والعين وقامت الدلالة وشدت وسطها وصفت القنانى وروقت المدام وعملت الحضرة على جانب البحر وأحضرت ما يحتاجون إليه ثم قدمت المدام وجلست هى وأختها وجلس الحمال بينهن وهو يظن أنه فى المنام

فلما تحكم الشراب معهم قامت البوابة وتجردت من ثيابها وصارت عريانة ثم رمت نفسها فى تلك البحيرة ولعبت فى الماء وأخذت الماء فى فمها وبخت الحمال ثم غسلت أعضاءها وما بين فخذيها ثم طلعت من الماء ورمت نفسها فى حجر الحمال وقالت له ياحبيبى ما اسم هذا وأشارت إلى فرجها فقال الحمال رحمك فقالت يوه يوه أما تستحى ومسكته من رقبته وصارت

(ومسكته من رقبته وصارت تصفقه)



تصكه فقال فرجك فقالت غيره فقال كسك فقالت غيره فقال زنبورك فلم تزل تصكه حتى ذاب قفاه ورقبته من الصك ، ثم قال لها وما اسمه فقالت له حبق الجسور فقال الحمال الحمد لله على السلامة ياحبق الجسور ثم إنهم أداروا الكأس والطاس ؛ فقامت الثانية وخلعت ثيابها ورمت نفسها فى تلك البحيرة وعملت مثل الأولى وطلعت ورمت نفسها فى حجر الحمال وأشارت إلى فرجها وقالت يانور عينى ما اسم هذا قال فرجك فقالت أما يقبح عليك هذا الكلام وصكته كفاطن له سائر ما فى القاعة فقال حبك الجسور فقالت له لا والضرب الصك على قفاه فقال لها وما اسمه فقالت له السمسم المقشور ثم قامت الثالثة وخلعت ثيابها ونزلت البحيرة وفعلت مثل من قبلها ثم لبست ثيابها وأرمت نفسها فى حجر الحمال وقالت له أيضًا ما اسم هذا وأشارت إلى فرجها فصار يقول كذا وكذا إلى أن قال لها وهى تضربه وما اسمه فقالت خان أبى منصور ثم بعد ساعة قام الحمال ونزع ثيابه ونزل البحيرة وذكره يسبح فى الماء وغسل مثل ما غسلن ثم طلع ورمى نفسه فى حجر سيدتهن ورمى ذراعيه فى حجر البوابة ورمى رجليه فى حجر الدلالة ثم أشار إلى إيره وقال ياسيدتى ما اسم هذا فضحك الكل على كلامه حتى انقلبن على ظهورهن وقلن زبك قال لا وأخذ من كل واحد عضة قلن إيرك قال لا وأخذ من كل واحدة حضنًا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٠)

قالت لها أختها دنيا زاد يا أختى أتمى لنا حديثك قالت حبا وكرامة وقد بلغنى أيها الملك السعيد أنهن لم يزلن يقلن إيرك وهو يقبل ويعانق وهن يتضاحكن إلى أن قلن له وما اسمه قال اسمه البغل الجسور الذى يرعى حبق الجسور ويعلق بالسمسم المقشور ويبيت فى خان أبى منصور فضحكن حتى استلقين على ظهورهن ثم عادوا إلى منادمتهم ولم يزالوا كذلك إلى أن أقبل الليل عليهم فقلن للحمال توجه وأرنا عرض أكتافك فقال الحمال والله خروج الروح أهون من الخروج من عندكن دعونا نصل الليل بالنهار وكل منا يروح إلى حال سبيله فقالت الدلالة

بحياتى عندكن تدعنه ينام عندنا نضحك عليه فإنه خليع ظريف فقلن له تبيت عندنا بشرط أن تدخل تحت الحكم ومهما رأيته لا تسأل عنه ولا عن سببه فقال نعم فقلن قم واقرأ ما على الباب مكتوباً فقام إلى الباب فوجد مكتوبا بماء الذهب لاتتكلم فيما لا يعنيك تسمع مالا يرضيك فقال الحمال اشهدوا أنى لا أتكلم فيما لايغنينى ثم قامت الدلالة جهزت لهم مأكولا فأكلوا ثم أوقدوا الشمع والعود وقعدوا فى أكل وشرب وإذا هم سمعوا دق الباب فلم يختل نظامهم فقامت واحدة منهن إلى الباب ثم عادت ومعها الثلاثة العور ذقونهم محلوقة وشواربهم مبرومة ممشوقة وهم صعاليك فسلموا وتأخروا فقام لهم البنات وأقعدوهم فنظر الثلاثة رجال إلى الحمال فوجدوه سكران فلما عاينوه ظنوا أنه منهم وقالوا هو صعلوك مثلنا يؤانسنا فلما سمع الحمال هذا الكلام قام وقلب عينيه وقال لهم اقعدوا بلا فضول أما قرأتم ما على الباب فضحك البنات وقلن لبعضهن إننا نضحك على الصعاليك والحمال ثم وضعن الأكل للصعاليك فأكلوا ثم جلسوا يتنادمون والبوابة تسقيهم ولما دار الكأس بينهم قال الحمال للصعاليك ياإخواننا هل معكم حكاية أو نادرة تسلوننا بها فدبت الحرارة وطلبوا آلات اللهو فأحضرت لهم دفا موصليا وعوداً عراقيًا وجنكا أعجميًا فقام الصعاليك واقفين وأخذ واحد منهم الدف وأخذ واحد العود وأخذ واحد الجنك وضربوا بها وغنت البنات وصار لهم صوت عال فبينما هم كذلك وإذا بطارق يطرق الباب فقامت البوابة لتنظر من الباب وكان السبب فى دق الباب أن فى تلك الليلة نزل الخليفة هارون الرشيد لينظر ويسمع ما يتجدد من الأخبار هو وجعفر وزيره ومسرور سياف نقمته وكان من عادته أن يتنكر فى صفة التجار فلما نزل تلك الليلة ومشى فى المدينة جاءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا آلات الملاهى فقال الخليفة لجعفر إنى أريد أن ندخل هذه الدار ونشاهد صواحب هذه الأصوات فقال جعفر هؤلاء قوم قد دخل السكر فيهم ونخشى أن يصيبنا منهم شر فقال لابد من دخولنا وأريد أن نتحيل حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعا وطاعة ثم تقدم جعفر وطرق الباب فخرجت البوابة وفتحت لهم الباب فقالوا ندخل بإذنك قالت ادخلوا فدخل الخليفة وجعفر ومسرور فلما رأتهم البنات قمن لهم وخدمنهم وقلنا مرحبًا وأهلا وسهلا بأضيافنا ولنا عليكم شرط أن لا تتكلموا فيما لايعنيكم فتسمعوا مالا يرضيكم قالوا نعم وبعد ذلك



جلسوا للشراب والمنادمة فنظر الخليفة إلى الثلاثة الصعاليك فوجدهم عور بالعين الشمال فتعجب منهم ونظر إلى البنات وماهم فيه من الحسن والجمال فتحير وتعجب واستمروا فى المنادمة والحديث وأتين للخليفة بشراب فقال أنا حاج وانعزل عنهم فقامت البوابة وقدمت له سفرة مزركشة ووضعت عليها باطية من الصينى وسكبت فيها ماء الخلاف وأرخت فيه قطعة من الثلج ومزجته بسكر فشكرها الخليفة وقال فى نفسه لابد أن أجازيها فى غد على فعلها من صنيع الخير ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما تحكم الشراب قامت صاحبة البيت وخدمتهم ثم أخذت بيد الدلالة وقالت يا أختى قومى بمقتضى ديننا فقالت لها نعم فعند ذلك قامت البوابة وأطلعت الصعاليك خلف الأبواب قدامهن وذلك بعد أن أخلت وسط القاعة ونادين الحمال وقلن له ما أقل مودتك ما أنت غريب بل أنت من أهل الدار فقام الحمال وشدوا وسطه وقال ما تردن قلن قف مكانك ثم قامت الدلالة وقالت للحمال ساعدنى فرأى كلبتين من الكلاب السود فى رقبتهما جنازير فأخذهما الحمال ودخل بهما إلى وسط القاعة فقامت صاحبة المنزل وشمرت عن معصمها وأخذت سوطًا وقالت للحمال قوم كلبة منهما فجرها فى الجنزير وقدمها والكلبة تبكى وتحرك رأسها إلى الصبية فنزلت الصبية عليها بالضرب على رأسها والكلبة تصرخ ومازالت تضربها حتى كلت سواعدها فرمت السوط من يدها ثم ضمت الكلبة إلى صدرها ومسحت دموعها وقبلت رأسها ثم قالت للحمال ردها وهات الثانية فجاءت بها ففعلت بها مثل ما فعلت بالأولى فعند ذلك اشتغل قلب الخليفة وضاق صدره وغمز جعفرًا أن يسألها فقال له بالإشارة اسكت ثم التفتت صاحبة البيت للبوابة وقالت لها قومى لقضاء ما عليك قالت نعم ثم إن صاحبة البيت صعدت على سرير من المرمر مصفح بالذهب والفضة وقالت للبوابة والدلالة ائتيا بما عندكما فأما البوابة فأنها صعدت على سرير بجانبها ، وأما الدلالة فإنها دخلت مخدعًا وأخرجت منه كيسا من الأطلس بأهداب خضر ووقفت قدام الصبية صاحبة المنزل ونفضت الكيس وأخرجت منه عودًا وأصلحت أوتاره وأنشدت هذه الأبيات :

ردوا على جفنى النوم الذى سلبا   وخبرونى بعقلى أية ذهبا
علمت لما رضيت الحب منزلة   أن المنام على جفنى قد غضبا
قالوا عهدناك من أهل الرشاد فما   أغواك قلت اطلبوا من لحظه السببا

أنى له عن دمى المسفوك معتذر أقول حملته فى سفكه تعبا
ألقى بمرآة فكرى شمس صورته فعكسها شب فى احشائى اللهبا
من صاغه الله من ماء الحياة وقد أجرى بقيته فى ثغره شنبا
ماذا ترى فى محب ما ذكرت له ألا شكى أو بكى أو حن أو طربا
يرى خيالك فى الماء الذلال إذا رام الشراب فيروى وهو ما شربا

فلما سمعت الصبية ذلك قالت طيبك الله ثم شقت ثيابها ووقعت على الأرض مغشيًا عليها فلما انكشف جسدها رأى الخليفة أثر ضرب المقارع والسياط فتعجب من ذلك غاية العجب فقامت البوابة ورشت الماء على وجهها وأتت إليها بحلة وألبستها إياها فقال الخليفة لجعفر أما تنظر إلى هذه المرأة وما عليها من أثر الضرب فأنا لا أقدر أن أسكت على هذا وما أستريح إلا أن وقفت على حقيقة هذه الصبية وحقيقة خبر هاتين الكلبتين فقال جعفر يا مولاى قد شرطوا علينا شرطا وهو أن لا نتكلم فيما لايعنينا فنسمع مالا يرضينا ثم قامت الدلالة فأخذت العود وأسندته إلى نهدها وغمزت بأناملها وأنشدت تقول :

إن شكونا الهوى فماذا نقول أو تلفنا شوقا فماذا السبيل
أو بعثنا رسلا نترجم عنا ما يؤدى شكوى المحب رسول
أو صبرنا فمالنا من بقاء بعد فقد الأحباب إلا قليل
أيها الغائبون عن لمح عينى وعم فى الفؤاد منى حلول
هل حفظتم لدى الهوى عهد صب ليس عنه مدى الزمان يحول
وإذا الحشر ضمنا أتمنى من لدن وبنا حساباً يطول

فلما سمعت المرأة الثانية شعر الدلالة شقت ثيابها كما فعلت الأولى وصرخت ثم ألقت نفسها على الأرض مغشياً عليها فقامت الدلالة وألبستها حلة بعد أن رشت الماء على وجهها ، ثم قامت المرأة الثالثة وجلست على سرير وقالت للدلالة غنى لى لا فى دينى فما بقى غير هذا الصوت فأصلحت الدلالة العود وأنشدت هذا الأبيات :

فإلى متى هذا الصدود وذا الجفا فلقد حوى من أدمعى ما قد كفى
كم قد أطلت الهجر لى متعمداً إن كان قصدك حاسدى فقد اشتفى



لو أنصف الدهر الخؤون لعاشق	مـا كـان يـوم للعـواذل منصفا
فلمن أبوح بصبوتى يا قاتلى	يا خيبة الشاكـى إذا فقد الـوفـا
ويـزيد وجـدى هـواك تلهفا	فمتـى وعـدت ولا رأيتك مخـلفا
يا مسلمون خـذوا بثار متيـم	ألـف الشـهادة لـديه طـرف ما غفا
أيحل فـى شـرع الغرام تذللى	ويكـون غيـرى بالـوصـال مشـرفًا
ولقـد كلفـت بحبكم متلذذًا	وغـدا عـذولى فـى الهوى فتكلفا

فلما سمعت المرأة الثالثة قصيدتها صرخت وشقت ثيابها وألقت نفسها على الأرض مغشيًا عليها فلما انكشف جسدها ظهر فيه ضرب المقارع مثل من قبل فقال الصعاليك نحن سبعة رجال وهن ثلاث نسوة وليس لهن رابعة فنسألهن عن حالهن فإن لم يجبننا طوعًا أجبننا كرها وأتفق الجميع على ذلك فقال جعفر ماهذا رأى سديد دعوهن فنحن ضيوف عندهن وقد شرطن علينا شرطا فنوفى به ولم يبق من الليل إلا القليل وكل منا يمضى إلى حال سبيله ثم إنه غمز الخليفة وقال مابقى غير ساعة وفى غد تحضرهن بين يديك فتسألهن عن قصتهن فأبى الخليفة وقال لم يبق لى صبر عن خبرهن وقد كثر بينهن القيل والقال ثم قالوا ومن يسألهن فقام الحمال لصاحبة البيت وقالها لها ياسيدتى سألتك بالله وأقسم عليك به أن تخبرينا عن حال الكلبتين وأى سبب ضرب أختك بالمقارع وهذا سؤالنا والسلام فقالت صاحبة المكان للجماعة صحيح ما يقوله عنكم فقال الجميع نعم إلا جعفر فإنه سكت فلما سمعت الصبية كلامهم وقالت الله لقد آذيتمونا ياضيوفنا الأذية البالغة وتقدم لنا أننا شرطنا عليكم أن من تكلم فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه أما كفى إننا أدخلناكم منزلنا وأطعمناكم زادنا ولكن لاذنب لكم نعم وإنما الذنب لمن أوصلكم إلينا ثم شمرت عن معصمها وضربت الأرض ضربات وقالت عجلوا وإذا بباب خزانة قد فتح وخرج منه سبعة عبيد بأيديهم سيوف مسلولة وقالت كتفوا هؤلاء الذين كثر كلامهم واربطوا بعضهم ببعض ففعلوا وقالوا أيتها المخدرة ائذنى لنا فى ضرب رقابهم فقالت أمهلوهم ساعة حتى أسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم فقال الحمال بالله ياسيدتى

لاتقتليني بذنب الغير فإن الجميع أخطئوا ودخلوا في الذنب إلا أنا والله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هؤلاء الصعاليك الذين لو دخلوا مدينة عامرة لاخربوها ثم أنشد يقول :

ما أحسن الغفران من قادر لاسيما عن غير ذى ناصر
بحرمة الود الذى بيننا لا تقتلى الأول بالآخر

فلما فرغ الحمال كلامه ضحكت الصبية . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية لما ضحكت بعد غيظها أقبلت على الجماعة وقالت أخبرونى بخبركم فما بقى من عمركم إلا ساعة ولولا أنتم أعزاء أو أكابر قومكم أو حكام لعجلت جزاءكم فقال الخليفة ويلك ياجعفر عرفها بنا وإلا تقتلنا فقال جعفر من بعض ما نستحق فقال له الخليفة لا ينبغى الهزل فى وقت الجد كل منهم له وقت ثم إن الصبية أقبلت على الصعاليك وقالت لهم هل أنتم إخوة فقالوا لها لا والله مانحن إلا فقراء الحجام فقالت لواحد منهم هل أنت ولدت أعور فقال لا والله إنما جرى لى أمر غريب حين تلفت عينى ولهذا الأمر حكاية لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فسألت الثانى والثالث فقالا لها مثل الأول ثم قالوا إن كل منا من بلد وإن حديثنا عجيب وأمرنا غريب فالتفتت الصبية لهم وقالت كل واحد منكم يحكى حكايته وماسبب مجيئه إلى مكاننا ثم يملس على رأسه ويروح إلى حال سبيله فأول من تقدم الحمال فقال ياسيدتى أنا رجل حمال حملتنى هذه الدلالة وأتت بى إلى هنا وجرى لى معكم ماجرى وهذا حديثى والسلام فقالت له ملس على رأسك وروح فقال والله ما أروح حتى أسمع حديث رفقائى فتقدم الصعلوك الأول وقال لها ياسيدتى إن سبب حلق ذقنى وتلف عينى إن والدى كان ملكًا وله أخ وكان أخوه ملكًا على مدينة أخرى واتفق أن أمى ولدتنى فى اليوم الذى ولد فيه ابن عمى ثم مضت سنون وأعوام وأيام حتى كبرنا وكنت أزور عمى فى بعض السنين وأقعد عنده أشهر عديدة فزرته مرة



فأكرمنى ابن عمى غاية الإكرام وذبح لى الأغنام وروق لى المدام وجلسنا للشراب قال ابن عمى يا ابن عمى إن لى عندك حاجة مهمة وأريد أن لاتخالفنى فيما أريد أن أفعله فقلت له حبًا وكرامةً فاستوثق منى بالإيمان العظام ونهض من وقته وساعته وغاب قليلا ثم عاد وخلفه امرأة مزينة مطيبة وعليها من الحلل مايساوى مبلغًا عظيمًا فالتفت إلىّ والمرأة خلفه وقال خذ هذه المرأة واسبقنى على الجبانة الفلانية ووصفها لى عرفتها وقال ادخل بها التربة وانتظرنى هناك فلم يمكنى المخالفة ولم أقدر على رد سؤاله لأجل الذى حلفته فأخذت المرأة وسرت إلى أن دخلت التربة أنا وإياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن عمى ومعه طاسة فيها ماء وكيس فيه جبس وقدوم ثم إنه أخذ القدوم وجاء إلى قبر فى وسط التربة ففكه ونقض أحجاره إلى ناحية التربة ثم حفر بالقدوم فى الأرض حتى كشف عن طابق قدر الباب الصغير فبان من تحت الطابق سلم معقودٍ ثم التفت إلى المرأة بالإشارة وقال لها دونك وما تختارين فنزلت المرأة على ذلك السلم ثم التفتت إلى وقال ياابن عمى تمم المعروف إذا نزلت أنا فى ذلك الموضع فرد الطابق ورد عليه التراب كما كان وهذا تمام المعروف وهذا الجبس الذى فى الكيس وهذا الماء الذى فى الطاسة أعجن منه الجبس وجبس القبر فى دائر الأحجار كما كان حتى لايعرفه أحد ولايقول هذا فتح جديد وتطيينه عتيق لأن لى سنة كاملة وأنا أعمل فيه ومايعلم به إلا الله هذه حاجتى عندك ثم قال لى لا أوحش الله منك ياابن عمى ثم نزل على السلم فلما غاب عنى قمت ورددت الطابق وفعلت ما أمرنى به حتى صار القبر كما كان ثم رجعت إلى قصر عمى وكان عمى فى الصيد والقنص فنمت تلك الليلة فلما أصبح الصباح تذكرت الليلة الماضية وماجرى فيها بينى وبين ابن عمى وندمت على مافعلت معه حيث لاينفع الندم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٢)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية ثم خرجت إلى المقابر وفتشت على القبر فلم أعرف له طريقًا فزاد بى الوسواس حتى كدت أن أجن فلم أجد فرجا دون أن سافرت ورجعت إلى أبى فساعة وصولى إلى مدينة أبى نهض إلىّ جماعة من باب المدينة وكتفونى

فتعجبت كل العجب لأنى ابن سلطان المدينة وهم خدام أبى وغلمانى ولحقنى منهم خوف زائد فقلت فى نفسى يا ترى ما جرى على والدى وصرت أسأل الذين كتفونى عن سبب ذلك فلم يردوا على جوابا ثم بعد حين قال لى بعضهم وكان خادمًا عندى إن أباك قد غدر به الزمان وخانته العساكر وقتله الوزير ونحن نترقب وقوعك فأخذونى وأنا غائب عن الدنيا بسبب هذه الأخبار التى سمعتها عن أبى فلما تمثلت بين يدى الوزير الذى قتل أبى وكانت بينى وبينه عداوة قديمة وسبب تلك العداوة أنى كنت مولعًا بضرب البندق فاتفق أنى كنت واقفًا يومًا من الأيام على سطح قصر وإذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير وكان واقفا فأردت أن أضرب الطير وإذا بالبندقة أخطأت أصابت عين الوزير فأتلفتها بالقضاء والقدر كما قال الشاعر :

دع الأقدار تفعل ما تشاء وطب نفسا بما فعل القضاء
ولاتفرح ولاتحزن بشىء فإن الشىء ليس له بقاء

وكما قال الآخر :

مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سواها

ثم قال ذلك الصعلوك فلما أتلفت عين الوزير ولم يقدر أن يتكلم لأن والدى كان ملك المدينة فهذا سبب العداوة التى بينى وبينه فلما وقفت قدامه وأنا مكتف أمر بضرب عنقى فقلت أتقتلنى بغير ذنب فقال وأى ذنب أعظم من هذا وأشار إلى عينه المتلفة فقلت له فعلت ذلك خطأ فقال إن كنت فعلته خطأ فأنا أفعله بك عمداً ثم قال قدموه بين يدى فقدمونى بين يديه فمد أصبعه فى عينى الشمال فأتلفها فصرت من ذلك الوقت أعور كما ترونى ثم كتفنى ووضعنى فى صندوق وقال للسياف تسلم هذا وأشهر حسامك وخذه واذهب به إلى خارج المدينة واقتله ودعه للوحوش تأكله فذهب بى السياف وسار حتى خرج من المدينة وأخرجنى من الصندوق وأنا مكتوف اليدين مقيد الرجلين وأراد أن يغمى عينى ويقتلنى فبكيت وأنشدت هذه الأبيات :

وإخوان اتخذتهم دروعاً فكانوها ولكن للأعادى



وخلتهم سهام صائبات | فكانوا ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب | لقد صدقوا ولكن عن ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى | لقد صدقوا ولكن فى فسادى

فلما سمع السياف شعرى وكان سياف أبى ولى عليه إحسان قال ياسيدى كيف أفعل وأنا عبد المأمور ، ثم قال لى فز بعمرك ولا تعد إلى هذه الأرض فتهلك وتهلكنى معك كما قال الشاعر :

ونفسك فز بها إن خفت ضيما | وخل الدار تنعى من بناها
فإنك واجد أرضًا بأرض | ونفسك لن تجدها نفسا سواها
عجبت لمن يعيش بدار ذل | وأرض الله واسعة فلاها
ومن كانت منيته بأرض | فليس يموت فى أرض سواها
وما غلظت رقاب الأسد حتى | بأنفسها تولت ما عناها .

فلما قال لى ذلك قبلت يديه وما صدقت بالنجاة حتى فررت وهان على تلف عينى بنجاتى من القتل وسافرت حتى وصلت إلى مدينة عمى فدخلت عليه وأعلمته بما جرى لوالدى وبما جرى لى من تلف عينى فبكى بكاء شديدًا وقال لقد زدتنى همًا على همى وغمًا على غمى فإن ابن عمك قد فقد منذ أيام ولم أعلم بما جرى له ولم يخبرنى أحد بخبره حتى أغمى عليه فلما استفاق قال له يا ولدى قد حزنت على ابن عمك حزنًا شديدًا وأنت زدتنى حزنًا بما حصل لك ولأبيك غمًا على غمى ولك يا ولدى بعينك ولا بروحك ثم إنه لم يمكنى السكوت عن ابن عمى الذى هو ولده فأعلمته بالذى جرى له كله ففرح عمي بما قلته فرحًا شديدًا عند سماع خبر ابنه وقال أرنى التربة فقلت والله ياعمى لم أعرف مكانها لأنى رجعت بعد ذلك مرات لأفتش عليها فلم أعرف مكانها ثم ذهبت أنا وعمى إلى الجبانة ونظرت يمينًا وشمالاً فعرفتها ففرحت أنا وعمى فرحًا شديدًا ودخلت أنا وإياه التربة وأزحنا التراب ورفعنا الطابق ونزلت أنا وعمى مقدار خمسين درجة فلما وصلنا إلى آخر السلم وإذا بدخان طلع علينا فغشى على أبصارنا فقال عمى الكلمة التى لايخجل قائلها وهى لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم مشينا وإذا نحن بقاعة ممتلئة دقيقًا وحبوبًا ومأكولات وغير ذلك ورأينا فى وسط القاعة ستارة

مسبولة على سرير فنظر عمى إلى السرير فوجد ابنه هو والمرأة قد نزلت معه صارا فحمًا أسود وهما متعانقان كأنهما ألقيا فى جب نار فلما نظر عمى إلى ذلك بصق فى وجهه وقال تستحق ياخبيث فهذا عذاب الدنيا وبقى عذاب الآخرة وهو أشد وأبقى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية والجماعة والخليفة وجعفر يستمعون الكلام ثم إن عمىَ ضرب ولده بالنعال وهو راقد كالفحم الأسود فتعجبت من ضربه وحزنت على ابن عمى حيث صار هو والصبية فحمًا أسود ثم قلت بالله ياعم خفف الهم عن قلبك فقد اشتغل سرى وخاطرى بما قد جرى لولدك وكيف صار هو الصبية فحمًا أسود أما يكفيك ماهو فيه حتى تضربه بالنعال فقال يا ابن أخى إن ولدى هذا كان من صغره مولعًا بحب أخته وكنت أنهاه عنها وأقول فى نفسى إنهما صغيران فلما كبرا وقع بينهما القبح وسمعت بذلك ولم أصدق ولكن زجرته زجرًا بليغًا وقلت له احذر من هذه الفعال القبيحة التى لم يفعلها أحد قبلك ولا يفعلها أحد بعدك وإلا نبقى بين الملوك بالعار والنقصان إلى الممات وتشيع أخبارنا مع الركبان وإياك أن تصدر منك هذه الفعال فإنى أسخط عليك وأقتلك ثم حجبته عنها وحجبتها عنه وكانت الخبيثة تحبه محبة عظيمة وقد تمكن الشيطان منها فلما رآنى حجبته عمل هذا المكان تحت الأرض خفية ونقل فيه المأكول كما تراه واستغفلنى لما خرجت إلى الصيد وأتى إلى هذا المكان فغار عليه وعليها الحق سبحانه وتعالى وأحرقهما ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ثم بكى وبكيت معه وقال لى أنت ولدى عوضا عنه ثم إنى تفكرت ساعة فى الدنيا وحوادثها من قتل الوزير لوالدى وأخذ مكانه وتلف عينى وماجرى لابن عمى من الحوادث الغريبة فبكيت ثم إننا صعدنا ورددنا الطابق والتراب وعملنا القبر كما كان ثم رجعنا إلى منزلنا فلم يستقر بيننا الجلوس حتى سمعنا دق طبول وبوقات ورمحت الأبطال وامتلأت الدنيا بالعجاج

والغبار من جوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر فسأل الملك عن الخبر فقيل له إن وزير أخيك قتله وجمع العسكر والجنود وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة فى غفلة وأهل المدينة لم يكن بهم طاقة فسلموا إليه فقلت فى نفسى متى وقعت أنا فى يده قتلنى وتراكمت الأحزان وتذكرت الحوادث التى حدثت لأبى وأمى ولم أدر أين أمضى وإذا بهذا الصعلوك واقف فسلمت عليه وقلت له أنا غريب فقال وأنا غريب أيضا فبينما نحن كذلك وإذا برفيقنا هذا الثالث جاءنا وسلم علينا وقال أنا غريب فقلنا له ونحن غريبان فمشيناوقد هجم علينا الظلام فساقنا القدر إليكم وهذا سبب حلق ذقنى وتلف عينى فقالت الصبية ملس على رأسك ورح فقال لها لا أروح حتى أسمع خبر غيرى فتعجبوا من حديثه فقال الخليفة لجعفر والله أنا مارأيت مثل الذى جرى لهذا الصعلوك ثم تقدم الصعلوك الثانى وقبل الأرض وقال ياسيدتى أنا ما ولدت أعور وإنما لى حكاية عجيبة لو كتبت بالإبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فأنا ملك بن ملك وقرأت القرآن على سبع روايات وقرأت الكتب على أربابها من مشايخ العلم وقرأت علم النجوم وكلام الشعراء واجتهدت فى سائر العلوم حتى فقت أهل زمانى فعظم حظى عند سائر الكتبة وشاع ذكرى فى الأقاليم والبلدان وشاع خبرى عند سائر الملوك فسمع بى ملك الهند فأرسل يطلبنى من أبى وأرسل إليه هدايا وتحفا تصلح للملوك فجهزنى أبى فى ست مراكب وسرنا فى البحر مدة شهر كامل حتى وصلنا إلى البر وأخرجنا خيلا كانت معنا فى المراكب وحملنا عشرة جمال هدايا ومشينا قليلا وإذا بغبار قد علا وثار حتى سد الأقطار واستمر ساعة من النهار ثم انكشف فبان من تحته ستون فارسًا ليوث عوابس فتأملناهم وإذا هم عرب قطاع طريق فلما رأونا ونحن نفر قليل ومعنا عشرة أحمال هدايا لملك الهند رمحوا علينا وشرعوا الرماح بين أيديهم نحونا فأشرنا إليهم بالأصابع وقلنا لهم نحن رسل إلى ملك الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن لسنا فى أرضه ولا تحت حكمه ثم إنهم قتلوا بعض الغلمان وهرب الباقون وهربت أنا بعد أن جرحت جرحًا بليغًا واشتغلت عنا العرب بالمال والهدايا التى كانت معنا فصرت لا أدرى أين أذهب وكنت عزيزاً فصرت ذليلا وسرت إلى أن أتيت رأس الجبل فدخلت إلى مغارة حتى طلع النهار ثم سرت منها حتى وصلت إلى مدينة عامرة بالخير قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها الربيع بورده

ففرحت بوصولي إليها وقد تعبت من المشي وعلاني الهم والاصفرار فتغيرت حالتي ولا أدري أين أسلك فملت إلى خياط في دكان وسلمت عليه فرد عليّ السلام ورحب بي وباسطني وسألني عن سبب غربتي فأخبرته بما جرى لي من أوله إلى آخره ثم قال لي أما تعرف صنعة تكتسب بها فقلت له إني فقيه طالب علم كاتب حاسب فقال إن صنعتك في بلادنا

(وإذا هي في طابق من خشب فكشف فبان تحته سلم)



كاسدة وليس فى مدينتنا من يعرف علما ولاكتابة غبر المال فقلت والله لا أدرى شيئًا غير الذى ذكرته لك فقال شد وسطك وخذ فأسًا وحبلا واحتطب فى البرية حطبًا تتقوت به إلى أن يفرج الله عنك فخرجت واحتطبت فأتيت بحمل على رأسى فبعته بنصف دينار فأكلت ببعضه وأبقيت بعضه ودمت على هذا الحال مدة سنة ثم بعد السنة ذهبت يومًا على عادتى إلى البرية لاحتطب منها ودخلتها فوجدتها فيها خميلة أشجار فيها حطب كثير فدخلت الخميلة وأتيت شجرة وحفرت حولها وأزلت التراب عن جدارها فاصطكت الفاس فى حلقة نحاس فنظفت التراب وإذا هى فى طابق خشب فكشفته فبان تحته سلم فنزلت إلى أسفل السلم فرأيت بابًا فدخلته فرأيت قصرًا محكم البنيان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفى عن القلب كل هم وغم وبلية فلما نظرت إليها سجدت لخالقها لما أبدع فيها من الحسن والجمال فنظرت إلىّ وقالت لى أنت إنسى أم جنى؟ ، فقلت لها إنسى فقالت ومن أوصلك إلى هذا المكان الذى لى فيه خمسة وعشرون سنة ما رأيت فيه إنسيا أبدًا فلما سمعت كلامها وجدت له عذوبة وقلت لها ياسيدتى أوصلنى الله إلى منزلك ولعله يزيل همى وغمى وحكيت لها ماجرى لى من الأول إلى الآخر فصعب عليها حالى وبكت وقالت أنا الأخرى أعلمك بقصتى فاعلم أنى بنت ملك أقصى الهند صاحب جزيرة الآبنوس وكان قد زوجنى بابن عمى فاختطفنى ليلة زفافى عفريت اسمه جرجيس بن رجموس بن إبليس فطار بى إلى هذا المكان وعاهدنى إذا عرضت لى حاجة ليلا أو نهارًا أن ألمس بيدى هذين السطرين المكتوبين على القبة فما أرفع يدى حتى أراه عندى ومنذ كان عندى له اليوم أربعة أيام وبقى له ستة أيام حتى يأتى فهل لك أن تقيم عندى خمسة أيام ثم تنصرف قبل مجيئه بيوم فقلت نعم ففرحت ثم نهضت على أقدامها وأخذت بيدى وأدخلتنى من باب مقنطر وانتهت بى إلى حمام لطيف ظريف فلما رأيته خلعت ثيابى وخلعت ثيابها ودخلت فجلست على مرتبة وأجلستنى معها وأتت بسكر ممسك وسقتنى ثم قدمت لى مأكولا فأكلنا وتحادثنا ثم قالت لى نم واسترح فإنك تعبان فنمت ياسيدتى وقد نسيت ماجرى لى وشكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلى فدعوت لها وجلسنا نتحادث ساعة ، ثم قالت والله إنى كنت ضيقة الصدر وأنا تحت الأرض وحدى ولم أجد من يحدثنى خمسة وعشرين سنة فالحمد لله الذى أرسلك إلى ثم أنشدت تقول :

لو علمنا مجيئكم لفرشنا   مهجة القلب أو سواد العيون

وفرشنا خدودنا والتقينا   ليكون المسير فوق الجفون

فلما سمعت شعرها شكرتها وقد تمكنت محبتها من قلبى فقلت وقد غلب على الغرام فأنا فى هذه الساعة أكسر القبة التى عليها النقش المكتوب لعل العفريت يجىء حتى أقتله فإنى موعود بقتل العفاريت فلما سمعت كلامى أنشدت تقول :

يا طالبا للفراق مهلا	بحيلة قد كفى اشتياق
اصبر فطبع الزمان غدر	وآخر الصحبة الفراق

فلما سمعت شعرها لم ألتفت لكلامها بل رفست القبة رفسًا قويًا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثانى قال للصبية ياسيدتى لما رفست القبة رفسًا قويًا قالت لى المرأة إن العفريت قد وصل إلينا أما حذرتك من هذا والله لقد آذيتنى ولكن انج بنفسك واطلع من المكان الذى جئت منه فمن شدة خوفى نسيت نعلى وفاسى فلما طلعت درجتين التفت لأنظرهما فرأيت الأرض قد انشقت وطلع منها عفريت ذو منظر بشع وقال ماهذه الزعجة التى أرعشتينى بها فما مصيبتك فقالت ما أصابنى شىء غير أن صدرى ضاق فأردت أن أشرب شرابًا يشرح صدرى فنهضت لأقضى أشغالى فوقعت على القبة فقال لها العفريت تكذبين يافاجرة ونظر فى القصر يمينًا وشمالاً فرأى النعل والفأس فقال لها ماهذه إلا متاع الأنس من جاء إليك فقالت ما نظرتهما إلا فى هذه الساعة ولعلهما تعلقا معك فقال العفريت هذا كلام محال لا ينطلى على ياعاهرة ثم إنه أعراها وصلبها بين أربعة أوتاد وجعل يعاقبها ويقررها بما كان فلم يهن على أن أسمع بكاءها فطلعت من السلم مذعورًا من الخوف وندمت على مافعلت غاية الندم وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون وهى لها معه خمسة وعشرون سنة ماعاقبها إلا بسببى وتذكرت أبى ومملكته وكيف صرت حطابًا فقلت هذا البيت :

إذا ما أتاك الدهر يوم بنكبة	فيوم ترى يسرًا ويوم ترى عسرا



ثم مشيت إلى أن أتيت رفيقى الخياط فلقيته من أجلى على مقالى النار وهو لى فى الانتظار فقال إنى بت البارحة وقلبى عندك وخفت عليك من وحش أو غيره فالحمد لله على سلامتك فشكرته على شفقته علىّ ودخلت خلوتى وجعلت أتفكر فيما جرى لى وألوم نفسى على رفسى هذه القبة وإذا بصديقى الخياط دخل علىّ وقال لى فى الدكان شخص أعجمى يطلبك ومعه فأسك ونعلك قد جاء بهما إلى الخياطين وقال لهم إنى خرجت وقت أذان المؤذن لأجل صلاة الفجر فعثرت بهما ولم أعلم لمن هما فدلونى على صاحبهما فدله الخياطون عليك وها هو قاعد فى دكانى فأخرج إليه وأشكره وخذ فأسك ونعلك فلما سمعت هذا الكلام اصفر لونى وتغير حالى فبينما أنا كذلك وإذا بأرض محلى قد انشقت وخرج منها الأعجمى وإذا هو العفريت وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشىء فأخذ الفأس والنعل وقال لها إن كنت جرجيس من ذرية إبليس فأنا أجىء بصاحب هذا الفأس والنعل ثم جاء بهذه الحيلة إلى الخياطين ودخل علىّ ولم يمهلنى بل اختطفنى وطار وعلا بى ونزل بى وغاص فى الأرض وأنا لا أعلم بنفسى ثم طلع بى القصر الذى كنت فيه فرأيت الصبية عريانة والدم يسيل من جوانبها فقطرت عيناى بالدموع فأخذها العفريت وقال لها ياعاهرة هذا عشيقك فنظرت إلىّ وقالت لا أعرفه ولا رأيته إلا فى هذه الساعة فقال لها العفريت أهذه العقوبة ولم تقرى فقالت مارأيته عمرى ومايحل من الله أن أكذب عليه فقال لها العفريت إن كنت لاتعرفينه فخذى السيف واضربى عنقه فأخذت السيف وجاءتنى ووقفت على رأسى فأشرت لها بحاجبى ودمعى يجرى على وجنتى فنهضت وغمزتنى وقالت إنت الذى فعلت بنا هذا كله فأشرت لها أن هذا وقت العفو ولسان حالى يقول :

يترجم طرفى عن لسانى لتعلموا	ويبدو لكم ما كان عندى يكتم
ولما التقينا والدموع سواجم	خرست وطرفى بالهوى يتكلم
تشير لنا عما تقول بطرفها	وأشر إليها بالبنان فتفهم
حواجبنا تقضى الحوائج بيننا	فنحن سكوت والهوى يتكلم

فلما فهمت الصبية إشارتى رمت السيف من يدها ياسيدتى فناولنى العفريت السيف وقال لى اضرب عنقها وأنا أطلقك ولا أنكد عليك فقلت أيها العفريت الشديد والبطل الصنديد إذا

كانت امرأة ناقصة عقل ودين لم تستحل ضرب عنقى فكيف يحل لى أن أضرب عنقها ولم أرها عمرى فلا أفعل ذلك أبداً ولو سقيت من الموت كأس الردى فقال العفريت أنتما بينكما مودة وأخذ السيف وضرب يد الصبية فقطعها ، ثم ضرب الثانية فقطعها ثم قطع رجلها اليمنى ثم قطع رجلها اليسرى حتى قطع أرباعها بأربع ضربات وأنا أنظر بعينى فأيقنت بالموت ثم قال يا أنسى نحن شرعنا إذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها وهذه الصبية اختطفتها ليلة عرسها وهى بنت اثنتى عشرة سنة ولم تعرف أحداً غيرى وكنت أجيئها فى كل عشرة أيام ليلة واحدة فى زى رجل أعجمى فلما تحققت أنها خانتنى قتلتها وأما أنت فلم أتحقق أنك خنتنى فيها ولكن لابد أنى ما أخليك فى عافية فتمن على أى ضرر ففرحت ياسيدتى غاية الفرح وطمعت فى العفريت وقلت له وما أتمناه عليك قال أتمن على أى صورة أسحرك فيها إما صورة كلب وإما صورة حمار وإما صورة قرد وأما العفو عنك فلا تطمع فيه وأما سحرك فلابد منه ثم شق الأرض وطار بى إلى الجو حتى نظرت إلى الدنيا تحتى كأنها قصعة ماء ثم حطنى على جبل وأخذ قليلا من التراب وهمهم عليه وتكلم ورشنى وقال اخرج من هذه الصورة إلى صورة قرد فمن ذلك الوقت صرت قرد ابن مائة سنة فلما رأيت نفسى فى هذه الصورة القبيحة بكيت على روحى وصبرت على جور الزمان وعلمت أن الزمان ليس لأحد وانحدرت من أعلى الجبل إلى أسفله وسافرت مدة شهر ثم ذهبت إلى شاطئ البحر المالح فوقفت ساعة وإذا أنا بمركب فى وسط البحر قد طاب ريحها وهى قاصدة البر فاختفيت خلف صخرة على جانب البحر وسرت إلى أن أتيت وسط المركب فقال واحد منهم أخرجوا هذا المشئوم من المركب وقال واحد منهم نقتله وقال آخر أقتله بهذا السيف فأمسكت طرف السيف وبكيت وسالت دموعى فحن على الريس وصار يحسن إلى ومهما تكلم به أفهمه وأقضى حوائجه كلها وأخدمه فى المركب وقد طاب لها الريح مدة خمسين يوماً فرسينا على مدينة عظيمة وفيها عالم كثير لايحصى عددهم إلا الله تعالى فساعة وصولنا أوقفنا مركبنا فجاءتنا مماليك من طرف المدينة فنزلوا المركب وهنوا التجار بالسلامة وقالوا إن ملكنا يهنيكم بالسلامة وقد أرسل إليكم هذا الدرج الورق وقال كل واحد يكتب فيه سطراً فقمت وأنا فى صورة القرد وخطفت الدرج من أيديهم فخافوا أنى أقطعه وأرميه



فى الماء فنهرونى وأرادوا قتلى فأشرت لهم أنى أكتب فقال لهم الريس دعوه يكتب فإن لخبط الكتابة طردناه عنا وإن أحسنها اتخذته ولدا فإنى ما رأيت قردًا أفهم منه ثم أخذت القلم واستمديت الحبر وكتبت سطرًا بقلم الرقاع ورقمت هذا الشعر :

لقد كتب الدهر فضل الكرام وفضلك للآن لايحسب
فلا أيتم الله منك الورى لأنك للفضل نعم الأب

(وكتبت بقلم الثلث هذين البيتين)

ما من كاتب إلا سيفنى ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك فى القيامة أن تراه

(وكتبت تحته بقلم المشق هذين البيتين)

إذا فتحت دواة العز والنعم فاجعل مدادك من جود وكرم
واكتب بخير إذا ماكنت مقتدرًا بذاك شرفت فضلا نسبة القلم

ثم ناولتهم ذلك الدرج الورق فطلعوا به إلى الملك فلما تأمل ما فى ذلك الدرج لم يعجبه خط أحد إلا خطى فقال لأصحابه توجهوا إلى صاحب هذا الخط وألبسوه هذه الحلة وأركبوه بغلة وهاتوه بالنوبة وأحضروه بين يدى فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب منهم ثم قال كيف آمركم فتضحكون على فقالوا أيها الملك ما نضحك على كلامك بل الذى كتب هذا الخط قرد وليس هو آدميًا وهو مع ريس المركب فتعجب الملك من كلامهم واهتز من الطرب وقال أريد أن أشترى هذا القرد ثم بعث رسلا إلى المركب ومعهم البغلة والحلة وقال لابد أن تلبسوه هذه الحلة وتركبوه البغلة وتأتوا به ؛ فساروا إلى المركب وأخذونى من الريس وألبسونى الحلة فاندهش الخلائق وصاروا يتفرجون علىّ فلما طلعوا بى إلى الملك ورأيته وقبّلت الأرض بين يديه ثلاث مرات فأمرنى بالجلوس فجلست على ركبتى فتعجب الحاضرون من أدبى وكان الملك أكثرهم تعجبًا ثم إن الملك أمر الخلق بالانصراف فانصرفوا ولم يبق إلا الملك والطواشى ومملوك صغير وأنا ثم أمر الملك بطعام فقدموا سفرة طعام فيها ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين فأشار إلىّ الملك أن

كل فقمت وقبلت الأرض بين يديه سبع مرات وجلست آكل معه وقد ارتفعت السفرة وذهبت فغسلت يدى وأخذت الدواة والقلم والقرطاس وكتبت هذه البيتين :

أناجر الضأن ترياق من العلل ... وأصحن الحلو فيها منتهى أملى
يا لهف قلبى على مد السماط إذا ... ماجت كنافته بالسمن والعسل

ثم قمت وجلست بعيداً أنتظر الملك إلى ما كتبته فقرأه فتعجب وقال هذا يكون عند قرد هذه الفصاحة وهذا الخط والله إن هذا لعجيب ثم قدم للملك شطرنج فقال لى الملك أتلعب قلت برأسى نعم فتقدمت وصففت الشطرنج ولعبت معه مرتين فغلبته فحار عقل الملك وقال لو كان هذا آدميا لفاق أهل زمانه ثم قال لخادمه اذهب إلى سيدتك وقل لها كلمى الملك حتى تجىء وتتفرج على هذا القرد العجيب فذهب الطواشى وعاد مع سيدته بنت الملك فلما نظرت إلىّ غطت وجهها وقالت يا أبى كيف طاب على خاطرك أن ترسل لى فيرانى الرجال الأجانب فقال يابنتى ماعندى سوى المملوك الصغير والطواشى الذى رباك وهذا القرد وأنا أبوك فممن تغطين وجهك فقالت إن القرد ابن ملك واسم أبيه إيمار صاحب جزائر الآبنوس الداخلة وهو مسحور فقال أبوها بحق اسم الله عليك أن تخلصى لنا هذا الشاب حتى أجعله وزيرى وهل فيك هذه الفضيلة ولم أعلم فخلصيه حتى أجعله وزيرى لأنه شاب ظريف لبيب فقالت له حبًا وكرامة ثم أخذت بيدها سكينًا وعملت دائرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (١٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية ياسيدتى ثم إن بنت الملك أخذت بيدها سكينًا مكتوبًا عليها أسماء عبرانية وخطت بها دائرة فى وسط وكتبت فيها أسماء وطلاسم وعزمت بكلام وقرأت كلامًا لا يفهم فبعد ساعة أظلمت علينا جهات القصر حتى ظننا أن الدنيا قد انطبقت علينا وإذا بالعفريت قد تدلى علينا فى أقبح صفة بأيد كالمدارى ورجلين كالصوارى وعينين كمشعلين يوقدان نارا ففزعنا منه فقالت بنت الملك لا أهلا بك ولا سهلا فقال العفريت وهو فى صورة أسد ياخائنة كيف خنت اليمين أما تحالفنا على أنه



لايتعرض أحد للآخر فقالت له يالعين ومن أين لك يمين فقال العفريت خذى ما جاءك ثم انقلب أسداً وفتح فاه وهجم على الصبية فأسرعت وأخذت شعرة من شعرها بيدها وهمهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفًا ماضيًا وضربت ذلك الأسد نصفين فصارت رأسه عقربًا وانقلبت الصبية حية عظيمة وهمهمت على هذا اللعين وهو فى صفة عقرب فتقاتلا قتالا شديدًا ثم انقلب العفريت عقابًا فانقلبت الحية نسراً وصارت وراء العقاب واستمر ساعة زمانية ثم انقلب العقاب قطًا أسود فانقلبت الصبية ذئبًا فتشاحنا فى القصر ساعة زمانية وتقاتلا قتالا شديدًا فرأى القط نفسه مغلوبًا فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة ووقعت تلك الرمانة فى بركة فقصدها الذئب فارتفعت فى الهواء ووقعت على بلاط القصر فانكسرت وانتثر الحب كل حبة وحدها وامتلأت أرض القصر حبًا فانقلب ذلك الذئب ديكًا لأجل أن يلتقط ذلك الحب حتى لايترك منه حبة فبالأمر المقدر تدارت حبة فى جانب الفسقية فصار الديك يصيح ويرفرف بأجنحته ويشير إلينا بمنقاره ونحن لانفهم مايقول ثم صرخ علينا صرخة تخيل لنا منها أن القصر قد انقلب علينا ودار فى أرض القصر كلها حتى رأى الحبة التى تدارت فى جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها وإذا بالحبة سقطت فى الماء فأنقلب الديك حوتًا كبيراً ونزل خلفها وغاب ساعة وإذا بنا قد سمعنا صراخًا عاليًا فارتجفنا فبعد ذلك طلع العفريت وهو شعلة نار فالقى من فمه ناراً فلحقته الصبية ونفخت فى وجهه بالنار أيضًا فأصابنا الشرر منها ومنه فأما شررها فلم يؤذنا وأما شرره فلحقنى منه شرارة فى عينى فأتلفتها وأنا فى صورة القرد ولحق الملك شرارة منه فى وجهه فأحرقت نصفه التحتانى بذقنه وحنكه ووقعت أسنانه التحتانية ووقعت شرارة فى صدر الطواشى فاحترق ومات من وقته وساعته فأيقنا بالهلاك وقطعنا رجائنا من الحياة فبينما نحن كذلك وإذا بقائل يقول الله أكبر الله أكبر قد فتح ربى ونصر وخذل من كفر بدين محمد سيد البشر وإذا بالقائل بنت الملك قد أحضرت العفريت فنظرنا إليه فرأيناه قد صار كوم رماد ثم جاءت الصبية إلينا وقالت الحقونى بطاسة ماء فجاءوا بها إليها فتكلمت عليها بكلامه لانفهمه ثم رشتنى بالماء وقالت اخلص بحق الحق وبحق اسم الله الأعظم إلى صورتك الأولى فصرت بشراً كما كنت أولا ولكن تلفت عينى فقالت الصبية النار النار يا والدى ثم إنها لم تزل

تستغيث من النار وإذا بشرر أسود قد طلع إلى صدرها وطلع إلى وجهها فلما وصل إلى وجهها بكت وقالت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله ثم نظرنا إليها فرأيناها كوم رماد بجانب كوم العفريت فحزنا عليها وتمنيت لو كنت مكانها ولا أرى ذلك الوجه المليح الذى عمل فى هذا المعروف يصير رماداً لكن حكم الله لا يرد فلما رأى الملك ابنته صارت كوم رماد نتف بقية لحيته ولطم على وجهه وشق ثيابه وفعلت كما فعل وبكينا عليها ثم جاء الحجاب وأرباب الدولة فوجدوا السلطان فى حالة العدم وعنده كوم رماد فتعجبوا وداروا حول الملك ساعة فلما أفاق أخبرهم بما جرى لابنته مع العفريت فعظمت مصيبتهم وصرخ النساء والجوارى وعملوا العزاء سبعة أيام ثم إن الملك أمر أن يبنى على رماد ابنته قبة عظيمة وأوقد فيها الشموع والقناديل وأما رماد العفريت فإنهم أذروه فى الهواء إلى لعنة الله ثم مرض السلطان مرضا أشرف منه على الموت واستمر مرضه شهراً وعادت إليه العافية فطلبنى وقال يافتى قد قضينا زماننا فى أهنأ عيش من نوائب الزمان حتى جئتنا فأقبلت علينا الأكدار فليتنا ما رأيناك ولا رأينا طلعتك القبيحة التى لسببها صرنا فى حالة العدم فأولا عدمت ابنتى التى كانت تساوى مائة رجل وثانيا جرى لى من الحريق ما جرى وعدم أضراسى ومات خادمى ولكن مابيدى حيلة بل جرى قضاء الله علينا وعليك والحمد لله حيث خلصتك ابنتى وأهلكت فاخرج يا ولدى من بلدى وكفى ماجرى بسببك وكل ذلك مقدر علينا وعليك فاخرج بسلام فخرجت ياسيدتى من عنده وما صدقت بالنجاة فحمدت الله وقلت بعينى ولابروحى ودخلت الحمام قبل أن أخرج من المدينة وحلقت ذقنى وجئت يا سيدتى وفى كل يوم أبكى وأتفكر المصائب التى عاقبتها تلف عينى وكلما أتذكر ماجرى لى أبكى وأنشد هذه الأبيات :

تحيرت والرحمن لاشك فى أمرى	وحلت بى الأحزان من حيث لا أدرى
سأصبر حتى علم الناس أننى	صبرت على شىء أمر من الصبر
وما أحسن الصبر الجميل مع التقى	وما قدر المولى على خلقه يجرى
سرائرى سرى ترجمان سريرتى	إذا كان سرا لسر سرك فى سرى
ولو أن ما بى بالجبال لهدمت	وبالنار أطفأها وبالريح فى سرى
ومن قال إن الدهر فيه حلاوة	فلابد من يوم أمر من المر



ثم سافرت الأقطار ووردت الأمصار وقصدت دار السلام بغداد لعلى أتوصل إلى أمير المؤمنين وأخبره بما جرى فوصلت إلى بغداد هذه الليلة فوجدت أخى هذا الأول واقفًا متحيرًا فقلت السلام عليك وتحدثت معه وإذا بأخينا الثالث قد أقبل علينا وقال السلام عليكم أنا رجل غريب فقلنا له ونحن غريبان وقد وصلنا هذه الليلة المباركة فمشينا نحن ومافينا أحد يعرف حكاية أحد فساقتنا المقادير إلى هذا الباب ودخلنا عليكم وهذا سبب حلق ذقنى وتلف عينى فقالت له إن كانت حكايتك غريبة فامسح على رأسك واخرج إلى حال سبيلك فقال لا أخرج حتى أسمع حديث رفيقى فتقدم الصعلوك الثالث وقال أيتها السيدة الجليلة ماقصتى مثل قصتهما بل قصتى أعجب وذلك أن هذين جاءهما القضاء والقدر وأما أنا فسبب حلق ذقنى وتلف عينى أننى جلبت القضاء لنفسى والهم لقلبى وذلك أنى كنت ملكًا ابن ملك ومات والدى وأخذت الملك من بعده وحكمت وعدلت وأحسنت الرعية وكان لى محبة فى السفر فى البحر وكانت مدينتى على البحر والبحر متسع وحولنا جزائر معدة للقتال فأردت أن أتفرج على الجزائر فنزلت فى عشرة مراكب وأخذت معى مؤونة شهر وسافرت عشرين يومًا ففى ليلة من الليالى هبت علينا رياح مختلفة إلى أن لاح الفجر فهدأ الريح وسكن البحر حتى أشرقت الشمس ثم إننا أشرفنا على جزيرة وطلعنا إلى البر وطبخنا شيئًا نأكل منه فأكلنا ثم أقمنا يومين وسافرنا عشرين يومًا فاختلفت علينا المياه وعلى الريس واستغرب الريس البحر فقلنا للناظور انظر البحر بتأمل فطلع على الصارى ثم نزل ذلك الناظور وقال للريس رأيت عن يمينى سمكًا على وجه الماء ونظرت إلى وسط البحر فرأيت سوادًا من بعيد يلوح تارة أسود وتارة أبيض فلما سمع الريس كلام الناظور وضرب الأرض بعمامته ونتف لحيته وقال للناس أبشروا بهلاكنا جميعًا ولايسلم منا أحد وشرع يبكى وكذلك نحن الجميع نبكى على أنفسنا فقلت أيها الريس أخبرنا بما رأى الناظور فقال يا سيدى اعلم أننا تهنا يوم جاءت علينا الرياح المختلفة إلا بكرة النهار ثم أقمنا يومين فتهنا فى البحر ولم نزل تائهين أحد عشر يومًا من تلك الليلة وليس لنا ريح يرجعنا إلى مانحن قاصدون آخر النهار وفى غد نصل إلى جبل من حجر أسود يسمى حجر المغناطيس وتجرنا المياه غصبا إلى جهته فتمزق المركب ويروح كل مسمار فى المركب إلى الجبل ويلتصق به

لأن الله وضع فى حجر المغناطيس سراً وهو أن جميع الحديد يذهب إليه وفى ذلك الجبل حديد كثير لايعلمه إلا الله تعالى حتى إنه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة بسبب ذلك الجبل ويلى ذلك البحر قبة من النحاس الأصفر معمودة على عشر أعمدة وفوق القبة فارس على فرس من نحاس وما الخلاص إلا إذا وقع هذا الفارس من فوق تلك الفرس ثم إن الريس يا سيدتى بكى بكاء شديداً فتحققنا أننا هالكون لامحالة وكل منا ودع صاحبه فلما جاء الصباح قربنا من ذلك الجبل وساقتنا المياه إليه غصبا فلما صارت المراكب تحته انفتحت وفرت المسامير منها وكل حديد فيها نحو حجر المغناطيس ونحن دائرون حوله فى آخر النهار وتمزقت المراكب فمنا من غرق ومنا من سلم ولكن أكثرنا غرق والذين سلموا لم يعلموا ببعضهم لأن تلك الأمواج واختلاف الأرياح أدهشتهم وأما أنا ياسيدتى فنجانى الله تعالى لما أراده من مشقتى وعذابى وبلوتى فطلعت على لوح من الألواح فألقاه الريح والأمواج إلى جبل فأصبت طريقا متطرفًا إلى أعلاه على هيئة السلالم منقورة فى الجبل فسميت الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثالث قال للصبية والجماعة مكتَّفين والعبيد واقفين بالسيوف على رؤسهم ثم أنى سميت الله ودعوته وابتهلت إليه وحاولت الطلوع على الجبل وصرت أتمسك بالنقر التى فيه حتى أسكن الله الريح فى تلك الساعة وأعاننى على الطلوع فطلعت سالمًا على الجبل وفرحت بسلامتى غاية الفرح ولم يكن لى دأب إلا القبة فدخلتها وصليت فيها ركعتين شكراً لله على سلامتى ثم إنى نمت تحت القبة فسمعت قائلاً يقول ياابن خصيب إذا انتبهت من منامك فاحفر تحت رجليك تجد قوسًا من نحاس وثلاث نشابات من رصاص منقوشاً عليها طلاسم فخذ القوس والنشابات وارم الفارس الذى على القبة وأرح الناس من هذا البلاء العظيم فإذا رميت الفارس يقع فى البحر ويقع القوس من يدك فخذ القوس وادفنه فى موضعه فإذا فعلت ذلك يطفو البحر ويعلو حتى يساوى الجبل ويطلع عليه

زورق فيه شخص غير الذى رميته فيجيء إليك وفى يده مجذاف فاركب معه ولاتسم الله تعالى فإنه يحملك ويسافر بك مدة عشرة أيام إلى أن يوصلك إلى بحر السلامة فإذا وصلت هناك تجد من يوصلك إلى بلدك وهذا إنما يتم لك إذا لم تسم الله ثم استيقظت من نومى وقمت بنشاط وقصدت الماء كما قال الهاتف وضربت الفارس فرميته فوقع فى البحر ووقع القوس من يدى فأخذت القوس ودفنته فهاج البحر وعلا حتى ساوى الجبل الذى أنا عليه فلم ألبث غير ساعة حتى رأيت زورقًا فى وسط البحر يقصدنى فحمدت الله تعالى فلما وصل إلىّ الزورق ووجدت فيه شخصًا من النحاس فى صدره لوح من الرصاص منقوش بأسماء وطلاسم فنزلت فى الزورق وأنا ساكت لا أتكلم فحملنى الشخص أول يوم والثانى والثالث إلى تمام عشرة أيام حتى رأيت جزائر السلامة ففرحت فرحًا عظيمًا ومن شدة فرحى ذكرت الله وسميت وهللت وكبرت فلما فعلت ذلك قذفنى من الزورق فى البحر ثم رجع فى البحر وكنت أعرف العوم فعمت ذلك اليوم إلى الليل حتى طلعت البر وعصرت ثيابى ونشفتها على الأرض وبت فلما أصبحت لبست ثيابى وقمت أنظر أين أمشى فوجدت غوطة فجئتها ودرت حولها فوجدت الموضع الذى فيه جزيرة صغيرة والبحر محيط بها فقلت فى نفسى كلما أخلص من بلية أقع فى أعظم منها فبينما أنا أتفكر فى أمرى وأتمنى الموت إذا نظرت مركبًا فيها ناس فقمت وطلعت على شجرة وإذا بالمركب التصقت بالبر وطلع منها عشرة عبيد معهم مساحى فمشوا حتى وصلوا إلى وسط الجزيرة وحفروا فى الأرض وكشفوا عن طابق فرفعوا الطابق وفتحوا بابه ثم عادوا إلى المركب ونقلوا منها خبزًا ودقيقًا وسمنًا وعسلاً وأغنامًا إلى أن نقلوا جميع ما فى المركب ثم بعد ذلك طلع العبيد ومعهم ثياب أحسن مايكون وفى وسطهم شيخ كبير هرم وقد عمّر زمنًا طويلاً وأضعفه الدهر حتى صار فانيًا ويد ذلك الشيخ فى يد صبى قد أفرغ فى قالب الجمال وألبس حلة الكمال حتى إنه يضرب بحسنه الأمثال وهو كالقضيب الرطب يسحر كل قلب بجماله ويسلب كل لب بكماله فلم يزالوا ياسيدتى سائرين حتى أتوا إلى الطابق ونزلوا فيه وغابوا عن عينى فلما توجهوا قمت ونزلت من فوق الشجرة ومشيت إلى موضع الردم فقلت فى نفسى ما الذى فى هذا المكان فلابد أن أفتحه وأنظر مافيه ثم فتحته فوجدت فيه فرسًا مسرجًا ملجمًا

مربوطًا ففككته وركبته فطار بى إلى أن حطنى على سطح وأنزلنى وضربنى بذيله فأتلف عينى وفر منى فنزلت من فوق السطح فوجدت عشرة شبان عور فلما رأونى قالوا لا مرحبًا بك فقلت لهم أتقبلونى أجلس عندكم فقالوا والله لا تجلس عندنا فخرجت من عندهم حزين القلب باكى العين وكتب الله لى السلامة حتى وصلت إلى بغداد فحلقت ذقنى وصرت صعلوكًا فوجدت هذين الاثنين الأعورين فسلمت عليهما وقلت لهما أنا غريب فقالا ونحن غريبان فهذا سبب تلف عينى وحلق ذقنى فقالت له امسح على رأسك ورح فقال والله لا أروح حتى أسمع قصة هؤلاء ، ثم إن الصبية التفتت إلى الخليفة وجعفر ومسرور وقالت لهم أخبرونى بخبركم فتقدم جعفر وحكى لها الحكاية التى قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت كلامه قالت وهبت بعضكم لبعض فخرجوا إلى أن صاروا فى الزقاق فقال الخليفة للصعاليك ياجماعة إلى أين تذهبون فقالوا ما ندرى أين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا وبيتوا عندنا وقال لجعفر خذهم وأحضرهم لى غدا حتى ننظر مايكون فامتثل جعفر ما أمره به الخليفة ثم إن الخليفة طلع إلى قصره ولم يجئه نوم فى تلك الليلة فلما أصبح جلس على كرسى المملكة ودخلت عليه أرباب الدولة فالتفت إلى جعفر بعد أن طلعت أرباب الدولة وقال ائتنى بالثلاث صبايا والكلبتين والصعاليك فنهض جعفر وأحضرهم بين يديه فأدخل الصبايا تحت الأستار والتفت لهن جعفر وقال لهن قد عفونا عنكن لما أسلفتن من الإحسان إلينا ولم تعرفنا فها أنا أعرفكن وأنتن بين يدى الخامس من بنى العباس هارون الرشيد فلا تخبرنه إلا حقًا فلما سمع الصبايا كلام جعفر عن لسان أمير المؤمنين تقدمت الكبيرة وقالت يا أمير المؤمنين إن لى حديثا لو كتب بالإبر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن كبيرة الصبايا لما تقدمت بين يدى أمير المؤمنين قالت إن لى حديثًا عجيبًا وهو أن هاتين الصبيتين أختاى من أبى من غير أمى فمات والدنا وخلف خمسة آلاف دينار وكنت أنا أصغرهن سنا فتجهز أختاى وتزوجت كل واحدة برجل ومكثنا

مدة ثم إن كل واحد من أزواجهما هيأ متجراً وأخذ من زوجته ألف دينار وسافروا مع بعضهم وتركونى فغابوا أربع سنين وضيع زوجاهما المال وخسرا وتركاهما فى بلاد الناس فجاءانى فى هيئة الشحاتين فلما رأيتهما ذهلت عنهما ولم أعرفهما قلت لهما ما هذا الحال فقالتا يا أختنا إن الكلام لم يفد الآن وقد جرى القلم بما حكم الله فأرسلتهما إلى الحمام وألبست كل واحدة حلة وقلت لهما يا أختى أنتما الكبيرة وأنا الصغيرة فمكثا عندى مدة سنة كاملة وصار لهما مال من مالى فقالتا لى إن الزواج خير لنا وليس لنا صبر عنه فقلت لهما يا أختى لم تريا فى الزواج خير فإن الرجل الجيد قليل فى هذا الزمان وقد جربتما الزواج فلم يقبلا كلامى وتزوجا بغير رضاى فزوجتهما من مالى وسترتهما ومضتا مع زوجيهما فأقاما مدة يسيرة ولعب عليهما زوجاهما وأخذا ما كان معهما وسافرا وتركاهما فجاءتا عندى وهما عريانتان واعتذرتا وقالتا لاتؤخذاينا فأنت أصغر منا سنا وأكمل عقلا ومابقينا نذكر الزواج أبدا فقلت مرحبا بكما يا أختى ماعندى أعز منكما وقبلتهما وزدتهما إكرامًا ولم تزل على هذه الحالة سنة كاملة فأردت أن أجهز لى مركبًا إلى البصرة فجهزت مركبًا كبيرة وحملت فيها البضائع والمتاجر وما أحتاج إليه فى المركب وقلت يا أختى هل لكما أن تقعدوا فى المنزل حتى أسافر وأرجع أو تسافر معى فقالتا نسافر معك فإنا لا نطيق فراقك فأخذتهما وسافرنا ولم نزل مسافرين أيامًا فتاهت بنا المركب وغفل الريس عن الطريق ودخلت المركب بحراً غير البحر الذى نريده ولم نعلم بذلك مدة وطاب الريح عشرة أيام فلاحت لنا مدينة على بعد فقلنا للريس ما اسم هذه المدينة التى أشرفنا عليها فقال والله لا أعلم ولا رأيتها قط ولا سلكت عمرى هذا البحر ولكن جاء الأمر بسلامة فما بقى إلا أن تدخلوا هذه المدينة وتخرجوا بضائعكم فإن حصل لكم بيع فبيعوا ثم غاب ساعة وقال لنا قوموا إلى المدينة وتعجبوا من صنع الله فى خلقه واستعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فوجدنا كل من فيها مسخوطًا حجارة سوداء فاندهشنا من ذلك ومشينا فى الأسواق فوجدنا البضائع باقية والذهب والفضة باقيين على حالهما ففرحنا وقلنا لعل هذا يكون له أمر عجيب وتفرقنا فى شوارع المدينة وكل واحد اشتغل عن رفيقه بما فيها من المال والقماش وأما أنا فطلعت إلى القلعة فوجدتها محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت فيه جميع الأوانى من الذهب والفضة ثم

رأيت الملك جالساً وعنده حجابه و نوابه ووزراؤه وعليه من الملابس شيء يتحير فيه الفكر فلما قربت من الملك وجدته جالسًا على كرسى مرصع بالدر والجوهر فيه كل درة تضيء كالنجمة وعليه حلة مزركشة بالذهب وواقف حوله خمسون مملوكًا لابسين أنواع الحرير وفى أيديهم السيوف مجردة فلما نظرت لذلك دهش عقلى ثم مشيت ودخلت قاعة الحريم فوجدت فى حيطانها ستائر من الحرير ووجدت الملكة عليها حلة مزركشة باللؤلؤ وعلى رأسها تاج مكلل بأنواع الجوهر وفى عنقها قلائد وعقوداً وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ باق على حاله وهى ممسوخة حجراً أسود ووجدت بابًا مفتوحًا فدخلته ووجدت فيه سلمًا بسبع درج فصعدته فرأيت مكانا مزخمًا مفروشاً بالبسط المذهبة ووجدت فيه سريراً من المرمر مرصعًا بالدر والجواهر ونظرت نوراً لامعًا فلما نظرت إلى ذلك تعجبت ورأيت فى ذلك المكان شموعًا موقدة فقلت فى نفسى لابد أن أحداً أوقد هذه الشموع ثم إنى مشيت حتى دخلت موضعًا غيره وصرت أفتش فى الأماكن إلى أن دخل الليل فأردت الخروج فلم أعرف الباب وتهت عنه فعدت إلى الجهة التى فيها الشموع الموقدة وجلست على السرير وتغطيت بلحاف بعد أن قرأت شيئًا من القرآن وأردت النوم فلم أستطع ولحقنى القلق فلما انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن رقيق فالتفت إلى مخدع فرأيت بابه مفتوحًا فدخلت الباب ونظرت المكان فإذا هو معبد وفيه قناديل معلقة موقدة وفيه سجادة مفروشة جالس عليها شاب حسن المنظر فتعجبت كيف هو فيه سالم دون أهل المدينة فدخلت وسلمت عليه فرفع بصره ورد على السلام فقلت له أسألك بحق ماتتلوه من كتاب الله أن تجيبنى عن سؤالى فتبسم وقال أخبرينى عن سبب دخولك هذا المكان وأنا أخبرك بجواب ما تسألينه عنه فأخبرته بخبرى فتعجب من ذلك ثم إننى سألته عن خبر هذه المدينة فقال أمهلينى ثم طبق المصحف وأدخله فى كيس من الأطلس وأجلسنى بجنبه فنظرت إليه فإذا هو كالبدر حسن الأوصاف لين الأعطاف بهى المنظر رشيق القد أسيل الخد زهى الوجنات فنظرت له نظرة أعقبتنى ألف حسرة وأوقدت بقلبى كل جمرة فقلت له يامولاى أخبرنى عما سألتك عنه فقال سمعا وطاعة اعلمى أن هذه المدينة مدينة والدى وجميع أهله وقومه وهو الملك الذى رأيتيه على الكرسى ممسوخًا حجراً وأما الملكة التى رأيتيها فهى أمى وقد كانوا مجوسًا يعبدون النار دون الملك الجبار وكانوا يقسمون بالنار والنور والظل والحرور والفلك

الذى يدور وكان أبى ليس له ولد فرزق بى فى آخر عمره فربانى حتى نشئت وقد سبقت لى السعادة وكان عندى عجوز طاعنة فى السن مسلمة تؤمن بالله ورسوله فى الباطن وتوافق أهلى فى الظاهر وكان يعتقد أنها على دينه فلما كبرت سلمنى أبى إليها وقال خذيه وربيه وعلميه أحوال ديننا وأحسنى تربيته وقومى بخدمته فأخذتنى العجوز وعلمتنى دين الإسلام من الطهارة وفرائض الوضوء والصلاة وحفظتنى القرآن فلما أتممت ذلك قالت ياولدى أكتم هذا الأمر عن أبيك ولا تعلمه به لئلا يقتلك فكتمته عنه ولم أزل على هذا الحال مدة أيام قلائل وقد ماتت العجوز وازداد أهل المدينة فى كفرهم وعتوهم وضلالهم فبينما هم على ماهم فيه إذ سمعوا مناديا ينادى بأعلى صوته مثل الرعد القاصف سمعه القريب والبعيد يقول يا أهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النار واعبدوا الملك الجبار فحصل عند أهل المدينة فزع واجتمعوا عند أبى وهو ملك المدينة وقالوا له ماهذا الصوت المزعج الذى سمعناه فاندهشنا من شدة هوله فقال لهم لايهولنكم الصوت ولايفزعنكم ولايردنكم عن دينكم فمالت قلوبهم إلى قول أبى فلم يزالوا عاكفين على ما هم عليه حتى نزل عليهم المقت والسخط من السماء بعد طلوع الفجر فمسخوا حجارة سوداء وكذلك دوابهم وأنعامهم ولم يسلم من أهل المدينة غيرى ومن يوم جرت هذه الحادثة وأنا على هذه الحالة فى صلاة وصيام وتلاوة قرآن وقد يئست من الوحدة وماعندى من يؤانسنى فعند ذلك قلت له أيها الشاب هل لك أن تروح معى إلى مدينة بغداد وتنظر إلى العلماء وإلى الفقهاء فتزداد علمًا وفقهًا وأكون أنا جاريتك مع أنى سيدة قومى وحاكمة على رجال وخدم وغلمان وعندى مركب مشحونة بالمتجر وقد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان ذلك سببًا فى اطلاعنا على هذه الأمور وكان النصيب فى اجتماعنا ولم أزل أرغبه فى التوجه حتى أجابنى إليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية ما زالت تحسن للشاب التوجه معها حتى غلب عليها النوم فنامت تلك الليلة تحت رجليه وهى لاتصدق بما هى فيه من الفرح فلما أصبح

الصباح قمنا ودخلنا إلى الخزائن وأخذنا ماخف حمله وغلا ثمنه ونزلنا من القلعة إلى المدينة فقابلنا العبيد والرئيس وهم يفتشون على فلما رأونى فرحوا بى وسألونى عن سبب غيابى فأخبرتهم بما رأيت وحكيت لهم قصة الشاب وسبب مسخ أهل هذه المدينة وماجرى لهم فعجبوا من ذلك فلما رأتنى أختاى ومعى ذلك الشاب حسدتنى عليه وصارتا فى غيظ وأضمرتا المكر ثم نزلنا المركب وأقمنا ننتظر الريح حتى طاب لنا الريح فنشرنا القلوع وسافرنا فقعدتا أختاى عندنا وصارتا تتحدثان فقالتا لى يا أختنا ما تصنعين بهذا الشاب الحسن فقلت لهما قصدى أن أتخذه بعلا ثم التفت إليه وقالت ياسيدى أنا قصدى أن أقول لك شيئًا فلا تخالفنى فيه فقال سمعا وطاعة ثم التفت إلى اختاى وقلت لهما يكفينى هذا الشاب وجميع هذه الأموال لكما فقالتا نعم مافعلت ولكنهما أضمرتا الشر فلما أخذنا النوم قامت أختاى وحملتانى أنا والغلام بفرشنا ورمتانا فى البحر فأما الشاب فإنه كان لايحسن العوم فغرق وكتبه الله من الشهد اء وأما أنا فكتبت من المسلمين فلما سقطت فى البحر رزقنى الله بقطعة خشب فركبتها وضربتنى الأمواج إلى أن رمتنى على ساحل جزيرة فلم أزل أمشى فى الجزيرة باقى ليلتى فلما أصبح الصباح وقد طلعت الشمس فنشفت ثيابى فيها وسرت فى الطريق ولم أزل سائرة إلى أن قربت من البر الذى فيه المدينة وإذا أنا بحية تقصدنى وخلفها ثعبان يريد هلاكها وقد تدلى لسانها من شدة التعب فأخذتنى الشفقة عليها فعمدت إلى حجر وألقيته على رأس الثعبان فمات من وقته فنشرت الحية جناحين وصارت فى الجو فتعجبت من ذلك وقد تعبت فنمت فى موضعى ساعة فلما أفقت وجدت تحت رجلى جارية وهى تكبس رجلى فجلست واستحييت منها وقلت لها من أنت وماشأنك فقالت ما أسرع ما نسيتينى أنت التى فعلت معى الجميل وقتلت عدوى فإنى الحية التى خلصتنى من الثعبان فإنى جنية وهذا الثعبان جنى وهو عدوى وما نجانى إلا أنت فلما نجيتينى منه طرت فى الريح وذهبت إلى المركب التى رماك منها أختاك ونقلت جميع مافيها إلى بيتك وأغرقتها وأما أختاك فإنى سحرتهما كلبتين من الكلاب السود فإنى عرفت جميع ماجرى لك معهما ثم إن الحية قالت لى وحق النقش الذى على خاتم سليمان إذا لم تضربى كل واحدة منهما فى كل يوم ثلثمائة سوط لآتين وأجعلنك مثلهما فقلت سمعا وطاعة فلم أزل يا أمير المؤمنين أضربهما ذلك الضرب وأشفق عليهما فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال



للصبية الثانية وأنت ماسبب الضرب الذى على جسدك فقالت يا أمير المؤمنين إنى كان لى والد فمات وخلف مالاً كثيراً فأقمت بعده مدة يسيرة وتزوجت برجل أسعد أهل زمانه فأقمت معه سنة كاملة ومات فورثت منه ثمانين ألف دينار فبينما أنا جالسة فى يوم من الأيام إذ دخلت على عجوز بوجه مسعوط وحاجب ممعوط وعيونها مفجرة وأسنانها مكسرة ومخاطها سائل وعنقها مائل كما قال الشاعر :

عجوز النحس إبليس يراها   تعلمه الخديعة من سكوت
تقود من السياسة ألف بغل   إذا انفردوا بخيط العنكبوت

فلما دخلت العجوز سلمت علىّ وقالت إن عندى بنتًا يتيمة والليلة عملت عرسها وأنا قصدى لك الأجر والثواب فاحضرى عرسها فإنها مكسورة الخاطر فقلت سمعا وطاعة فقالت جهزى نفسك فإنى وقت العشاء أجىء وآخذك ثم قبلت يدى وذهبت فقمت وهيأت نفسى وجهزت حالى وإذ بالعجوز قد أقبلت وقالت ياسيدتى إن سيدات البلد قد حضرن وأخبرتهن بحضورك ففرحن وهن فى انتظارك فقمت وتهيأت وأخذت جوارى معى وسرت حتى أتينا إلى زقاق وهب فيه النسيمْ وراق فرأينا بوابة مقنطرة بقبة من الرخام مشيدة البنيان وفى داخلها قصر قد قام من التراب وتعلق بالسحاب فلما وصلنا إلى الباب طرقته العجوز ففتح لنا ودخلنا فوجدنا دهليزًا مفروشًا بالبسط معلقًا فيه قناديل موقدة وشموع مضيئة وفيه الجواهر والمعادن معلقة فمضينا فى الدهليز إلى أن دخلنا القاعة فلم يوجد لها نظير مفروشة بالفراش الحرير معلقًا فيها القناديل الموقدة والشموع المضيئة وفى صدر القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وعليه ناموسية من الأطلس وإذا بصبية خرجت من الناموسية مثل القمر فقالت لى مرحبًا وأهلا وسهلا يا أختى آنستينى وجبرت خاطرى وأنشدت تقول :

لو تعلم الدار من قد زارها فرحت   واستبشرت ثم باست موضع القدم
وأعلنت بلسان الحال قائلة   أهلا وسهلاً بأهل الجود والكرم

ثم جلست وقالت يا أختى إن لى أخًا وقد رآك فى بعض الأفراح وهو شاب أحسن منى وقد أحبك قلبه حبًا شديدًا وأعطى هذه العجوز دراهم حتى أتتك وعملت الحيلة لأجل اجتماعه

بك ويريد أخى أن يتزوجك بسنة الله ورسوله وما فى الحلال عيب فلما سمعت كلامها ورأيت نفسى قد انحجزت فى الدار فقلت للصبية سمعا وطاعة ففرحت وصفقت بيديها وفتحت بابًا فخرج منه شاب مثل القمر كما قال الشاعر :

قـد زاد حسـنا تبـارك الله	جـل الـذى صاغه وسـواه
قد حاز كل الجمـال منفـردًا	كل الورى فى جماله تهواه
قد كتب الحسن فوق وجنته	أشهـد أن لامليح إلا هـو

فلما نظرته مال قلبى له ثم جاء وجلس وإذا بالقاضى قد دخل ومعه أربعة شهود فسلموا وجلسوا ثم إنهم كتبوا كتابى على ذلك الشاب وانصرفوا فالتفت الشاب إلىّ وقال ليلتنا مباركة ثم قال ياسيدتى إنى شارط عليك شرطًا فقلت ياسيدى وما الشرط فقام وأحضر لى مصحفًا وقال احلفى لى إنك لاتختارى أحدًا غيرى ولاتميلى إليه فحلفت له على ذلك ففرح فرحًا شديدًا وعانقنى فأخذت بمجامع قلبى وقدموا لنا السماط فأكلنا وشربنا حتى اكتفينا فدخل علينا الليل فأخذنى ونام معى على الفراش وبتنا فى عناق إلى الصباح ولم نزل على هذه الحالة مدة شهر ونحن فى هناء وسرور وبعد الشهر استأذنته فى أنى أسير إلى السوق وأشترى بعض القماش فأذن لى فى الرواح فلبست ثيابى وأخذت العجوز معى ونزلت فى السوق فجلست على دكان شاب تاجر تعرفه العجوز وقالت لى هذا ولد صغير مات أبوه وخلف له مالاً كثيرًا ثم قالت له هات أعز ما عندك من القماش لهذه الصبية فقال لها سمعا وطاعة فصارت العجوز تثنى عليه فقلت مالنا حاجة بثنائك عليه لأن مرادنا أن نأخذ حاجتنا منه ونعود إلى منزلنا فأخرج لنا ماطلبناه وأعطيناه الدراهم فأبى أن يأخذ شيئًا وقال هذه ضيافتكم اليوم عندى فقلت للعجوز إن لم يأخذ الدراهم اعطه قماشه فقال وإلا لآخذ شيئًا والجميع هدية من عندى فى قبلة واحدة فإنها عندى أحسن ما فى دكانى فقالت العجوز ما الذى يفيدك من القبلة ثم قالت يابنتى قد سمعت ماقال هذا الشاب ومايصيبك شىء إذا أخذ منك قبلة وتأخذين ماتطلبينه فقلت لها أما تعرفين أنى حالفة فقالت دعيه يقبلك وأنت ساكنة ولا عليك شىء وتأخذين هذه الدراهم ومازالت تحسن لى الأمر حتى أدخلت رأسى فى الجراب ورضيت بذلك ثم إنى غطيت عينى وداريت بطرف إزارى من الناس وحط فمه تحت

إزارى على خدى فما قبلنى حتى عضنى عضة قوية حتى قطع اللحم من خدى فغشى على ثم أخذتنى العجوز فى حضنها فلما أفقت وجدت الدكان مقفولة والعجوز تظهر لى الحزن وتقول مادفع الله كان أعظم ثم قالت لى قومى بنا إلى البيت واعملى نفسك ضعيفة وأنا أجىء إليك بدواء تداوين هذه العضة فتبرئين سريعًا فبعد ساعة قمت من مكانى وأنا فى غاية الفكر واشتد بى الخوف فمشيت حتى وصلت البيت وظهرت حالة المرض وإذا بزوجى داخل وقال ما الذى أصابك ياسيدتى فى هذا الخروج فقلت له ها أنا طيبة فنظر إلى وقال لى ماهذا الجرح الذى بخدك وهو فى المكان الناعم فقلت لما استأذنتك وخرجت فى هذا النهار لأشترى القماش فإنى ركبت حمارًا نفر بى فوقعت على الأرض فصادفنى عود فخدش خدى وجرحنى فقال غدا اطلع لجعفر البرمكى وأحكى له الحكاية فيقتل كل حمار فى هذه المدينة فقلت هل أنت تقتل الناس كلهم بسببى وهذا الذى جرى لى بقضاء الله وقدره فقال لابد من ذلك وشدد على ونهض قائمًا وصاح صيحة عظيمة فانفتح الباب وطلع منه سبعة عبيد فسحبونى من فرشى ورمونى فى وسط الدار ثم أمر عبدًا منهم أن يمسك أكتافى ويجلس على رأسى وأمر الثانى أن يجلس على ركبتى ويمسك رجلى وجاء الثالث وفى يده سيف فقال يا سيدى أضربها بالسيف فأقسمها نصفين وكل واحد يأخذ قطعة يرميها فى بحر الدجلة فيأكلها السمك وهذا جزاء من يخون الإيمان والمودة وأنشد هذا الشعر :

إذا كان لى فيمن أحب مشارك   منعت الهوى روحى ليتلفنى وجدى
وقلت لها يا نفسى موتى كريهة   فلا خير فى حب يكون مع الضد

ثم قال للعبد اضربها ياسعد فقلت ياعبد تمهل على قليلا حتى أتشهد وأوصى ثم رفعت رأسى ونظرت إلى حالى وكيف صرت فى الذل بعد العز فجرت عبرتى وبكيت وأنشدت هذه الأبيات :

أقمتم فؤادى فى الهوى وقعدتم   وأسهرتم جفنى القريح وغتم
ومنزلكم بين الفؤاد وناظرى   فلا القلب يسلوكم ولا الدمع يكتم
وعاهدتمونى أن تقيموا أعلى الوفا   فلما تملكتم فؤادى غدرتم

ولم ترحموا وجدى بكم وتلهفى   أأنتم صروف الحادثات أمنتم
سألتكم بالله إن مت فاكتبوا   على لوح قبرى إن هذا متيم
لعل شجيعاً عارفًا لوعة الهوى   يمر على قبر المحب فيرحم

فلما فرغت من شعرى بكيت فلما سمع الشعر ونظر إلى بكائى ازداد غيظًا على غيظه وأنشد هذين البيتين :

تركت حبيب القلب لاعن ملالة   ولكن جنى ذنبا يؤدى إلى الترك
إذا رأى شريكًا فى المحبة بيننا   وإيمان قلبى لا يميل إلى الشرك

فلما فرغ من شعره بكيت واستعطفته وإذا بالعجوز قد دخلت ورمت نفسها على أقدام الشاب وقبلتها وقالت ياولدى بحق تربيتى لك تعفو عن هذه الصبية فإنها مافعلت ذنبًا يوجب ذلك وأنت شاب صغير فأخاف عليك من دعائها ثم بكت العجوز ولم تزل تلح عليه حتى قال عفوت عنها ولكن لابد أن أعمل فيها أثرًا حتى يظهر عليها بقية عمرها ثم إنه أمر العبيد فجذبونى من ثيابى وأحضر قضيباً من سفرجل ونزل به على جسدى بالضرب ولم يزل يضربنى ذلك الشاب على ظهرى وجنبى حتى غبت عن الدنيا من شدة الضرب وقد يئست من حياتى ثم أمر العبيد أنه إذا دخل الليل يحملوننى ويأخذون العجوز معهم ويرموننى فى بيتى الذى كنت فيه سابقًا ففعلوا ما أمرهم به سيدهم ورمونى فى بيتى فتعاهدت نفسى وتداويت فلما شفيت بقيت أضلاعى كأنها مضروبة بالمقارع كما ترى فاستمريت فى مداواة نفسى أربعة أشهر حتى شفيت ثم جئت إلى الدار التى جرت لى فيها ذلك الأمر فوجدتها خربة ووجدت الزقاق مهدومًا من أوله إلى آخره ووجدت فى موضع الدار كيمانا ولم أعلم سبب ذلك فجئت إلى أختى هذه التى من أبى فوجدت عندها هاتين الكلبتين فسلمت عليها وأخبرتها بخبرى وبجميع ماجرى لى فقالت من ذا الذى من نكبات الزمان سلم الحمد الله الذى جعل الأمر سلامة وهذه حكايتنا فتعجب الخليفة من هذه الحكاية وجعلها تاريخا مثبتا فى خزانته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . .

***



الليلة (١٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة أمر أن تكتب هذه القصة فى الدواوين ويجعلوها فى خزانة الملك ثم إنه قال للصبية الأولى هل عندك خبر بالعفريتة التى سحرت أختيك فقالت يا أمير المؤمنين إنها أعطتنى شيئًا من شعرها وقالت إن أردت حضورى فاحرقى من هذا الشعر شيئًا فأحضر إليك ولو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة احضرى لى الشعر فأحضرته الصبية فأخذه الخليفة وأحرق منه شيئًا فلما فاحت رائحته اهتز القصر وسمعوا دويًا وصلصلة وإذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليك يا خليفة الله فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالت اعلم أن هذه الصبية زرعت معى جميلا ولا أقدر أن أكافئها عليه فهى أنقذتنى من الموت وقتلت عدوى ورأيت مافعله معها أختاها فما رأيت إلا أنى أنتقم منهما فسحرتهما كلبتين بعد أن أردت قتلهما فخشيت أن يصعب عليها وإن أردت خلاصهما يا أمير المؤمنين أخلصهما كرامة لك ولها فإنى من المسلمين فقال لها خلصيهما وبعد ذلك نشرع فى أمر الصبية المضروبة ونفحص عن حالها فإذا ظهر لى صدقها أخذت ثأرها ممن ظلمها فقالت العفريتة يا أمير المؤمنين أنا أدلك على من فعل بهذه الصبية هذا الفعل وظلمها وأخذ مالها وهو أقرب الناس إليك ثم إن العفريتة أخذت طاسة من الماء وعزمت عليها ورشت وجه الكلبتين وقالت لهما عودا إلى صورتكما الأولى البشرية فعادتا صبيتين سبحان خالقهما ثم قالت يا أمير المؤمنين إن الذى ضرب هذه الصبية ولدك الأمين فإنه كان يسمع بحسنها وجمالها وحكت له العفريتة جميع ماجرى للصبية فتعجب وقال الحمد الله على خلاص هاتين الكلبتين على يدى ثم إن الخليفة أحضر ولده الأمين بين يديه وسأله عن قصة الصبية الأولى فأخبره على وجه الحق فأحضر الخليفة القضاة والشهود والصعاليك الثلاثة وأحضر الصبية الأولى وأختيها اللتين كانتا مسحورتين فى صورة كلبتين وزوج الثلاثة للثلاثة الصعاليك الذين أخبروه أنهم كانوا ملوكًا وعملهم حجابًا عنده وأ عطاهم مايحتاجون إليه وأنزلهم فى قصر بغداد ورد الصبية المضروبة إلى ولده الأمين وأعطاها مالاً كثيراً وأمر أن تبنى الدار أحسن ما كانت ثم إن الخليفة

تزوج بالدلالة ورقد فى تلك الليلة معها فلما أصبح أفرد لها بيتًا وجوارى يخدمنها ورتب لها راتبًا وشيد لها قصرثم قال لجعفر ليلة من الليالى أنى أريد أن ننزل فى هذه الليلة إلى المدينة ونسأل عن أحوال الحكام والمتولين وكل من شكا منه أحد عزلناه فقال جعفر سمعا وطاعة فلما نزل الخليفة وجعفر ومسرور وساروا فى المدينة ومشوا فى الأسواق مروا بزقاق فرأوا شيخًا كبيرًا على رأسه شبكة وقفة وفى يده عصا وهو ماش على مهله ثم إن الخليفة تقدم إليه وقال له ياشيخ ماحرفتك قال ياسيدى صياد وعندى عائلة وخرجت من بيتى من نصف النهار إلى هذا الوقت ولم يقسم الله لى شيئًا أقوت به عيالى وقد كرهت نفسى وتمنيت الموت فقال الخليفة هل لك أن ترجع معنا إلى البحر وتقف على شاطئ الدجلة وترمى شبكتك على بختى وكل ما طلع أشتريه منك بمائة دينار ففرح الرجل لما سمع هذا الكلام وقال على رأسى أأجع معكم ثم إن الصياد رجع إلى البحر ورمى شبكته وصبر عليها ثم إنه جذب الخيط وجر الشبكة إليه فطلع فى الشبكة صندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة فوجده ثقيلا فأعطى الصياد مائة دينار وانصرف وحمل الصندوق مسرور هو وجعفر وطلعا به مع الخليفة إلى القصر وأوقدوا الشموع والصندوق بين يدى الخليفة فتقدم جعفر ومسرور وكسرا الصندوق فوجدوا فيه قفة خوص مخيطة بصوف أحمر فقطعوا الخياطة فرأوا فيها قطعة بساط فرفعوها فوجدوا تحتها إزارا فرفعوا الإزار فوجدوا تحته صبية كأنها سبيكة مقتولة ومقطوعة فلما نظرها الخليفة جرت دموعه على خده والتفت إلى جعفر وقال ياكلب الوزراء أتقتل القتلى فى زمنى ويرمون فى البحر ويصيرون متعلقين بذمتى والله لابد أن أقتص لهذه الصبية ممن قتلها وأقتله وقال لجعفر وحق اتصال نسبى بالخلفاء من بنى العباس إن لم تأتنى بالذى قتل هذه لأنصفها منه لأصلبنك على باب قصرى أنت وأربعين من بنى عمك واغتاظ الخليفة فقال جعفر أمهلنى ثلاثة أيام قال أمهلتك ثم خرج جعفر من بين يديه ومشى فى المدينة وهو حزين وقال فى نفسه من أين أعرف من قتل هذه الصبية حتى أحضره للخليفة وإن أحضرت له غيره يصير معلقًا بذمتى ولا أدرى ما أصنع ثم إن جعفر جلس فى بيته ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أرسل إليه الخليفة يطلبه فلما تمثل بين يديه قال له أين قاتل الصبية قال جعفر يا أمير المؤمنين هل أنا أعلم الغيب حتى أعرف قاتلها



فاغتاظ الخليفة وأمر بصلبه على باب القصر وأمر مناديًا ينادى فى شوارع بغداد من أراد الفرجة على صلب جعفر البرمكى وزير الخليفة وصلب أولاد عمه على باب قصر الخليفة فليخرج ليتفرج فخرجت الناس من جميع الحارات ليتفرجوا على صلب جعفر وصلب أولاد عمه ولم يعلموا سبب ذلك ثم أمر بنصب الخشب فنصبوه وأوقفوهم تحته لأجل الصلب وصاروا ينتظرون الإذن من الخليفة وصار الخلق يتباكون على جعفر وأولاد عمه فبينما هم كذلك وإذا بشاب حسن نقى الأثواب يمشى بين الناس مسرعًا إلى أن وقف بين يدى الوزير وقال له سلامتك من هذه الوقفة ياسيد الأمراء وكهف الفقراء أنا الذى قتلت القتيلة التى وجدتموها فى الصندوق فاقتلنى فيها واقتص لها منى فبينما هم فى الكلام وإذا بشيخ كبير يفسح الناس ويمشى بينهم بسرعة إلى أن وصل إلى جعفر والشاب فسلم عليهما ثم قال أيها الوزير لا تصدق كلام هذا الشاب فإنه ماقتل هذه الصبية إلا أنا فاقتص لها منى فقال الشاب إن هذا شيخ كبير خرفان لايدرى مايقول وأنا الذى قتلتها فاقتص لها منى فلما نظر إلى ذلك الأمر تعجب منه وأخذ الشاب والشيخ وطلع بهما عند الخليفة وقال ياأمير المؤمنين قد حضر قاتل الصبية فقال الخليفة أين هو؟ فقال إن هذا الشاب يقول أنا القاتل وهذا الشيخ يكذبه ويقول لا بل أنا القاتل فنظر الخليفة إلى الشيخ والشاب وقال من منكما قتل هذه الصبية فقال الشاب ما قتلها إلا أنا وقال الشيخ ماقتلها إلا أنا فقال الخليفة لجعفر خذ الاثنين واصلبهما فقال جعفر إذا كان القاتل واحدًا فقتل الثانى ظلم فقال الشاب وحق من رفع السماء وبسط الأرض أنا الذى قتلت الصبية وهذه أمارة قتلها ووصف ما وجده الخليفة فتحقق عند الخليفة أن الشاب هو الذى قتل الصبية فتعجب الخليفة وقال ماسبب قتلك هذه الصبية بغير حق وماسبب اقرارك بالقتل من غير ضرب وقولك اقتصوا لها منى فقال الشاب اعلم يا أمير المؤمنين أن هذه الصبية زوجتى وبنت عمى وهذا الشيخ أبوها وهو عمى وتزوجت بها وهى بكر فرزقنى الله منها ثلاثة أولاد ذكور وكانت تحبنى وتخدمنى ولم أر عليها شيئًا فلما كان أول هذا الشهر مرضت مرضًا شديدًا فأحضرت لها الأطباء حتى حصلت لها العافية فأردت أن أدخلها الحمام فقالت إنى أريد شيئًا قبل دخول الحمام فقلت لها وماهو فقالت إنى أشتهى تفاحة أشمها وأعض منها عضة فخرجت

من بيتى ودرت على البساتين واحدًا واحدًا فلم أجده فيها فصادفنى خولى كبير فسألته عن التفاح فقال ياولدى هذا شىء قل أن يوجد لأنه معدوم ولا يوجد إلا فى بستان أمير المؤمنين الذى فى البصرة وهو عند الخولى يدخره للخليفة فجئت إلى زوجتى وقد حملتنى محبتى إياها على أن هيأت نفسى وسافرت ١٥ يومًا ليلا ونهارًا فى الذهاب والإياب وجئت لها بثلاث تفاحات اشتريتها من خولى البصرة بثلاثة دنانير ؛ ثم إنى دخلت وناولتها إياها فلم تفرح بها بل تركتها فى جانبها وكان مرض الحمى قد اشتد بها ولم تزل فى ضعفها إلى أن مضى لها عشرة أيام وبعد ذلك عوفيت فخرجت من البيت وذهبت إلى دكانى وجلست فى بيعى وشرائى فبينما أنا جالس فى وسط النهار وإذا بعبد أسود مر على وفى يده تفاحة يلعب بها فقلت له من أين أخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها فضحك وقال أخذتها من حبيبتى وأنا كنت غائبًا وجئت فوجدتها ضعيفة وعندها ثلاث تفاحات فقالت إن زوجى الديوث سافر من شأنها إلى البصرة فاشتراها بثلاثة دنانير فأخذت منها هذه التفاحة فلما سمعت كلام العبد يا أمير المؤمنين اسودت الدنيا فى وجهى وقفلت دكانى وجئت إلى البيت وأنا فاقد العقل من شدة الغيظ فلم أجد التفاحة الثالثة فقلت لها أين الثالثة فقالت لا أدرى ولا أعرف أين ذهبت فتحققت قول العبد وقمت أخذت سكينًا وركبت على صدرها ونحرتها بالسكين وقطعت رأسها وأعضاءها وحطيتها فى القفة بسرعة وغطيتها بالإزار وحطيت عليها شقة بساط وأنزلتها فى الصندوق وقفلته وحملتها على بغلتى ورميتها فى الدجلة بيدى فبالله عليك ياأمير المؤمنين أن تعجل بقتلى قصاصًا لها فإنى خائف من مطالبتها يوم القيامة فإنى لما رميتها فى بحر الدجلة ولم يعلم بها أحد رجعت إلى البيت فوجدت ولدى الكبير يبكى ولم يكن له علم بما فعلت فى أمه فقلت له ما يبكيك فقال إنى أخذت تفاحة من التفاح الذى عند أمى ونزلت بها إلى الزقاق ألعب مع إخوانى وإذا بعبد أسود طويل خطفها منى وقال من أين جاءتك هذه فقلت له هذه سافر أبى وجاء بها من البصرة من أجل أمى وهى ضعيفة واشترى ثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فأخذها منى وضربنى وراح بها فخفت من أمى أن تضربنى من شأن التفاحة فلما سمعت كلام الولد علمت أن العبد هو الذى افترى الكلام الكذب على بنت عمى وتحققت



أنها قتلت ظلمًا فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب وقال والله لا أقتل إلا العبد الخبيث .
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٢٠)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة أقسم أنه لا يقتل إلا العبد لأن الشاب معذور ثم إن الخليفة التفت إلى جعفر وقال له أحضر لى هذا العبد الخبيث الذى كان سببًا فى هذه القضية وإن لم تحضره فأنت تقتل عوضًا عنه فنزل يبكى ويقول من أين أحضره ولا كل مرة تسلم الجرة وليس فى هذا الأمر حيلة والذى سلمنى فى الأول يسلمنى فى الثانى والله مابقيت أخرج من بيتى ثلاثة أيام والحق سبحانه يفعل مايشاء ثم أقام فى بيته ثلاثة أيام وفى الرابع أحضر القاضى وأوصى وودع أولاده وبكى وإذا برسول الخليفة أتى إليه وقال له إن أمير المؤمنين فى أشد مايكون من الغضب وأرسلنى إليك وحلف أنه لايمر هذا النهار إلا وأنت مقتول إن لم تحضر له العبد فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى وبكت أولاده فلما فرغ من التوديع تقدم إلى بنته الصغيرة ليودعها وكان يحبها أكثر من أولاده جميعًا فضمها إلى صدره وبكى على فراقها فوجد فى جيبها شيئًا مكببًا فقال لها ما الذى فى جيبك فقالت له يا أبت تفاحة جاء بها عبدنا ريحان ولها معى أربعة أيام وما أعطاها لى حتى أخذ منى دينارين فلما سمع جعفر بذكر العبد والتفاحة فرح وقال يا قريب الفرج ثم إنه أمر بإحضار العبد فحضر فقال له من أين هذه التفاحة فقال ياسيدى من مدة خمسة أيام كنت ماشيًا فدخلت فى بعض أزقة المدينة فنظرت صغارًا يلعبون ومع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه وضربته فبكى وقال هذه لأمى وهى مريضة واشتهت على أبى تفاحًا فسافر إلى البصرة وجاء لها بثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فأخذت هذه ألعب بها ثم بكى فلم ألتفت إليه وأخذتها وجئت بها إلى هنا فأخذتها سيدتى الصغيرة بدينارين فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون الفتنة وقتل الصبية من عبده وأمر بسجن العبد وفرح بخلاص نفسه وأنشد هذين البيتين :

ومــن كانت ذريتـه بعبد   فمــا للنفس تجعله فـداها
فإنك واجد خدمًا كثيرًا   ونفسك لم تجد نفسًا سواها

ثم إنه قبض على العبد وطلع به إلى الخليفة فأمر أن تؤرخ هذه الحكاية وتجعل سيرًا بين الناس فقال له جعفر لاتعجب يا أمير المؤمنين من هذه القصة فما هى بأعجب من حديث الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه فقال الخليفة وأى حكاية أعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يأمير المؤمنين لا أحدثك إلا بشرط أن تعتق عبدى من القتل فقال قد وهبت لك دمه .

(حكاية الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه)

فقال جعفر : اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان فى مصر سلطان صاحب عدل وإحسان له وزير عاقل خبيرله علم بالأمور والتدبير وكان شيخًا كبيرًا وله ولدان كأنهما قمران وكان اسم الكبير شمس الدين واسم الصغير نور الدين وكان الصغير أميز من الكبير فى الحسن والجمال وليس فى زمانه أحسن منه حتى إنه شاع ذكره فى البلاد فكان بعض أهلها يسافر من بلاده إلى بلده لأجل رؤية جماله فاتفق أن والده مات فحزن عليه السلطان وأقبل على الولدين وقربهما وخلع عليهما وقال لهما أنتما فى مرتبة أبيكما ففرحا وقبلا الأرض بين يديه وعملا العزاء لأبيهما شهرًا كاملاً ودخلا فى الوزارة وكل منهما يتولاها جمعة وإذا أراد السلطان السفر يسافر مع واحد منهما فاتفق فى ليلة من الليالى أن السلطان كان عازمًا على السفر فى الصباح وكانت النوبة للكبير فبينما الأخوان يتحدثان فى تلك الليلة إذ قال الكبير يا أخى قصدى أن أتزوج أنا وأنت فى ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا أخى ماتريد فإنى موافقك على ماتقول واتفقا على ذلك ثم إن الكبير قال لأخيه إن قدر الله وخطبنا ابنتين ودخلنا فى ليلة واحدة ووضعنا فى يوم واحد وأراد الله وجاءت زوجتك بغلام وجاءت زوجتى ببنت نزوجهما لبعضهما لأنهما أولاد عم فقال نور الدين يا أخى ما تأخذ من ولدى فى مهر بنتك قال آخذ من ولدك مهر بنتى ثلاثة آلاف دينار وثلاثة بساتين وثلاث ضياع فإن عقد الشاب عقده بغير هذا لايصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا المهر الذى شرطته على ولدى أما تعلم أننا أخوان ونحن الاثنان وزيران فى مقام واحد وكان الواجب عليك أن تقدم ابنتك لولدى هدية من غير مهر فإنك تعلم أن الذكر أفضل من الأنثى وولدى ذكر ونذكر به خلاف ابنتك فقال وما لها قال لا نذكر بها



بين الأمراء ولكن أنت تريد أن تفعل معى على رأى الذى قال إن أردت تطرده فأجعل الثمن غاليًا وقيل إن بعض الناس قدم على بعض أصحابه فقصده فى حاجة فغلى عليه الثمن فقال له شمس الدين أراك قد قصرت لأنك تعامل ابنك أفضل من بنتى ولاشك أنك ناقص عقل وليس لك أخلاق حيث تذكر شركة الوزارة وأنا ما أدخلتك معى فى الوزارة إلاشفقة عليك ولأجل أن تساعدنى وتكون لى معينًا ولكن قل ما شئت فلما سمع نور الدين من أخيه ذلك الكلام امتلأ غيظًا وغاب عن الدنيا وكتم مابه وبات كل واحد فى ناحية فلما أصبح الصباح برز السلطان للسفر وعدى إلى الجزيرة وقصد الأهرام وصحبته الوزير شمس الدين وأما أخوه نور الدين فبات فى تلك الليلة أشد مايكون من الغيظ فلما أصبح الصباح قام وصلى الصبح وعمد إلى خزانته وأخذ منها خرجًا صغيراً وملأه ذهبا وتذكر قول أخيه واحتقاره إياه وافتخاره فأنشد هذه الأبيات :

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه وانصب فإن لذيذ العيش فى النصب

ما فى المقام لذى لب وذى أدب معزة فاترك الأوطان واغترب

إنى رأيت وقوف الماء يفسده فإن جرى طاب أو لم يجر لم يطب

والبدر لولا أفول منه ما نظرت إليه فى كل حين عين مرتقب

والأسد لولا فراق الغاب ماقنصت والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والتبر كالترب ملقى فى أماكنه والعود فى أرضه نوع من الحطب

فإن تغرب هذا عز مطلبه وإن أقام فلا يعلوا إلى رتب

فلما فرغ من شعره أمر بعض غلمانه أن يشد له بغلة زرزورية غالية سريعة المشى فشدها ثم قال للغلمان والعبيد قصدى أن أتفرج خارج المدينة وأروح نواحى القليوبية وأبيت ثلاث ليال فلا يتبعنى منكم أحد فإن عندى ضيق صدر ثم أسرع وركب البغلة وأخذ معه شيئًا قليلا من الزاد وخرج من مصر واستقبل البر فما جاء عليه الظهر حتى دخل مدينة بلبيس فنزل عن بغلته واستراح وأراح البغلة وأكل شيئًا وأخذ من بلبيس مايحتاج إليه ومايعلق به على بغلته فما جاء عليه الظهر بعد يومين حتى دخل مدينة القدس فنزل عن بغلته واستراح وأراح البغلة وأخرج

شيئاً أكله ثم حط الخرج تحت رأسه وفرش البساط ونام فى مكان والغيظ غالب عليه ثم إنه بات فى ذلك المكان فلما أصبح الصباح خرج مسافراً ولايدرى أين يذهب ولم يزل سائرًا إلى أن وصل إلى مدينة البصرة ليلا ولم يشعر بذلك حتى نزل فى الخان وأنزل الخرج عن البغلة وفرش السجادة وأودع البغلة بعدتها عند البواب وأمره أن يسيرها فأخذها وسيرها فاتفق أن وزير البصرة جالس فى شباك قصره فنظر إلى البغلة ونظر ما عليها من العدة المثمنة فظنها بغلة وزير من الوزراء أو ملك من الملوك فتأمل فى ذلك وحار عقله وقال لبعض غلمانه ائتنى بهذا البواب فذهب الغلام إلى البواب وأتى به إلى الوزير فتقدم البواب وقبل الأرض بين يديه وكان الوزير شيخًا كبيراً فقال للبواب من صاحب هذه البغلة وما صفاته فقال البواب ياسيدى إن صاحب هذه البغلة شاب ظريف الشمائل من أولاد التجار عليه هيبة ووقار فلما سمع الوزير كلام البواب قام على قدميه وركب وسار إلى الخان ودخل على الشاب فلما رأى نور الدين الوزير قادمًا عليه قام على قدميه ولاقاه واحتضنه ونزل الوزير من فوق جواده وسلم عليه فرحب به وأجلسه عنده وقال له ياولدى من أين أقبلت وماذا تريد؟ فقال نور الدين يامولاى إنى قدمت من مدينة مصر وكان أبى وزيراً فيها وقد انتقل إلى رحمة الله وأخبره بماجرى من المبتدأ إلى المنتهى ثم قال وقد عزمت على نفسى أن لا أعود أبداً حتى أنظر جميع المدن والبلدان فلما سمع الوزير كلامه قال له ياولدى لاتطاوع النفس فترميك فى الهلاك فإن البلدان خراب وأنا أخاف عليك من عواقب الزمان ثم إنه أمر بوضع الخرج عن البغلة والبساط والسجاد وأخذ نور الدين معه إلى بيته وأنزله فى مكان ظريف وأكرمه وأحسن إليه وأحبه حبًا شديداً وقال له ياولدى أنا بقيت رجلا كبيرا ولم يكن لى ولداً ذكر وقد رزقنى الله بنتاً تقاربك فى الحسن ومنعت عنها خطابًا كثيرة وقد وقع حبك فى قلبى فهل لك أن تأخذ ابنتى جارية لخدمتك وتكون لها بعلا فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة أطرق برأسه ثم قال سمعًا وطاعة ففرح الوزير بذلك وأمر غلمانه أن يصنعوا له طعامًا وأن يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة المعدة لحضور أكابر الأمراء ثم جمع أصحابه ودعا أكابر الدولة وتجار البصرة فحضروا بين يديه وقال لهم إن له أخًا وزيراً بالديار المصرية ورزقه الله ولدين



وأنا كما تعلمون رزقنى الله بنتًا وكان أخى أوصانى أن أزوج بنتى لأحد أولاده فأجبته إلى ذلك فلما استحقت الزواج أرسل إلى أحد أولاده وهو هذا الشاب الحاضر فلما جاءنى أحببت أن أكتب كتابه على بنتى ويدخل بها عندى فقالوا نعم مافعلت ثم شربوا السكر ورشوا ماء الورد وانصرفوا وأما الوزير فإنه أمر غلمانه أن يأخذوا نور الدين ويدخلوا به الحمام وأعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه وأرسل إليه الفوط والطاسات ومجامر البخور وما يحتاج إليه فلما خرج من الحمام لبس البدلة فصار كالبدر ليلة تمامه وركب ولم يزل سائرًا حتى وصل إلى قصر الوزير فنزل عن البغلة ودخل على الوزير فقبل يده ورحب به الوزير . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير قام له ورحب وقال له قم ادخل هذه الليلة على زوجتك وفى غد أطلع بك إلى السلطان وأرجو لك من الله كل خير فقام نور الدين ودخل على زوجته بنت الوزير هذا ماكان أمر نور الدين (وأما) ماكان من أمر أخيه فإنه غاب مع السلطان مدة فى السفر ثم رجع فلما يجد أخاه فسأل عنه الخدم فقالوا له من يوم سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب وقال أنا متوجه إلى جهة القليوبية ومن يوم خروجه إلى هذا اليوم لم نسمع له خبرًا فتشوش خاطر شمس الدين على فراق أخيه واغتم غما شديدًا لفقده ثم طلع وأعلم السلطان بذلك فكتب بطاقات وأرسل بها إلى نوابه فى جميع البلاد ونور الدين قطع بلادا بعيدة فى مدة غياب أخيه مع السلطان فذهبت الرسل بالمكاتيب ثم عادوا ولم يقفوا له على خبر ويئس شمس الدين من أخيه وقال لقد أغظت أخى بكلامى من جهة زواج الأولاد فليت ذلك لم يكن وماحصل ذلك إلا من قلة عقلى وعدم تدبيرى ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه عليها ودخل بها وقد اتفق أن ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت ليلة دخول نور الدين على زوجته بنت وزير البصرة وذلك بإرادة الله تعالى

حتى ينفذ حكمه فى خلقه ، وكان الأمر كما قالاه فاتفق أن الزوجتين حملتا منهما وقد وضعت زوجة شمس الدين وزير مصر بنتا لا يرى فى مصر أحسن منها ووضعت زوجة نور الدين ولدًا ذكرًا لايرى فى زمانه أحسن منه كما قال الشاعر :

ومهفهف يغنى النديم بريقه عن كأسه الملأى وعن إبريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها من مقلتيه ووجنته وريقه

فسموه حسنًا وفى سابع ولادته صنعوا الولائم وعملوا سمطة تصلح لأولاد الملوك ثم إن وزير البصرة أخذ معه نور الدين وطلع به إلى السلطان فلما صار قدامه قبل الأرض بين يديه وكان نور الدين فصيح اللسان ثابت الجنان صاحب حسن وإحسان فأنشد قول الشاعر :

هذا الذى عم الأنام بعدله وسطا فمهد سائر الآفاق
أشكر صنائعه فلسن صنائعا لكنهن قلائد الأعناق
وأنتم أنامله فلسن أناملا لكنهن مفاتح الأرزاق

فألزمهما السلطان وشكر نور الدين على ماقال وقال لوزيره من هذا الشاب فحكى له الوزير قصته من أولها وقال له هذا ابن أخى فقال وكيف يكون ابن أخيك ولم نسمع به فقال يامولانا السلطان أنه كان لى أخ وزير بالديار المصرية وقد مات وخلف ولدين فالكبير جلس فى مرتبة والده وزيرًا وهذا ولده الصغير جاء عندى وحلفت أنى لا أزوج ابنتى إلا له فلما جاء زوجته بها وهو شاب وأنا صرت شيخًا كبيرًا وقل سمعى وعجز تدبيرى والقصد من مولانا السلطان أن يجعله فى مرتبتى فإنه ابن أخى وزوج ابنتى وهو أهل للوزارة لأنه صاحب رأى وتدبير فنظر السلطان فأعجبه واستحسن رأى الوزير بما أشار عليه من تقديمه فى رتبة الوزراء فأنعم عليه بها وأمر له بخلعة عظيمة وزاد له الجوامك والجرايات إلى أن اتسع عليه الحال وسار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر وغيرها وعمر أملاكًا كثيرة ودواليب وبساتين إلى أن بلغ عمر ولده حسن أربع سنين فتوفى الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فأخرجه خرجة عظيمة وواراه فى التراب ثم اشتغل بعد ذلك بتربية ولده فلما بلغ أشده أحضر له فقيها يقرئه فى بيته وأوصاه بتعليمه



وحسن تربيته فأقرأه وعلمه فوائد فى العلم بعد أن حفظ القرآن فى مدة سنوات ومازال حسن يزداد جمالا وحسنًا واعتدالا كما قال الشاعر :

قمر تكامل فى المحاسن وانتهى   فالشمس تشرق من شقاق خده
ملك الجمال بأسره فكأنما   حسن البرية كلها من عنده

وقد رباه الفقيه فى قصر أبيه ومن حين نشأته لم يخرج من قصر الوزارة إلى أن أخذه والده نور الدين يومًا من الأيام وألبسه بدلة من أفخر ملبوسه وأركبه بغلة من خيار بغاله وطلع به إلى السلطان ودخل به عليه فنظر الملك حسن بدر الدين بن الوزير نور الدين فانبهر من حسنه وقال لأبيه لابد أن تحضره معك فى كل يوم فقال سمعا وطاعة ثم عاد الوزير بولده إلى منزله ومازال يطلع به إلى حضرة السلطان فى كل يوم إلى أن بلغ الولد من العمر خمسة عشر عامًا ثم ضعف والده والوزير نور الدين فأحضره وقال له ياولدى اسمع قولى فإن لى أخا يسمى شمس الدين وهو عمك ولكنه وزير بمصر قد فارقته وخرجت على غير رضاه والقصد أنك تأخذ درجًا من الورق وتكتب ما أمليه عليك فأحضر قرطاسًا وصار يكتب فيه كل ماقاله أبوه فأملى عليه جميع ما جرى من أوله إلى آخره وكتب له تاريخ زواجه ودخوله على بنت الوزير وتاريخ وصوله إلى البصرة واجتماعه بوزيرها وكتب وصية موثقة ثم قال لولده احفظ هذه الوصية فإن ورقتها فيها أصلك وحسبك فأخذ حسن بدر الدين الرقعة وطواها ولف عليها خرقة مشمعة وخاطها بين البطانة والظهارة وصار يبكى على أبيه من أجل فراقه وهو صغير ومازال نور الدين يوصى ولده حسن بدر الدين حتى طلعت روحه فأقام الحزن فى بيته وحزن عليه السلطان وجميع الأمراء ودفنوه ولم يزالوا فى حزن مدة شهرين وولده لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان وأقام مكانه بعض الحجاب وولى السلطان وزيرًا جديدًا مكانه وأمره أن يختم على أماكن نور الدين وعلى عماراته وعلى أملاكه فنزل الوزير الجديد وأخذ الحجاب وتوجهوا إلى بيت الوزير نور الدين يختمون عليه ويقبضون على ولده حسن بدر الدين ويطلعون به إلى السلطان ليعمل فيه مايقتضى رأيه وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير نور الدين المتوفى فلم يهن عليه ولد

سيده فذهب ذلك المملوك إلى حسن بدر الدين فوجده منكس الرأس حزين القلب على فراق والده فأعلمه بما جرى فقال له هل فى الأمر مهلة حتى أدخل فآخذ معى شيئًا من الدنيا لأستعين به على الغربة فقال له المملوك أنج بنفسك فلما سمع كلام المملوك خرج إلى غير مقصد ولم يعلم أين يذهب فلم يزل سائرًا إلى أن ساقته المقادير إلى تربة والده فدخل المقبرة فبينما هو جالس عند تربة أبيه إذ قدم عليه يهودى من البصرة وقال ياسيدى مالى أراك متغيرًا فقال له إنى كنت نائمًا فى هذه الساعة فرأيت أبى يعاتبنى على عدم زيارتى فى قبره فقمت وأنا مرعوب وخفت أن يفوت النهار ولم أزره فيصعب على الأمر فقال له اليهودى ياسيدى إن أباك كان أرسل مراكب تجارة وقدم منها البعض ومرادى أن أشترى منك وثق كل مركب قدمت بألف دينار ثم أخرج اليهودى كيسا ممتلئًا من الذهب وعد منه ألف دينار ودفعه إلى حسن بن الوزير ثم قال اليهودى اكتب لى ورقة واختمها فأخذ حسن بن الوزير ورقة وكتب فيها كاتب هذه الورقة حسن بدر الدين بن الوزير نور الدين قد باع لليهودى فلان جميع وثق كل مركب وردت من مراكب أبيه المسافرين بألف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فأخذ اليهودى الورقة وصار حسن يبكى ويتذكر ما كان فيه من العز والإقبال ثم دخل عليه الليل وأدركه النوم فنام عند قبر أبيه ولم يزل نائمًا حتى طلع القمر فتدحرجت رأسه عن القبر ونام على ظهره وصار وجهه يلمع فى القمر وكانت المقابر عامرة بالجن المؤمنين فخرجت جنية فنظرت وجه حسن وهو نائم فلما رأته تعجبت من حسنه وجماله وقالت سبحان الله ماهذا الشاب إلا كأنه من الحور العين ثم طارت إلى الجو تطوف على عاداتها فرأت عفريتًا طائرًا فسلمت عليه وسلم عليها فقالت له من أين أقبلت قال من مصر فقالت له هل لك أن تروح معى حتى تنظر إلى حسن هذا الشاب النائم فى المقبرة فقال لها نعم فسارا حتى نزلا فى المقبرة فقالت له هل رأيت فى عمرك مثل هذا فنظر العفريت إليه وقال سبحان من لاشبيه له ولكن يا أختى إن أردت حدثتك بما رأيت فقالت له حدثنى فقال لها إنى رأيت مثل هذا الشاب فى إقليم مصر وهى بنت الوزير وقد علم بها الملك فخطبها من أبيها الوزير شمس الدين فقال له يامولانا السلطان أقبل عذرى وارحم عبرتى فإنك تعرف أن أخى نور الدين خرج من عندنا ولانعلم أين هو وكان

شريكى فى الوزارة وسبب خروجه أنى جلست أتحدث معه فى شأن الزواج فغضب منى وخرج مغضباً وحكى للملك جميع ماجرى بينهما وأنا حالف أن لا أزوج ابنتى إلا لابن أخى من يوم ولدتها أمها وذلك نحو ثمان عشرة سنة ومن مدة قريبة سمعت أن أخى تزوج بنت وزير البصرة وجاء منها بولد وأنا لا أزوج بنتى إلا له فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضباً شديداً وقال وحياة رأسى لا أزوجها إلا لأقل منى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجنى لما حكى للجنية حكاية بنت وزير مصر وأن الملك قد أقسم أن يزوجها بأقل منه وكان عند الملك سائس أحدب بحدبة من قدام وحدبة من وراء ومارأيت يا أختى أقبح من هذا الأحدب ، وأما الصبية فهى أحسن من هذا الشاب قالت له الجنية تكذب فإن هذا الشاب أحسن أهل زمانه فرد عليها العفريت فقال والله يا أختى إن الصبية أحسن من هذا فقالت له يا أخى دعنا ندخل تحته ونحمله ونروح به إلى الصبية التى تقول عليها وننظر أيهما أحسن ثم إنه حمله وطار به إلى أن نزل فى مدينة مصر وحطه على مصطبة ونبهه فاستيقظ فلم يجد نفسه على قبر أبيه فى أرض البصرة فأراد أن يصيح فغمزه العفريت وأوقد له شمعة وقال له اعلم أنى قد جئت بك وأنا أريد أن أعمل معك شيئاً لله فخذ هذه الشمعة وامش بها إلى ذلك الحمام واختلط بالناس ولا تزل ماشياً معهم حتى تصل إلى قاعة العروسة فاسبق وادخل القاعة ولاتخشى أحداً وإذا دخلت فقف على يمين العريس الأحدب وكل ماجاءك المواشط والمغنيات والمنقشات فحط يدك فى جيبك تجده ممتلئاً ذهباً فاعط كل من جاءك بالحفنة ولاتخشى من شىء وتوكل على الذى خلقك فما هذا بحولك وقوتك بل بحول الله وقوته ثم مشى وأوقد الشمعة وتوجه إلى الحمام فوجد الأحدب راكباً الفرس فدخل حسن بدر الدين بين الناس وهو على تلك الحالة مع الصورة الحسنة وكان عليه الطربوش والعمامة والفرجية المنسوجة بالذهب ومازال ماشياً فى الزينة وكلما وقفت المغنيات والناس

ينقطوهن يضع يده فى جيبه فيلقاه ممتلئًا بالذهب فيكبش ويرمى فى الطار للمغنيات والمواشط فيملأ الطار دنانير فاندهشت عقول المغنيات وتعجب الناس من حسنه وجماله ولم يزل على هذا الحال حتى وصلوا إلى بيت الوزير فردت الحجاب الناس ومنعوهم فقالت المغنيات والمواشط والله لاندخل إلا إن دخل هذا الشاب معنا لأنه غمرنا بإحسانه ولانجلى العروسة إلا وهو حاضر فدخلوا به إلى قاعة الفرح وأجلسوه برغم أنف العريس الأحدب واصطفت جميع نساء الأمراء والوزراء والحجاب صفين وكل امرأة معها شمعة كبيرة موقدة وكلهن ملثمات وصرن صفوفًا يمينًا وشمالاً من تحت المنصة إلى صدر الديوان الذى عند المجلس الذى تخرج منه العروسة فلما نظر النساء حسن بدر الدين وماهو فيه من الحسن والجمال ووجهه يضىء كأنه هلال مالت النساء إليه فقالت المغنيات للنساء الحاضرات اعلموا أن هذا المليح ما تقطنا إلا بالذهب الأحمر فلا تقصرن فى خدمته وأطعنه فيمايقول فازدحمن النساء عليه بالشمع ونظرن إلى جماله فانبهرت عقولهن من حسنه وصارت كل واحدة منهن تود أن تكون فى حصنه سنة أو شهرًا أو ساعة ورفعن ما كان على وجوههن من النقاب وتحيرت منهن الألباب وقلن هنيئًا لمن كان هذا الشاب له أوعليه ثم دعون على ذلك السائس الأحدب ومن كان سببًا فى زواجه هذه المليحة وكما دعون لحسن بدر الدين دعون على ذلك الأحدب ثم إن المغنيات ضربنا بالدفوف وأقبلت المواشط وبنت الوزير بينهن وقد طيبنها وعطرنها وألبسنها وصارت العروسة كأنها البدر إذا قمر فى ليلة أربعة عشرة ولما أقبلت كانت كأنها حورية فسبحان من خلقها بهية وأحدق بها النساء فصرن كالنجوم وهى بينهن كالقمر إذا انجلى عنه الغيم وكان حسن بدر الدين البصرى جالسًا والناس ينظرون إليه فحضرت العروسة وأقبلت وتمايلت فقام إليها السائس الأحدب ليقبلها فأعرضت عنه وانقلبت حتى صارت قدام حسن ابن عمها فضحك الناس فلما رأوها مالت إلى نحو حسن بدر الدين وحط يده فى جيبه وكبش الذهب ورمى فى طار المغنيات ففرحوا وقالوا كنا نشتهى أن تكون هذه العروسة لك فتبسم هذا كله والسائس الأحدب وحده كأنه قرد وكلما أوقدوا له الشمعة طفئت فبهت وصار قاعدًا فى الظلام يمقت فى نفسه وهؤلاء الناس محدقون به وتلك الشموع الموقدة بهجتها من أعجب العجائب يتحير من شعاعها أولوا الألباب ، وأما



العروسة فإنها رفعت كفيها إلى السماء وقالت اللهم اجعل هذا بعلى وأرحنى من هذا السائس الأحدب وصارت المواشط تجلى العروسة إلى آخر السبع خلع على حسن بدر الدين البصرى والسائس الأحدب وحده ثم إن المواشط أدخلن العروسة ليكشفن ما عليها من الحلى والحلل ويهيئنها للعريس فعند ذلك تقدم السائس الأحدب إلى حسن بدر الدين وقال ياسيدى آنستنا فى هذه الليلة وغمرتنا بإحسانك فلم لاتقوم تروح بيتك بلا مطرود فقال بسم الله ثم قام وخرج من الباب فلقيه العفريت فقال له قف يابدر الدين فإذا خرج الأحدب إلى بيت الراحة فادخل أنت وأجلس فى المخدع فإذا أقبلت العروسة فقل لها أنا زوجك والملك ماعمل تلك الحيلة إلا لأنه يخاف عليك من العين وهذا الذى رأيته سائس من سياسنا ثم أقبل عليها واكشف وجهها ولاتخشى بأساً من أحد فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت وإذا بالسائس دخل بيت الراحة وقعد على الكرسى فطلع له العفريت من الحوض الذى فيه الماء فى صورة فأر وقال زيق فقال الأحدب ماجاء بك هنا فكبر الفأر وصار كالقط ثم كبر حتى صار كلبًا وقال عوه عوه فلما نظر السائس ذلك فزع وقال اخسأ يامشؤوم فكبر الكلب وانتفخ حتى صار جحشًا ونهق وصرخ فى وجهه هاق هاق فانزعج السائس وقال الحقونى يا أهل البيت وإذا بالجحش قد كبر وصار قدر الجاموسة وسد عليه المكان وتكلم بكلام ابن آدم وقال ويلك يا أحدب يا أنتن السياس فلحق السائس البطن وقعد على الملاقى بأثوابه واشتبكت أسنانه ببعضها فقال له العفريت هل ضاقت عليك الأرض فلا تتزوج إلا بمعشوقتى فسكت السائس فقال له رد الجواب وإلا أسكنك التراب فقال له والله مالى ذنب إلا أنهم غصبونى وماعرفت أن لها عشاقًا من الجواميس ولكن أنا تائب إلى الله ثم إليك فقال له العفريت أقسم بالله إن خرجت فى هذا الوقت من هذا الموضع أو تكلمت قبل أن تطلع الشمس لأقتلنك فإذا طلعت الشمس فاخرج إلى حال سبيلك هذا ماكان من قصة الأحدب (وأما) ما كان من قصة حسن بدر الدين البصرى فإنه خلى الأحدب والعفريت يتخاصمان ودخل البيت وجلس فى داخل المخدع وإذا بالعروسة أقبلت ومعها عجوز فوقفت العجوز فى باب المخدع وقالت يا أبا شهاب قم وخذ عروستك وقد استودعتك الله ثم ولت العجوز ودخلت العروسة فى صدر المخدع وكان اسمها ست الحسن

وقلبها مكسور وقالت فى قلبها والله لا أمكنه من نفسى ولو طلعت روحى فلما دخلت إلى صدر المخدع نظرت بدر الدين فقالت ياحبيبى وإلى هذا الوقت وأنت قاعد لقد قلت فى نفسى لعلك أنت والسائس الأحدب مشتركان فى فقال حسن بدر الدين وأى شىء أوصل السائس إليك ومن أين له أن يكون شريكى فيك فقالت ومن زوجى آأنت أم هو؟ ، قال حسن بدر الدين ياسيدتى نحن ما عملنا هذا إلا سخرية به لنضحك عليه فلما سمعت ست الحسن من بدر الدين ذلك ا لكلام فرحت وتبسمت وضحكت ضحكًا لطيفًا وقالت لقد أطفأت نارى فبالله خذنى عندك وضمنى فى حضنك وكانت بلا لباس فكشفت ثوبها إلى نحرها فبان ما قدامها وراثها فلما نظر بدر الدين صفاء جسمها تحركت فيه الشهوة فقام وحل لباسه ثم حل الكيس الذهب الذى كان أخذه من اليهودى ووضع فيه ألف دينار ولفه فى سرواله وحطه تحت ذيل الطراحة وقلع عمامته ووضعها على الكرسى وبقى بالقميص الرفيع وكان القميص مطرزًا بالذهب فعند ذلك قامت إليه ست الحسن وجذبته إليها وجذبها بدر الدين وعانقها وأخذ رجليها فى وسطه ثم ركب المدفع وحرره على القلعة وأطلقه فهدم البرج إلى غاية خمس عشرة فعلقت منه فلما فرغ حسن بدر الدين ووضع يده تحت رأسها وكذلك الأخرى وضعت يدها تحت رأسه ثم إنهما تعانقا وناما متعانقين هذا ما كان من أمرحسن بدر الدين وست الحسن بنت عمه (وأما) ماكان من أمر العفريت فإنه قال للعفريتة قومى وادخلى تحت الشاب ودعينا نوديه مكانه لئلا يدركنا الصبح فإن الوقت قريب فعند ذلك تقدمت العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم وأخذته وطارت به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لباس ومازالت العفريتة طائرة به والعفريت يحاذيها فأذن الله الملائكة أن ترمى العفريت بشهاب من نار فاحترق وسلمت العفريتة فأنزلت بدر الدين فى موضع ما أحرق الشهاب العفريت ولم تتجاوز به خوفًا عليه وكان بالأمر المقدر ذلك الموضع فى دمشق فوضعته العفريتة على باب من أبوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت أبواب المدينة خرج الناس فنظروا شابا مليحًا بالقميص والطاقية بلا عمامة ولا لباس وهو مما قاسى من السهر غرقان فى النوم فلما رآه الناس قالوا يابخت من كان هذا عنده فى هذه الليلة ويياليته صبر حتى لبس حوئجه وقد خاض الناس فيه بالكلام وإذا بالهوى هب على



بدر الدين فرفع ذيله من فوق بطنه فبان من تحته بطن وسرة محققة وسيقان وأفخاذ مثل البلور فصار الناس يتعجبون فانتبه حسن بدر الدين فوجد روحه على باب مدينة وعليها ناس فتعجب وقال أين أنا ياجماعة الخير وماسبب اجتماعكم على وماحكايتى معكم فقالوا نحن رأيناك عند أذان الصبح ملقى على هذا الباب نائمًا ولانعرف من أمرك غير هذا فأين كنت نائمًا هذه الليلة فقال حسن بدر الدين والله ياجماعة إنى كنت نائمًا هذه الليلة فى مصر فقال واحد هذا شىء عجيب وقال الآخر هذا شاب مجنون وصفقوا عليه بالكفوف وتحدث الناس مع بعضهم وقالوا يا خسارة شبابه والله مافى جنونه خلاف ثم إنهم قالوا ارجع لعقلك فقال حسن بدر الدين كنت البارحة عريسًا فى ديار مصر فقالوا لعلك حلمت ورأيت هذا الذى تقول فى المنام فتحير حسن فى نفسه وقال لهم والله ماهذا منام وأين السايس الأحدب الذى كان قاعد عندنا والكيس الذهب هذا كان معى وأين ثيابى ثم قام ودخل المدينة ومشى فى شوارعها وأسواقها فازدحمت عليه الناس وزفوه فدخل دكان طباخ وكان ذلك الطباخ رجلا مسرفًا فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ وكان أهل دمشق كلهم يخافون منه بسبب شدة بأسه فلما نظر الناس إلى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه فلما نظر الطباخ إلى حسن بدر الدين وشاهد حسنه وجماله وقعت فى قلبه محبته فقال من أين أنت يافتى فاحك لى حكايتك فإنك صرت عندى أعز من روحى فحكى له ماجرى من المبتدأ إلى المنتهى فقال له الطباخ ياسيدى بدر الدين أعلم أن أمرى عجيب وحديثى غريب ولكن ياولدى اكتم ما معك حتى يفرج الله مابك واقعد عندى فى هذا المكان وأنا مالى ولد فأتخذك ولدى فقال له بدر الدين الأمر كما تريد ياعم وقد استقر عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين (وأما) ما كان من أمر ست الحسن بنت عمه فإنها لما طلع الفجر وانتبهت من النوم لم تجد حسن بدر الدين قاعدًا عندها فاعتقدت أنه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة وإذا بأبيها قد دخل عليها وهو مهموم مما جرى له من السلطان وكيف غصبه وزوج ابنته غصبًا لأحد غلمانه الذى هو السايس الأحدب وقال فى نفسه أقتل هذه البنت إن كانت مكنت هذا الخبيث من نفسها فمشى إلى أن وصل إلى المخدع ووقف على بابه وقال ياست الحسن فقالت له نعم ياسيدى ثم إنها خرجت وهى تتمايل من الفرح وقبلت الأرض بين يديه وزاد وجهها نورًا وجمالاً لعناقها لذلك الغزال

فلما نظر أبوها وهى بتلك الحالة قال لها ياخبيثة هل أنت فرحانة بهذا السايس فلما سمعت ست الحسن كلام والدها تبسمت وقالت بالله يكفى ما جرى منك والناس يضحكون على وعايرونى بهذا السايس الذى مايجى فى أصبعى قلامة ظفر إن زوجى والله مابت طول عمرى ليلة مثل البارحة التى بتها معه فلا تهز أبى وتذكر لى ذلك الأحدب فلما سمع والدها كلامها امتزج بالغضب وازرقت عيناه وقال لها ويلك أى شىء هذا الكلام الذى تقولينه إن السايس الأحدب قد بات عندك فقالت بالله عليك لاتذكره لى قبحه الله وقبح أباه فلا تكثر المزاح بذكره فما كان السايس إلا مكترى بعشرة دنانير وأخذ أجرته وراح وقد بت فى حضن زوجى الخفيف الروح وصاحب العيون السود والحواجب المقرونة فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاماً وقال لها يافاجرة ماهذا الذى تقولينه أين عقلك؟ فقالت له يا أبت لقد فتت كبدى لأى شىء تتغافل فهذا زوجى الذى أخذ وجهى قد دخل بيت الراحة وأنى قد علقت منه فقام والدها وهو متعجب ودخل بيت الخلاء فوجد السائس الأحدب ورأسه مغروزة فى الملاقى ورجلاه مرتفعة إلى فوق بهت فيه الوزير وقال ماهذا هو الأحدب فخاطبه فلم يرد عليه وظن الأحدب أنه العفريت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السائس الأحدب لما كلمه الوزير لم يرد عليه فصرخ عليه الوزير وقال له تكلم وإلا أقطع رأسك بهذا السيف فعند ذلك قال الأحدب والله ياشيخ العفاريت من حين جعلتنى فى هذا الموضع مارفعت رأسى فبالله عليه أن ترفق بى فلما سمع الوزير كلام الأحدب قال له ماتقول فإنى أبو العروسة وما أنا عفريت فقال ليس عمرى فى يدك ولاتقدر أن تأخذ روحى فرح إلى حال سبيلك قبل أن يأتيك الذى فعل بى هذا الفعال فأنتم لاتزوجونى إلا بمعشوقة الجواميس ومعشوقة العفاريت فلعن الله من زوجنى بها ولعن من كان السبب فى ذلك فقال له الوزير قم واخرج من هذا المكان فقال له هل أنا مجنون حتى أروح معك بغير إذن العفريت فإنه قال لى إذا طلعت الشمس فاخرج وروح إلى حال سبيلك فخرج



وهو يجرى وما صدق أن الشمس طلعت وطلع إلى السلطان وأخبره بما اتفق له مع العفريت وأما الوزير أبو العروسة فإنه دخل البيت وهو حائر العقل فى أمر بنته فقال يابنتى اكشفى لى عن خبرك فقالت إن الظريف الذى كنت أتجلى عليه عند البارحة وأزال بكارتى وعلقت منه وإن كنت لم تصدقنى فهذه عمامته بلفتها على الكرسى فلما سمع والدها هذا الكلام دخل المخدع فوجد عمامة حسن بدر الدين بن أخيه ففى الحال أخذها فى يده وقلبها وقال هذه عمامة وزراء إلا أنها موصلية ثم إنه نظر إلى الحرز مخيط فى طربوشه فأخذه وفتقه وأخذ اللباس فوجد الكيس الذى فيه ألف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقرأها فوجد مبايعة اليهودى واسم حسن بدر الدين بن نور الدين المصرى ووجد الألف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشيًا عليه فلما أفاق وعلم مضمون القصة تعجب وقال لا إله إلا الله القادر على كل شيء وقال يابنت هل تعرفين من الذى أخذ وجهك قالت لا قال إنه ابن أخى وهو ابن عمك وهذه الألف دينار مهرك فسبحان الله فليت شعرىَ كيف اتفقت هذه القضية ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوبًا عليها بخط أخيه نور الدين المصرى أبى حسن بدر الدين فلما نظر خط أخيه قرأ الحرز فوجده فيه تاريخ زواجه بنت وزير البصرة وتاريخ دخوله بها وتاريخ عمره إلى حين وفاته وتاريخ ولادة ولده حسن بدر الدين فتعجب واهتز من الطرب وقابل ما جرى لأخيه على ماجرى له فوجده سواء بسواء زواجه وزواج الآخر موافقين تاريخها ودخولهما بزوجتيهما متوافقا وولادة حسن بدر الدين ابن أخيه وولادة بنته ست الحسن متوافقين فأخذ الورقتين وطلع بهما إلى السلطان وأعلمه بما جرى من أول الأمر إلى آخره فتعجب الملك وأمر أن يؤرخ هذا الأمر فقال والله لأعملن عملا ما سبقنى إليه أحد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٢٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير أخذ دواة وقلما وكتب أمتعة البيت وأن الخشخانة فى موضع كذا والستارة الفلانية فى موضع كذا وكتب جميع مافى البيت ثم طوى الكتاب وأمر

بخزن جميع الأمتعة وأخذ العمامة والطربوش وأخذ معه الفرجية والكيس وحفظهما عنده وأما
بنت الوزير فإنها لما كملت أشهرها ولدت ولدا مثل القمر يشبه والده من الحسن والكمال
والجمال فقطعوا سرته وكحلوا مقلته وسلموه إلى المرضعات وسموه عجيب فصار يومه بشهر
وشهره بسنة فلما مر عليه سبع سنين أعطاه جده لفقيه ووصاه أن يربيه ويحسن تربيته فأقام فى
المكتب أربع سنوات فصار يقاتل أهل المكتب ويسبهم ويقول لهم من فيكم مثلى أنا ابن وزير
مصر فقامت الأولاد واجتمعوا يشكون إلى العريف مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف أنا
أعلمكم شيئًا تقولون له لما يجىء فيتوب عن المجىء للمكتب وذلك أنه إذا جاء غدا فاقعدوا
وحوله وقولوا لبعضكم والله مايلعب معنا هذه اللعبة إلا من يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه
ومن لم يعرف اسم أمه واسم أبيه فهو ابن حرام فلا يلعب معنا فلما أصبح الصباح أتوا إلى
المكتب وحضر عجيب فاحتاطت به الأولاد وقالوا نحن نلعب لعبة ولكن لايلعب معنا إلا من
يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه واتفقوا على ذلك فقال واحد منهم اسمى ماجدى وأمى
علوى وأبى عز الدين وقال الآخر مثل قوله والآخر كذلك إلى أن جاء الدور إلى عجيب فقال أنا
اسمى عجيب وأمى ست الحسن وأبى شمس الدين الوزير بمصر فقالوا له والله إن الوزير ما هو
أبوك فقال عجيب هو أبى حقيقة فعند ذلك ضحكت عليه الأولاد وصفقوا عليه وقالوا أنت
ماتعرف لك أبا فقم من عندنا فلا يلعب معنا إلا من يعرف اسم أبيه فى الحال تفرق الأولاد
من حوله وتضاحكوا عليه فضاق صدره وانخنق بالبكاء فقال له العريف هل تعتقد أن أباك
جدك الوزير أبو أمك ست الحسن ، إن أباك ما تعرفه أنت ولا نحن لأن السلطان زوجها للسائس
الأحدب وجاءت الجن فناموا عندهم فإن لم تعرف لك أبا يجعلوك بينهم ولد زنا ألا ترى أن
البائع يعرف أباه فوزير مصر إنما هو جدك وأما أبوك فلا نعرفه نحن ولا أنت فارجع لعقلك فلما
سمع ذلك الكلام قام من ساعته ودخل على والدته ست الحسن وصار يشكو لها وهو يبكى
ومنعه البكاء من الكلام فلما سمعت أمه كلامه وبكاءه التهب قلبها عليه وقالت ياولدى ما
الذى أبكاك فاحك لى قصتك فحكى لها ما سمعه من الأولاد ومن العريف وقال ياوالدتى من
هو أبى قالت له أبوك وزير مصر فقال لها ليس هو أبى فلا تكذبى على فإن الوزير أبوك أنت لا



أبى أنا فمن هو أبى فإن لم تخبرينى بالصحيح قتلت روحى بهذا الخنجر فلما سمعت والدته ذكر أبيه بكت لذكر ولد عمها وتذكرت محاسن حسن بدر الدين البصرى وماجرى لها معه وصرخت وكذلك ولدها وإذا بالوزير دخل فلما نظر إلى بكائهما احترق قلبه وقال ما يبكيكما



(عجيب يلتقط حجرًا ويرمي به أباه حسن بدر الدين)

فأخبرته بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكى الآخر ثم تذكر أخاه وما اتفق له معه وما اتفق لابنته ولم يعلم بما فى باطن الأمر ثم قام الوزير فى الحال ومشى حتى طلع إلى الديوان ودخل على الملك وأخبره بالقصة وطلب منه الاذن بالسفر فأذن له السلطان وودعه ونزل فى الحال وتجهز للسفر وأخذ مايحتاج إليه وأخذ ابنته وولدها عجيب وسافر أول يوم وثانى يوم وثالث يوم حتى وصل إلى مدينة دمشق فوجدها ذات أشجار وأنهار فنزل الوزير من ميدان الحصباء ونصب خيامه وقال لغلمانه نأخذ الراحة هنا يومين فدخل الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم هذا يبيع وهذا يشترى وهذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بنى أمية الذى ما فى الدنيا مثله ودخل المدينة عجيب هو وخادمه يتفرجان والخادم يمشى خلف عجيب إلى أن وقف عجيب بالأمر المقدر على دكان أبيه حسن بدر الدين الذى أجلسه فيه الطباخ الذى اعترف عند القضاة والشهود أنه ولده فلما وقف عليه العبد فى ذلك اليوم ووقف معه الخدام فنظر حسن بدر الدين إلى ولده فأعجبه حين وجده فى غاية الحسن فحن إليه فؤاده وتعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلى بلوز وسكر فأكلوا سواء فقال لهم حسن بدر الدين آنستمونا كلوا هنيئًا مريئًا ثم إن عجيب قال لوالده اقعد كل معنا لعل الله يجمعنا بمن نريد فقال حسن بدر الدين ياولدى هل بليت على صغر سنك بفرقة الأحباب فقال عجيب نعم ياعم حرق قلبى بفراق الأحباب والحبيب الذى فارقنى هو والدى وقد خرجت أنا وجدى نطوف عليه البلاد فواحسرتاه على جمع شملى به وبكى بكاءً شديدًا وبكى والده لبكائه وتذكروا فرقة الأحباب وبعده عن والده ووالدته فحن له الخادم وأكلوا جميعًا إلى أن اكتفوا ثم بعد ذلك قاما وخرجا من دكان حسن بدر الدين فأحس أن روحه فارقت جسده وراحت فما قدر أن يصبر عنه لحظة واحدة فقفل الدكان وتبعهم وهو لايعلم أنه ولده وأسرع فى مشيه حتى لحقهم قبل أن يخرجوا من الباب الكبير فالتفت الطواشى وقال له مالك يا طباخ فقال حسن بدر الدين لما نزلتم من عندى كأن روحى خرجت من جسمى ولى حاجة فى المدينة خارج الباب فأردت أن أرافقكم حتى أقضى حاجتى وأرجع فغضب الطواشى وقال لعجيب إن هذه أكلة مشئومة وصارت علينا مكرمة وهاهو تابعنا من موضع إلى موضع فالتفتوا ورأوه خلفهم فغضب عجيب وخاف من الطواشى أن يخبر



جده فامتزج بالغضب مخافة أن يقولوا إنه دخل دكان الطباخ وإن الطباخ منعه فالتفت حتى صارت عيناه فى عين أبيه وقد بقى جسده بلا روح ورأى عجيب عينه كأنها عين خائن وربما كان ولد زنا فازداد غضبًا فأخذ حجرًا وضرب به والده فوقع الحجر فى جبينه فبطحه فوقع حسن بدر الدين مغشيًا عليه فلما أفاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته وعصب بها رأسه وقال أنا ظلمت الصبى حيث غلقت دكانى وتبعته حتى ظن أنى خائن ثم رجع إلى الدكان واشتعل ببيع طعامه وصار مشتاقًا إلى والدته التى فى البصرة ويبكى عليها وأنشد هذين البيتين :

لا تسأل الدهر إنصافا لتظلمه ... فلست فيه ترى يا صاح إنصافا
خذ ما تيسر وأزوالهم ناحية ... لا بد من كدر فيه وإن صافى

ثم إن حسن بدر الدين استمر مشتغلا ببيع طعامه وأما الوزير عمه فإنه أقام فى دمشق ثلاثة أيام ثم دخل متوجهًا إلى حمص فدخلها ثم رحل عنها وصار يفتش فى طريقه أينما حل وجهه فى سيره إلى أن وصل إلى مردين والموصل وديار بكر ولم يزل سائر إلى مدينة البصرة فدخلها فلما استقر به المنزل دخل إلى سلطانها واجتمع به فاحترمه وأكرم منزله وسأله عن سبب مجيئه فأخبره بقصته وأن أخاه الوزير على نور الدين فترحم عليه السلطان وقال أيها الصاحب إنه كان وزيرى وكنت أحبه كثيرًا وقد مات من مدة خمسة عشر عامًا وخلف ولدًا وقد فقدناه ولم نطلع على خبر غير أن أمه عندنا لأنها بنت وزيرى الكبير فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك أن أم ابن أخيه طيبة فرح وقال يا ملك إنى أريد أن أجتمع بها فأذن له فى الحال ثم إنه صار يمشى إلى أن وصل إلى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد على القبر هذين البيتين :

بالله ياقبر هل زالت محاسنه ... وهو تغير ذاك المنظر النضر
يا قبر لا أنت بستان ولا فلك ... فكيف يجمع فيك الغصن والقمر

فبينما هو كذلك وإذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم عليها وأعلمها أنه أخو زوجها وأخبرها بماجرى وكشف لها عن القصة وأن ابنها حسن بدر الدين بات عند ابنته ليلة

كاملة ثم فقد عند الصباح وقال لها إن ابنتى حملت من ولدك وولدت ولدًاوهو معى وإنه ولدك وولد ولدك من ابنتى فلما سمعت خبر ولدها أنه حى ورأت أخا زوجها قامت ووقعت على قدميه وقبلتها وأنشدته هذين البتين :

لله در مبشرى بقدومهم	فلقد أتى بأطايب
لو كان يقنع بالخليع وهبته	قلبا تقطع ساعة التوديع

ثم إن الوزير أرسل إلى عجيب ليحضره فلما حضر قامت له جدته واعتنقته وبكت فقال لها شمس الدين ما هذا وقت بكاء بل هذا وقت تجهيزك للسفر معنا إلى ديار مصر عسى الله أن يجمع شملنا وشملك بولدك ابن أخى فقالت سمعا وطاعة ثم قامت من وقتها وجمعت جميع أمتعتها وذخائرها وتجهزت فى الحال ثم طلع الوزير شمس الدين إلى سلطان البصرة وودعه فبعث معه هدايا وتحفا إلى سلطان مصر وسافر من وقتها هو وزوجة أخيه ولم يزل سائرًا حتى وصل إلى مدينة دمشق فنزل على القانون وضرب الخيام وقال لمن معه إننا نقيم بدمشق جمعه إلى أن نشترى للسلطان هدايا وتحفًا ثم قال عجيب للطواشى يا غلام إنى اشتقت إلى الفرجة فقم بنا ننزل إلى سوق دمشق ونختبر أحوالها وننظر ما جرى لذلك الطباخ الذى كنا أكلنا طعامه وشججنا رأسه مع أنه قد كان أحسن إلينا ونحن أسأناه فقال الطواشى سمعا وطاعة ثم إن عجيبا خرج من الخيام هو والطواشى وحركته القرابة إلى التوجه لوالده ودخل مدينة دمشق ومازالا سائرين إلى أن وصلا إلى دكان الطباخ فوجداه واقفا فقال السلام عليك ياهذا اعلم أن خاطرى عندك فلما نظر إليه حسن بدر الدين تعلقت أحشاؤه به وخفق فؤاده إليه وأطرق برأسه إلى الأرض وأراد أن يدير لسانه فى فمه فما يقدر على ذلك ثم رفع رأسه إلى ولده خاضعًا متذللا وأنشد هذه الأبيات :

تمنيت من أهوى فلما رأيته	ذهلت فلم أملك لسانًا ولا طرفا
وأطرقت إجلالا له ومهابة	وحاولت إخفاء الذى بى فلم يخف
وكنت معدا للعتاب صحائفا	فلما اجتمعنا ما وجدت ولاحرفا



ثم قال لهما أجبرا قلبى وكلا من طعامى فدخل عجيب هو والخادم فى الدكان فقدم لهما زبدية ممتلئة حب رمان فقال عجيب كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرح حسن بدر الدين وأكل معهما حتى شبعا على خلاف عادتهما وانصرفا وأسرعا فى مشيهما حتى وصلا إلى خيامهما ودخل عجيب على جدته أم والده حسن بدر الدين فقبلته وتذكرت حسن بدر الدين فتنهدت وبكت ثم قالت لعجيب ياولدى أين كنت قال فى مدينة دمشق فعند ذلك قامت وقدمت له زبدية طعام من حب الرمان وكان قليل الحلاوة فأخذ لقمة وغمسها فى حب الرمان وأكلها فوجده قليل الحلاوة لأنه كان شبعانًا فتضجر وقال أى شىء هذا الطعام الوحش فقالت جدته ياولدى أتعيب طبيخى وأنا طبخته ولا أحد يحسن الطبيخ مثلى إلا والدك حسن بدر الدين فقال عجيب والله ياسيدتى إن طبيخك هذا غير متقن نحن هذه الساعة رأينا فى المدينة طباخًا طبخ حب رمان ولكن رائحته ينفتح لها القلب وأما طعامه فإنه يشهى نفس المتخوم أن تأكل وأما طعامك بالنسبة إليه فإنه لايساوى كثيرًا ولا قليلا فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظًا شديدًا ونظرت إلى الخادم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت فقامت جدته وأخبرت أخا زوجها وأغرته على الخادم فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لم دخلت بولدى دكان الطباخ فخاف الخادم وقال ما دخلنا فقال عجيب بل دخلنا وأكلنا من حب الرمان حتى شبعنا وسقانا الطباخ شرابًا بثلج وسكر فازداد غضب الوزير على الخادم وسأله فإنكر فقال له الوزير إن كان كلامك صحيحًا فاقعد وكل قدامنا فقال ياسيدى إنى شبعان من البارحة فعرف الوزير أنه أكل عند الطباخ فأمر الجوارى أن يطرحنه فطرحنه ونزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث وقال ياسيدى إنى شبعان من البارحة ثم منع عنه الضرب وقال له انطق بالحق فقال اعلم أننا دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ حب الرمان فغرف لنا منه والله ما أكلت عمرى مثله ولا رأيت أقبح من

هذا الذى قدامنا فغضبت أم حسن بدر الدين وقالت لابد أن تذهب إلى هذا الطباخ وتجىء لنا بزبدية حب رمان من الذى عنده وتريه لسيدك حتى يقول أيهما أحسن وأطيب فقال الخادم نعم فى الحال أعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل إلى الدكان وقال للطباخ نحن تراهنا على طعامك فى بيت سيدنا لأن هناك حب رمان طبخه أهل البيت فهات لنا بهذا النصف دينار وأدربالك فى طهيه وأتقنه فقد أكلنا الضرب الموجع على طبيخك فضحك حسن بدر الدين وقال والله إن هذا الطعام لايحسنه أحد إلا أنا ووالدتى وهى الآن فى بلاد بعيدة ثم إنه عرف الزبدية وأخذها وختمها بالمسك وماء الورد فأخذها الخادم وأسرع بها حتى وصل فأخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها فعرفت طباخها فصرخت ثم وقعت مغشيًا عليها فبهت الوزير من ذلك ثم رشوا عليها الورد وبعد ساعة أفاقت وقالت إن كان ولدى فى الدنيا فما طبخ حب الرمان هذا إلا هو ولدى حسن بدر الدين لاشك فيه ولامحالة لأن هذا طعامه وما أحد يطبخه غيره إلا أنا لأنى علمته طبيخه فلما سمع الوزير كلامها فرح فرحًا شديدًا وقال وا شوقاه إلى رؤية ابن أخى أترى تجمع الأيام شملنا ما نطلب الاجتماع به إلا من الله تعالى ثم إن الوزير قام من وقته وساعته وصاح على الرجال الذين معه وقال يمضى منكم عشرون رجلا إلى دكان الطباخ ويهدمونها ويكتفونه بعمامته ويجرونه غصبًا إلى مكانى من غير أذى يحصل له فقالوا له نعم ثم إن الوزير ركب من وقته ساعة إلى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق وأطلعه على الكتب التى معه من السلطان فوضعها على رأسه بعد تقبيلها وقال من هو غريمك قال رجل طباخ ففى الحال أمر حجابه أن يذهبوا إلى دكانه فذهبوا فرأوها مهدومة وكل شىء فيها مكسور لأنه لما توجه إلى دار السعادة فعلت جماعته ما أمرهم وصاروا منتظرين مجىء الوزير من دار السعادة وحسن بدر الدين يقول فى نفسه ياترى أى شىء رأوا فى حب الرمان حتى صار لى هذا الأمر فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق وقد أذن له فى أخذ غريمه وسفره به فلما دخل الخيام طلب الطباخ فأحضروه مكتفًا بعمامته ثم إن الوزير صرخ على الغلمان وقال هاتوا الجمال وأخذوا حسن بدر الدين معهم وأخلوه فى صندوق وقفلوا عليه وساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن أقبل الليل فحطوا وأكلوا شيئًا من الطعام وأخرجوا حسن بدر



الدين فأطعموه وأعادوه إلى الصندوق ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا إلى مكان فأخرجوا حسن بدر الدين من الصندوق وقال له هل أنت الذى طبخت حب الرمان قال نعم ياسيدى فقال الوزير قيدوه فقيدوه وأعادوه إلى الصندوق وساروا إلى أن وصلوا إلى مصر وقد نزلوا فى الزبدانية فأمر بإخراج حسن بدر الدين من الصندوق وأمر بإحضار نجار وقال اصنع لهذا لعبة خشب فقال حسن بدر الدين وما تصنع بها فقال أصلبك وأسمرك فيها ثم أدور بك المدينة كلها فقال على أى شىء تفعل بى ذلك فقال الوزير على عدم إتقان طبيخك حب الرمان كيف طبخته وهو ناقص فلفلا فتعجب حسن بدر الدين وحزن على روحه وصار يتفكر فى نفسه فقال له الوزير فى أى شىء تفكر فقال له فى العقول السخيفة التى مثل عقلك فإنه لو كان عندك عقل ما كنت فعلت معى هذه الفعال لأجل نقص الفلفل فقال له الوزير يجب علينا أن نؤدبك حتى لاتعود لمثله فقال حسن بدر الدين إن الذى فعلته معى أقل شىء فيه أدبى فقال لابد من صلبك وكل هذا والنجار يصلح الخشب وهو ينظر إليه ولم يزالوا إلى أن أقبل الليل فأخذه عمه ووضعه فى الصندوق وقال فى غد يكون صلبك ثم صبر عليه حتى عرف أنه نام فقام وركب وأخذ الصندوق قدامه ودخل المدينة وسار إلى أن دخل بيته ثم قال لابنته ست الحسن الحمد لله الذى جمع شملك بابن عمك وافرشى البيت مثل فرشه ليلة الجلاء فأمرت الجوارى بذلك فقمن وأوقدن الشمع ثم إن الوزير أخرج بدر الدين من الصندوق بعد أن فك القيد من رجليه وخلع ماعليه من الثياب وصار بقميص النوم وهو رفيع من غير سروال كل هذا وهو نائم لا يعرف بذلك فانتبه بدر الدين من النوم فوجد نفسه فى دهليز فقال فى نفسه هل أنا فى أضغاث أحلام أو فى اليقظة ثم قام بدر الدين فمشى قليلا إلى باب ثان وإذا هو فى البيت الذى انجلت فيه العروسة ورأى المخدع والسرير ورأى عمامته وحوائجه فلما نظر ذلك بهت وصار يقدم رجلا ويؤخر أخرى فبينما هو يخاطب نفسه وإذا بست الحسن رفعت طرف الناموسية وقالت له ياسيدى أما تدخل فإنك أبطأت على فى بيت الخلاء فلما سمع كلامها ونظر إلى وجهها ضحك وقال إن هذه أضغاث أحلام ثم دخل وتفكر فيما جرى له وتحير فى أمره وأشكلت عليه قضيته ولما رأى عمامته وسرواله والكيس الذى فيه الألف دينار قال الله أعلم

إنى فى أضغاث أحلام وصار متعجبًا متحيراً . وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

***

الليلة (٣٦)

قالت : بلغنى أن بدر الدين تعجب وتحير فعند ذلك قالت له ست الحسن مالى أراك متعجبًا متحيراً ما كنت هكذا فى أول الليل فضحك وقال كم عام لى غائب عنك فقالت له سلامتك اسم الله حواليك أنت إنما خرجت إلى الكنيف لتقضى حاجة وترجع فأى شىء جرى فى عقلك فلما سمع بدر الدين ذلك ضحك وقال لها صدقت ولكننى لما خرجت من عندك غلبنى النوم فى بيت الراحة فحلمت أنى كنت طباخًا فى دمشق وأقمت بها عشر سنين وكأنه جاءنى صغير من أولاد الأكابر ومعه خادم وحصل من أمره كذا وكذا ثم إن حسن بدر الدين مسح بيده على جبينه فرأى أثر الضرب عليه فقال والله يا سيدتى كأنه حق لأنه ضربنى على جبينى فشجه فكأنه فى اليقظة ثم قال لعل هذا المنام حصل حين تعانقت أنا وأنت ونمنا فرأيت فى المنام كأنى سافرت إلى دمشق بلا طربوش ولا عمامة ولا سروال وعملت طباخًا ثم سكت ساعة وقال والله كأنى رأيت أنى طبخت حب رمان وفلفله قليل والله ما كأنى إلا نمت فى بيت الراحة فرأيت هذا كله فى المنام فقالت له ست الحسن بالله عليك أى شىء رأيته زيادة على ذلك فحكى لها جميع مارآه ثم قال والله لولا إنى انتبهت لكانوا صلبونى على لعبة خشب فقالت له على أى شىء فقال على قلة الفلفل فى حب الرمان ورأيت كأنهم خربوا دكانى وكسروا مواعينى وحطونى فى صندوق وجاءوا بالنجار ليصنع لى لعبة من خشب لأنهم أرادوا صلبى عليها فالحمد لله الذى جعل ذلك كله فى المنام ولم يجعله فى اليقظة ولم يزل كذلك إلى الصباح ثم دخل عليه عمه الوزير شمس الدين فسلم عليه فنظر له حسن بدر الدين وقال بالله عليك أما أنت الذى أمرت بتكتيفى وتسمير دكانى من شأن حب الرمان لكونه قليل الفلفل فعند ذلك قال الوزير اعلم يا ولدى أنه ظهر الحق وبان ما كان مختفيا أنت ابن أخى ومافعلت ذلك حتى تحققت أنك الذى دخلت على بنتى تلك الليلة وماتحققت ذلك حتى

رأيتك عرفت البيت وعرفت عمامتك وسروالك وذهبك والورقتين التى كتبتهما بخطك والتى كتبها والدك أخى فإنى مارأيتك قبل ذلك وما كنت أعرفك وأما أمك فإنى جئت بها معى من البصرة ثم رمى نفسه عليه وبكى فلما سمع حسن بدر الدين كلام عمه تعجب غاية العجب وعانق عمه وبكى من شدة الفرح ثم قال له الوزير يا ولدى إن سبب ذلك كله ما جرى بينى وبين والدك وحكى له جميع ماجرى بينه وبين أخيه وأخبره بسبب سفر والده إلى البصرة ثم إن الوزير أرسل إلى عجيب فلما رآه والده قال هذا الذى ضربنى بالحجر فقال الوزير هذا ولدك فعند ذلك رمى نفسه عليه وأنشد هذه الأبيات :

ولقد بكيت على تفرق شملنا   زمانا وفاض الدمع من أجفانى

ونذرت أن جمع المهيمن شملنا   ما عدت أذكر فرقة بلسانى

هجم السرور على حتى إنه   من فرط ما قد سرنى أبكانى

فلما فرغ من شعره التفتت إليه والدته وألقت روحها عليه وأنشدت هذين البيتين :

الدهر أقسم لايزال مكدرى   حنثت يمينك يا زمان فكفر

السعد وافى والحبيب مساعدى   فانهض إلى داعى السرور وشمر

ثم إن والدته حكت له جميع ماوقع لها بعده وحكى لها جميع ماقاساه فشكروا الله على جمع شملهم ببعضهم ثم إن الوزير أقام مع ابن أخيه وابنته وزوجة أخيه فى ألذ عيش إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وهذا يا أمير المؤمنين ماجرى للوزير شمس الدين وأخيه نور الدين فقال الخليفة هارون الرشيد هذا الشيء عجاب ووهب للشاب سرية من عنده ورتب له مايعيش به وصار ممن ينادمه ثم إن البنت قالت وماهذا بأعجب من حكاية الخياط والأحدب واليهودى والمباشر والنصرانى فيما وقع لهم قال الملك وماحكايتهم .

(حكاية الخياط والأحدب واليهودى والمباشر والنصرانى فيما وقع بينهم)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان فى مدينة الصين رجل خياط مبسوط الرزق يحب اللهو والطرب وكان يخرج هو وزوجته فى بعض الأحيان

يتفرجان على غرائب المتنزهات فخرجا يومًا من أول النهار ورجعا فى آخره إلى منزلهما عند المساء فوجدا فى طريقهما رجلاً أحدب رؤيته تضحك الغضبان وتزيل الهم والأحزان فعند ذلك تقدم الخياط هو وزوجته يتفرجان عليه ثم إنهما عزما عليه أن يروح معهما إلى بيتهما لينادمهما تلك الليلة فأجابهما إلى ذلك ومشى معهما إلى البيت فخرج إلى السوق وكان الليل قد أقبل فاشترى سمكًا مقليًا وخبزًا وليمونًا وحلاوة يتحلون بها ثم رجع وحط السمك قدام الأحدب وجلسوا يأكلون فأخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة ولقمتها للأحدب وسدت فمه بكفها وقالت والله ما تأكلها إلا دفعة واحدة فى نفس واحد ولا أمهلك حتى تمضغها فابتلعها وكان فيها شوكة قوية فتصلبت فى حلقه لأجل انقضاء أجله فمات . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن امرأة الخياط لما لقمت للأحدب جزلة السمك مات لانقضاء أجله فى وقته فقال الخياط لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا المسكين ما كان موته إلا هكذا على أيدينا فقالت المرأة وماهذا التوانى فقال لها زوجها وما أفعله قالت قم وأحمله فى حضنك وأنشر عليه فوطة حرير وأخرج أنا قدامك وأنت ورائى فى هذه الليلة وقل هذا ولدى وهذه أمه ومرادنا أن نوديه إلى الطبيب ليداويه فلما سمع الخياط هذا الكلام وقام وحمل الأحدب فى حضنه وزوجته تقول يا ولدى سلامتك أين محل وجعك وهذا الجدرى كان لك فى أى مكان فكل من رآهما يقول معهما طفل مصاب بالجدرى ولم يزالا سائرين وهما يسألان عن منزل الطبيب حتى دلوهما على بيت طبيب يهودى فقرعا الباب فنزلت لهما جارية سوداء وفتحت الباب ونظرت وإذا بإنسان حامل صغيرًا وأمه معه فقالت له الجارية ماخبركم؟ فقالت امرأة الخياط معنا صغير مرادنا أن ينظره الطبيب فخذى ربع الدينار وأعطيه لسيدك ودعيه ينزل ليرى ولدى فقد لحقه ضعف فطلعت الجارية ودخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها دع الأحدب هنا ونفوز بأنفسنا فأوقفه الخياط وأسنده إلى الحائط وخرج وهو وزوجته ، وأما الجارية



فإنها دخلت على اليهودى وقالت له فى أسفل البيت ضعيف مع امرأة ورجل وقد أعطيانى ربع دينار وتصف لهما مايوافقه فلما رأى اليهودى ربع الدينار فرح وقام عاجلا ونزل فى الظلام فأول ما نزل عثرت رجله فى الأحدب وهو ميت فقال يااللعزيز يااللمولى والعشر كلمات يا لهارون ويوشع بن نون كانى عثرت فى هذا المريض فوقع إلى أسفل فمات فكيف أخرج بقتيلى من بيتى



(اليهودى عندما عثر فى الأحدب وهو ميت)

فحمله وطلع به من حوش البيت إلى زوجته وأعلمها بذلك فقالت وماقعودك ههنا فإن قعدت هنا إلى طلوع النهار راحت أرواحنا فأنا وأنت نطلع به إلى السطح ونرميه فى بيت جارنا المسلم فإنه مباشر على مطبخ السلطان فطلع اليهودى وزوجته وهما حاملاً الأحدب وأنزلاه بيديه ورجليه إلى الأرض وجعلاه ملاصقًا للحائط ثم نزلا وانصرفا ولم يستقر نزول الأحدب إلا والمباشر قد جاء إلى البيت فى وقته وطلع البيت ومعه شمعة مضيئة فوجد ابن آدم واقفا فى الزاوية فى جانب المطبخ فقال ذلك المباشر ماهذا والله إن الذى يسرق حوائجنا ماهو إلا ابن آدم فيأخذ ما وجده من لحم أو دهن ولو خبأته من القطط والكلاب وإن قتلت قطط الحارة وكلابها جميعًا لايفيد لأنه ينزل من السطوح ثم إنه أخذ مطرقة عظيمة ووكزه بها فصار عنده ثم ضربه بها على صدره فوقع فوجده ميتًا فحزن وقال لاحول ولا قوة إلا بالله وخاف على نفسه ثم حمله على أكتافه ونزل به من بيته فى آخر الليل وما زال سائرًا به إلى السوق فأوقفه بجانب دكان فى رأس عطفة وتركه وانصرف وإذا بنصرانى وهو سمسار السلطان وكان سكران فخرج يريد الحمام فقال له سكره إن المسيح قريب فما زال يمشى ويتمايل حتى قرب من الأحدب وجعل بريق الماء قبالة فلاحت منه التفاتة فوجد واحدًا واقفًا وكان النصرانى قد خطفوا عمامته فى أول الليل فلما رأى الأحدب واقفًا اعتقد أنه يريد خطف عمامته فطبق كفه ولكم الأحدب على رقبته فوقع فى الأرض وصاح النصرانى على حارس السوق ثم نزل على الأحدب من شدة سكره ضربا وصار يخنقه فجاء الحارس فوجد النصرانى باركًا على السلم وهو يضربه فقال الحارس قم عنه فقام فتقدم إليه الحارس فوجده ميتًا فقال كيف يقتل النصرانى مسلمًا ثم قبض على النصرانى وكتفه وجاء به إلى بيت الوالى والنصرانى يقول فى نفسه يامسيح ياعذراء كيف قتلت هذا وما أسرع ما مات فى لكمة قد راحت السكرة وجاءت الفكرة ثم إن الأحدب والنصرانى باتا فى بيت الوالى وأمر الوالى السياف أن ينادى عليه ونصب للنصرانى خشبة وأوقفه تحتها وجاء السياف ورمى فى رقبة النصرانى الحبل وأراد أن يعلقه وإذا بالمباشر قد شق الناس ورأى النصرانى وهو واقف تحت المشنقة ففسح الناس وقال للسياف لاتفعل أنا الذى قتلته فقال له الوالى لأى شىء قتلته قال إنى دخلت الليلة بيتى فرأيته نزل من السطح وسرق



مصالحى فضربته بمطرقة على صدره فمات فحملته وجئت به إلى السوق وأوقفته فى موضع كذا فى عطفة كذا ، ثم قال المباشر ما كفانى أنى قتلت مسلمًا حتى يقتل بسببى نصرانى فلا تشنق غيرى فلما سمع الوالى كلام المباشر أطلق سراح النصرانى السمسار وقال للسياف اشنق هذا باعترافه فأخذ الحبل من رقبة النصرانى ووضعه فى رقبة المباشر وأوقفه تحت الخشبة وأراد أن يعلقه وإذا باليهودى الطبيب قد شق الناس وصاح على السياف وقال لا تفعل فما قتله إلا أنا وذلك أنه جاءنى فى بيتى ليداوى فنزلت إليه فعثرت فيه برجلى فمات فلا تقتل المباشر واقتلنى فأمر الوالى أن يقتل اليهودى الطبيب فأخذ السياف الحبل من رقبة المباشر ووضعه فى رقبة اليهودى الطبيب وإذا بالخياط جاء وشق الناس وقال للسياف لاتفعل فما قتله إلا أنا وذلك أنى كنت بالنهار أتفرج وجئت وقت العشاء فلقيت هذا الأحدب سكران ومعه دف وهو يغنى بفرحة فوقفت أتفرج عليه وجئت به إلى بيتى واشتريت سمكًا وقعدنا نأكل فأخذت زوجتى قطعة سمك ولقمة ودستهما فى فمه فزور ومات لوقته فأخذته أنا وزوجتى وجئنا به لبيت اليهودى فنزلت الجارية وفتحت لنا الباب فقلت لها قولى لسيدك إن بالباب امرأة ورجلا ومعهما ضعيف تعالى انظره وصف له دواء وأعطيتها ربع دينار فطلعت لسيدها وأسندت الأحدب إلى جهة السلم ومضيت أنا وزوجتى فنزل اليهودى فعثر فيه فظن أنه قتله ثم قال الخياط لليهودى أصحيح هذا قال نعم والتفت الخياط للوالى وقال أطلق اليهودى واشنقنى فلما سمع الوالى كلامه تعجب من أمر الأحدب وقال إن هذا أمر يؤرخ فى الكتب ثم قال للسياف أطلق اليهودى واشنق الخياط باعترافه فقدمه السياف وقال هل تقدم هذا وتؤخر هذا ولاتشنق واحدًا ثم وضع الحبل فى رقبة الخياط فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر الأحدب فقيل إنه كان مسخرة للسلطان وكان السلطان لا يقدر أن يفارقه فلما سكر الأحدب غاب عنه تلك الليلة وثانى يوم إلى نصف النهار فسأل عنه بعض الحاضرين فقالوا له يامولانا طلع به الوالى وهو ميت وأمر بشنق قاتله فنزل الوالى ليشنق القاتل فحضر له ثان وثالث وكل واحد يقول ماقتله إلا أنا وكل واحد يذكر للوالى سبب قتله فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على الحاجب وقال له انزل إلى الوالى وائتنى بهم جميعًا فنزل الحاجب فوجد السياف كاد أن يقتل الخياط فصرخ

عليه الحاجب وقال لا تفعل وأعلم الوالى أن القضية بلغت الملك ثم أخذه وأخذ الأحدب معه محمولا والخياط واليهودى والنصرانى والمباشر وطلع بالجميع إلى الملك فلما تمثل الوالى بين يديه قبل الأرض وحكى له جميع ماجرى مع الجميع فلما سمع الملك هذه الحكاية تعجب وأخذه الطرب وأمر أن يكتب ذلك بماء الذهب وقال للحاضرين هل سمعتم مثل قصة هذا الأحدب فعند ذلك تقدم النصرانى وقال ياملك الزمان إن أذنت لى حدثتك بشىء جرى لى وهو أعجب وأغرب وأطرب من قصة الأحدب فقال الملك حدثنا بما عندك فقال النصرانى اعلم يا ملك الزمان أنى لما دخلت تلك الديار وأتيت بمتجر وأوقعنى المقدور عندكم وكان مولدى بمصر وأنا من قبطها وتربيت وكان والدى سمسارًا فلما بلغت مبلغ الرجال توفى والدى فعملت سمسارًا مكانه فبينما أنا قاعد يومًا من الأيام وإذا بشاب أحسن مايكون وعليه أفخر ملبوس وهو راكب حمارًا فلما رآنى سلم على فقمت إليه تعظيمًا له فأخرج منديلا وفيه قدر من السمسم وقال كم يساوى الأردب من هذا فقلت له مائة درهم فقال لى خذ التراسين والكياليين واعمد إلى خان الجوالى فى باب النصر تجدنى فيه وتركنى ومضى وأعطانى السمسم بمنديله الذى فيه العينة فدرت على المشترين فبلغ ثمن كل أردب مائة وعشرين درهمًا فأخذت معى أربعة تراسين ومضيت إليه فوجدته فى انتظارى فلما رآنى قام إلى المخزن وفتحه فكيلناه فجاء ما فيه خمسين أردبًا فقال الشاب لك فى كل أردب عشرة دراهم سمسرة واقبض الثمن واحفظه عندك وقدر الثمن خمسة آلاف لك منها خمسمائة ويبقى لى أربعة آلاف وخمسمائة فإذا فرغ بيع حواصلى جئت إليك وأخذتها فقلت له الأمر كما تريد ثم قبلت يديه ومضيت فقعدت أنتظره فغاب عنى شهرًا ثم جاء وقال لى أين الدراهم؟ فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك أن تأكل عندنا شيئًا فأبى وقال لى احفظ الدراهم حتى أمضى وأجىء فآخذها منك ثم تولى فقمت وأحضرت له الدراهم وقعدت أنتظره فغاب عنى شهرا فقلت فى نفسى إن هذا الشاب كامل السماحة ثم بعد الشهر جاء وعليه ثياب فاخرة فلما رأيته قبلت يديه ودعوت له وقلت له ياسيدى أما تقبض دراهمك فقال مهلا على حتى أفرغ من قضاء مصالحى وآخذها منك ثم ولى فلما كان آخر السنة جاء وعليه بدلة أفخر من الأولى فحلفت عليه أن ينزل عندى



ويضيفنى فقال بشرط أن ما تنفقه من مالى الذى عندك قلت نعم وأجلسته ونزلت فهيأت ما ينبغى من الأطعمة والأشربة وغير ذلك وأحضرته بين يديه وقلت له بسم الله فتقدم إلى المائدة ومد يده للشمال وأكل معى فتعجبت منه فلما فرغنا غسل يده وناولته مايمسحها وجلسنا للحديث فقلت ياسيدى فرج عنى كربة لأى شىء أكلت بيدك الشمال لعل فى يدك اليمين شيئًا يؤلمك فلما سمع كلامى أنشد هذين البيتين :

خليل لا تسأل علي ما بمهجتي   من اللوعة الحرى فتظهر أسقام

وما عن رضا فارقت سلمى معوضا   بديلا ولكن للضرورة أحكام

ثم أخرج يده من كمه وإذا هى مقطوعة زندا بلا كف فتعجبت من ذلك فقال لى لاتعجب ولاتقل فى خاطرك أنى أكلت معك بيدى الشمال عجبا ولكن لقطع يدى اليمين سبب من العجب فقلت وماسبب ذلك فقال اعلم أنى من بغداد ووالدى من أكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون بالديار المصرية فبقى ذلك فى خاطرى حتى مات والدى فأخذت أموالاً كثيرة وهيأت متجراً من قماش وسافرت من بغداد وكتب الله لى السلامة حتى دخلت مدينتكم هذه ثم بكى وأنشد هذه الأبيات :

قد يسلم الأكمه من حفرة   يسقط فيها الباصر الناظر

ويسلم الجاهل من لفظة   يهلك فيها العالم الماهر

ويعسر المؤمن فى رزقه   ويرزق الكافر الفاجر

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصر وأنزلت القماش فى خان سرور وفككت أحمالى وأدخلتها وأعطيت الخادم دراهم ليشترى لنا بها شيئًا نأكله ونمت قليلا فلما قمت ذهبت بين القصرين ثم رجعت وبت ليلتى فلما أصبحت أخذت بعض القماش وحملته لبعض غلمانى وسرت حتى وصلت قيسرية جرجس فاستقبلنى السماسرة وكانوا علموا بمجيئى فأخذوا منى القماش ونادوا عليه فلم يبلغ ثمنه رأس ماله فقال لى شيخ الدلالين ياسيدى أنا أعرف لك شيئًا تستفيد به وهو أن تعمل مثل ما يعمل التجار فتبيع متجرك إلى مدة معلومة بكاتب وشاهد

وصيرفى وتأخذ ما تحصل من ذلك فى كل يوم خميس واثنين فتكسب الدراهم كل درهم اثنين وزيادة على ذلك تتفرج على مصر ونيلها فقلت هذا رأى سديد فأخذت معى الدلالين وذهبت إلى الخان فأخذوا القماش إلى القيسرية فبعته إلى التجار وكتبت عليهم وثيقة إلى الصيرفى وأخذت عليه وثيقة بذلك فتبقيت كل خميس واثنين أقعد على دكاكين التجار ويمضى الصيرفى والكاتب فيجيئان بالدراهم من التجار ويأتيانى بها إلى أن دخلت الحمام يومًا من الأيام وخرجت من الخان ودخلت وأفطرت على قدح من الشراب ثم نمت وانتبهت فأكلت دجاجة وتعطرت وذهبت إلى دكان تاجر يقال له بدر الدين البستانى فلما رآنى رحب بى وتحدث معى ساعة فى دكانه فبينما أنا كذلك وإذا بامرأة جاءت وقعدت بجانبى وعليها عصابة مائلة وتفوح منها روائح الطيب فسلبت عقلى بحسنها وجمالها ورفعت الإزار فنظرت إلى أحداق سود ثم سلمت على بدر الدين فرد عليها السلام ووقف وتحدث معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبى فقالت لبدر الدين هل عندك تفصيلة من القماش المنسوج من خالص الذهب فأخرج لها تفصيلة فقالت للتاجر هل آخذها وأذهب ثم أرسل إليك بثمنها فقال لها التاجر لايمكن ياسيدتى لأن هذا صاحب القماش وله على قسط فقالت ويلك إن عادتى أن آخذ منك كل قطعة قماش بجملة دراهم وأربحك فيها فوق ماتريد ثم أرسل إليك ثمنها فقال نعم ولكنى مضطر إلى الثمن فى هذا اليوم فأخذت التفصيلة وأرمته بها فى صدره وقالت إن طائفتكم لاتعرف لأحد قدرًا ثم قامت مولية فظننت أن روحى راحت معها فقمت ووقفت وقلت لها ياسيدتى تصدقى على بالالتفات وارجعى بخطواتك الكريمة فرجعت وتبسمت وقالت لأجلك رجعت وقعدت قصادى على الدكان فقلت لبدر الدين هذه التفصيلة كم ثمنها عليك؟ قال ألف ومائة درهم فقلت له ولك مائة درهم فائدة فهات ورقة فاكتب لك فيها ثمنها فأخذت التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطى وأعطيتها التفصيلة وقلت خذى أنت وروحى فأخذت التفصيلة وقالت ياسيدى لاتوحشنى وقد ولت وقعدت فى السوق إلى بعد العصر وأنا غائب العقل وقد تحكم الحب عندى فمن شدة ماحصل لى من الحب سألت التاجر عنها حين أردت القيام فقال : إن هذه صاحبة



مال وهى بنت أمير مات والدها وخلف لها مالا كثيرًا فودعته وانصرفت وجئت إلى الخان فقدم إلى العشاء فتذكرتها فلم آكل شيئًا ونمت فلم يأتنى نوم فسهرت إلى الصباح ثم قمت فلبست بدلة غير التى كانت على وشربت قدحًا من الشراب وأفطرت على شىء قليل وجئت إلى دكان التاجر فسلمت عليه وجلست عنده فجاءت الصبية وعليها بدلة أفخر من الأولى ومعها جارية



(الشاب وهو يعطى الجارية التفصيلة ويقول : خذيها أنت وروحى)

فسلمت وجلست على دكان بدرالدين وقالت لى بلسان فصيح ما سمعت أعذب ولا أحلى منه أرسل معى من يقبض ألف ومائة درهم ثمن التفصيلة فقلت لها ولأى شىء فقالت لا أعدمناك وناولتنى الثمن وقعدت أتحدث معها فأوميت إليها بالإشارة ففهمت إنى أريد وصالها فقامت على عجل منها واستوحشت منى وقلبى متعلق بها وخرجت أنا خارج السوق فى أثرها وإذا بجارية أتتنى وقالت ياسيدى كلم سيدتى فتعجبت وقلت مايعرفنى هنا أحد فقالت الجارية ما أسرع ما نسيتها سيدتى التى كانت اليوم على دكان التاجر فلان فمشيت معها إلى الصيارف فلما رأتنى زوتنى لجانبها وقالت ياحبيبى وقعت بخاطرى وتمكن حبك من قلبى ومن ساعة رأيتك لم يطب لى نوم ولا أكل ولاشرب فقلت لها عندى أضعاف ذلك والحال يغنى عن الشكوى فقالت ياحبيبى أجى عندك فقلت لها أنا رجل غريب ومالى مكان يأوينى إلا الخان فإن تصدقت على بأن أكون عندك يكمل الحظ قالت نعم لكن الليلة ليلة الجمعة مافيها شىء إلا إن كان فى غد بعد الصلاة فصل واركب حمارك واسأل عن الحبانية فإن وصلت فاسأل عن قاعة بركات النقيب المعروف بأبى شامة فإنى ساكنة هناك ولاتبطئ فإنى فى انتظارك ففرحت فرحًا زائدًا ثم تفرقنا وجئت للخان الذى أنا فيه وبت طول الليل سهران فما صدقت أن الفجر لاح حتى قمت وغيرت ملبوسى وتعطرت وتطيبت وأخذت معى خمسين دينارًا فى منديل ومشيت من خان مسرور إلى باب زويلة فركبت حمارًا وقلت لصاحبه امض بى إلى الحبانية فمضى فى أقل من لحظة فما أسرع ماوقف على درب يقال له درب المنقرى فقلت له ادخل الدرب واسأل عن قاعة النقيب فغاب قليلا وقال انزل فقلت امش قدامى إلى القاعة فمشى حتى أوصلنى إلى المنزل فقلت له فى غد تجينى هنا وتودينى فقال الحمّار بسم الله فناولته ربع دينار ذهبًا فأخذه وانصرف فطرقت الباب فخرج لى بنتان صغيرتان وبكران مهندتان كأنهما قمران فقالتا ادخل إن سيدتنا فى انتظارك فلما دخلت جلست . وأدرك شهرزاد الصباح فسّكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٨)

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب التاجر قال للنصراني فلما دخلت وجلست لم أشعر إلا والصبية قد أقبلت وعليها تاج مكلل بالدر والجوهر وهي منقشة مخططة فلما رأتني تبسمت في وجهي وحضنتني ووضعتني على صدرها وجعلت فمها على فمي وجعلت تمص لساني وأنا كذلك وقالت أصحيح أتيت عندي أم هذا منام فقلت لها أنا عبدك فقالت أهلا ومرحبًا والله من يوم رأيتك ما لذ لي نوم ولا طاب لي طعام فقلت وأنا كذلك ثم جلسنا نتحدث وأنا مطرق برأسي إلى الأرض حياء ولم أمكث إلا قليلا حتى قدمت لي سفرة من أفخر الألوان من محمر ومرق ودجاج محشوا فأكلت معها حتى اكتفينا ثم قدموا إلى الطشت والإبريق فغسلت يدي ثم تطيبنا بماء الورد والمسك وجلسنا نتحدث فأنشدت هذين البيتين :

لو علمنا قدومكم لفرشنا　　　مهجة القلب مع سواد العيون
ووضعنا خدودنا للقاكم　　　وجعلنا المسير فوق الجفون

وهي تشكو إلى مالاقت وأنا أشكو إليها مالقيت وتمكن حبها عندي وهان على جميع المال أخذنا نلعب ونتهارش مع العناق والتقبيل إلى أن أقبل الليل فقدمت لنا الجواري الطعام والمدام فاذا هي حضرة كاملة فشربنا إلى نصف الليل ثم اضطجعنا وغنا فنمت معها إلى الصباح فما رأيت عمري مثل هذه الليلة فلما أصبح الصباح قمت وزميت لها تحت الفراش المنديل الذى فيه الدنانير وودعتها وخرجت فبكت وقالت ياسيدي متى أرى هذا الوجه المليح فقلت لها أكون عندك وقت العشاء فلما خرجت أصبت الحمار الذى جاء بي الأمس على الباب ينتظرني فركبت معه حتى وصلت خان مسرور فنزلت وأعطيت الحمّار نصف دينار وقلت له تعالى في وقت الغروب قال على الرأس فدخلت الخان وأفطرت ثم خرجت أطالب بثمن القماش ثم رجعت وقد عملت لها خروفًا مشويًا وأخذت حلاوة ثم دعوت الحمال ووصفت له المحل وأعطيته أجرته ورجعت في أشغالي إلى الغروب فجاءني الحمار فركبت معه على العادة إلى القاعة فدخلت ثم أكلنا وشربنا وغنا إلى الصباح ولما قمت رميت لها المنديل وركبت إلى الخان على

العادة ولم أزل على تلك الحالة إلى أن بت وأصبحت لا أملك درهمًا ولادينارًا فقلت فى نفسى هذا من فعل الشيطان ثم تمشيت إلى أن وصلت بين القصرين ومازلت أمشى حتى وصلت إلى باب زويلة فوجدت الخلق فى ازدحام والباب منسد من كثرة الخلق فرأيت بالأمر المقدر جنديًا فزاحمته بغير اختيارى فجاءت يدى على جيبه فوجدت فيه صرة من داخل الجيب الذى يدى عليه فعمدت إلى تلك الصرة فأخذتها من جيبه فأحس الجندى بأن جيبه خف فحط يده فى جيبه فلم يجد شيئًا والتفت نحوى ورفع يده بالدبوس وضربنى على رأسى فسقطت إلى الأرض فأحاط الناس بنا وأمسكوا لجام فرس الجندى وقالوا أمن أجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندى وقال هذا حرامى سارق فعند ذلك افقت ورأيت الناس يقولون هذا الشاب مليح لم يأخذ شيئًا فبعضهم يصدق وبعضهم يكذب وكثر القيل والقال وجذبنى الناس وأرادوا خلاصى منه فبالأمر المقدر جاء الوالى هو وبعض الحكام فى هذا الوقت ودخلوا من الباب فوجدوا الخلق مجتمعين علىّ وعلى الجندى فقال الوالى ماالخبر فقال الجندى والله يا أمير إن هذا حرامى وكان فى جيبى كيس أزرق فيه عشرون دينارًا فأخذه وأنا فى الزحام فقال الوالى للجندى هل كان معك أحد فقال الجندى لا فصرخ على المقدم وقال أمسكه وفتشه فأمسكنى وقد زال الستر عنى فقال له الوالى أعره من جميع ماعليه فلما أعرانى وجدوا الكيس فى ثيابى فلما وجدوا الكيس أخذه الوالى وفتحه وعده فرأى فيه عشرين دينارًا كما قال الجندى فغضب الوالى وصاح على أتباعه وقال قدموه فقدمونى بين يديه فقال لى ياصبى قل الحق هل أنت سرقت هذا الكيس قلت نعم أخذته فلما سمع منى الوالى هذا الكلام تعجب ودعا الشهود فحضروا وشهدوا على منطقى هذا كله فى باب زويلة فأمر الوالى السياف بقطع يدى فقطع يدى اليمنى وأما الجندى فإنه أعطانى الكيس وقال إنت شاب مليح ولاينبغى أن تكون لصا فأخذته منه فتركنى الجندى وانصرف بعد أن أعطانى الكيس وانصرفت أنا ولفيت يدى فى خرقة وقد تغيرت حالتى واصفر لونى مما جرى لى فتمشيت إلى القاعة وأنا على غير استواء ورميت روحى على الفراش فنظرتنى الصبية متغير اللون فقالت لى ماوجعك مالى أرى حالتك تغيرت فقلت لها رأسى توجعنى وما أنا طيب فعند ذلك اغتاظت وتشوشت لاجلى وقالت لا تحرق قلبى ياسيدى اقعد وارفع رأسك وحدثنى بما حصل لك اليوم فقد بان لى فى وجهك كلام



فقلت دعينى من الكلام فبكت وقالت كأنك قد فرغ غرضك منا فإنى أراك على خلاف العادة فبكت وصارت تحدثنى وأنا لا أجيبها حتى أقبل الليل فقدمت لى الطعام فامتنعت وخشيت أن ترانى آكل فى هذه الساعة فقالت حدثنى بما جرى لك فى هذا اليوم ولا شىء أراك مهمومًا مكسور الخاطر والقلب فقلت فى هذه الساعة أحدثك على مهلى فقدمت لى الشراب وقالت دونك فإنه يزيل همك فلابد أن تشرب وتحدثنى بخبرك فقلت لها إن كان ولابد فاسقينى بيدك فملأت القدح وشربته وملأته وناولتنى إياه فتناولته منها بيدى الشمال وفرت الدمعة من جفنى فأنشدت هذه الأبيات :

إذا أراد الله أمرًا لامرئ — وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذنيه وأعمى قلبه — وسل منه عقله سل الشعر
حتى إذا نفذ فيه حكمه — رد إليــه عقله ليعتبر

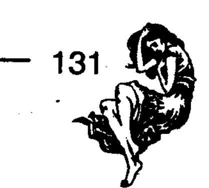
فلما فرغت من شعرى تناولت القدح بيدى الشمال وبكيت فلما رأتنى أبكى صرخت صرخة قوية وقالت ماسبب بكائك قد أحرقت قلبى ومالك تناولت القدح بيدك الشمال فقلت لها إن بيدى حبة فقالت أخرجها حتى أفقعها لك فقلت ما هو وقت فقعها إلا تطيلى على فما أخرجها فى تلك الساعة ثم شربت القدح ولم تزل تسقينى حتى غلب على السكر فنمت مكانى فأبصرت يدى بلا كف ففتشتنى فرأت معى الكيس الذى فيه الذهب فدخل عليها الحزن مالا يدخل على أحد ومازالت تتألم بسببى إلى الصباح فلما أفقت من النوم وجدتها هيأت لى مسلوقة فإذا هى أربعة من طيور الدجاج وأسقتنى قدح شراب فأكلت وشربت وحطيت الكيس وأردت الخروج فقالت أين تروح فقلت إلى مكان كذا لأزحزح الهم عن قلبى فقالت لاتروح بل اجلس فجلست فقالت لى وهل بلغت محبتك إياى إلى أن صرفت جميع مالك على وعدمت كفك فأشهدك على والشاهد الله أنى لا أفارقك وسترى صحة قولى ولعل الله استجاب دعوتى بزواجك وأرسلت خلف الشهود فحضروا فقالت لهم اكتبوا كتابى على هذا الشاب واشهدوا أنى قبضت المهر فكتبوا كتابى عليها ثم قالت اشهدوا أن جميع مالى الذى فى هذا الصندوق وجميع ما عندى من المماليك والجوارى لهذا الشاب فشهدوا عليها ثم نقلت

مافى صندوقها إلى صندوقى وضمت مالها إلى مالى الذى كنت أعطيتها إياه وفرح قلبى وزال همى فقبلتها وسكرت معها فقالت لقد بذلت جميع مالك ويدك فى محبتى فكيف أقدر على مكافأتك والله لو بذلت روحى فى محبتك لكان ذلك قليل وما أقوم بواجب حقك على ثم إنها كتبت لى جميع ما تملك من ثياب بدنها وصيغتها وأملاكها بحجة ومانامت تلك الليلة إلاّ مهمومة من أجلى حين حكيت لها ما وقع لى وبت معها ثم أقمنا على ذلك أقل من شهر وقوى بها الضعف وزاد بها المرض وما مكثت غير خمسين يومًا ثم صارت من أهل الآخرة فجهزتها وواريتها فى التراب وعملت لها ختمات وتصدقت عليها بجملة من المال ثم نزلت من التربة فرأيت لها مالا جزيلا وأملاكًا وعقارات ومن جملة ذلك تلك المخازن السمسم التى بعت لك منها ذلك المخزن وما كان اشتغالى عنك هذه المدة إلا لأنى بعت بقية الحواصل وإلى الآن لم أفرغ من قبض الثمن فأرجو منك إنك لاتخالفنى فيما أقوله لك لأنى أكلت زادك فقد وهبتك ثمن السمسم الذى عندك فهذا سبب أكلى بيدى الشمال فقلت له لقد أحسنت إلى وتفضلت فقال لابد أن تسافر معى إلى بلادى فإنى اشتريت متجرًا مصريًا واسكندرانيًا فهل لك مصاحبتى فقلت نعم وواعدته على رأس الشهر ثم بعت جميع ما أملك واشتريت به متجرًا وسافرت أنا وذلك الشاب إلى هذه البلاد التى هى بلادكم فباع الشاب واشترى متجرًا عوضه من بلادكم ومضى إلى الديار المصرية فكان نصيبى من قعودى هذه الليلة حتى حصل ماحصل من غربتى فهذا ياملك الزمان ما هو أعجب من حديث الأحدب فقال الملك لابد من شنقكم كلكم : وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٢٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ملك الصين لما قال لابد من شنقكم فعند ذلك تقدم المباشر إلى ملك الصين وقال إن أذنت لى حكيت لك حكاية اتفقت لى فى تلك المدة قبل أن أجد هذا الأحدب وإن كانت أحب من حديثه تهب لنا أرواحنا فقال الملك هات ما عندك فقال اعلم أنى كنت تلك الليلة الماضية عند جماعة عملوا ختمة وجمعوا الفقهاء فلما قرأوا المقرءون



وفرغوا مدوا السمائط فمن جملة ما قدموا زرباجة فقدمنا لنأكل الزرباجة فتأخر واحد منا وامتنع عن الأكل منها فحلفنا عليه فأقسم أنه لا يأكل منها فشددنا عليه فقال لاتشددوا على فكفانى ماجرى لى من أكلها فأنشد هذا البيت :

إذا صديق أنكرت جانبه   لم تعنى على فراقه الحيل

فلما فرغنا قلنا له بالله ماسبب امتناعك عن الأكل من هذه الزرباجة فقال إنى لآكل منها إلا إن غسلت يدى أربعين مرة بالأشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فجملتها مائة وعشرون مرة فعند ذلك أمر صاحب الدعوة غلمانه فأتوا بالماء الذى طلبه فغسل يديه كما ذكر ثم تقدم وهو متكره وجلس ومد يده وهو مثل الخائف ووضع يده فى الزرباجة وصار يأكل وهو متغصب ونحن نتعجب منه غاية التعجب ويده ترتعد فنصب إبهام يده فإذا هو مقطوع وهو يأكل بأربعة أصابع فقلنا له بالله عليك ما لإبهامك هكذا أهو خلقة الله أم أصابه حادث فقال يا إخوانى اعلموا أن والدى كان تاجراً من التجار الكبار وكان أكبر تجار مدينة بغداد فى أيام الخليفة هارون الرشيد وكان مولعًا بشرب الخمر وسماع العود فلما مات لم يترك شيئًا فجهزته وقد عملت له ختمات وحزنت عليه أيامًا وليالى ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف إلا يسيرًا ووجدت عليه ديونًا كثيرة فصبرت أصحاب الديون وطيبت خواطرهم وصرت أبيع وأشترى وأعطى من الجمعة إلى الجمعة أصحاب الديون وما زلت على هذه الحالة مدة إلى أن وفيت الديون وزدت على رأس مالى فبينما أنا جالس يومًا من الأيام إذا رأيت صبية لم تر عينى أحسن منها عليها حلى وحلل فاخرة وهى راكبة بغلة وقدامها عبد ووراءها عبد فأوقفت البغلة على رأس السوق ودخلت ودخل وراءها خادم فلما نظرت إلى دكاكين التجار لم تجد أفخر من دكانى فلما وصلت إلى جهتى والخادم خلفها وصلت إلى دكانى وسلمت علىّ فما وجدت أحسن من حديثها ولا أعذب من كلامها ثم كشفت عن وجهها فنظرتها نظرة أعقبتنى ألف حسرة وتعلق قلبى بمحبتها وجعلت أكرر النظر إلى وجهها وأنشد هذين البيتين :

قل للمليحة فى الخمار الفاختى   الموت حقا من عذابك راحتى
جودى على بزورة أحيا بها   ها قد مددت إلى نوالك راحتى

فلما سمعت إنشادى أجابتنى بهذه الأبيات :

عدمت فؤادى فى الهوى أن سلاكم	فإن فؤادى لايحب سواكم
وإن نظرت عينى إلى غير حسنكم	فلا سرها بعد العباد لقاكم
حلفت يمينًا لست أسلو هواكم	وقلبى حزين مغرم بهواكم
سقانى الهوى كأسًا من الحب صافيًا	فياليته لما سقانى سقاكم
خذوا رمقى حيث استقرت بكم نوى	وأين حللتم فادفنونى حداكم
وأن تذكروا اسمى عند قبرى يجيبكم	أنين عظامى عند وقع نداكم
فلو قيل لى ماذا على الله تشتهى	لقلت رضا الرحمن ثم رضاكم

فلما فرغت من شعرها قالت يا فتى أعندك تفاصيل ملاح فقلت ياسيدتى مملوكك فقير ولكن اصبرى حتى يفتح التجار دكاكينهم وأجىء لك بما تريدينه ثم تحدثت أنا وإياها وأنا غارق فى بحر محبتها تائه فى عشقها حتى فتح التجار دكاكينهم فقمت وأخذت لها جميع ماطلبته وكان ثمن ذلك خمسة آلاف درهم فالتزمته للتجار ولم أزل على هذه الحالة أسبوعًا وطالبنى التجار بأموالهم فصبرتهم أسبوعًا آخر فبعد الأسبوع أقبلت تحدثنى بحديثها الحسن ثم قالت هات الميزان وزن مالك فأعطتنى ثمن ما أخذته بزيادة ثم انبسطت معى فى الكلام فكدت أن أموت فرحًا وسرورًا ثم قالت لى هل لك أنت زوجة فقلت لا إنى لا أعرف امرأة ثم بكيت فقالت لى مالك تبكى فقلت من شىء خطر ببالى إنى أخذت بعض دنانير وأعطيتها للخادم وسألته أن يتوسط فى الأمر فضحك وقال هى عاشقة لك أكثر منك وما لها بالقماش حاجة وإنما هى لأجل محبتها لك فخاطبها بما تريد فإنها لاتخالفك فيما تقول فرأتنى وأنا أعطى الخادم الدنانير فرجعت وجلست ثم قلت لها تصدقى على مملوكك واسمحى له فيما يقول ثم حدثتها بما فى خاطرى فأعجبها ذلك وأجابتنى وقالت هذا الخادم يأتى برسالتى واعمل أنت بما يقول لك الخادم ثم قامت ومضت وقمت وسلمت التجار أموالهم وحصل لهم الربح إلا أنا فإنها حين ذهبت حصل لى الندم من انقطاع خبرها عنى ولم أنم طول الليل فما كان إلا أيام قلائل وجاءنى خادمها فأكرمته وسألته عنها فقال إنها مريضة فقلت للخادم اشرح لى أمرها قال إن



هذه الصبية ربتها السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد وهى من جواريها وقد اشتهت على سيدتها الخروج والدخول فأذنت لها فى ذلك فصارت تدخل وتخرج حتى صارت قهرمانة ثم إنها حدثت بك سيدتها وسألتها أن تزوجها بك فقالت لا أفعل حتى أنظر هذا الشاب فإن كان يشبهك زوجتك به ونحن نريد فى هذه الساعة أن ندخل الدار فماذا تقول فقلت نعم أروح معك وأصبر على الأمر الذى حدثتنى به فقال لى الخادم إذا كانت هذه الليلة فامض إلى المسجد الذى بنته السيدة زبيدة على الدجلة فصل فيه وبت هناك فقلت حبًا وكرامة فلما جاء وقت العشاء مضيت إلى المسجد وصليت فيه وبت هناك فلما كان وقت الصبح رأيت الخادمين قد أقبلا فى زورق ومعهما صناديق فارغة فأدخلوها فى المسجد وانصرفوا وتأخر واحد منهما فتأملته وإذا هو الذى كان واسطة بينى وبينها فبعد ساعة صعدت إلينا الجارية صاحبتى فلما أقبلت قمت إليها وعانقتها فقبلتنى وبكت وتحدثنا ساعة فأخذتنى ووضعتنى فى صندوق وأغلقته على ولم أشعر إلا وأنا فى دار الخليفة وجاءوا إلىّ بشىء كثير من الأمتعة بحيث يساوى خمسين ألف درهم ورأيت عشرين جارية أخرى وهن نهد أبكار وبينهن الست زبيدة فأتيت إليها وقبلت الأرض بين يديها فأشارت لى بالجلوس فجلست بين يديها ثم شرعت تسألنى عن حالى وعن نسبى فأجبتها عن كل ماسألتنى عنه ففرحت وقالت والله ماخابت تربيتنا فى هذه الجارية ثم قالت لى اعلم أن هذه الجارية عندنا بمنزلة ولد الصلب وهى وديعة الله عندك فقبلت الأرض قدامها ورضيت بزواجى إياها ثم أمرتنى أن أقيم عندهم عشرة أيام فأقمت عندهم هذه المدة وأنا لا أدرى من هى الجارية إلا أن بعض الوصائف تأتينى بالغداء والعشى لأجل الخدمة وبعد هذه المدة استأذنت السيدة زبيدة زوجها أمير المؤمنين فى زواج جاريتها فأذن لها وأمر لها بعشرة آلاف دينار فأرسلت السيدة زبيدة إلى القاضى والشهود وكتبوا كتابى عليها وبعد ذلك عملوا الحلويات والأطعمة الفاخرة فوالله حين حضرت المائدة ما أمهلت نفسى حتى نزلت على الزرباجة وأكلت منها بحسب الكفاية ومسحت يدى ونسيت أن أغسلها ومكثت جالسًا إلى أن دخل الظلام وأوقدت الشموع وأقبلت المغنيات بالدفوف ومازالوا يجلون العروسة وينقطون بالذهب حتى طافت القصركله وبعد ذلك أقبلوا علىّ ونزعوا ما عليها من الملبوس فلما خلوت بها فى الفراش وعانقتها وأنا لم أصدق بوصالها شمت فى يدى رائحة الزرباجة فلما

شمت الرائحة صرخت صرخة فنزل لها الجوارى من كل جانب فارتجفت ولم أعلم ما الخبر فقالت الجوارى مالك يا أختنا؟ فقالت لهم أخرجوا عنى هذا المجنون فأنا أحسب أنه عاقل فقلت لها وما الذى ظهر لك من جنونى فقالت يامجنون لأى شىء أكلت من الزرباجة ولم تغسل يدك فوالله لا أقبلك على عدم عقلك وسوء فعلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للشاب لا أقبلك على عدم عقلك وسوء فعلك ثم تناولت من جانبها سوطًا ونزلت به على ظهرى ثم على مقاعدى حتى غبت عن الوجود من كثرة الضرب ثم راحت وغابت عنى عشرة أيام ولم أرها إلا بعد العشرة أيام ثم أقبلت على وقالت لى يا أسود الوجه أنا لا أصلح لك فكيف تأكل الزرباجة ولم تغسل يدك ثم صاحت على الجوارى فكتفونى وأخذت موسا ماضيا وقطعت إبهامى يدى وإبهامى رجلى كما ترون ياجماعة فغشى علىّ ثم ذرت علىّ بالذرور فانقطع الدم وقلت فى نفسى لا آكل الزرباجة مابقيت حتى أغسل يدى أربعين مرة بالأشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فأخذت على ميثاقًا أنى لا آكل الزرباجة حتى أغسل يدى كما ذكرت لكم قال لما حلفت لها طاب قلبها ونمت أنا وإياها وأقمنا مدة على هذا الحال وبعد تلك المدة قالت إن أهل دار الخلافة لايعلمون بما حصل بينى وبينك فيها وما دخلها أجنبى غيرك وما دخلت فيها إلا بعناية السيدة زبيدة ثم أعطتنى خمسين ألف دينار وقالت خذ هذه الدنانير وأخرج واشتر لنا بها دار فسيحة فخرجت واشتريت دارًا مليحة فسيحة ونقلت جميع ماعندها من النعم وما أدخرته من الأموال والقماش والتحف إلى هذه الدار التى اشتريتها فهذا سبب قطع إبهامى فقال الملك ماهذا بأعذب من حديث الأحدب بل حديث الأحدب أعذب من ذلك ولابد من صلبكم جميعا وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٣١)

قالت : بلغنى أن الملك قال لابد من صلبكم جميعًا فتقدم اليـهودى وقبل الأرض وقال ياملك الزمان أنا أحدثك بحديث أعجب من حديث الأحدب فقال له ملك الصين هات ما عندك فقال أعجَب ماجرى لى فى زمن شبابى أنى كنت فى دمشق الشام وتعلمت منه صنعة فعملت فيها فبينما أنا أعمل فى صنعتى يومًا من الأيام إذ أتانى مملوك من بيت الصاحب بدمشق فخرجت له وتوجهت معه إلى منزل الصاحب فدخلت فرأيت فى صدر الإيوان سريرًا من المرمر بصفائح الذهب وعليه مريض راقد وهو شاب لم ير أحسن منه فى زمانه فقعدت عند رأسه ودعوت له بالشفا فأشار إلىّ بعينه فقلت له ياسيدى ناولنى يدك فأخرج لى يده اليسرى فتعجبت من ذلك وقلت فى نفسى يا لله العجب إن هذا الشاب مليح ومن بيت كبير وليس عنده أدب أن هذا هو العجب ثم جسست مفاصله وكتبت له ورقة ومكثت أتردد عليه مدة عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر قال الشاب هل لك أن تتفرج فى الغرفة فقلت نعم فأمر العبيد أن يطلعوا الفراش إلى فوق وأمرهم أن يشووا خروفًا وأن يأتوا إلينا بفاكهة ففعل العبيد ما أمرهم به وأتوا بالفاكهة فأكلنا وأكل هو بيده الشمال فقلت له حدثنى بحديثك فقال لى ياحكيم الزمان اسمع حكايتى وما جرى لى اعلم أننى من أولاد الموصل وكان لى والد قد توفى أبوه وخلف عشرة أولاد ذكور من جملتهم والدى وكان أكبرهم فكبروا كلهم وتزوجوا ورزق والدى بى وأما إخوته التسعة فلم يرزقوا بأولاد فكبرت أنا وصرت بين أعمامى وهم فرحون بى فرحًا شديدا فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال وكنت ذات يومًا مع والدى فى جامع الموصل وكان اليوم يوم جمعة فصلينا الجمعة وخرج الناس جميعًا وأما والدى وأعمامى فأنهم قعدوا يتحدثون عن عجائب البلاد وغرائب المدن إلى أن ذكروا مصر فقال بعض أعمامى إن المسافرين يقولون ماعلى وجه الأرض أحسن من مصر ونيلها فلما فرغوا من كلامهم وسمعت أنا هذه الأوصاف التى فى مصر صار خاطرى مشغولا بها ثم انصرفوا وتوجه كل واحد منهم إلى منزله فبت تلك الليلة لم يأتنى نوم من شغفى بها ولم يطب لى أكل ولا شرب فلما كان بعد أيام قلائل تجهز أعمامى

إلى مصر فبكيت على والدى لأجل الذهاب معهم حتى جهز لى متجراً ومضيت معهم وقال لهم لاتدعوه يدخل مصر بل اتركوه فى دمشق ليبيع متجره فيها ثم سافرنا إلى أن وصلنا دمشق فرأيناها مدينة ذات أشجار وأنهار وأثمار وأطيار كأنها جنة فيها من كل فاكهة فنزلنا فى بعض الخانات واستمر بها أعمامى حتى باعوا واشتروا وباعوا بضاعتى فربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح ثم تركنى أعمامى وتوجهوا إلى مصر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لما تركوه أعمامه وتوجهوا إلى مصر قال مكثت بعدهم وسكنت فى قاعة مليحة البنيان يعجز عن وصفها اللسان أجرتها كل شهر بدينارين وصرت أتلذذ بالمآكل والمشارب حتى صرفت المال الذى كان معى فبينما أنا قاعد على باب القاعة يوماً من الأيام وإذا بصبية أقبلت على وهى لابسة أفخر الملابس ما رأت عينى أفخر منها فعزمت عليها فما قصرت بل صارت داخل الباب فلما دخلت ظفرت بها وفرحت بدخولها فرددت الباب على وعليها وكشفت عن وجهها وقلعت إزارها فوجدتها بديعة الجمال فتمكن حبها فى قلبى فقمت وجئت بسفرة من أطيب المأكول والفاكهة ومايحتاج إليه المقام وأكلنا ولعبنا وبعد اللعب شربنا حتى سكرنا ثم نمت معها فى أطيب ليلة إلى الصباح وبعد ذلك أعطيتها عشرة دنانير فحلفت أنها لا تأخذ الدنانير منى وواعدتنى بعد ثلاثة أيام أنها تحضر عندى فهيأت ما يليق لها بالمقام وبعد ثلاثة أيام حضرت فى قماش أعظم من الأول والثانى ثم قالت ياسيدى هل أنا مليحة فقلت أى والله فقالت هل تأذن لى أن أجىء معى بصبية أحسن منى وأصغر منى لنضحك وإياها ثم أعطتنى عشرين ديناراً وقالت لى زد لنا المقام لأجل الصبية التى تأتى معى ثم إنها ودعتنى وانصرفت فلما كان اليوم الرابع وإذا بها قد أتت ومعها واحدة ملفوفة بأزار فدخلتا وجلستا ففرحت وأوقدت الشموع واستقبلتهما بالفرح والسرور فقامتا ونزعتا



ماعليهما من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرأيتها كالبدر فى تمامه فلم أر أحسن منها فقمت وقدمت لهما الأكل والشرب فأكلنا وشربنا وصرت أقبل الصبية الجديدة وأملأ لها القدح وأشرب معها فغارت الصبية الأولى فى الباطن ثم قالت بالله إن هذه الصبية مليحة أما هى أظرف منى قلت أى والله قالت خاطرى أن تنام معها قلت على رأسى وعينى ثم قامت وفرشت لنا فقمت ونمت مع الصبية الجديدة إلى وقت الصبح فلما أصبحت وجدت يدى ملوثة بدم ففتحت عينى فوجدت الشمس قد طلعت فنبهت الصبية فتدحرجت رأسها عن بطنها فظننت أنها فعلت ذلك من غيرتها منها ففكرت ساعة ثم قمت قلعت ثيابى وحفرت فى القاعة ووضعت الصبية ورددت التراب وأعدت الرخام كما كان ورفعت المخدة فوجدت تحتها العقد الذى كان فى عنق تلك الصبية فأخذته وتأملته وبكيت ساعة ثم أقمت يومين وفى الثالث دخلت الحمام وغيرت أثوابى وأنا مامعى شىء من الدراهم فجئت يومًا إلى السوق فوسوس لى الشيطان لأجل إنفاذ القدر فأخذت العقد الجوهر وتوجهت به إلى السوق وناولته للدلال فقام لى وأجلسنى بجانبه وصبر حتى عمر السوق وأخذه الدلال ونادى عليه خفية وأنا لا أعلم وإذا بالعقد مثمن بلغ ثمنه ألف دينار فجاءنى الدلال وقال لى إن هذا العقد نحاس مصنوع بصنعة الإفرنج وقد وصل إلى ثمنه ألف درهم فرح واقبض الألف درهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٣٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال للدلال اقبض الألف درهم وسمع الدلال ذلك عرف أن قضيته مشكلة فتوجه بالعقد إلى كبير السوق وأعطاه إياه فأخذه وتوجه به إلى الوالى وقال له إن هذا العقد سرق من عندى ووجدنا الحرامى لابسًا لباس أولاد التجار فلم أشعر إلا والظلمة قد أحاطوا بى وأخذونى وذهبوا بى إلى الوالى فسألنى الوالى عن ذلك العقد فقلت له ماقلته للدلال فضحك الوالى وقال ماهذا كلام الحق فلم أدر إلا وحواشيه جردونى من ثيابى

وضربونى بالمقارع على جميع بدنى فأحرقنى الضرب فقلت أنا سرقته فلما قلت أنى سرقته قطعوا يدى وقلوها فى الزيت فغشى علىّ فسقونى الشراب حتى أفقت فأخذت يدى وجئت إلى القاعة فقال صاحب القاعة حينما جرى لك هذا فادخل القاعة وانظر لك موضعًا آخر لأنك متهم بالحرام فقلت له يا سيدى اصبر علىّ يومين أو ثلاثة حتى أنظر لى موضعًا فلما مضى صاحب القاعة عنى لحقنى غم شديد فتشوشت يومين وفى اليوم الثالث ما أدرى إلا وصاحب القاعة جاءنى ومعه بعض الظلمة وكبير السوق وادعى علىّ أنى سرقت العقد فخرجت لهم وقلت ما الخبر فلم يمهلونى بل كتفونى ووضعوا فى رقبتى جنزيرًا وقالوا لى إن العقد الذى كان معك طلع لصاحب دمشق ووزيرها وحاكمها ، فلما سمعت هذا الكلام منهم ارتعدت مفاصلى وقلت فى نفسى هم يقتلوننى لا محالة والله لابد أننى أحكى للصاحب حكايتى فإن شاء قتلنى وإن شاء عفى عنى فلما وصلنا إلى الصاحب أوقفنى بين يديه فلما رآنى قال أهذا هو الذى سرق العقد ونزل به ليبيعه إنكم قطعتم يده ظلمًا ثم نظر إلى الصاحب وقال يا ولدى حدثنى واصدقنى كيف وصل إليك العقد فقلت يا مولاى إنى أقول لك الحق ثم حدثته بجميع ما جرى لى مع الصبية الأولى وكى جاءتنى الثانية وكيف ذبحتها من الغيرة وذكرت له الحديث بتمامه فلما سمع كلامى هز رأسه وقال صحيح فإنى أعلم بذلك قبل أن تخبرنى به فانظر يا ولدى ما جرى وأنا أشتهى منك ألا تخالفنى فيما أقول لك وهو أنى أريد أن أزوجكم ابنتى الصغيرة فإنها ليست شقيقة لهما وهى بكر ولا آخذ منك مهرًا وأجعل لكما راتبًا من عندى وتبقى عندى بمنزلة ولدى فقلت له الأمر كما تريد يا سيدى فأقمت عنده ثلاثة أيام وأعطانى مالاً كثيرًا وسافرت من عنده فوصلت إلى بلدكم هذه فطابت لى المعيشة وجرى لى مع الأحدب ما جرى فقال ملك الصين ما هذا بأعجب من حديث الأحدب ولابد لى من شنقكم جميعًا وخصوصًا الخياط الذى هو رأس كل خطيئة قال ياخياط إن حدثتنى بشىء أعجب من حديث الأحدب وهبت لكم أرواحكم .



(حكاية مزين بغداد)

فعند ذلك تقدم الخياط وقال اعلم ياملك الزمان أن الذى جرى لى أعجب مما جرى للجميع لأنى كنت قبل أن أجتمع بالأحدب أول النهار فى وليمة بعض أصحاب أرباب الصنائع من خياطين وبزازين ونجارين وغير ذلك فلما طلعت الشمس حضر الطعام لنأكل وإذابصاحب الدار قد دخل علينا ومعه شاب وهو أحسن مايكون من الجمال غير أنه أعرج فدخل علينا وسلم فقمنا فلما أراد الجلوس رأى فينا إنسانًا مزينًا فامتنع من الجلوس وأراد أن يخرج من عندنا فمنعناه نحن وصاحب المنزل وشددنا عليه وحلف عليه صاحب المنزلة وقال له ماسبب دخولك وخروجك فقال بالله يامولاى لاتتعرض لى بشىء فإن سبب خروجى هذا المزين الذى هو قاعد فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال كيف يكون هذا الشاب من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم التفتنا إليه وقلنا له احك لنا ماسبب غيظك من هذا المزين فقال الشاب اعلموا ياجماعة الخير أن والدى من أكابر بغداد ولم يرزقه الله بولد غيرى فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال توفى والدى إلى رحمة الله تعالى وخلف لى مالا وخدما وحشما فصرت ألبس أحسن الملابس وآكل أحسن المآكل وكأن الله سبحانه وتعالى بغضنى فى النساء إلى أن كنت ماشيًا يومًا من الأيام فى أزقة بغداد وإذا بجماعة تعرضوا إلىّ فى الطريق فهربت ودخلت زقاقًا لا ينفد وارتكنت فى آخره على مصطبة فلم أقعد غير ساعة وإذا بطاقة قبالة المكان الذى أنا فيه فتحت وطلت منها صبية كالبدر فى تمامه لم أر فى عمرى مثلها ولها زرع تسقيه وذلك الزرع تحت الطاقة فالتفت يمينًا وشمالاً ثم قفلت الطاقة وغابت عن عينى فانطلقت فى قلبى النار واشتغل خاطرى بها وانقلب بغضى للنساء محبة فما زلت جالسًا فى هذا المكان إلى المغرب وأنا غائب عن الدنيا من شدة الغرام وإذا بقاضى المدينة راكب وقدامه عبيد ووراءه خدم فنزل ودخل إلى البيت الذى طلت منه تلك الصبية فعرفت أنه أبوها ثم إنى جئت منزلى وأنا مكروب مهموم فدخلت على عجوز فلما رأتنى لم يخف عليها حالى فقعدت عند رأسى ولاطفتنى وقالت لى ياولدى قل لى خبرك فحكيت لها حكايتى . وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

الليلة (٣٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لما حكى للعجوز حكايته قالت يا ولدى إن هذه بنت قاضى بغداد وعليها الحجر والموضع الذى رأيتها فيه هو طبقتها وأبوها له قاعة كبيرة أسفل

(بنت القاضى وهى تطل من الطاقة لتسقى الزرع)



وهى وحدها وأنا كثيراً ما أدخل عندهم ولاتعرف وصالها إلا منى فشد حيلك فتجلدت وقويت نفسى حين سمعت حديثها وفرح أهلى فى ذلك اليوم وأصبحت متماسك الأعضاء مرتجيًا تمام الصحة ثم مضت العجوز ورجعت ووجهها متغير فقالت ياولدى لاتسأل عما جرى منها لماقلت لها ذلك فإنها قالت لى إن لم تسكتى ياعجوز النحس عن هذا الكلام لأفعلن بك ماتستحقينه ولابد أن أرجع إليها ثانى مرة فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضى فلما كان بعد أيام أتت العجوز وقالت يا ولدى إنى ذهبت بالأمس إلى تلك الصبية فلما أنظرتنى وأنا منكسرة الخاطر باكية العين قالت ياخالتى مالى أراك ضيقة الصدر فلما قالت لى ذلك بكيت وقلت لها يا بنتى وسيدتى إنى أتيتك بالأمس من عند فتى يهواك وهو مشرف على الموت من أجلك فقالت وقد رق قلبها ومن أين يكون هذا الفتى الذى تذكرينه قلت هو ولدى وثمرة فؤادى ورآك من الطاقة من أيام مضت وأنت تسقين زرعك ورأى وجهك فهام بك عشقًا وأنا أول مرة أعلمته بما جرى لى معك فزاد مرضه ولزم الوساد وماهو إلا ميت لا محالة فقالت وقد اصفر لونها وهل هذا كله من أجلى قلت أى والله فماذا تأمرين قالت امضى إليه وأقرئيه منى السلام وأخبريه أن عندى أضعاف ما عنده فإذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجىء إلى الدار وأنا أقول افتحوا له الباب وأطلعه عندى واجتمع أنا وإياه ساعة ويرجع قبل مجىء أبى من الصلاة قلت لها إن هذا هو الرأى الصواب ولكن أحلق رأسى أولا ثم أدخل الحمام فأرسلت إلى المزين ليحلق لى رأسى وقلت للغلام امض إلى السوق وائتنى بمزين يكون عاقلا قليل الفضول لايصدع رأسى بكثرة كلامه فمضى الغلام وأتى بهذا الشيخ فلما دخل سلم على فرددت عليه السلام فقال أذهب الله غمك وهمك والبؤس والأحزان عنك فقلت تقبل الله منك فقال أبشر ياسيدى فقد جاءتك العافية أتريد تقصير شعرك أو إخراج دم فإنه ورد عن ابن عباس أنه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء وروى أيضًا أنه قال من احتجم يوم الجمعة فإنه يأمن ذهاب البصر وكثرة المرض فقلت له دع عنك هذا الهذيان وقم فى هذه الساعة احلق لى رأسى فإنى رجل ضعيف فقام ومد يده وأخرج منديلاً وفتحه وإذا فيه اصطرلاب وهو سبع صفائح فأخذه ومضى إلى وسط الدار ورفع رأسه إلى شعاع الشمس ونظر مليا وقال لى اعلم أنه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة وهو عاشر صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وطالعه بمقتضى ما أوجبه على الحساب المريخ سبع درج وستة دقائق واتفق أنه يدل على أن حلق الشعر جيدًا جدًا ودل عندى على أنك تريد الإقبال على شخص وهو مسعود لكن بعده كلام يقع وشيء لا أذكره لك فقلت له قد أضجرتنى وأزهقت روحى وفولت على وأنا ما طلبتك إلا لتحلق رأسى فقم واحلق رأسى ولاتطل على الكلام فقال والله لو علمت حقيقة الأمر لطلبت منى زيادة البيان وأنا أشير عليك أن تعمل اليوم بالذى آمرك به بمقتضى حساب الكواكب فلما سمعت ذلك قلت له أنك قاتلى فى هذا اليوم لا محالة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال له إنك قاتلى فى هذا اليوم فقال ياسيدى أنا الذى تسمينى الناس الصامت لقلة كلامى دون إخوتى لأن أخى الكبير اسمه البقبوق والثانى الهدار والثالث بقبق والرابع الكوز الأصوانى والخامس اسمه العشاء والسادس اسمه شقالق والسابع اسمه الصامت وهو أنا فلما زاد على المزين بالكلام رأيت أن مرارتى انفطرت وقلت للغلام اعطه ربع دينار وخله ينصرف عنى لوجه الله فلا حاجة فى حلاقة رأسى فقال المزين حين سمع كلامى مع الغلام يامولاى ما أظنك تعرف بمنزلتى فإن يدى تقع على رأس الملوك والأمراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفى مثلى قال الشاعر :

جميع الصنائع مثل العقود وهذا المزين در السلوك
فيعلوا على كل ذى حكمة وتحت يديه رءوس الملوك

فقلت : دع مالا يعنيك فقد ضيقت صدرى وأشغلت خاطرى فقال أظنك مستعجلا فقلت له نعم فقال أنا مهموم من عجلتك فلو أطلعتنى على سببها لكان خيرا لك لأنك تعلم أن والدك ماكان يفعل شيئًا إلا بمشورتى فلما علمت أن مالى منه خلاص قلت فى نفسى قد جاء وقت الصلاة وأريد أن أمضى قبل أن تخرج الناس من الصلاة فإن تأخرت ساعة لا أدرى أين السبيل إلى الدخول إليها فقلت أوجز ودع عنك هذا الكلام والفضول فإنى أريد أن أمضى إلى دعوة عند



أصحابى فلما سمع ذكر الدعوة قال يومك يوم مبارك على لقد كنت البارحة حلفت على جماعة من أصدقائى ونسيت أن أجهز لهم شيئًا يأكلونه وفى هذه الساعة تذكرت ذلك وافضيحتاه منهم فقلت له لا تهتم بهذا الأمر بعد تعريفك أننى اليوم فى دعوة فكل مافى دارى من طعام وشراب لك إن أنجزت أمرى وعجلت حلاقة رأسى فقال جزاك الله خيرًا صف لى ماعندك لأضيافى حتى أعرفه فقلت عندى خمس أوان من الطعام وعشر دجاجات محمرات وخروف مشوى فقال أحضرها لى حتى أنظرها فأحضرت له جميع ذلك فلما عاينه قال بقى الشراب فقلت له عندى قال أحضره فأحضرته له قال له درك ما أكرم نفسك لكن بقى البخور والطيب فأحضرت له درجًا فيه ندا وعود وعنبر ومسك يساوى خمسين دينارًا فقال المزين والله ما آخذه حتى أرى جميع ما فيه فأمرت الغلام ففتح له الدرج فرمى المزين الاصطرلاب من يده وجلس على الأرض يقلب الطيب والبخور والعود الذى فى الدرج حتى كادت روحى أن تفارق جسمى ثم تقدم وأخذ الموسى وحلق من رأسى شيئًا يسيرًا وقال والله ياولدى ما أدرى أشكرك أم أشكر والدك لأن دعوتى اليوم كلها من فضلك وإحسانك وليس عندى من يستحق ذلك وإنما عندى زيتون الحمامى وصليع الفسخانى وعوكل الفوال وعكرشة البقال وحميد الزبال ولكل هؤلاء رقصة يرقصها فضحكت عن قلب مشحون بالغيظ وقلت له افض شغلى وأسير أنا فى أمان الله تعالى وتمضى أنت إلى أصحابك فإنهم منتظرون قدومك فقال ماطلبتك إلا أن أعاشرك بهؤلاء الأقوام فإنهم من أولاد الناس الذين مافيهم فضولى ولو رأيتهم مرة واحدة لتركت جميع أصحابك فقلت له نعم الله سرورك بهم ولابد أن أحضرهم عندى يومًا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال للمزين لابد أن أحضر أصحابك عندى يومًا فقال له إذا أردت ذلك وقدمت دعوة أصحابك فى هذا اليوم فاصبر حتى أمضى بهذا الإكرام الذى أكرمتنى به وأدعه عند أصحابى يأكلون ويشربون ولا ينتظرون ثم أعود إليك وأمضى معك إلى أصدقائك فليس بينى وبين أصدقائى حشمة تمنعنى عن تركهم والعود إليك عاجلاً

وأمضى معك أينما توجهت فسكت طويلا وأدركنا وقت الصلاة وجاء وقت الخطبة وقد فرغ من حلق رأسى فقلت له أمض إلى أصحابك بهذا الطعام والشراب وأنا أنتظرك حتى تعود وتمضى معى ولم أزل أخادعه لعله يمضى فقال لى إنك تخادعنى وتمضى وحدك وترمى نفسك فى مصيبة لاخلاص لك منها فبالله لاتبرح حتى أعود إليك وأمضى معك حتى أعلم مايتم من أمرك فقلت له نعم لاتبطئ على فأخذ ما أعطيته من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندى فسلمه إلى الحمال ليوصله إلى منزله وأخفى نفسه فى بعض الأزقة ثم قمت من ساعتى وقد أعلنوا على المنارات بسلام الجمعة فلبست ثيابى وخرجت وحدى وأتيت إلى الزقاق ووقفت على البيت الذى رأيت فيه الصبية وإذا بالمزين خلفى ولا أعلم به فوجدت الباب مفتوحًا فدخلت وإذا بصاحب الدار عاد إلى منزله من الصلاة ودخل القاعة وغلق الباب فقلت من أين أعلم هذا الشيطان بى فأنفق فى هذه الساعة لأمر يريده الله من هتك سترى أن صاحب الدار أذنبت جارية عنده فضربها فصاحت فدخل عنده عبد ليخلصها فصاح الآخر فاعتقد المزين أنه يضربنى فصاح ومزق أثوابه وحثا التراب على رأسه وصار يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قتل سيدى فى بيت القاضى ثم مضى إلى دارى وهو يصيح والناس خلفه وأعلم أهل بيتى وغلمانى فماديت إلا وهم قد أقبلوا يصيحون وا سيداه كل هذا والمزين قدامهم وهو ممزق الثياب والناس معهم ولم يزالوا يصرخون وهو فى أوائلهم يصرخ وهم يقولوا وا قتيلاه وقد أقبلوا نحو الدار التى أنا فيها فلما سمع القاضى ذلك عظم عليه الأمر وقام وفتح الباب فرأى جمعًا عظيمًا فبهت وقال ياقوم ما القصة فقال له الغلمان إنك قتلت سيدنا فقال يا قوم وما الذى فعله سيدكم حتى أقتله . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن القاضى قال للغلمان ما الذى فعله سيدكم حتى أقتله ومالى أرى هذا المزين بين أيديكم فقال له المزين أنت ضربته فى هذه الساعة بالمقارع والله ما بيننا وبينك إلا الخليفة أو تخرج لنا سيدنا ليأخذه أهله ولا تحوجنى إلى أن دخل وأخرجه من عندكم وعجل أنت بإخراجه فالتجم القاضى عن الكلام وصار فى غاية الخجل من الناس وقال



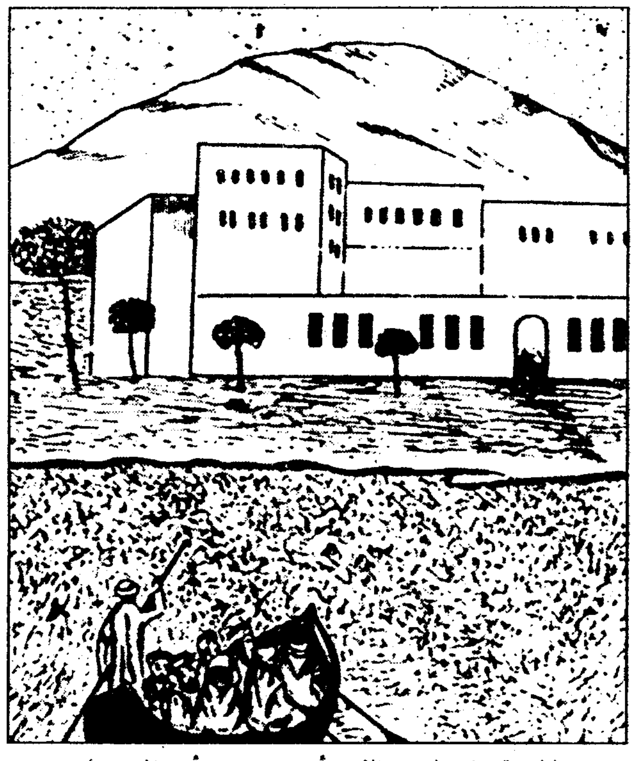
للمزين إن كنت صادقًا فادخل أنت وأخرجه فنهض المزين ودخل الدار فلما رأيت المزين أردت أن أهرب فلم أجد لى مهربًا غير أنى رأيت فى الطبقة التى أنا فيها صندوقًا كبيرًا فدخلت فيه ورددت الغطاء وقطعت النفس فدخل القاعة بسرعة ولم يلتفت إلى غير الجهة التى أنا فيها بل قصد الموضع الذى أنا فيه والتفت يمينًا وشمالاً فلم يجد إلا الصندوق الذى أنا فيه فحمله على رأسه فلما رأيته فعل ذلك غاب رشدى ثم مر مسرعًا فلما علمت أنه مايتركنى فتحت الصندوق وخرجت منه بسرعة ورميت نفسى على الأرض فانكسرت رجلى فلما توجهت إلى الباب وجدت خلقًا كثيرًا لم أر فى عمرى مثل هذا الازدحام الذى حصل فى ذلك اليوم فجعلت أنثر الذهب على الناس ليشتغلوا به فاشتغل الناس به وصرت أجرى فى أزقة بغداد وهذا المزين خلفى وأى مكان دخلت فيه يدخل خلفى وهو يقول أرادوا أن يفجعونى فى سيدى فالحمد الله الذى نصرنى عليهم وخلص سيدى من أيديهم فقلت له أما كفاك ما جرى منك حتى تجرى ورائى فى الأسواق وصرت أتمنى الموت لأجل خلاصى منه فلا أجد موتًا ينقذنى منه فمن شدة الغيظ فررت منه ودخلت دكانًا فى وسط السوق واستجرت بصاحبها فمنعه عنى وجلست فى مخزن وقلت فى نفسى ما بقيت أقدر أن أفتر من هذا المزين بل يقيم عندى ليلا ونهارًا ولم يبق فى قدرة على النظر إلى وجهه فأرسلت فى الوقت أحضرت الشهود وكتبت وصية لأهلى وجعلت إنسانًا ناظرًا عليهم وأمرته أن يبيع الدار والعقارات وأوصيته بالكبار والصغار وخرجت مسافرًا من ذلك الوقت حتى أتخلص من ذلك القواد ثم جئت إلى بلادكم فسكنتها ولى فيها مدة فلما عزمت على وجئت إليكم رأيت هذا القبيح القواد عندكم فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين أحق ماقاله هذا الشاب عنك فقال والله أنا فعلت ذلك بمعرفتى ولو كنت كثير الكلام ما فعلت معه ذلك الجميل وها أنا أقول لكم حديثا جرى لى حتى تصدقوا أنى قليل الكلام وما عندى فضولى من دون إخوتى وذلك أنى كنت ببغداد فى أيام خلافة أمير المؤمنين المنتصر بالله وكان يحب الفقراء والمساكين ويجالس العلماء والصالحين فاتفق له يومًا أنه غضب على عشرة أشخاص فأمر المتولى ببغداد أن يأتيه بهم فى زورق فنظرتهم أنا فقلت ما اجتمع هؤلاء إلا لعزومة وأظنهم يقطعون يومهم فى هذا الزورق أكل وشرب ولايكون نديمهم غيرى فقمت ونزلت معهم واختلطت بهم فقعدوا فى الجانب الآخر فجاء لهم أعوان الوالى بالأغلال

ووضعوها فى رقابهم ووضعوا فى رقبتى غلا من جملتهم فهذا يا جماعة ما هو من مروءتى وقلة كلامى لأنى ما رضيت أن أتكلم فأخذونا جميعًا فى الأغلال وقدمونا بين يدى المنتصر بالله أمير المؤمنين فأمر بضرب رقاب العشرة فضرب السياف رقاب العشرة . وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن المزين قال : لما السياف ضرب رقاب العشرة وبقيت أنا فالتفت الخليفة فرآنى فقال للسياف ما بالك لا تضرب رقاب جميع العشرة فقال ضربت رقاب العشرة كلهم فقال له الخليفة ما أظنك ضربت رقاب غير تسعة وهذا الذى بين يدى هو العاشر



(الزورق وفيه العشرة الذين أمر بحضورهم أمير المؤمنين)

فقال السياف وحق نعمتك إنهم عشرة قال عدهم فعدهم فإذا هم عشرة فنظر إلىّ الخليفة وقال ماحملك على سكوتك فى هذا الوقت وكيف صرت مع أصحاب الدم فلما سمعت خطاب أميرالمؤمنين قلت له اعلم يا أمير المؤمنين أنى أنا الشيخ الصامت وعندى من الحكمة شىء كثير وأما رزانة عقلى وجودة فهمى وقلة كلامى فإنها لا نهاية لها فمن فرط مروءتى سكت ولم أتكلم فعدم كلامى فى ذلك الوقت من فرط مروأتى فساروا بنا حتى أوقفونا بين يديك فأمرت بضرب رقاب العشرة وبقيت أنا بين يدى السياف ولم أعرفكم بنفسى فلما سمع الخليفة كلامى وعلم أنى كثير المروءة وقليل الكلام قال الخليفة وإخوتك الستة مثلك فيهم الحكمة والعلم وقلة الكلام قلت لا عاشوا ولابقوا إن كانوا مثلى ولكن ذممتنى يا أمير المؤمنين ولاينبغى لك أن تقرن إخوتى بى لأنهم من كثرة كلامهم وقلة مروأتهم كل واحد منهم بعاهة ففيهم واحد أعرج وواحد أعوراً وواحد أفلح وواحد أعمى وواحد مقطوع الأذنين والأنف وواحد مقطوع الشفتين وواحد أحول العينين ولاتحسب يا أمير المؤمنين أنى كثير الكلام ولابد أن أبين لك إنى أعظم مروءة منهم ولكل واحد منهم حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة وإن شئت أن أحكى لك فاعلم يا أمير المؤمنين أن الأول وهو الأعرج كان صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط فى دكان استأجرها من رجل كثير المال وكان ذلك الرجل ساكنًا فى أسفل دار الرجل طاحون فبينما أخى الأعرج جالس فى الدكان فى بعض الأيام يخيط إذ رفع رأسه فرأى امرأة كالبدر الطالع فى روشن الدار وهى تنظر الناس فلما رآها أخى تعلق قلبه بحبها وصار يومه ذلك ينظر إليها وترك اشتغاله بالخياطة إلى وقت المساء فلما كان وقت الصباح فتح دكانه وقعد يخيط وهو كلما غرز غرزة ينظر إلى الروشن فمكث على ذلك مدة لم يخط شيئًا يساوى درهمًا فاتفق أن صاحب الدار جاء إلى أخى يومًا من الأيام ومعه قماش وقال له فصل لى هذا أقمصة فقال أخى سمعًا وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصًا إلى وقت العشاء وهو لم يذق طعامًا ثم قال له كم أجرة ذلك فلم يتكلم أخى فأشارت إليه الصبية بعينيها لا تأخذ منه شيئًا فلما فرغ أخى من جميع أشغالهما عملا عليه حيلة وزوجاه بجاريتهما ليلة أراد أن يدخل عليها قالا له بت الليلة فى الطاحون وإلى غد يكون خيرا فاعتقد أخى أن لهما قصدًا صحيحًا فبات فى الطاحون

وحده وراح زوج الصبية غمز الطحان عليه ليدوره فى الطاحون فدخل عليه الطحان فى نصف الليل وجعل يقول إن هذا الثور بطال مع أن القمح كثير وأصحاب الطحين يطلبونه فأنا أعلقه فى الطاحون حتى يخلص طحين القمح فعلقه فى الطاحون إلى قريب الصبح وبعد ذلك جاءت الجارية التى عقد عليها وكان مجيئها فى بكرة النهار فحلته من الطاحون وقال قد شق على أو على سيدتى ماجرى لك وقد حملنا همك فلم يكن له لسان يرد جوابًا من شدة الضرب ثم إن أخى رجع إلى منزله وإذا بالشيخ الذى كتب الكتاب قد جاء وسلم عليه فقال له أخى لا سلم الله الكاذب يا ألف قواد والله ما جئت إلا لأطحن فى موضع الثور إلى الصباح فقال له حدثنى بحديثك فحدثه أخى بما وقع له فقال ما وافق نجمك نجمها ولكن إذا شئت أن أغير لك العقد أغيره لك بأحسن منه لأجل أن يوافق نجمك نجمها فقال له انظر أن بقى لك حيلة أخرى .

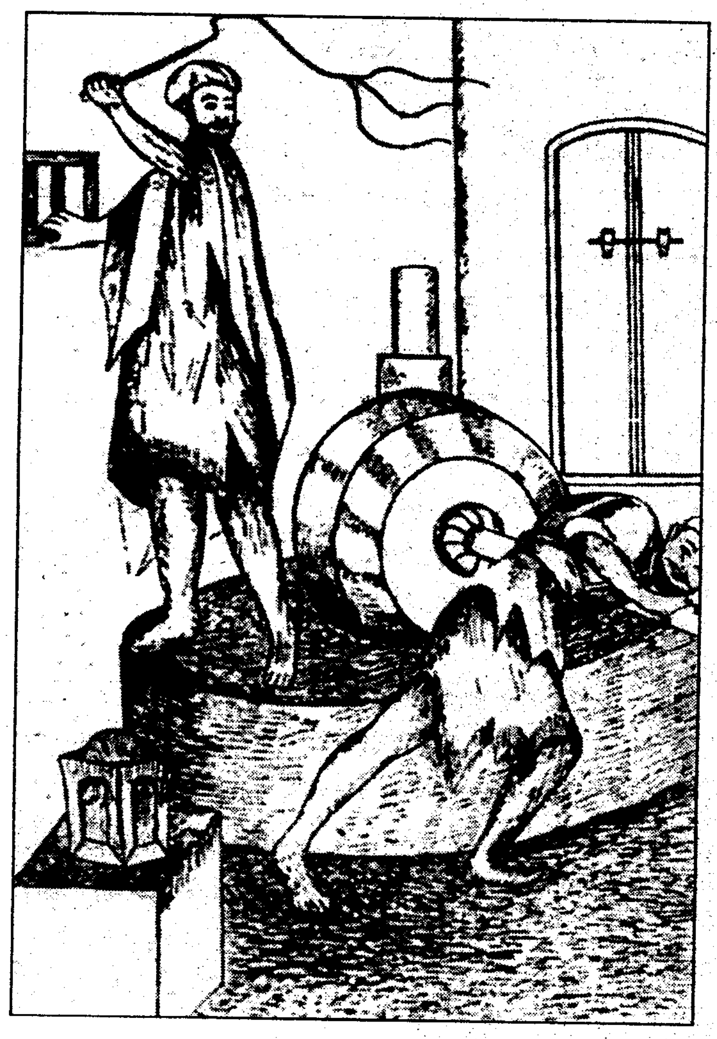
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأعرج لما قال للشيخ انظر إن بقى لك حيلة أخرى فتركه وأتى إلى دكانه ينتظر أحدًا يأتى إليه بشغل يتقوت من أجرته وإذا هو بالجارية قد أتت إليه وكانت اتفقت مع سيدتها على تلك الحيلة فقالت له إن سيدتى تسلم عليك وتقول لك إن زوجها قد عزم على أن يبيت عند بعض أصدقائه فى هذه الليلة فإذا مضى عندهم تكون أنت عندنا وتبيت مع سيدتى فى ألذ العيش إلى الصباح وكان زوجها قد قال لها مايكون العمل فى مجيئه عندك حتى آخذه وأجره إلى الوالى فقالت دعنى أحتال عليه بحيلة وأفضحه فضيحة يشتهر بها فى المدينة وأخى لايعلم شيئًا من كيد النساء فلما أقبل المساء جاءت الجارية إلى أخى وأخذته ورجعت به إلى سيدتها فقالت له والله ياسيدى إنى مشتاقة إليك كثيرًا فقال بالله عجلى بقبلة قبل كل شىء فلم يتم كلامه إلا وقد حضر زوج الصبية من جاره فقبض على أخى وقال والله لا أفارقك إلا عند صاحب الشرطة فتضرع إليه أخى فلم يسمعه بل حمله

إلى دار الوالى فضربه بالسياط وأركبه جملا ودوره فى شوارع المدينة والناس ينادون عليه هذا جزاء من يهجم على حريم الناس ووقع من فوق الجمل فانكسرت رجله فصار أعرج ثم نفاه الوالى من المدينة فخرج لايدرى أين يقصد فاغتظت أنا فلحقته وأتيت به والتزمت بأكله وشربه



(الخياط وهو معلق فى الطاحون والطحان يضربه بالسوط)

إلى الآن فضحك الخليفة من كلامى وقال أحسنت فقلت لا أقبل هذا التعظيم منك دون أن تصغى إلى حتى أحكى لك ما وقع لبقية إخوتى ولاتحسب أنى كثير الكلام فقال الخليفة حدثنى بما وقع لجميع إخوتك وشنف مسامعى بهذه الرقائق وأسلك سبيل الإطناب فى ذكر هذه اللطائف فقلت يا أمير المومنين إن أخى الثانى كان اسمه بقبق وقد وقع له أنه كان ماشيًا يومًا من الأيام متوجهًا إلى حاجة له وإذا بعجوز قد استقبلته وقالت له أيها الرجل قف قليلا حتى أعرض عليك أمرا فإن أعجبك فاقضه لى فوقف أخى فقالت له أدلك على شىء وأرشدك إليه بشرط أن لايكون كلامك كثيراً فقال لها أخى هات كلامك قالت له ما قولك فى دار حسنة وماؤها يجرى وفاكهة ومدام ووجه مليح تشاهده وخد أسيل تقبله وقد رشيق تعانقه ولم نزل كذلك من العشاء إلى الصباح فإن فعلت ما أشترط عليك رأيت الخير فلما سمع أخى كلامها قال لها ياسيدتى وكيف قصدتينى بهذا الأمر من دون الخلق أجمعين وأى شىء أعجبك منى فقالت لأخى ألم أقل لك لا تكن كثير الكلام واسكت وامضى معى ، ثم ولت العجوز وسار أخى تابعًا لها طمعًا فيما وصفته له حتى دخلا داراً فسيحة وصعدت به من أدنى إلى أعلى فرأى قصراً ظريفًا فنظر أخى فرأى فيه أربع بنات ما رأى الراءون أحسن منهن وهن يغنين بأصوات تطرب الحجر الأصم ثم إن بنتًا منهن شربت قدحًا فقال لها أخى بالصحة والعافية وقام ليخدمها فمنعته من الخَدمة ثم سقته قدحًا فشرب وصفعته على رقبته فلما رأى أخى ذلك خرج مغضبًا ومكثراً للكلام فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها ارجع فرجع وجلس ولم ينطق فأعادت الصفعة على قفاه إلى أن أغمى عليه فقامت البنات كلهن وأمرتهن العجوز أن يجردنه من ثيابه وأن يرشش على وجهه ماء ورد ففعلن ذلك فقالت الصبية البارعة الجمال منهن أعزك الله قد دخلت منزلى فإن صبرت على شرطى بلغت مرادك فقال لها أخى ياسيدتى أنا عبدك وفي قبضة يدك ثم قالت للجارية خذى سيدك واقضى حاجته وائتيني به فى الحال فأخذت الجارية أخى ولايدرى ماصنع به والعجوز تقول اصبر فقد بلغت ما تريد وإنما بقى شىء واحد وهو أن تحلق ذقنك فقال لها أخى وكيف أعمل فى فضيحتى بين الناس فصبر أخى وطاوع الجارية وحلق ذقنه وجاءت به إلى الصبية وإذا هو محلوق الحاجبين والشاربين والذقن



محمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت حتى استلقت على قفاها وقالت ياسيدى لقد ملكتنى بهذه الأخلاق الحسنة ثم حلفته بحياتها أن يقوم ويرقص فقام ورقص فلم تدع فى البيت مخدة حتى ضربته بها وكذلك جميع الجوارى صرن يضربنه بمثل نارنجة وليمونة وأترجة إلى أن سقط مغشياً عليه من الضرب ولم يزل الصفع على قفاه والرجم فى وجهه إلى أن قالت له العجوز الآن بلغت مرادك واعلم أنه ما بقى عليك من الضرب شىء وما بقى إلا شىء واحد وذلك أن من عادتها أنها إذا سكرت لاتمكن أحداً من نفسها حتى تقلع ثيابها وسراويلها وتبقى عريانة من جميع ما عليها من ثيابها وأنت الآخر تقلع ثيابك وتجرى وراءها وهى تجرى قدامك كأنها هاربة ولم تزل تابعها من مكان إلى مكان حتى يقوم إيرك فتمكنك من نفسها ثم قالت له قم اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه جميعها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أخا المزين قلع ثيابه وصار عرياناً فقالت الجارية لأخى قم الآن وأجرى ورائى وأجرى أنا قدامك وإذا أردت شيئاً فاتبعنى فجرت قدامه وتبعها ثم جعلت تدخل من محل إلى محل آخر فبينما هو كذلك إذ رأى نفسه فى وسط زقاق وذلك الزقاق فى وسط الجلادين وهم ينادون على الجلود فرآه الناس على تلك الحالة وهو عريان فصاحوا عليه وصاروا يضحكون ويقهقهون وصار بعضهم يصفعه بالجلود وهو عريان حتى غشى عليه وحملوه على حمار حتى أوصلوه إلى الوالى فقال ماهذا قالوا هذا وقع لنا من بيت الوزير وهو على هذه الحالة فضربه الوالى مائة سوط وخرجت أنا خلفه وجئت به وأدخلته المدينة سراً ثم رتبت له ما يقتات به فلولا مروءتى ما كنت أحتمل مثله أما أخى الثالث فاسمه قفة ساقه القضاء والقدر إلى دار كبيرة فدق الباب طمعاً أن يكلمه صاحبها فيسأل شيئاً فقال صاحب الدار من بالباب فلم يكلمه أحد فسمعه أخى يقول بصوت عال من هذا فلم يكلمه أخى وسمع مشيه حتى وصل إلى الباب وفتحه فقال ماتريد قال له أخى شيئاً لله تعالى فقال له هل أنت ضرير قال له

أخى نعم فقال له ناولنى يدك فناوله يده فأدخله الدار ولم يزل يصعد به من سلم إلى سلم فلما انتهى إلى أعلى مكان قال لأخى ماتريد ياضرير قال أريد شيئًا لله تعالى فقال له يفتح الله عليك فقال له أخى ياهذا ما كنت تقول لى ذلك وأنا فى الأسفل فقال له ياأسفل السفلة لم تسألنى شيئًا حين سمعت كلامى أول مرة وأنت تدق الباب فقال أخى هذه الساعة ماتريد أن تصنع بى فقال له ماعندى شىء حتى أعطيك إياه قال انزل بى إلى السلالم فقال لى الطريق بين يديك فقام أخى واستقبل السلالم ومازال نازلا حتى بقى بينه وبين الباب عشرون درجة فزلقت رجله فوقع ولم يزل واقعًا منحدرًا من السلالم حتى انشجت رأسه فخرج وهو لايدرى أين يذهب فلحقه بعض رفقائه العميان فقال له أى شىء حصل لك فى هذا اليوم فحدثهم بما وقع له قال لهم يا إخوانى أريد أن آخذ شيئًا من الدراهم التى بقيت معنا وأنفق منها على نفسى وكان صاحب الدار مشى خلفه وهو لايشعر به وقعد أخى ينتظر رفقاءه فلما دخلوا عليه قال لهم أغلقوا الباب وفتشوا البيت كيلا يكون أحد غريب تبعنا فلما سمع الرجل كلام أخى قام وتعلق بحبل كان فى السقف فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا أحدًا ثم رجعوا وجلسوا إلى جانب أخى وأخرجوا الدراهم التى معهم وعدوها فإذا هى عشرة آلاف درهم فتركوها فى زاوية البيت وأخذ كل واحد مما زاد عنها مايحتاج إليه ودفنوا العشرة آلاف درهم فى التراب ثم قدموا بين أيديهم شيئًا من الأكل وقعدوا يأكلون فأحس أخى بصوت غريب فصاح على رفقائه وقال هذاغريب فوقعوا فيه ضربًا . وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أخى لما صاح على رفقائه وقال هذا غريب وقعوا فيه ضربًا فلما طال عليهم ذلك صاحوا يامسلمين دخل علينا لص يريد أن يأخذ مالنا فاجتمع عليهم خلق فتعامى الرجل صاحب الدار الذى ادعوا عليه أنه لص وأغمض عينيه وأظهر أنه أعمى مثلهم بحيث لايشك فيه أحد وصاح يامسلمين أنا بالله والسلطان فلم يشعر إلا وقد

احتاط بهم جماعة الوالى فأخذوهم وأخى معهم وأحضروهم بين يديه فقال الوالى ماخبركم؟ فقال ذلك الرجل اسمع كلامى أيها الوالى لايظهر لك حقيقة حالنا إلا بالعقوبة وإن شئت فابدأ بعقوبتى قبل رفقائى فقال الوالى اطرحوا هذا الرجل اضربوه بالسياط فطرحوه وضربوه فلما أوجعه الضرب فتح إحدى عينيه فلما ازداد عليه الضرب فتح عينه الأخرى فقال له الوالى ماهذه الفعال يا فاجر فقال أعطنى الأمان وأنا أخبرك فأعطاه الأمان فقال نحن أربعة نعمل أرواحنا عميانًا ونمر على الناس وندخل البيوت وننظر النساء ونحتال فى فسادهن واكتساب الأموال من طرقهن وقد حصلنا من ذلك مكسبًا عظيمًا وهو عشرة آلاف درهم فقلت لرفقائى أعطونى حقى ألفين وخمسمائة فقاموا وضربونى وأخذوا مالى وأنا مستجير بالله وبك وأنت أحق بحصتى من رفقائى وأن شئت أن تعرف صدق قولى فاضرب كل واحد أكثر مما ضربتنى فإنه يفتح عينيه فعند ذلك أمر الوالى بعقوبتهم وأول مابدأ بأخى ومازالوا يضربونه حتى كاد أن يموت فقال الوالى دعوه حتى يفيق وأعيدوا عليه الضرب ثالث مرة ثم أمر بضرب أصحابه كل واحد أكثر من ثلثمائة عصا والبصير يقول لهم افتحوا عيونكم وإلا جددوا عليكم الضرب ثم قال للوالى ابعث معى من يأتيك بالمال فإن هؤلاء ما يفتحون أعينهم ويخافون من فضيحتهم بين الناس فبعث الوالى معه من أتاه بالمال فأخذه وأعطى الرجل منه ألفين وخمسمائة على قدر حصته رغما عنهم ونفى أخى وباقى الثلاثة إلى خارج المدينة فخرجت أنا يا أمير المؤمنين ولحقت أخى وسألته عن حاله فأخبرنى بما ذكرته فقال الخليفة اصدع آذاننا بخرافة خبرك وزدنا من عجرك وبجرك ؛ فقلت : وأما أخى الرابع يا أمير المؤمنين وهو الأعور فإنه كان جزارًا ببغداد يبيع اللحوم ويربى الخرفان ثم أقام على ذلك زمنا طويلاً فبينما هو فى دكانه يومًا من الأيام إذ وقف عليه شيخ كبير اللحية فدفع له دراهم وقال أعطنى بها لحمًا فأخذ منه الدراهم وأعطاه اللحم وانصرف فتأمل أخى فى فضة الشيخ فرأى دراهمه بيضًا بياضها ساطع فعزلها وحدها فى ناحية وأقام الشيخ يتردد عليه خمسة أشهر وأخى يطرح دراهمه فى صندوق وحدها ثم أراد أن يخرجها ويشترى غنمًا فلما فتح الصندوق رأى مافيه ورقًا أبيض مقصوصًا فلطم وجهه وصاح فاجتمع الناس عليه فحدثهم بحديثه فتعجبوا منه ، ثم رجع أخى إلى الدكان على عادته فذبح كبشًا وعلقه داخل الدكان وقطع لحما وعلقها خارج الدكان وصار يقول فى نفسه لعل هذا الشيخ

يجىء فاقبض عليه فما كان إلا ساعة وقد أقبل الشيخ ومعه الفضة فقام أخى وتعلق به وصار يصيح يا مسلمين ألحقونى واسمعوا قصتى مع هذا الفاجر فلما سمع ذلك الشيخ كلامه قال له أى شىء أحب إليك أن تعرض عن فضيحتى أو أفضحك بين الناس فقال له يا إخى بأى شىء تفضحنى قال بأنك تبيع لحوم الناس فى صورة لحم غنم وإن أردتم أن تعلموا قولى فادخلوا دكانه فهجم الناس على دكان أخى فرأوا ذلك الكبش صار إنسانًا معلقًا فلما رأوا ذلك تعلقوا بأخى وصاحوا عليه ياكافر يا فاجر وصار أعز الناس إليه يضربه ولطمه الشيخ على عينه فقلعها وحمل الناس ذلك المذبوح إلى صاحب الشرطة فقال له الشيخ أيها الأمير إن هذا الرجل يذبح الناس ويبيع لحمهم على أنه لحم غنم وقد أتيناك به فقم واقض حق الله عز وجل فدافع أخى عن نفسه فلم يسمع منه صاحب الشرطة بل أمر بضربه خمسمائة عصا وأخذ جميع ماله ولولا كثرة ماله لقتلوه ثم نفوا أخى من المدينة فخرج هائمًا لا يدرى أين يتوجه فدخل مدينة كبيرة واستحسن أن يعمل إسكافيًا ففتح دكانًا وقعد يعمل شيئًا يتقوت منه فخرج ذات يوم فى حاجة فسمع صهيل خيل فبحث عن سبب ذلك فقيل له إن الملك خارج إلى الصيد والقنص فخرج أخى ليتفرج على الموكب فالتفت الملك فوقعت عينيه على عين أخى فأطرق الملك رأسه وقال أعوذ بالله من شر هذا اليوم وثنى عنان فرسه وانصرف راجعًا فرجع جميع العسكر وأمر الملك غلمانه أن يلحقوا أخى ويضربونه فضربوه ضربًا وجيعًا حتى كاد أن يموت ولم يدر أخى ما السبب فرجع إلى موضعه وهو فى حالة العدم ثم مضى إلى إنسان من حاشية الملك وقص عليه ماوقع له فضحك حتى استلقى على قفاه وقال له ياأخى إن الملك لايطيق أن ينظر إلى أعور فلما سمع أخى ذلك الكلام عزم على الهروب من تلك المدينة . وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٤٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأعور لما سمع ذلك الكلام وعزم على الهروب من تلك المدينة وارتحل منها وتحول إلى مدينة أخرى ولم يكن فيها ملك وأقام بها زمنًا طويلاً ثم بعد ذلك

تفكر فى أمره وخرج يومًا ليتفرج فسمع صهيل الخيل خلفه فقال جاء أمرالله وفر يطلب موضعًا ليستتر فيه فلم يجد ثم نظر فرأى بابا منصوبًا فدفع ذلك الباب فدخل فرأى دهليزًا طويلا فاستمر داخلا فيه فلم يشعر إلا ورجلان قد تعلقا به وقالا الحمد لله الذى مكننا منك ياعدو الله هذه ثلاث ليال ما ارحتنا ولا تركتنا ننام فقال ياقوم اتقوا الله فى أمرى واعلموا أن حديثى عجيب فقالوا وماحديثك فحدثهم بحديثه طمعًا أن يطلقوه فلم يسمعوا منه مقاله ولم يلتفتوا إليه بل ضربوه ومزقوا أثوابه فلما تمزقت أثوابه وانكشف بدنه وجدوا أثر الضرب بالمقارع على جنبيه فقالوا له يا ملعون هذا أثر الضرب يشهد على جرمك ثم أحضروا أخى بين يدى الوالى فقال فى نفسه قد وقعت فأتيت إليه وأخذته وأدخلته المدينة سرًا ورتبت له ما يأكل وماى شرب . وأما أخى الخامس فإنه كان مقطوع الأذنين يا أمير المؤمنين وكان رجلا فقيرا يسأل الناس وينفق مايحصله بالسؤال نهارًا وكان والدنا شيخًا كبيرًا طاعنًا فى السن فخلف لنا سبعمائة درهم فأخذ كل واحد منا مائة درهم ، وأما أخى الخامس هذا فإنه لما أخذ حصته تحير ولم يدر مايصنع بها فبينما هو كذلك إذ وقع فى خاطره أن يشترى بها زجاجًا من كل نوع ليتجر فيه ويربح فاشترى بالمائة درهم زجاجًا وجعله فى قفص كبير وقعد فى موضع ليبيع ذلك الزجاج وبجانبه حائط فأسند ظهره إليها وقعد متفكرًا فى نفسه وقال إن رأس مالى فى هذا الزجاج مائة درهم أنا أبيعه بمائتى درهم ثم اشترى بالمائتين زجاجًا وأبيعه بأربعمائة درهم ولا أزال أبيع وأشترى إلى أن يبقى معى مالا كثيرًا فأشترى به من جميع المتاجر والعطريات حتى يربح ربحًا عظيمًا وبعد ذلك أبعث جميع الخطابات فى خطبة بنات الملوك والوزراء وأخطب بنت الوزير فقد بلغنى أنها كاملة الحسن بديعة الجمال وأمهرها بألف دينار فإن رضى أبوها حصل المراد وإن لم يرض أخذتها قهرًا على رغم أنفه فإن حصلت فى دارى أشترى عشرة خدام صغار ثم أشترى لى كسوة الملوك والسلاطين وأصوغ لى سرجًا من الذهب مرصعًا بالجوهر ثم أركب ومعى المماليك يمشون حولى وقدامى وخلفى حتى إذا رآنى الوزير قام إجلالاً لى وأقعدنى فى مكانه ويقعد هو دونى لأنه صهرى ويكون معى خادمان بكيسين فى كل كيس ألف دينار فأعطيه ألف دينار مهر ابنته وأهدى إليه الألف الثانى إنعامًا حتى تظهر له مروءتى وصغر الدنيا فى عينى

وإذا أرسل الوزير إلى هدية رددتها عليه لو كانت نفيسة ولم أقبل منه حتى يعلموا أنى عزيز النفس وإلا أخلى نفسى إلا فى أعلى مكانة ثم أقدم إليهم فى إصلاح شأنى وتعظيمى فإذا فعلوا ذلك أمرتهم بزفافها ثم أصلح دارى إصلاحًا بينا فإذا جاء وقت الجلاء لبست أفخر ثيابى وقعدت على مرتبة من الديباج لا ألتفت يمينًا ولا شمالا لكبر عقلى ورزانة فهمى وتجىء امرأتى وهى كالبدر فى حليها وحللها وأنا لا أنظر إليها عجبًا وتيها حتى يقول جميع من حضر ياسيدى امرأتك واقفة بين يديك فأنعم عليها بالنظر فقد أضر بها القيام ثم يقبلون الأرض قدامى مرارًا فعند ذلك ارفع رأسى وأنظر إليها نظرة واحدة ثم أطرق رأسى إلى الأرض ولم أزل كذلك حتى يتم جلاؤها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٤٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد إن أخا المزين الخامس قال إن أمر بعض الخدامين أن يرمى كيسا فيه خمسمائة دينار للمواشط فإذا أخذته أمرهن أن يدخلننى عليها فإذا جاءتنى تركتها قائمة بين يدى وأنا متكئ على مخدة مزركشة بالذهب لانظر إليها من كبر نفسى وجلالة قدرى حتى تظن فى نفسها أنى سلطان عظيم الشأن فتقول ياسيدى بحق الله عليك لاترد القدح من يد جاريتك فإنى جاريتك فلا أكلمها فتلح على وتقول لابد من شربه وتقدمه إلى فمى فانفض يدى فى وجهها وأرفسها واعمل وهكذا ثم رفس أخى برجله فجاءت فى قفص الزجاج وكان فى مكان مرتفع فنزل على الأرض فتكسر كل مافيه ثم قال أخى هذا كله من كبر نفسى ولو كان أمره إلى أميرَ المؤمنين لضربته ألف سوط وشهرته فى البلد ثم بعد ذلك صار أخى يلطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يبكى ويلطم على وجهه والناس ينظرون إليه وهم رائحون إلى صلاة الجمعة فمنهم من يرمقه ومنهم من لم يفكر فيه وهو على تلك الحالة وراح منه رأس المال والربح ولم يزل جالسًا يبكى وإذا بامرأة مقبلة إلى صلاة الجمعة وهى بديعة الجمال تفوح منها رائحة المسك وتحتها بغلة بردعتها من الديباج مزركشة بالذهب ومعها عدد من الخدم فلما

نظرت إلى الزجاج وحال أخى وبكائه أخذتها الشفقة عليه ورق قلبها له وسألت عن حاله فقيل لها إنه كان معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه فأصابه به ما تنظريه فنادت بعض الخدام وقالت له ادفع الذى معك إلى هذا المسكين فدفع له صرة فأخذها فلما فتحها وجد فيها



(أخو المزين عندما رفس برجله فأتت فى قفص الزجاج فتكسر كلّ ما فيه)

خمسمائة دينار فكاد أن يموت من شدة الفرج وأقبل أخى بالدعاء لها ثم عاد إلى منزله غنيًا وقعد متفكرًا وإذا بدق يدق الباب فقام وفتح وإذا بعجوز لايعرفها فقالت له يا ولدى اعلم أن الصلاة قد قرب زوال وقتها وأنا بغير وضوء وأطلب منك أن تدخلنى منزلك حتى أتوضأ فقال لها سمعًا وطاعة ثم دخل أخى وأذن لها بالدخول وهو طائر من الفرح بالدنانير فلما فرغت أقبلت إلى الموضع الذى هو جالس فيه وصلت هناك ركعتين ثم دعت لأخى دعاء حسنًا فشكرها على ذلك وأعطاها دينارين فلما رأت ذلك قالت سبحان الله إنى أعجب مما أحبك وأنت بسمة الصعاليك فخذ مالك عنى وإن كنت غير محتاج إليه فاردده إلى التى أعطتك إياه لما انكسر الزجاج منك فقال لها أخى يا أمى كيف الحيلة فى الوصول إليها قالت ياولدى إنها تميل إليك لكنها زوجة رجل موسر فخذ جميع مالك معك فإذا اجتمعت بها فلا تترك شيئًا من الملاطفة والكلام الحسن إلا وتفعله معها فإنك تنال من جمالها ومن مالها جميع ماتريد فأخذ أخى جميع الذهب وقام ومشى مع العجوز وهو لايصدق بذلك فلم تزل تمشى وأخى يمشى وراءها حتى وصلا إلى باب كبير فدقته فخرجت جارية رومية فتحت الباب فدخلت العجوز وأمرت أخى بالدخول فدخل دار كبيرة فلما دخلها رأى فيها مجلسًا كبيرًا مفروشًا وستائر مسبلة فجلس أخى ووضع الذهب بين يديه ووضع عمامته على ركبته فلم يشعر إلا وجارية أقبلت ما رأى مثلها الراءون وهى لابسة أفخر القماش فقام أخى على قدميه فلما رأته ضحكت فى وجهه وفرحت به ثم ذهبت إلى الباب وأغلقته ثم أقبلت على أخى وأخذت يده ومضينا جميعا إلى أن أتيا إلى حجرة منفردة فدخلاها فإذا هى مفروشة بأنواع الديباج فجلس أخى وجلست بجانبه ولاعبته ساعة زمانية ، ثم قامت وقالت له لاتبرح حتى أجيء إليك وغابت عنه ساعة فبينما هو كذلك إذ دخل عليه عبد أسود عظيم الخلقة ومعه سيف مجرد يأخذ لمعانه بالبصر فأخذ العبد وأعراه ولم يزل يضربه بالسيف صفحًا ضربات متعددة أكثر من ثمانين ضربة إلى أن سقط من طوله على الأرض فرجع العبد عنه واعتقد أنه مات وصاح صيحة عظيمة بحيث ارتجت الأرض من صوته ودوى له المكان وقال أين المليحة فأقبلت إليه جارية فى يدها طبق مليح فيه ملح أبيض فصارت الجارية تأخذ من ذلك الملح وتحشر الجراحات التى فى جلد أخى حتى

تهورت وأخى لايتحرك خيفة أن يعلموا أنه حى فيقتلوه ثم مضت الجارية وصاح العبد صيحة مثل الأولى فجاءت العجوز إلى أخى وجرته من رجله إلى سرداب طويل مظلم ورمته فيه فمشى فى ظلام واختفى فى هذا الدهليز إلى الصبح فلما كان وقت الصبح خرجت العجوز فى طلب صيد آخر فخرج أخى فى أثرها وهى لا تعلم به حتى أتى منزله ولم يزل يعالج نفسه حتى برئ ولم يزل يتعهد العجوز وينظر إليها كل وقت وهى تأخذ الناس واحدًا بعد واحد وتوصلهم إلى تلك الدار وأخى لاينطق بشىء ثم لما رجعت إليه صحته وكملت قوته عمد إلى خرقة وعمل منها كيسًا وملأه زجاجًا وشده فى وسطه وتنكر حتى لايعرفه أحد ولبس ثياب العجم وأخذ سيفًا وجعله تحت ثيابه فلما رأى العجوز قال لها بكلام العجم ياعجوزة هل عندك ميزان يسع تسعمائة دينار فقالت العجوز لى ولد صغير صيرفى عنده سائر الموازين فامض معى إليه فقال أخى امشى قدامى فسارت وسار أخى خلفها حتى أتت الباب فدقته فخرجت الجارية وضحكت فى وجهه أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن المزين قال : فخرجت الجارية وضحكت فى وجه أخى فقالت العجوز أتيتكم بلحمة سمينة فأخذت الجارية بيد أخى وأدخلته الدار التى دخلها سابقًا وقعدت عنده ساعة وقامت وقالت لأخى لاتبرح حتى أرجع إليك وراحت فلم يستقر أخى إلا والعبد قد أقبل ومعه السيف المجرد فقال لأخى قم يا مشئوم فقام أخى وتقدم العبد أمامه وأخى وراءه ومد يده إلى السيف الذى تحت ثيابه وضرب العبد فرمى رأسه وسحبه من رجله إلى السرداب ونادى أين المليحة فجاءت الجارية وبيدها الطبق الذى فيه الملح فلما رأت أخى والسيف بيده ولت هاربة فتبعها أخى وضربها فرمى رأسها ثم نادى أين العجوز فجاءت فقال أتعرفينى ياعجوز النحس فقالت لا يامولاى فقال لها أنا صاحب الدنانير الذى جئت وتوضأت عندى ثم تحيلت على حتى أوقعتنى هنا فقالت اتق الله فى أمرى فالتفت إليها وضربها بالسيف

فصيرها قطعتين ثم خرج فى طلب الجارية فلما رأته طار عقلها وطلبت منه الأمان فأمنها ثم قال لها ما الذى أوقعك عند هذا الأسود فقالت إنى كنت جارية لبعض التجار وكانت هذه العجوز تتردد على فقالت لى يومًا من الأيام إن عندنا فرحًا ما رأى أحد مثله فأحب أن تنظرى إليه فقلت لها سمعًا وطاعة ثم قمت ولبست أحسن الثياب وأخذت معى صرة فيها مائة دينار ومضيت معها حتى أدخلتنى هذه الدار فلما دخلت ما شعرت إلا وهذا الأسود أخذنى ولم أزل عنده على هذا الحال ثلاث سنين بحيلة العجوز الكاهنة فقال لها أخى هل له فى الدار شىء فقالت عنده شىء كثير فإن كنت تقدر على نقله فانقله فقام أخى ومشى معها ففتحت له صناديق فيها أكياس فبقى أخى متحيراً فقالت له الجارية امض الآن ودعنى هنا وهات من ينقل المال فخرج واكترى عشر رجال وجاء فلما وصل إلى الباب وجده مفتوحًا ولم ير الجارية ولا الأكياس وإنما رأى شيئًا يسيراً من المال والقماش فعلم أنها خدعته ، فعند ذلك أخذ المال الذى بقى وفتح الخزائن وأخذ جميع ما فيها من القماش ولم يترك فى الدار شيئًا وبات تلك الليلة مسروراً فلما أصبح الصباح وجد بالباب عشرين جنديًا فلما خرج إليهم تعلقوا به قالوا إن الوالى يطلبك فأخذوه وراحوا إلى الوالى فلما رأى أخى قال من أين لك هذا القماش فقال أخى أعطنى الأمان فأعطاه منديل الأمان فحدثه بجميع ما وقع له مع العجوز من الأول إلى الآخر ومن هروب الجارية ثم قال للوالى والذى أخذته خذ ماشئت ودع لى ما أتقوت به فطلب الوالى جميع المال والقماش وخاف أن يعلم به السلطان فأخذ البعض وأعطى أخى البعض وقال له اخرج من هذه المدينة وإلا أشنقك فقال السمع والطاعة فخرج إلى بعض البلدان فخرجت عليه اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا أذنيه فسمعت بخبره فخرجت إليه وأخذت إليه ثيابًا وجئت به إلى المدينة مسروراً ورتبت له ما يأكله ومايشربه . وأما أخى السادس يا أمير المؤمنين وهو مقطوع الشفتين فإنه كان فقيراً جداً لايملك شيئًا من حطام الدنيا الفانية فخرج يومًا من الأيام يطلب شيئًا يسد به رمقه فبينما هو فى بعض الطريق إذ رأى داراً حسنة ولها دهليز فدخل الدهليز ومشى فيه ساعة حتى وصل إلى دار فى غاية مايكون من الملاحة والظرف وفى وسطها بستان ما رأي الراءون أحسن منه وأرضها مفروشة بالرخام وستورها مسبولة فصار أخى لايعرف أين

يقصد فمضى نحو صدر المكان فرأى إنسانًا حسن الوجه واللحية فلما رأى أخى قام إليه ورحب به وسأله عن حاله فأخبره أنه محتاج فلما سمع كلام أخى أظهر غمًا كثيرًا ومد يده إلى ثياب نفسه ومزقها وقال هل أكون أنا ببلد وأنت جائع لاصبر لى على ذلك ووعده بكل خير ثم قال لابد أن تمالحنى فقال ياسيدى ليس لى صبر وإنى شديد الجوع فصاح ياغلام هات الطشت والابريق ثم قال له ياضيفى تقدم واغسل يدك ثم أومأ كأنه يغسل يده ثم صاح على أتباعه أن قدموا السفرة الموهومة وصار صاحب المنزل يومئ ويحرك شفتيه كأنه يأكل ويقول لأخى كل ولاتستح فإنك جائع وأنا أعلم ما أنت فيه من شدة الجوع ومحتاج إلى الأكل فصار أخى يدورحنكه ويمضع كأنه يأكل وأقبل الرجل يستدعى لونًا بعد لون من الطعام ولا يحضر شيئًا ويأمر أخى بالأكل ثم صاح ياغلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق ثم قال كل مالم تأكل مثله قط فقال ياسيدى إن هذا الأكل لا نظير له فى اللذة وأقبل يوم بيده إلى فم أخى حتى كأنه يلقمه بيده وكان يعدد هذه الألوان ويصفها لأخى بهذه الأوصاف وهو جائع فاشتد جوعه وصار بشهوة رغيف من شعير ثم قال له صاحب الدار هل رأيت أطيب من أباريز هذه الأطعمة فقال له أخى لا ياسيدى فقال كثر الأكل ولاتستح فقال قد اكتفيت من الطعام فصاح الرجل على أتباعه أن قدموا الحلويات فحركوا أيديهم فى الهواء كأنهم قدموا الحلويات ثم قال صاحب المنزل لأخى كل من هذا النوع فإنه جيد وكل من هذه القطايف بحياتى وخذ هذه القطيفة قبل أن ينزل منها الجلاب فقال له أخى لا عدمتك يا سيدى وأقبل أخى يسأل عن كثرة المسك الذى فى القطائف فقال له إن هذه عادتى فى بيتى فدائمًا يضعون لى فى كل قطيفة مثقالا من المسك ونصف مثقال من العنبر هذا كله وأخى يحرك رأسه وفمه يلعب بين شدقيه كأنه يتلذذ بأكل الحلويات ثم صاح صاحب الدار على أصحابه أن أحضروا النقل فحركوا أيديهم فى الهواء كأنهم احضروا النقل وقال لأخى كل من هذا اللوز ومن هذا الجوز ومن الزبيب ونحو ذلك وصار يعد له أنواع النقل ويقول كل ولاتستح فقال أخى ياسيدى قد اكتفيت ولم يبق لى قدرة على أكل شىء فقال يا ضيفى إن أردت أن تأكل وتتفرج على غرائب المأكولات فالله الله لاتكن جائعًا ثم فكر أخى فى نفسه وفى استهزاء ذلك الرجل به وقال والله لأعملن فيه عملا يتوب بسببه إلى الله عن هذه الفعال ثم قال الرجل لأتباعه قدموا لنا الشراب فحركوا أيديهم فى

الهواء حتى كأنهم قدموا الشراب ثم إن صاحب البيت أومأ وشرب ثم ناول أخى قدحًا ثانيا فخيل أنه شرب وأظهر أنه سكران ثم إن أخى غافله ورفع يده حتى بأن بياض إبطه وصفعه على رقبته صفعة رن لها المكان أثنى عليه بصفعة ثانية وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٤٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أخا المزين لما صفع صاحب الدار قال له الرجل ما هذا يا أسفل العالمين فقال ياسيدى إن عبدك الذى أنعمت عليه وأدخلته منزلك وأطعمته الزاد وأسقيته الخمر العتيق فسكر وعربد عليك ومقامك أعلى من أن تؤاخذه بجهله فلما سمع صاحب المنزل كلام أخى ضحك ضحكًا عاليًا ثم قال إن لى زمانًا طويلا أسخر بالناس وأهزأ بجميع أصحاب المزاج والمجون مارأيت منهم من له طاقة على أن أفعل به هذه السخرية ولامن فطنة يدخل بها فى جميع أمورى غيرك والآن عفوت عنك فكن نديمى على الحقيقة ولا تفارقنى ثم أمر باخراج عدة من أنواع الطعام المذكورة أولا فأكل هو وأخى حتى اكتفيا ولم يزالا كذلك مدة عشرين سنة ثم إن الرجل مات وقبض السلطان على ماله واحتوى عليه فخرج أخى من البلد هاربًا فلما وصل إلى نصف الطريق خرج عليه العرب فأسروه وصار الذى أسره يعذبه ويقول له اشتر روحك منى بالأموال وإلا أقتلك فجعل أخى يبكى ويقول أنا والله لا أملك شيئًا ياشيخ العرب ولا أعرف طريق شىء من المال وأنا أسيرك وصرت فى يدك فافعل بى ما شئت فأخرج البدوى الجبار من حزامه سكينًا عريضة لو نزلت على رقبة لقطعتها من الوريد إلى الوريد وأخذها فى يده اليمين وتقدم إلى أخى المسكين وقطع بها شفتيه وشدد عليه فى المطالبة وكان للبدوى زوجة حسنة الجمال وكان إذا أخرج البدوى تتعرض لأخى وتراوده عن نفسه وهو يمتنع حياء من الله تعالى فاتفق أن راودت أخى يومًا من الأيام فقام ولاعبها وأجلسها فى حجره فبينما هما كذلك وإذا بزوجها داخل عليهما فلما نظر إلى أخى قال له ويلك ياخبيث أتريد الآن أن تفسد على زوجتى وأخرج سكينًا وقطع بها ذكره وحمله على جمل وطرحه فوق جبل

وتركه وسار إلى حال سبيله فجاز عليه المسافرون فعرفوه فأطعموه وسقوه وأعلمونى بخبره فذهبت إليه وحملته ودخلت به المدينة ورتبت له ما يكفيه وها أنا جئت عندك يا أمير المؤمنين وخفت أن أرجع إلى بيتى قبل إخبارك فيكون ذلك غلطا وورائى ستة إخوة وأنا أقوم بهم فلما سمع أمير المؤمنين قصتى وما أخبرته به عن إخوتى ضحك وقال صدقت أنت قليل الكلام وما عندك فضول ولكن الآن اخرج من هذه المدينة واسكن غيرها ثم نفانى من بغداد فلم أزل سائرًا فى البلاد حتى طفت الأقاليم إلى أن سمعت بموته وخلافة غيره فرجعت إلى المدينة فوجدته مات ووقعت عند هذا الشاب وفعلت معه أحسن الفعال ولولا أن القتل وقد تهمنى بشىء ماهو فى جميع ما نقله عنى من الفضول وكثرة الكلام وكثافة الطبع و عدم الزوق باطل ياجماعة ، ثم قال الخياط لملك الصين سمعنا قصة المزين وتحققنا فضوله وكثرة كلامه وإن الشاب مظلوم معه أخذنا المزين وقبضنا عليه وحبسناه وجلسنا ولم نزل جالسين إلى أن أذن العصر فخرجت وجئت منزلى وعشيت زوجتى فقالت إنت طول النهار فى حظك وأنا قاعدة فى البيت حزينة فإن لم تخرج بى وتفرجنى بقية النهار كان ذلك سبب فراقى منك فأخذتها وخرجت وتفرجنا إلى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الأحدب والسكر طافح منه وهو ينشد هذين البيتين :

رق الزجاج وراقت الخمر   فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح   وكأنما قدح ولاخمر

فعزمت عليه فأجابنى وخرجت لأشترى سمكًا مقليًا فاشتريت ورجعت ثم جلسنا نأكل فأخذت زوجتى لقمة وقطعة سمك وأدخلتهما فمه وسدته فمات فحملته وتحايلت حتى رميته فى بيت هذا الطبيب وتحايل الطبيب حتى رماه فى بيت المباشر وتحايل المباشر حتى رماه فى طريق السمسار وهذه قصة ما لقيته البارحة ، أما هى أعجب من قصة الأحدب فلما سمع ملك الصين هذه القصة أمر بعض حجابه أن يمضوا مع الخياط ويحضروا المزين ثم مضوا إلى الحبس وأخرجوا منه المزين وساروا به إلى أن أوقفوه بين يدى هذا الملك فلما رآه تأمله فإذا هو شيخ كبير جاوز التسعين أسود الوجه أبيض اللحية والحواجب مقرطم الأذنين طويل الأنف فى نفسه كبر فضحك الملك من رؤيته وقال ياصامت أريد أن تحكى لى شيئًا من حكاياتك فقال المزين ياملك الزمان ماشأن هذا النصرانى وهذاب طريق اليهودى وهذا المسلم وهذا الأحدب بينكم ميت وما

سبب هذا الجمع فقال له ملك الصين وما سؤالك عن هؤلاء فقال سؤالى عنهم حتى يعلم الملك أنى غير فضولى ولا أشتغل إلا بما يعنينى وإننى برىء مما اتهمونى به من كثرة الكلام فقال الملك اشرحوا للمزين حال هذا الأحدب وماجرى له فى وقت العشاء واشرحوا له ماحكى النصرانى وماحكى اليهودى وماحكى المباشر وماحكى الخياط فحكوا له حكايات الجمع فحرك المزين رأسه وقال والله إن هذا لشىء عجيب اكشفوا إلى عن هذا الأحدب فكشفوا له عنه فجلس عنده وأخذ رأسه فى حجره ونظر فى وجهه وضحك ضحكا عاليًا حتى انقلب على قفاه من شدة الضحك وقال لكل موتة سبب من الأسباب وموتة هذا الأحدب من عجب العجاب يجب أن تؤرخ فى السجلات ليعتبر بما مضى ومن هو آت فتعجب الملك من كلامه وقال يا صامت احك لنا سبب كلامك هذا وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد إن الملك قال يا صامت احكى لنا سبب كلامك هذا فقال ياملك وحق نعمتك أن الأحدب فيه الروح ثم إن المزين أخرج من وسطه مكحلة فيها دهن ودهن رقبة الأحدب وغطاهاحتى عرقت ثم أخرج كلبتين من حديد ونزل بهما فى حلقه فالتقطتا القطعة السمك بعظمها فلما أخرجها رآها الناس بعيونهم ثم نهض الأحدب واقفًا على قدميه وعطس عطسة واستفاق فى نفسه وملس بيديه على وجهه وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله فتعجب الحاضرون من الذى رأوه وعاينوه فضحك ملك الصين حتى غشى عليه وكذلك الحاضرون ثم إن أن ملك الصين أمر أن تسطر هذه القصة فسطروها ثم جعلوها فى خزانة الملك ثم خلع على اليهودى والنصرانى والمباشر وخلع على كل واحد خلعة سنية مليحة وربت له الرواتب وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزالوا فى ألذ عيش وأهناه إلى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا بأعجب من قصة الوزيرين التى فيها ذكر أنيس الجليس قال الملك وماحكاية الوزيرين .

(حكاية الوزيرين التى فيها ذكر أنيس الجليس)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقراء والصعاليك ويرفق بالرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد ﷺ وكان يقال لهذا الملك محمد بن سليمان الزينى وكان له وزيران أحدهما يقال له المعين بن ساوى والثانى يقال له الفضل بن خاقان وكان الفضل بن خاقان أكرم أهل زمانه حسن السيرة أجمعت القلوب على محبته وكان الناس على قدر



(السمسار وهو يقدم الجارية للوزير ويقول له قد بلغ ثمنها عشرة آلاف دينار)

محبتهم لفضل الدين بن خاقان يبغضون المعين بن ساوى بقدرة القادر ثم إن الملك محمد بن سليمان الزينى كان قاعدًا يومًا من الأيام على كرسى مملكته وحوله أرباب دولته إذ نادى وزيره الفضل بن خاقان وقال له إنى أريد جارية لايكون فى زمانها أحسن منها بحيث تكون كاملة فى الجمال فائقة فى الاعتدال حميدة الخصال فقال أرباب الدولة هذه لاتوجد إلا بعشرة آلاف دينار فعند ذلك صاح السلطان على الخازندار وقال احمل عشرة آلاف دينار إلى دار الفضل بن خاقان فامتثل الخازندار أمر السلطان ونزل الوزير بعد ما أمره السلطان أن يعمد إلى السوق فى كل يوم يوصى السماسرة على ماذكره وأنه لاتباع جارية ثمنها فوق الألف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضوها عليه فامتثل الوزير أمره واستمر على هذا الحال مدة من الزمان ولم تعجبه جارية فاتفق يومًا من الأيام أن بعض السماسرة أقبل على دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكبًا متوجهًا إلى قصر الملك فقبض على ركابه وأنشد هذين البيتين :

يا من أعاد رميم الملك منشورا	أنت الوزير الذى ما زال منصورًا
أحييت مامات بين الناس من كرم	ما زال سعيك عند الله مشكورًا

ثم قال ياسيدى إن الجارية التى صدر بطلبها المرسوم الكريم قد حضرت فقال له الوزير على بها فغاب ساعة ثم حضر ومعه جارية رشيقة القد وكلامها أرق من النسيم إذا مر على زهر البستان كما قال فيها بعض واصفيها هذه الأبيات :

لها بشر مثل الحرير ومنطق	رخيم الحواشى لاهراء ولانزر
وعينان قال الله كونا فكانتا	فعولان بالألباب ما تفعل الخمر
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة	ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
ذوائبها ليل ولكن جبينها	إذا أسفرت يوم يلوح به الفجر

فلما رآها الوزير أعجبته غاية الإعجاب فالتفت إلى السمسار وقال له على بسيدها فأحضره السمسار فى الوقت والساعة فإذا هو رجل أعجمى وعاش زمنا طويلاً حتى صيره الدهر عظمًا فى جلد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

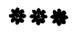
***



الليلة (٤٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجمى صاحب الجارية لماحضر بين يدى الوزير الفضل ابن خاقان قال له الوزير رضيت أن تأخذ فى هذه الجارية عشرة آلاف دينار من السلطان محمد ابن سليمان الزينى فقال العجمى حيث كانت للسلطان فالواجب على أن أقدمها إليه هدية بلا ثمن فعند ذلك أمر الوزير بإحضار الأموال فلما حضرت وزن الدنانير للعجمى ثم أقبل النخاس على الوزير وقال له عن إذن مولانا الوزير أتكلم فقال الوزير هات ماعندك فقال عندى من الرأى أن لاتطلع بهذه الجارية إلى السلطان فى هذا اليوم فإنها قادمة من السفر واختلف عليها الهواء وأتعبها السفر ولكن خلها عندك فى القصر عشرة أيام حتى تستريح فتأمل الوزير كلام النخاس فوجده صوابًا فأتى بها إلى قصره وأخلى لها مقصورة ورتب لها كل يوم ماتحتاج إليه من طعام وشراب وغيره فمكثت مدة على تلك الرفاهية وكان للوزير الفضل بن خاقان ولد كأنه البدر إذا أشرق بوجه أقمر وخد أحمر وعليه خال كنقطة عنبر وفيه عذار أخضر وكان الصبى لم يعرف قضية هذه الجارية وكان والده أوصاها وقال لها يابنتى اعلمى أنى ما اشتريتك إلا سرية للملك محمد بن سليمان الزينى وأن لى ولدًا ما خلا بصبية فى الحارة إلا فعل فاحفظى نفسك منه واحذرى أن تريه وجهك أو تسمعيه كلامك فقالت الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف واتفق بالأمر المقدر أن الجارية دخلت يومًا من الأيام الحمام الذى فى المنزل وقد حماها بعض الجوارى ولبست الثياب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على زوجة الوزير فقبلت يدها فقالت لها نعيمًا يا أنيس الجليس كيف حالك فى هذا الحمام فقالت ياسيدتى ماكنت محتاجة إلا إلى حضورك فيه فعند ذلك قالت سيدة البيت للجوارى قمن بنا ندخل الحمام فامتثلن أمرها ومضين وسيدتهن بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التى فيها أنيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لهما لاتمكنا أحدًا من الدخول على الجارية فقالتا السمع والطاعة فبينما أنيس الجليس قاعدة فى المقصورة وإذا بابن الوزير الذى اسمه على نور الدين قد دخل وسأل عن أمه وعن العائلة فقالت له الجاريتان دخلوا الحمام وقد سمعت الجارية أنيس الجليس كلام على

نورالدين بن الوزير وهى من داخل المقصورة فقالت فى نفسها يا ترى ما شأن هذا الصبى الذى قال الوزير عنه إنه ماخلا بصبية فى الحارة إلا أوقعها والله إنى أشتهى أن أنظره ثم إنها نهضت على قدميها وهى بأثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت إلى على نور الدين فإذا هو صبى كالبدر فى تمامه فأورثتها النظرة ألف حسرة ولاحت من الصبى التفاتة إليها فنظرها نظرة أورثته ألف حسرة ووقع كل منهما فى شرك هوى الآخر فتقدم الصبى إلى الجاريتين وصاح عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد ينظرانه وينظران مايفعل وإذا به تقدم إلى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها أنت الذى اشتراك أبى فقالت له نعم فلما رأى الجاريتان سيدهما الصغير دخل على الجارية أنيس الجليس صرختا وكان قد قضى الصبى حاجته وخرج هاربًا وللنجاة طالبًا وفر من الخوف عقب الفعل الذى فعله فلما سمعت سيدة البيت صراخ الجاريتين مضت وخرجت من الحمام والعرق يقطر منها وقالت ماسبب هذا الصراخ الذى فى الدار فلما قربت من الجاريتين اللتين أقعدتهما على باب المقصورة قالت لهما ويلكما ما الخبر؟ قالتا إن سيدى على نور الدين جاء وضربنا فهربنا منه فدخل على أنيس الجليس فعند ذلك تقدمت سيدة البيت إلى أنيس الجليس وقالت لها ما الخبر؟ فقالت لها يا سيدتى أنا قاعدة وإذا بصبى جميل الصورة دخل علىّ وقال إنت التى اشتراك أبى لى فقلت نعم والله ياسيدتى اعتقدت أن كلامه صحيح فعند ذلك أتى إلىّ وعانقنى فقالت ما تركنى من غير افتضاض ثم بكت ولطمت وجهها والجوارى خوفًا على على نور الدين أن يذبحه أبوه فبينما هم كذلك وإذا بالوزير دخل وسأل عن الخبر فقالت له زوجته احلف أن ما قلته لك تسمعه وقال نعم فأخبرته بما فعله ولده فحزن ومزق ثيابه ولطم على وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لاتقتل نفسك أنا أعطيك من مالى عشرة آلاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه إليها وقال لها ويلك أنا مالى حاجة بثمنها ولكن خوفى أن تروح روحى ومالى فقالت له ياسيدى ماسبب ذلك قال لها أما تعلمين أن وراءنا هذا العدو والذى يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع هذا الأمر تقدم إلى السلطان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٤٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير قال لزوجته أما تعلمين أن وراءنا عدوًا يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الأمر تقدم إلى السلطان وقال له إن وزيرك الذى تزعم أنه يحبك أخذ منك عشرة آلاف دينار واشترى بها جارية ما رأى أحد مثلها فلما أعجبته قال لابنه خذها أنت أحق بها من السلطان فأخذها وأزال بكارتها وها هى الجارية عنده وهذا ما كان من أمر الوزير (وأما) ما كان من أمر على نور الدين فإنه خاف عاقبة الأمر فكان يقضى نهاره فى البساتين ولايأتى إلا فى آخر الليل لأمه فينام عندها ويقوم قبل الصبح و لايراه أحد ولم يزل كذلك شهرًا وهو لم ير وجه أبيه فقالت أمه لأبيه ياسيدى هل تعدم الجارية وتعدم الولد فإن طال هذا الأمر على الولد هج قال لها وكيف العمل؟ قالت له اسهر هذه الليلة فإذا جاءنا فأمسكه واصطلح أنت وإياه وأعطه الجارية فإنها تحبه وهو يحبها وأعطيك ثمنها فسهر الوزير طول الليل فلما أتى ولده أمسكه وأراد نحره فأدركته أمه وقالت له أى شىء تريد أن تفعل معه فقال لها أريد أن أذبحه فقال الولد لأبيه هل أهون عليك فتغرغرت عيناه بالدموع فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده وأشفق عليه وقام الصبى وقبّل يد والده فقال ياولدى لو علمت أنك تنصف أنيس الجليس كنت وهبتها لك فقال ياوالدى كيف لا أنصفها قال أوصيك ياولدى أنك لا تتزوج عليها ولاتضاررها ولاتبعها قال له ياوالدى أنا أحلف لك أن لا أتزوج عليها ولا أبيعها ثم حلف له أيمانًا على ماذكر ودخل على الجارية فأقام معها سنة وأنسى الله تعالى الملك قصة الجارية . وأما المعين بن ساوى فإنه بلغه الخبر ولكنه لم يقدر أن يتكلم لعظم منزلة الوزير عند السلطان فلما مضت السنة دخل الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو عرقان فأصابه الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل به الضعف فعند ذلك نادى ولده على نور الدين فلما حضر بين يديه قال له يا ولدى إن الرزق مقسوم والأجل محتوم ولابد لكل نسمة من شرب كأس المنون ثم قال ياولدى مالى عندك وصية إلا تقوى الله والنظر فى العواقب ثم نطق بالشهادتين وشهق فكتب من أهل السعادة فعند ذلك امتلأ القصر بالصراخ ووصل الخبر إلى السلطان وسمعت أهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكت عليه الصبيان فى مكاتبها ونهض

ولده على نور الدين وجهزه وحضرت الأمراء والوزراء وأرباب الدولة وأهل المدينة مشهده وكان ممن حضر الجنازة الوزير المعين بن ساوى ثم مكث على نور الدين شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هوجالس يومًا من الأيام فى بيت والده إذ طرق الباب طارق فنهض على نور الدين وفتح الباب وإذا برجل من ندماء والده وأصحابه فقبل يد على نور الدين وقال ياسيدى من خلف مثلك ما مات وهذا مصير سيد الأولين والآخرين ﷺ ياسيدى طب نفسا ودع الحزن عند ذلك ثم نهض على نور الدين إلى قاعة الجلوس ونقل إليها مايحتاج إليه واجتمع عليه أصحابه وأخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من أولاد التجار ثم إنه أكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقامًا بعد مقام وصار يعطى ويتكرم فعند ذلك دخل عليه وكيله وقال له ياسيدى على نور الدين أما سمعت قول بعضهم من ينفق ولم يحسب افتقر ولقد أحسن من قال هذه الأبيات :

أصون دراهمى وأذب عنها ... لعلمى أنها سيفى وترسى

أأبذلها إلى أعدا الأعادى ... وأبدل فى الورى سعدى بنحسى

فيأكلها ويشربها هنيئا ... ولايسخوا لى أحد بفلس

وأحفظ درهمى عن كل شخص ... لئيم الطبع لايصفو لانسى

أحب إلى من قول لنذل ... أنلنى درهما لغد بخمس

فيعرض وجهه ويصد عنى ... فتبقى مثل نفس الكلب نفسى

فياذل الرجال بغير مال ... ولو كانت فضائلهم كشمس

ثم قال ياسيدى النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفنى المال فلما سمع على نور الدين من وكيله هذا الكلام نظر إليه وقال له جميع ماقلته لا أسمع منه كلمة فما أحسن قول الشاعر :

إذا ما ملكت المال يومًا ولم أجد ... فلا بسطت كفى ولانهضت رجلى

فهاتوا بخيلا نال مجدًا ببخله ... وهاتوا أرونى باذلا مات من بذل

ثم قا :ل اعلم أيها الوكيل أنى أريد إذا فضل عندك مايكفينى لغذائى أن لاتحملنى هم عشائى فانصرف الوكيل من عنده إلى حال سبيله وأقبل على نور الدين على ما هو فيه من

مكارم الأخلاق وكل من يقول له من ندمائه إن هذا الشىء مليح يقول هو لك هبة فبينما هو جالس يومًا وإذا بالجارية تنشد هذين البيتين :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولـم تخف سـوء ما يأتى به القدر
وسـالمتك الليالى فاغتـررت بهـا وعند صفو الليالى يحدث الكدر

فلما فرغت من شعرها إذا بطارق يطرق الباب فقام على نور الدين فتبعه بعض جلسائه من غير أن يعلم به فلما فتح الباب رآه وكيله فقال له على نور الدين ما الخبر قال له مابقى لك تحت يدى شىء يساوى درهمًا ولا أقل من درهم وهذه دفاتر المصروف الذى صرفته ودفاتر أصل مالك فلما سمع على نور الدين هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض وقال لاحول ولاقوة إلا بالله فلما سمع الرجل الذى تبعه خفية خرج ليسأل عليه وما قاله الوكيل رجع إلى أصحابه وقال لهم انظروا أى شىء تعملون فإن نور الدين قد أفلس فلما رجع إليهم على نور الدين وظهر لهم الغم فى وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر إلى على نور الدين وقال له ياسيدى إى أريد أن تأذن لى بالانصراف فأذن له ونهض آخر وقال ياسيدى نور الدين أريد اليوم أن أحضر عند أخى فإنه يطاهر ولده وكل واحد يستأذن بحيلة ويذهب إلى حال سبيله حتى انصرفوا كلهم وبقى على نور الدين وحده فعند ذلك دعا جاريته وقال يا أنيس الجليس أما تنظرين ماحل بى وحكى لها ما قاله الوكيل فقالت ياسيدى من منذ ليال هممت أن أقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد هذين البيتين :

إذا جادت الدنيا عليك فجدبها على الناس طرا قبل أن تنفلت
فلا الجـود يفنيها إذا هى أقبلت ولا الشح يبقيها إذا هـى ولت

فلما سمعتك تنشدهما سكت ولم أبد لك خطابًا فقال لها على نور الدين ياأنيس الجليس أنت تعرفين أنى ماصرفت مالى إلا على أصحابى وأظنهم لايتركوننى من غير مواساة فقالت أنيسالجليس والله ماينفعونك بنافعة فقال على نور الدين كانا فى هذه الساعة أقوم وأروح إليهم وأطرق أبوابهم لعل أنال منهم شيئًا فاجعله فى يدى رأس مال وأتجر فيه وأترك اللهو واللعب ثم

إنه نهض من وقته وساعته ومازال سائراً حتى أقبل على الزقاق الذى فيه أصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين فى ذلك الزقاق فتقدم إلى أول باب وطرقه فخرجت له جارية وقالت له من أنت فقال لها قولى لسيدك على نور الدين واقف على الباب ويقول لك مملوكك يقبل أياديك وينتظر فضلك فدخلت الجارية وأعلمت سيدها فصاح عليها وقال ارجعى وقولى له ماهو هنا فرجعت الجارية إلى على نور الدين وقالت له ياسيدى إن سيدى ماهو هنا فتوجه على نور الدين وقال فى نفسه إن كان هذا ولد زنا وأنكر نفسه فغيره ماهو ولد زنا ثم تقدم إلى الباب الثانى وقال كما قال أولا فإنكر الآخر نفسه ثم إنه طرق أبوابهم جميعًا فلم يفده أحدا بفائدة ثم إنه رجع إلى جاريته وقد أخبرها بما حصل له مع أصحابه العشرة فعند ذلك قالت له أنيسالجليس الأوفق أن تأخذنى إلى السوق وتبيعنى فأخذ أنيس الجليس ودموعه تسيل على خديه ثم أنشد هذين البيتين :

قفوا زودونى نظرة قبل فراقكم	أعلل قلبا كان بالبين يتلف
فإن كان تزويدى بذلك كلفة	دعونى فى وجدى ولاتتكلفوا

ثم مضى وسلمها إلى الدلال وقال له أعرف مقدار ما تنادى عليه فقال له الدلال ياسيدى على نور الدين الأصول محفوظة ثم قال له أهاهى أنيس الجليس الذى كان اشتراها والدك منى بعشرة آلاف دينار قال نعم فعند ذلك طلع الدلال إلى التجار فوجدهم لم يجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار وامتلأ السوق بسائر أجناس الجوارى من تركية ورومية وشركسية وجرجية وحبشية فلما نظر الدلال إلى ازدحام السوق نهض قائمًا وقال ياتجار يا أرباب الأموال ما كل مدور جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمة ولا كل صهباء خمرة ولا كل سمراء تمرة ياتجار هذه الدرة اليتيمة التى لا تفى الأموال لها بقية بكم تفتحون باب الثمن فقال واحد بأربعة آلاف دينار وخمسمائة وإذا بالوزير المعين بن ساوى فى السوق فنظر على نور الدين واقفًا فى السوق فقال فى نفسه مابال واقفًا فإنه مابقى عنده شىء يشترى به جوارى ثم نظربعينه فسمع المنادى وهو واقف ينادى فى السوق والتجار حوله فقال الوزير فى نفسه ما أظنه



إلا أفلس ونزل بالجارية ليبيعها ثم قال فى نفسه إن صح ذلك فما أبرده على قلبى ثم دعا المنادى فأقبل عليه وقبّل الأرض بين يديه فقال إنى أريد هذه الجارية التى تنادى عليها فلم يمكنه المخالفة فجاء بالجارية وقدمها بين يديه فلما نظر إليها وتأمل محاسنها من قامتها الرشيقة وألفاظها الرقيقة أعجبته وقال لى شاور على أربعة آلاف دينار ولك خمسمائة وما أظنه إلا عرف أن الجارية لك فإن كان يعطيك ثمنها فى هذه الساعة يكون ذلك من فضل الله لكن أنا أعرف من ظلمه أن يكتب لك ورقة حوالة على بعض عملائه يرسل إليهم ويقول لاتعطوه شيئًا فكلما ذهبت إليهم لتطالبهم يقولون فى غد نعطيك ولايزالون يعدونك ويخلفون يومًا بعد يوم وأنت عزيز النفس وبعد أن يضجوا من مطالبتك إياهم يقولون إعطنا ورقة الحوالة فإذا أخذوا الورقة منك قطعوها وراح عليك ثمن الجارية فلما سمع على نور الدين من الدلال هذا الكلام نظر إليه وقال له كيف يكون العمل فقال له أنا أشير عليك بمشورة فإن قبلتها منى كان لك الحظ الأوفر قال تجىء فى هذه الساعة عندى وأنا واقف فى وَسط السوق وتأخذ الجارية من يدى وتلكمها وتقول لها ويلك قد فديت يمينى التى حلفتها ونزلت بك السوق حيث حلفت عليك أنه لابد من إخراجك إلى السوق ومناداة الدلال عليك فإن فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون أنك مانزلت بها إلا لأجل إبرار اليمين فقال هذا هو الرأى الصواب ثم إن الدلال فارقه وجاء إلى وسط السوق وأمسك يد الجارية وأشار إلى الوزير المعين بن ساوى وقال يامولانا هذا مالكها قد أقبل ثم جاء على نور الدين إلى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها وقال ويلك قد نزلت بك إلى السوق لأجل إبرار يمينى روحى إلى البيت بعد ذلك لاتخالفينى فلست محتاجًا إلى ثمنك حتى أبيعك وأنا لو بعت أثاث البيت وأمثاله مرات عديدة ما بلغ قدر ثمنك فلما نظر المعين بن ساوى إلى على نور الدين قال له ويلك وهل بقى عندك شىء يُباع أو يُشترى ثم إن المعين بن ساوى أراد أن يبطش به فعند ذلك نظر التجار إلى على نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها أنا بين أيديكم وقد عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا أنتم لقتلته ثم رمزوا كلهم لبعضهم بعين الإشارة وقالوا ما أحد منا يدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم على نور الدين إلى الوزير ابن ساوى وكان على نور الدين شجاعًا فجذب الوزير من فوق سرجه فرماه

على الأرض وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير فى وسطها وجعل على نور الدين يلكمه فجاءت لكمة على أسنانه فاختصبت لحيته بدمه فلما رأى نفسه على هذه الحالة أخذ برشا وجعله فى رقبته وأخذ فى يده حزمتين من خلفه وسار إلى أن وقف تحت القصر الذى فيه السلطان وصاح يامِلك الزمان مظلوم فأحضروه بين يديه فتأمله فرآه وزيره المعين بن ساوى فقال له من فعل بك هذه الفعال فبكى وانتحب وأنشد هذين البيتين :

أيظلمنى الزمان وأنت فيه وتأكلنى الكلاب وأنت ليث
ويروى من حياضك كل صاد وأعطش فى حماك وأنت غيث

ثم قال : يا سيدى ، أهكذا كل من يحبك ويخدمك تجرى له هذه المشاق قال له ومن فعل بك هذه الفعال فقال الوزير اعلم أنى خرجت اليوم إلى سوق الجوارى لعلى اشترى جارية طباخة فرأيت فى السوق جارية مارأيت طول عمرى مثلها فقال الدلال إنها لعلى بن خاقان وكان مولانا السلطان أعطى أباه سابقاً عشرة آلاف دينار ليشترى بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فأعجبته فأعطاها لولده فلما مات أبوه سلك طريق الإسراف حتى باع جميع ماعنده من الأملاك والبساتين والأوانى فلما أفلس ولم يبق عنده شىء نزل بالجارية إلى السوق على أن يبيعها ثم سلمها إلى الدلال فنادى عليها وتزايدت فيها التجار حتى بلغ ثمنها أربعة آلاف دينار فقلت أشترى هذه لمولانا السلطان فإن أصل ثمنها كان من عنده فقلت يا ولدى خذ ثمنها أربعة آلاف دينار فلما سمع كلامى نظر إلىّ وقال يا شيخ النحس أبيعها لليهودى والنصارى ولا أبيعها لك فقلت أنا ما اشتريتها لنفسى وإنما اشتريتها لمولانا السلطان الذى هو ولى نعمتنا فلما سمع منى هذا الكلام اغتاظ وجذبنى ورمانى عن الجواد وأنا شيخ كبير وضربنى ولم يزل يضربنى حتى تركنى كما ترانى وأنا ما أوقعنى فى هذا كله إلا أنى جئت لأشترى هذه الجارية لسعادتك ثم إن الوزير رمى نفسه على الأرض وجعل يبكى ويرتعد فلما نظر السلطان حالته وسمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيه ثم التفت إلى من بحضرته من أرباب الدولة وإذا بأربعين من ضاربى سيف وقفوا بين يديه فقال لهم انزلوا فى هذه الساعة إلى دار ابن خاقان



وانهبوها واهدموها وائتونى به وبالجارية مكتفين واسحبوهما على وجوههما وائتوا بهما بين يدى فقالوا السمع والطاعة ثم إنهم نزلوا وقصدوا المسير إلى على نور الدين وكان عند السلطان حاجب يقال له علم الدين سنجر وكان أولا من مماليك الفضل بن خاقان والد على نور الدين فلما سمع أمر السلطان ورأى الأعداء تهيأوا إلى قتل ابن سيده لم يهن عليه ذلك فركب جواده وسار إلى أن أتى بيت على نور الدين فطرق الباب فخرج له على نور الدين فلما رآه عرفه وأراد أن يسلم عليه فقال ياسيدى ماهذا وقت سلام ولاكلام واسمع ماقال الشاعر :

ونفسك فز بها إن خفت ضيما   وخل الدار تنعى من بناها
فإنك واجد أرضا بأرض   ونفسك لم تجد نفسًا سواها

فقال على نور الدين ياعلم الدين ما الخبر فقال انهض وفز بنفسك أنت والجارية فإن المعين بن ساوى نصب لكما شركًا ومتى وقعتما فى يده قتلكما وقد أرسل إليكما السلطان أربعين ضاربًا بالسيف والرأى عندى أن تهربا قبل أن يحل الضرر بكما ثم إن سنجر مد يده إلى على نور الدين بدنانير فعدها فوجدها أربعين دينارًا وقال له ياسيدى خذ هذه ولو كان معى أكثر من ذلك لأعطيتك إياه ولكن ماهذا وقت معاتبة فعند ذلك دخل على نور الدين على الجارية وأعلمها بذلك فتخبلت ثم خرج الاثنان فى الوقت إلى ظاهر المدينة وأسبل الله عليهما ستره ومشيا إلى ساحل البحر فوجدا مركبًا تجهزت للسفر والريس واقف فى وسط المركب فقال نور الدين إلى أين ياريس فقال إلى دار السلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الريس لما قال لعلى نور الدين إلى دار السلام مدينة بغداد نزل على نورالدين ونزلت معه الجارية وعوموا ونشروا القلوع فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ماجرى لهؤلاء (وأما) ما جرى للأربعين الذين أرسلهم السلطان فإنهم جاءوا إلى بيت على نور الدين فكسروا الأبواب ودخلوا وطافوا جميع الأماكن فلم يقفوا لهما على خبر

فهدموا الدار ورجعوا وأعلموا السلطان فقال اطلبوهما فى أى مكان كانا فيه فقالوا السمع والطاعة هذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من أمر على نور الدين وجاريته فإنهما وصلا بالسلامة إلى بغداد فقال الريس هذه بغداد وهى مدينة أمينة قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بورده وأزهرت أشجارها وجرت أنهارها فعند ذلك طلع على نور الدين هو وجاريته من المركب وأعطى الريس خمسة دنانير ثم سارا قليلا فرمتهما المقادير بين البساتين فجاء إلى مكان فوجداه مكنوسًا مرشوشًا بمصاطب مستطيلة وقواديس معلقة ملآنة ماء وفوقه مكعب من القصب بطول الزقاق وفى صدر الزقاق باب بستان إلا أنه مغلق فقال على نور الدين للجارية والله إن هذا محل مليح فقالت ياسيدى اقعد بنا ساعة على هذه المصاطب فطلعا وجلسا على المصاطب ثم غسلا وجوههما وأيديهما واستلذوا بمرور النسيم فناما وجل من لاينام وكان البستان يسمى بستان النزهة وهناك قصر يقال له قصر الفرجة وهو للخليفة هارون الرشيد وكان الخليفة إذا ضاق صدره يأتى إلى البستان ويدخل ذلك القصر فيقعد فيه وكان القصر له ثمانون شباكًا ومعلقًا فيه ثمانون قنديلا وفى وسطه شمعدان كبير من الذهب فإذا دخله الخليفة أمر الجوارى أن تفتح الشبابيك وأمر إسحق النديم والجوارى أن يغنوا لينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولى شيخ كبير يقال له الشيخ إبراهيم وأتفق أنه خرج يومًا ليقضى حاجته من أشغاله فوجد المتفرجين معهم النساء وأهل الريبة فغضب غضبًا شديدًا فصبر الشيخ حتى جاء عنده الخليفة فى بعض الأيام فأعلمه بذلك فقال الخليفة كل من وجدته على باب البستان افعل به ما أردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ إبراهيم لقضاء حاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين على البستان مغطيين بإزار واحد فقال أما عرفا أن الخليفة أعطانى إذنًا أن كل من لقيته قتلته ولكن أنا أضرب هذين ضربًا خفيفًا حتى لايتقرب أحد من باب البستان ثم قطع جريدة خضراء وخرج إليهما ورفع يده فبان بياض أبطه وأراد ضربهما فتفكر فى نفسه وقال ياإبراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين أو من أبناء السبيل ورمتهما المقادير هنا فأنا أكشف عن وجوههما وانظر إليهما فرفع الإزار عن وجوههما وقال هذان حسنان لاينبغى أن أضربهما ثم غطى وجوههما وتقدم إلى رجل على نور الدين وجعل يكبسها ففتح



عينيه فوجده شيخًا كبيرًا فاستحى على نور الدين ولم رجليه واستوى قاعدًا وأخذ يد الشيخ فقبلها فقال له ياولدى من أين أنتم؟ فقال له ياسيدى نحن غرباء وفرت الدمعة من عينه فقال الشيخ إبراهيم ياولدى اعلم أن النبى ﷺ أوصى بإكرام الغريب ثم قال له ياولدى أما تقوم وتدخل البستان وتتفرج فيه فينشرح صدرك فقال له نور الدين ياسيدى هذا البستان لمن؟ قال ياولدى هذا ورثته من أهلى وما كان قصد الشيخ إبراهيم بهذا الكلام إلا أن يطمئنا ويدخلا البستان فلما سمع نور الدين كلامه شكره وقام هو وجاريته والشيخ إبراهيم قدامهما فدخلوا البستان فإذا هو بستان بابه مقنطر عليه كروم وأعنابه مختلفة الألوان الأحمر كأنه ياقوت والأسود كأنه أبنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الأثمار صنوان وغير صنوان والأطيار تغرد بألحان على الأغصان والهزار يترنم والقمرى ملأ بصوته المكان والشحرور كأنه فى تغريده إنسان والنهر فى خرير والطير فى هدير والريح فى صفير والزمن فى اعتدال والنسيم فى اعتلال ثم دخل بهما الشيخ إبراهيم القاعة المغلقة فابتهجوا بحسن تلك القاعة ومافيها من اللطائف الغريبة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٥٠)

قالت : بلغنى أن الشيخ إبراهيم دخل القاعة ومعه على نور الدين والجارية وجلسوا فى بعض الشبابيك فتذكر على نور الدين المقاساة التى مضت له فقال والله إن هذا المكان فى غاية الحسن لقد فكرنى بما مضى وأطفأ من كربى جمر الغضى ثم إن الشيخ إبراهيم قدم لهما الأكل فأكلا ثم غسلا أيديهما ثم التفت على نور الدين إلى الشيخ إبراهيم وقال له ياشيخ إبراهيم أما عندك شيء من الشراب لأن الناس يشربون بعد أن يأكلون فجاءه الشيخ إبراهيم بماء حلو بارد فقال له على نور الدين ماهذا الشراب الذى أريده فقا له أتريد الخمر فقال أعوذ بالله إن لى ثلاثة عشر عامًا مافعلت ذلك لأن النبى ﷺ لعن شاربه وعاصره وحامله فقال له نور الدين اسمع منى كلمتين قال قل ماشئت قال إذا لم تكن عاصر الخمر ولاشاربه ولاحامله هل يصيبك من

لعنهم شيء قال لا قال خذ هذين الدينارين وهذين الدرهمين واركب هذا الحمار وقف بعيد وأي إنسان وجدته يشترى فصح عليه وقل له خذ هذين الدرهمين واشتر بهذين الدينارين خمرًا واحمله على الحمار وحينئذ لاتكون شاربًا ولا حاملا ولا عاصرًا ولايصيبك شيء مما أصاب الجميع فقال الشيخ إبراهيم وقد ضحك من كلامه والله مارأيت أظرف منك ولا أحلى من كلامك فقال له نور الدين نحن صرنا محسوبين عليك وماعليك إلا الموافقة فأتِ لنا بجميع ما نحتاج إليه فقال له الشيخ إبراهيم ياولدى هذا كرارى قدامك وهو الحاصل المعد لأمير المؤمنين فادخله وخذ منه ماشئت فإن فيه فوق ماتريد فدخل على نورالدين الحاصل فرأى فيه أوانى من الذهب والفضة والبلور مرصعة بأصناف الجواهر فأخرج منها ما أراد وسكب فى البواطى والقنانى فقال له نور الدين ياسيدى بحياتى أن تتقدم عندنا فتقدم الشيخ إبراهيم عندهما فملأ نور الدين قدحًا ونظر إلى الشيخ ابراهيم وقال له اشرب حتى تعرف لذة طعمه فقال الشيخ أعوذ بالله إن لى ثلاث عشرة سنة ما فعلت شيئًا من ذلك فتغافل عنه نور الدين وشرب القدح ورمى نفسه فى الأرض وأظهر أنه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت إليه أنيس الجليس وقالت له ياشيخ إبراهيم انظرهذا كيف عمل معى قال ياسيدتى ماله قالت دائمًا يعمل معى هكذا يشرب معى ساعة وينام وأبقى أنا وحدى لا أجد لى نديمًا ينادمنى على قدحى فإذا شربت فمن يعاطينى وإذا غنيت فمن يسمعنى فقال لها الشيخ إبراهيم وقد حنت أعضاؤه ومالت نفسه إليها من كلامها لاينبغى من النديم أن يكون هكذا ثم إن الجارية ملأت قدحًا ونظرت إلى الشيخ إبراهيم وقالت بحياتى أن تأخذه وتشربه ولاترده فاقبله واجبر خاطرى فمد الشيخ إبراهيم يده وأخذ القدح وشربه وملأت له ثانيا ومدت إليه يدها به وقالت له ياسيدى لك بقىَ هذا فقال لها والله لا أقدر أن أشربه فقد كفانى الذى شربته فقالت له لابد منه فأخذ القدح وشربه ثم أعطته الثالث فأخذه وأراد أن يشربه وإذا بنور الدين هم قاعدًا . وأدرك شهرزاد الصباح وسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٥١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن على نور الدين هم قاعداً فقال له يا شيخ إبراهيم أى شىء هذا ما حلفت عليك من ساعة فأبيت وقلت إن لى ثلاثة عشر عامًا ما فعلته فقال الشيخ إبراهيم وقد استحى مالى ذنب فإنما هى شددت على فضحك نور الدين وقعدوا للمنادمة فعند ذلك قالت الجارية ياشيخ إبراهيم عن إذنك هل أقوم وأوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال لها قومى ولاتوقدى إلا شمعة واحدة فنهضت على قدميها وابتدأت من أول الشمع إلى أن أوقدت ثمانين شمعة ثم قعدت وبعد ذلك قال نور الدين ياشيخ إبراهيم وأنا أى شىء حظى عندك أما تخلينى أوقد قنديلا من هذه القناديل فقال له الشيخ إبراهيم قم وأوقد قنديلا واحدًا ولا تتثاقل أنت الآخر فقام وابتدأ من أولها إلى أن أوقد ثمانين قنديلا فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ إبراهيم وقد غلب عليه السكر أنتما أخرع منى ثم إنه نهض على قدميه وفتح الشبابيك جميعًا وجلس معهما يتنادمون ويتناشدون الأشعار وابتهج بهم المكان فقدر الله السميع العليم الذى جعل لكل شىء سببًا أن الخليفة كان فى تلك الساعة جالسًا فى الشبابيك المطلة على ناحية الدجلة فى ضوء القمر فنظر إلى تلك الجهة فرأى ضوء القناديل والشموع فى البحر ساطعًا فلاحت من الخليفة التفاتة إلى القصر الذى فى البستان فرآه يلهج من تلك الشموع والقناديل فقال على بجعفر البرمكى فما كان إلا لحظة وقد حضر جعفر بين يدى أمير المؤمنين فقال له ياكلب الوزراء أتخدمنى ولم تعلمنى بما يحصل فى مدينة بغداد فقال له جعفر وماسبب هذا الكلام فقال لولا أن مدينة بغداد أخذت منى ما كان قصر الفرجة مبتهجًا بضوء القناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذى يكون له قدرة على هذه الفعال إلا إذا كانت الخلافة أخذت منى فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن أخبرك بأن قصر الفرجة أوقدت فيه القنادل والشموع وفتحت شبابيكه فقال له تقدم عندى وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظر ناحية البستان فوجد القصر كأنه شعلة نار نورها غلب على نور القمر فأراد جعفر أن يعتذر عن الشيخ إبراهيم الخولى ربما هذا الأمر بإذنه لما رأى فيه من المصلحة فقال يا

أمير المؤمنين كان الشيخ إبرهيم فى الجمعة التى مضت قال لى ياسيدى جعفر إنى أريد أن أفرح أولادى فى حياتك وحياة أمير المؤمنين فقلت وما مرادك بهذا الكلام؟ فقال لى مرادى أن تأخذ لى إذنا من الخليفة بأنى أطاهر أولادى فى القصر فقلت له افعل ماشئت من فرح أولادك وإن شاء الله أجتمع بالخليفة وأعلمه بذلك فقال الخليفة وحق آبائى وأجدادى ما أتم بقية ليلتى إلا عنده فإنه رجل صالح يتردد إليه المشايخ ويحتفل بالفقراء ويواسى المساكين وأظن أن الجميع عنده فى هذه الليلة فلابد من الذهاب إليه لعل واحداً منهم يدعو لنا دعوة يحصل لنا بها خيرى الدنيا والآخرة وربما يحصل له نفع فى هذا الأمر بحضورى ويفرح بذلك هو وأحبابه فقال جعفر يا أمير المؤمنين أن معظم الليل قد مضى وهم فى هذه الساعة على وجه الانفضاض فقال الخليفة لابد من الرواح عنده فتقدم الخليفة فرأى البستان مفتوحًا فتعجب وقال انظر الشيخ إبراهيم كيف خلى الباب مفتوحًا إلى هذا الوقت وماهى عادته ثم إنهم دخلوا إلى أن انتهوا إلى آخر البستان ووقفوا تحت القصر فقال الخليفة ياجعفر أريد أن تسأل عليهم قبل أن أطلع عندهم حتى أنظر ما عليه المشايخ من النفحات وواردات الكرامات فإن لهم شؤونا فى الخلوات والجلوات لأننا الآن لم نسمع صوتًا ولم نر لهم أثرًا ثم إن الخليفة نظر فرأى شجرة جوز عالية فقال ياجعفر أريد أن أطلع على هذه الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع إلى فرع حتى وصل إلى الفرع الذى يقابل الشباك وقعد فوقه ونظر من شباك القصر فرأى صبية وصبيًا كأنهما قمران سبحان من خلقهما ورأى الشيخ إبراهيم قاعداً وفى يده قدح وهو يقول يا سيدة الملاح الشرب بلا طرب غير فلاح ألم تسمعى قول الشاعر :

أدرها بالكبير وبالصغير ... وخذها من يد القمر المنير
ولاتشرب بلا طرف فإنى ... رأيت الخيل تشرب بالصفير

فلما عاين الخليفة من الشيخ إبراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب بين عينيه ونزل وقال يا جعفر أنا ما رأيت شيئا من كرامات الصالحين مثل ما رأيت فى هذه الليلة فاطلع أنت الآخر على هذه الشجرة وانظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام أمير المؤمنين صار



متحيراً فى أمره وصعد إلى أعلى الشجرة وإذا به نظر فرأى على نور الدين والشيخ إبراهيم والجارية وكان الشيخ إبراهيم فى يده القدح فلما عاين جعفر تلك الحالة أيقن بالهلاك ثم نزل فوقف بين يدى أمير المؤمنين فقال لخليفة يا جعفر الحمد الله الذى جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة المطهرة وكفانا شر ، تلبيات الطريقة المزورة فلم يقدر جعفر أن يتكلم من شدة الخجل ثم نظر الخليفة إلى جعفر ، وقال ياهل ترى من أوصل هؤلاء إلى هذا المكان ومن أدخلهم قصرى ولكن مثل هذا الصبى وهذه الصبية مارأت عينى حسنًا وجمالاً وقدًا واعتدالاً مثلهما فقال جعفر وقد استرجى رضا الخليفة صدقت يا أمير المؤمنين فقال ياجعفر اطلع بنا على هذا الفرع الذى هو مقابلهم لنتفرج عليهم فطلع الاثنان على الشجرة ونظراهما فسمع الشيخ إبراهيم يقول ياسيدتى قد تركت الوقار لشرب العقار ولايلذ ذلك إلا بنغمات الأوتار فلما سمع الشيخ إبراهيم كلام الجارية نهض قائمًا على قدميه فقال الخليفة لجعفر ياترى ماذا يريد أن يعمل فقال جعفر لا أدرى فغاب الشيخ إبراهيم وعاد ومعه عوداً فتأمله الخليفة فإذا هو عود إسحق النديم فقال الخليفة والله إن غنت الجارية ولم تحسن الغناء صلبتكم كلكم وإن غنت وأحسنت الغناء فإنى أعفو عنهم وأصلبك أنت فقال جعفر اللهم اجعلها لا تحسن الغناء فقال الخليفة لأى شيء فقال لأجل أن تصلبنا كلنا فيؤانس بعضنا بعضا فضحك وإذا بالجارية أخذت العود وأصلحت أوتاره وضربت ضربًا يذيب الحديد وجعلت تنشد هذه الأبيات :

أضحى التنائى بديلا من تدانينا — وتاب عن طيب دنيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتليت جوانحنا — شوقًا إليكم ولاجفت مآقينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا — بأن نغص فقال الدهر آمينا
ما الخوف أن تقتلونا فى منازلكم — وإنما خوفنا أن تأثموا فينا

فقال الخليفة : والله ياجعفر عمرى ماسمعت صوتًا مطربًا مثل هذا فقال الخليفة ياجعفر لابد أن تعرفنى حيلة أحتال بها على معرفة حقيقة هذا الأمر من غير أن يشعروا باطلاعنا عليهم ثم إن الخليفة هو وجعفر ذهبا إلى ناحية الدجلة وهما متفكران فى هذا الأمر وإذا بصياد واقف يصطاد وكان الصياد تحت شبابيك القصر فرمى شبكته ليصطاد مايقتات به وكان الخليفة

سابقا صاح على الشيخ إبراهيم وقال له ماهذا الصوت الذى سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ إبراهيم صوت الصيادين الذين يصطادون السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنع الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد يسمى كريمًا ورأى باب البستان مفتوحًا قال فى نفسه هذا وقت غفلة لعلى أستغنم فى هذا الوقت صيادًا ثم أخذ شبكته وطرحها فى البحر وصار ينشد هذه الأبيات :

يا راكب البحر فى الأهوال والهلكة	اقصر عناك فليس الرزق بالحركه
أما ترى البحر والصياد منتصب	فى ليلة ونجوم الليل محتبكه
قد مد أطنابه والموج يلطمه	وعينه لم تزل فى كلل الشبكه
حتى إذا بات مسرورًا بها فرحًا	والحوت قد حط فى فخ الردى حنكه
وصاحب القصر أمسى فيه ليلته	منع البال فى حير من البركه
وصار مستيقظًا من بعد قدرته	لكن فى ملكه ظبيا وقد ملكه
سبحان ربى يعطى ذا ويمنع ذا	بعض صيد وبعض يأكل السمكه

فلما فرغ من شعره وإذا بالخليفة وحده واقف على رأسه فعرفته بالخليفة فقال له ياكريم فالتفت إليه لما سمعه فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال والله يا أمير المؤمنين مافعلته استهزاء بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة قد حملانى على ماترى فقال الخليفة اصطاد على بختى فتقدم الصياد وقد فرح فرحًا شديدًا وطرح الشبكة وصبر إلى أن أخذت حدها وثبتت فى القرار ثم جذبها إليه فطلع فيها من أنواع السمك مالا يحصى ففرح بذلك الخليفة فقال ياكريم اقلع ثيابك ثم قال للصياد خذ هذه والبسها ثم لبس الخليفة جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاما ثم قال للصياد رح أنت إلى شغلك فقبل رجل الخليفة وشكره وأنشد هذين البيتين :

أوليتنى مالا لا أقوم بشكره	وكفيتنى كل الأمور بأسرها
فلا شكرتك ماحييت وإن مت	شكرتك منى عظمى فى قبرها

فلما فرغ الصياد من شعره حتى جال القمل الكثير على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على رقبته ويرمى ثم قال ياصياد ويلك ماهذا القمل الكثير فى هذه الجبة



فقال ياسيدى إنه فى هذه الساعة يؤلمك فإذا مضيت عليك جمعة فإنك لاتحس به ولاتفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك كيف أخلى هذه الجبة على جسدى فقال الخليفة إنى أشتهى أن أقول لك كلامًا ولكن أستحى من هيبة الخليفة فقال له قل ماعندك فقال له قد خطر ببالى يا أمير المؤمنين أنك إن أردت أن تتعلم الصيد لأجل أن تكون فى يدك صنعة تنفعك فإن أردت ذلك يا أمير المؤمنين فإن هذه الجبة تناسبك فضحك الخليفة من كلامى الصياد ثم ولى الصياد إلى حال سبيله وأخذ الخليفة مقطف السمك ووضع فوقه قليلا من الحشيش وأتى به إلى جعفر ووقف بين يده فاعتقد جعفر أنه كريم الصياد فخاف عليه وقال ياكريم ماجاء بك هنا أنج بنفسك فإن الخليفة هنا فى هذه الساعة فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك حتى استلقى على قفاه فقال جعفر لعلك مولانا أمير المؤمنين فقال الخليفة نعم يا جعفر وأنت وزيرى وجئت أنا وإياك هنا وماعرفتنى فكيف يعرفنى الشيخ إبراهيم وهو سكران فكن مكانك حتى أرجع إليك فقال جعفر سمعًا وطاعة ثم إن الخليفة تقدم إلى باب القصر ودقه فقام الشيخ إبراهيم وقال من بالباب فقال له أنا ياشيخ إبراهيم قال له من أنت قال أنا كريم الصياد سمعت أن عندك أضيافًا فجئت إليك بشىء من السمك ففتح الشيخ إبراهيم الباب فدخل الخليفة وهو فى صورة الصياد ابتدأ بالسلام فقال له الشيخ إبراهيم أهلا باللِص السارق والمقامر تعالى أرنا السمك الذى معك فأراهم فلما نظروه فإذا هو حى يتحرك فقالت الجارية والله ياسيدى إن هذا السمك مليح ياليته مقلى فقال الشيخ إبراهيم صدقت ثم قال للخليفة ياصياد ليتك جئت بهذا السمك مقليًا قم فاقله لنا وهاته فقال الخليفة على الرأس أقليه وأجىء به فقال له عجل بقليه والاتيان به فقام الخليفة يجرى حتى وصل إلى جعفر وقال ياجعفر طلبوا السمك مقليًا فقال هاته وأنا أقليه فقال الخليفة وتربة آبائى وأجدادى ما يقليه إلا أنا بيدى ثم إن الخليفة ذهب إلى خص الخولى وفتش فيه فوجد فيه كل شىء يحتاج إليه من آلة القلى حتى الملح والزعتر وغير ذلك فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قليًا مليحًا فلما استوى جعله على ورق الموز وأخذ من البستان ليمونًا وطلع بالسمك ووضعه بين أيديهم فتقدم الصبى والصبية والشيخ إبراهيم وأكلوا فلما فرغوا غسلوا أيديهم فقال نور الدين والله ياصياد إنك صنعت معنا معروفًا هذه الليلة ثم وضع يده فى جيبه وأخرج له ثلاثة دنانير فأخذها وقبلها ووضعها فى جيبه وما كان مراد الخليفة بذلك إلا السماع

من الجارية وهى تغنى فقال الخليفة أحسنت وتفضلت لكن مرادى من تصدقاتك العميمة أن هذه الجارية تغنى لنا صوتًا حتى أسمعها فقال على نور الدين يا أنيس الجليس قالت نعم قال لها وحياتى أن تغنى لنا شيئًا من شأن خاطر هذا الصياد لأنه يريد أن يسمعك فلما سمعت كلام سيدها أخذت العود وغمزته بعد أن فركت أذنه وأنشدت هذين البيتين :

وغـادة لعبت بالعـود أنـاملها ... فعادت النفس عند الجس تختلس

قد أسمعت بالأغانى من به صمم ... وقال أحسنت معنى من به خرس

ثم إنها ضربت ضربًا غريبًا إلى أن أذهلت العقول فقال نور الدين ياصياد هل أعجبتك الجارية وتحريكها الأوتار فقال الخليفة أى والله فقال نور الدين هى هبة منى إليك هبة كريم لايرجع فى عطائه ثم إن نور الدين نهض قائمًا على قدميه وأخذ ملوطة ورماها على الخليفة وهو فى صورة الصياد وأمره أن يخرج ويروح بالجارية إليه وقالت ياسيدى هل أنت رائح بلا وداع إن كان ولابد فقف حتى أودعك وأنشدت هذين البيتين :

لئن غبتموا عنى فإن محلكم ... لفى مهجتى بين الجوانح والحشا

وأرجو من الرحمن جمعا لشملنا ... وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

فلما فرغت من شعرها أجابها نور الدين وهو يقول :

ودعتنى يوم الفراق وقالت ... وهى تبكى من لوعة وفراق

ما الذى أنت صانع بعد بعدى ... قلت قولى هذا لمن هو باقى

ثم إن الخليفة لما سمع ذلك صعب عليه التفريق بينهما والتفت إلى الصبى وقال له ياسيدى نور الدين اشرح لى أمرك فأخبره نورالدين بحاله من أوله إلى آخره فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له أين تقصد فى هذه الساعة قال له بلاد الله فسيحة فقال له الخليفة أنا أكتب لك ورقة توصلها إلى السلطان محمد بن سليمان الزينى فإذا قرأها لايضرك بشىء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٥٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لما قال لعلى نور الدين أنا أكتب لك ورقة توصلها إلى السلطان محمد بن سليمان الزينى فإذا قرأها لا يضرك بشىء فقال له على نور الدين وهل فى الدنيا صياد يكاتب الملوك إن هذا شىء لايكون أبدا فقال له الخليفة صدقت ولكن أنا أخبرك بالسبب اعلم أنى قرأت أنا وإياه فى مكتب واحد عند فقيه وكنت أنا عريفه ثم أدركته السعادة وصار سلطاناً وجعلنى الله صياد ولكن لم أرسل إليه فى حاجة إلا قضاها ولو أدخلت إليه فى كل يوم من شأن ألف حاجة لقضاها فلما سمع نور الدين كلامه قال له اكتب لى حتى أنظر فأخذ دواة وقلماً وكتب بعد البسملة أما بعد فإن هذا الكتاب من هارون الرشيد بن المهدى إلى حضرة محمد بن سليمان الزينى المشمول بنعمتى الذى جعلته نائبًا عنى فى بعض مملكتى أعرفك أن الموصل إليك هذا الكتاب نور الدين بن خاقان الوزير فساعة وصوله عندكم تنزع نفسك من الملك وتجلسه مكانك فإنى قد وليته على ماكنت وليتك عليه سابقا فلا تخالف أمرى والسلام ثم أعطى على نورالدين بن خاقان الكتاب فأخذه نور الدين وقبله وحطه على عمامته ونزل فى الوقت مسافراً وطلع قصر السلطان ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه قبّل الأرض قدامه ثم أخرج الورقة وأعطاه إياها فلما رأى عنوان الكتاب بخط أمير المؤمنين قام واقفاً على قدميه وقبلها ثلاث مرات وقال السمع والطاعة لله تعالى ولأمير المؤمنين ثم أحضر القضاة الأربعة والأمراء وأراد أن يخلع نفسه من الملك وإذا بالوزير المعين بن ساوى قد حضر فأعطاه السلطان ورقة أمير المؤمنين فلما قرأها قطعها عن آخرها وأخذها فى فمه ومضغها ورماها فقال له السلطان وقد غضب ويلك ما الذى حملك على هذه الفعال قال له هذا ماجتمع بالخليفة ولابوزيره إنما هو شيطان مكار وقع بورقة فيها خط الخليفة فزورها وكتب فيها ماأراد فلأى شىء تعزل نفسك من السلطنة فلما سمع السلطان كلام الوزير ودخل عقله صاح على الغلمان فطرحوه وضربوه إلى أن أغمى عليه ثم أمر أن يضعوا فى رجليه قيداً وصاح على السجان فلما حضر قبل الأرض بين يديه وكان هذا السجان يقال له قطيط فقال له ياقطيط أريد أن تأخذ هذا وترميه فى مطمورة من المطامير التى عندك فى السجن

وتعاقبه بالليل والنهار فقال له السجان سمعًا وطاعة ثم إن السجان أدخل نور الدين فى السجن وقفل عليه ثم أمر بكنس مصطبة وراء الباب وفرشهابسجادة وأتى بمخدة وأقعد نور الدين عليها وفك قيده وأحسن إليه وكان كل يوم يرسل إلى السجان ويأمره بضربه والسجان يظهر أنه يعاقبه وهو يلاطفه ولم يزل كذلك مدة أربعين يومًا فلما كان اليوم الحادى والأربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما رآها السلطان أعجبته فشاور الوزراء فى أمرها فقال لعل هذه الهدية كانت للسلطان الجديدة فقال الوزير المعين بن ساوى لقد كان المناسب قتله وقت قدومه فقال للسلطان والله لقد ذكرتنى به أنزل هاته واضرب عنقه فقال الوزير سمعًا وطاعة ونزل الوزير ومعه عشرة مماليك إلى السجن ثم إنهم نادوا على نور الدين هذا أقل جزءاً من تزور مكتوبًا على الخليفة إلى السلطان ومازالوا يطوفون به فى البصرة إلى أن أوقفوه تحت شباك القصر وجعلوه فى منقع الدم تقدم إليه السياف وقال له أنا عبد مأمور فإن كان لك حاجة فأخبرنى بها حتى أقضيها لك فإنه مابقى من عمرك إلا قدر مايخرج السلطان من الشباك فعند ذلك نظر يمينًا وشمالاً وأنشد هذه الأبيات :

فهل فيكم خل شفيق يعيننى ... سألتكم بالله رد جوابى
مضى الوقت من عمرى وحانت منيتى ... فهل راحم لى كى ينال ثوابى
وينظر فى حالى ويكشف كربتى ... بشربة ماء كى يهون عذابى

فتباكت الناس عليه وقام السياف وأخذ شربة ماء يناوله إياها فنهض الوزير من مكانه وضرب قلة الماء فكسرها وصاح على السياف وأمر بضرب عنقه فعند ذلك عصب عينى على نور الدين فصاح الناس وأقاموا عليه الصراخ وكثر بينهم القيل والقال فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد علا وعجاج قد ملأ الجو والفلا فلما نظر إليه السلطان وهو قاعد فى القصر قال انظر وأما الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر وزير الخليفة معه وكان السبب فى مجيئهم أن الخليفة مكث ثلاثين يومًا ولم يتذكر قصة على بن خاقان ولم يذكرها له أحد إلى أن جاء ليلة من الليالى إلى مقصورة أنيس الجليس فسمع بكاءها وهى تنشد بصوت رقيق قول الشاعر :

خيالك فى التباعد والتدانى ... وذكرك لايفارقه لسانى



وتزايد بكاؤها وإذا قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى أنيس الجليس وهى تبكى فلما رأت الخليفة وقعت على قدميه وقبلتهما ثلاث مرات ثم أنشد هذين البيتين :

أيـا مـنْ زكا أصـلا وطاب ولادة وأثمـر غصـنا يا نعـاوزكا جنسـا
أذكـرك الـوعد الـذى سـمت به محاسنك الحسنى وحاشاك أن تنسى

فقال الخليفة من أنت قالت أنا هدية على بن خاقان إليك وأريد إنجاز الوعد الذى وعدتنى به من أنك ترسلنى إليه مع التشريف والآن لى هنا ثلاثون يومًا لم أذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفر البرمكى وقال من منذ ثلاثين يومًا لم أسمع بخبر على بن خاقان وما أظن إلا أن السلطان قتله ولكن وحيات رأسي وتربة آبائى وأجدادى إن كان جرى له أمر مكروه لأهلكن من كان سببًا فيه ولو كان أعز الناس عندى وأريد أن تسافر أنت فى هذه الساعة إلى البصرة وتأتى بأخبار الملك محمد بن سليمان الزينى مع على بن خاقان فامتثل أمره وسافر فلما أقبل جعفر نظر ذلك الهرج والمرج والازدحام فقال الوزير جعفر ماهذا الأزدحام فذكروا له ما هم فيه من أمر على نور الدين بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم أسرع بالطلوع إلى السلطان وسلم عليه وأعلمه بما جاء فيه وأنه إذا كان وقع لعلى نور الدين أمر مكروه فإن السلطان يهلك من كان السبب فى ذلك ثم إنه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوى وأمر بإطلاق على نور الدين بن خاقان وأجلسه سلطانًا فى مكان السلطان محمد بن سليمان الزينى وقعد ثلاثة أيام فى البصرة مدة الضيافة فلما كان صبح اليوم الرابع قال جعفر للملك محمد بن سليمان تجهز للسفر فإننا نصلى الصبح ونتوجه إلى بغداد فقال السمع والطاعة ثم إنهم صلوا الصبح وركبوا جميعًا ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا على الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نور الدين فعند ذلك أقبل الخليفة على على بن خاقان وقال له خذ هذا السيف واضرب به رقبة عدوك فأخذه وتقدم إلى المعين بن ساوى فنظر إليه وقال أنا عملت بمقتضى طبيعتى فاعمل أنت بمقتضى طبيعتك فرمى السيف من يده ونظر إلى الخليفة وقال يا أمير المؤمنين خدعنى وأنشد قول الشاعر :

فخدعته بخديعة لما أتى والحر يخدعه الكلام الطيب

فقال الخليفة اتركه أنت ثم قال لمسرور يا مسرور قم أنت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلى بن خاقان تمن عليّ ، فقال له ياسيدى أنا مالى حاجة بملك البصرة وما أريد إلا مشاهدة وجه حضرتك فقال الخليفة حبًا وكرامة ثم إن الخليفة دعا بالجارية فحضرت بين يديه فأنعم عليهما وأعطاهما قصراً من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه ومازال مقيمًا عنده إلى أن أدركه الممات وليس هذا بأعجب من حكاية التاجر وأولاده قال الملك وكيف ذلك .

(حكاية التاجر أيوب وابنه غانم وبنته فتنة)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان تاجر من التجار له مال وله ولد كأنه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمى غانم بن أيوب المتيم المسلوب وله أخت اسمها فتنة من فرط حسنها وجمالها فتوفى والدهما وخلف لهما مالاً جزيلا وأدرك شهرزاد الصباح وسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٥٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ذلك التاجر خلف لهما مالاً جزيلا ومن جملة ذلك مائة حمل من الخز والديباج ونواف المسك ومكتوب على الأحمال هذا يقصد وكان مراده أن يسافر إلى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة أخذ ولده هذه الأحمال وسافر بها إلى بغداد وذلك فى زمن هارون الرشيد ثم ودع أمه وأقاربه وأهل بلدته قبل سيره متوكلا على الله تعالى وكتب الله له السلامة إلى أن وصل إلى بغداد وكان مسافراً صحبة جماعة من التجار فاستأجر له دارا حسنة وفرشها بالبسط والوسائد وأرخى عليها الستور وأنزل فيها تلك الأحمال والبغال والجمال وجلس حتى استراح وسلم عليه تجار بغداد وأكابرها ثم أخذ بقجة فيها عشرة تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها أثمانها ونزل بها إلى سوق التجار فلاقوه وسلموا عليه وأكرموه وتلقوه بالترحيب وأنزلوه على دكان شيخ السوق وباع التفاصيل فربح فى كل دينار دينارين ففرح



غانم وصار يبيع القماش والتفاصيل شيئًا فشيئًا ولم يزل كذلك سنة وفى أول السنة الثانية جاء إلى ذلك السوق فرأى بابه مقفولا فسأل عن سبب ذلك فقيل إنه توفى واحد من التجار وذهب التجار كلهم يمشون فى جنازته فهل لك أن تكسب أجرًا وتمشى معهم قال نعم ثم نزل عن محل الجنازة فدلوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار إلى أن وصلوا إلى المصلى وصلوا على الميت ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة إلى المقبرة فتبعهم غانم إلى أن وصلوا بالجنازة إلى المقبرة خارج المدينة ومشوا بين المقابر إلى أن وصلوا إلى المدفن فوجدوا أهل الميت نصبوا على القبر خيمة وأحضروا الشموع والقناديل ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرءون القرآن إلى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء والحلوى فأكلوا حتى اكتفوا وغسلوا أيديهم ثم جلسوا مكانهم فاشتغل خاطر غانم ببضاعته وخاف على متاعه فقام وخرج من بين الجماعة واستأذنهم على أنه يقضى حاجة فسار يمشى ويتتبع آثار الطريق حتى جاء إلى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلقًا ولم ير أحدًا غاديًا ولا رائحا ولم يسمع صوتًا سوى نبيح الكلاب وعوى الذئاب فقال لا حول ولاقوة إلا بالله كنت خائفًا على مالى وجئت من أجله فوجدت الباب مغلقًا فصرت الآن خائفًا على روحي ثم رجع ينظر له محلا ينام فيه إلى الصباح فوجد تربة محوطة بأربع حيطان وفيها نخلة ولها باب من الصوان مفتوح فدخل وأراد أن ينام فلم يجئه نوم وأخذته رجفة ووحشة وهو بين القبور فقام واقفا على قدميه وفتح باب المكان ونظر فرأى نوراً يلوح على بعد فى ناحية باب المدينة فتأمل النور فرأى ثلاثة عبيد اثنان حاملان صندوقًا وواحد فى يده فأس وفانوس فلما قربوا من التربة وقال أحد العبدين الحاملين للصندوق ويلك يا صواب فقال العبد الآخر منهما مالك ياكافور فقال إنا كنا هنا وقت العشاء وخلينا الباب مفتوحًا نعم هذا الكلام صحيح فقال هاهو مغلق متربس فقال لهما الثالث وهو حامل الفأس والنور وكان اسمه بخيتًا ما أقل عقلكما أما تعلمون أن أصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ويترددون هنا فيمسى عليهم المساء فيدخلون ويغلقون عليهم الباب خوفًا من السودان الذين هم مثلنا أن يأخذوهم ويشووهم ويأكلوهم فقالوا له صدقت ومافينا أقل عقلاً فقال لهم إنكم لم تصدقونى حتى ندخل التربة ونجد فيها أحدًا وأظن أنه إذا كان فيها أحدًا ورأى النور

هرب فوق النخلة فلما سمع غانم كلام العبد قال فى نفسه ما أمكر هذا العبد فقبح الله السودان لما فيهم من الخبث واللؤم ثم قال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وما الذى يخلصنى من هذه الورطة ثم إن الاثنين الحاملين قالا لمن معه الفأس تعلق على الحائط وافتح الباب لنا يا صواب لأننا تعبنا من الصندوق على رقابنا فإذا فتحت لنا الباب لك علينا واحد من الذين نمسكهم ونقليه لك قليًا جيدًا بحيث لايضيع من دهنه نقطة فقال صواب وأنا خائف أن يكون فى داخل التربة الحرامية الذين يقتلون الناس ويسرقون الأشياء لأنهم إذا أمسى عليهم الوقت يدخلون فى هذه الأماكن ويقسمون مايكون معهم فقال له الاثنان الحاملان للصندوق يا قليل العقل هل يقدرون أن يدخلوا هذا ثم حملا الصندوق وتعلقا على الحائط ونزلا وفتحا الباب والعبد الثالث هو بخيت واقف لهما بالنور والمقطف الذى فيه بعض من الجبس ثم إنهم جلسوا وقفلوا الباب فقال واحد منهم ياإخواتى نحن تعبنا من المشى والشيل والحط وفتح الباب وقفله ولكننا نجلس هنا ثلاث ساعات لنستريح ثم نقوم ونقضى حاجتنا ولكن كل واحد منا يحكى لنا سبب تطويشه وجميع ما قع له من المبتدأ إلى المنتهى لأجل فوات هذه الليلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٥٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العبيد الثلاثة لما قالوا لبعضهم كل واحد يحكى جميع ما وقع له قال الأول وهو الذى كان حامل النور أنا أحكى لكم حكايتى فقالوا له تكلم قال لهم اعلموا ياإخواتى أنى لما كنت صغيرًا جاء بى الجلاب من بلدى وعمرى خمس سنين فباعنى لواحد جاويش وكان له بنتًا عمرها ثلاث سنوات فتربيت معها وكانوا يضحكون علىّ وأنا ألاعب البنت وأرقص لها وأغنى لها إلى أن صار عمرى اثنتى عشرة سنة وهى بنت عشر سنين ولايمنعوننى عنها إلى أن دخلت عليها يومًا من الأيام وهى جالسة فى محل خلوة وكأنها خرجت من الحمام الذى فى البيت لأنها كانت معطرة مبخرة وجهها مثل القمر ليلة أربعة عشر



فلاعبتنى ولاعبتها فهاجت الحرارة عندى وحضنتها فشبكت يدها فى عنقى وقرطت على بجهدها فما أشعر إلا وإحليلى فتق لباسها ودخل فى فرجها وأزال بكارتها فلما عاينت ذلك هربت عند أصحابى فدخلت عليها أمها فلما رأت حالها غابت عن الدنيا ثم تداركت أمرها وأخفت حالها عن أبيها وكتمته وصبرت عليها مدة شهرين كل هذا وهم ينادوننى ويلاطفوننى حتى أخذونى من المكان الذى كنت فيه ولم يذكروا شيئًا من هذا الأمر لأبيها لأنهم كانوا يحبوننى كثيرًا ثم إن أمها خطبت لها شابًا مزين كان يزين أباها وأمهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وأبوها لايعلم بحالها وصاروا يجتهدون فى تحصيل جهازها ثم إنهم أمسكونى فى غفلة وخصونى ولما زفوها للعريس جعلونى طواشيًا لها أمشى قدامها أينما راحت سواء كان رواحها إلى الحمام أو إلى بيت أبيها وقد ستروا أمرها وليلة الدخلة ذبحوا على قميصها حمامة ومكثت عندها مدة طويلة وأنا أتملى بحسنها وجمالها على قدر ما أمكننى من تقبيل وعناق إلى أن ماتت هى وزوجها وأمها وأبوها ثم أُخذت بيت المال وصرت فى هذا المكان وقد ارتفقت بكم وهذا سبب قطع إحليلى والسلام ، فقال العبد الثانى اعلموا يا إخوانى أنى كنت فى ابتداء أمرى ابن ثمان سنين ولكن كنت أكذب على الجلابة كل سنة كذبة حتى يقعوا فى بعضهم فقلق منى الجلاب وأنزلنى فى يد الدلال وأمره أن ينادى من يشترى هذا العبد على عيبه فقيل له وما عيبه قال يكذب فى كل سنة كذبة واحدة فتقدم رجل تاجر إلى الدلال وقال له كم أعطوا فى هذا العبد من الثمن على عيبه قال اعطوا ستمائة درهم ولك عشرون فجمع بينه وبين الجلاب وقبض منه الدراهم وأوصلنى الدلال إلى منزل ذلك التاجر وأخذ دلالته فكسانى التاجر ما يناسبنى ومكثت عنده باقى سنتى إلى أن هلت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصار التجار يعملون العزومات وكل يوم على واحد منهم إلى أن جاءت العزومة على سيدى فى بستان خارج البلد فقال ياعبد اركب البغلة وروح إلى المنزل وهات من سيدتك الحاجة الفلانية وارجع سريعًا فامتثلت أمره ورحت إلى المنزل فلما قربت من المنزل صرخت وأرخيت الدموع فاجتمع أهل الحارة كبارًا وصغارًا وسمعت صوتى زوجة سيدى وبناته ففتحوا الباب وسألونى عن الخبر فقلت لهم إن سيدى كان جالسًا تحت حائط قديمة هو

وأصحابه فوقعت عليهم فلما رأيت ماجرى لهم ركبت البغلة وجئت لأخبركم فلما سمع أولاده وزوجته ذلك الكلام صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا على وجوههم فأتت إليهم الجيران وأما زوجة سيدى فأنها قلبت متاع البيت بعضه على بعض ثم خرجت سيدتى مكشوفة الوجه بغطاء رأسها إلا غير وخرج معها البنات والأولاد قالوا ياكافور امشى قدامنا وأرنا المكان سيدك الذى هو ميت فيه تحت الحائط حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله فى تاوبت ونجئ به إلى البيت فنخرجه خرجة مليحة فمشيت قدامهم وأنا أصبح واسيداه وهم خلفى مكشوفوا الوجوه والرؤوس يصيحون أوا مصيبتاه وانكبتاه فلم يبق أحد من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ولا صبية ولا عجوزة إلا جاءت معنا وصاوا كلهم يلطمون وهم فى شدة البكاء فمشيت بهم إلى المدينة فسأل الناس عن الخبر فأخبروهم بما سمعوا فقال الناس لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم إننا نمضى للوالى ونخبره فلما وصلوا إلى الوالى أخبروه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٥٥)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنهم لم وصلوا إلى الوالى وأخبروه قام الوالى وركب وأخذ معه الفعلة بالمساحى والقفف ومشوا تابعين أثرى ومعهم كثير من الناس وأنا قدامهم أبكى وأصيح وأحثوا الباب على رأسى والطم على وجهى فلما دخلت عليهم ورآنى سيدى وأنا ألطم وأقول واسيدتاه من يحن على بعد سيدتى ياليتنى كنت فداءها فلما رآنى سيدى بهت وأصفر لونه وقال مالك ياكافور وما هذا الحال وما الخبر فقلت له أنك لما أرسلتنى إلى البيت لأجئ لك بالذى طلبته رحت إلى البيت ودخلته فرأيت الحائط التى فى القاعة وقعت فانهدمت القاعة كلها على سيدتى وأولادها فقال لى وهل سيدتك لم تسلم فقال لا ما سلم منهم أحد وأول من مات منهم سيدتى الكبيرة فقال وهل سلمت بنتى الصغيرة فقلت له لا فقال وماحال البغلة التى أركبها هل هى سالمة فقلت له لاياسيدى فإن حيطان البيت وحيطان الأصطبل انطلقت

على جميع من فى البيت حتى على الغنم والأوز والدجاج وصاروا كلهم كوم لحم وصاروا تحت الردم ولم يبق منهم أحد فقال لى ولا سيدك الكبير فقلت له فلم يسلم منهم أحد فى هذه الساعة لم يبق دار ولاسكان ولم يبق من ذلك أثر ، أما الغنم والأوز والدجاج فإن الجميع أكلها القطط والكلاب فلما سمع كلامى صار الضياء فى وجهه ظلامًا ولم يقدر أن يتمالك نفسه ولا عقله ولم يقدر أن يقف على قدميه بل جاءه الكساح وانكسر ظهره ومزق أثوابه ونتف لحيته ولطلم على وجهه ورمى عمامته من فوق رأسه ومازال يلطم على وجهه حتى سال الدم وصار كأنه سكرات فبينما الجماعة خارجون من باب البستان وإذا هم غبرة عظيمة وصياحات بأصوات مزعجة فنظروا إلى تلك الجهة فرأوا الجماعة المقبلين وهو الوالى وجماعته والخلق والعالم الذين يتفرجون وأهل التاجر وراءهم يصرخون ويصيحون وهم فى بكاء وحزن زائد فأول من لاقى سيدى زوجته وأولادهما فلما رآهم بهت وضحك وقال لهم ماحالكم أنتم وماحصل لكم فى الدار وما جرى لكم فلما رأوه قالوا الحمد لله على سلامتك أنت ورموا أنفسهم عليه وتعلقت أولاده به وصاحوا وا أبتاه الحمد الله على سلامتك يا أبانا وقالت له زوجته الحمد الله الذى أرانا وجهك بسلامة وقد اندهشت وطار عقلها لما رأته وقالت له كيف كانت سلامتك أنت وأصحابك فقال لها وكيف كان حالكم فى الدار فقالوا نحن طيبون بخير وعافية وما أصاب دارنا شىء من الشر غير أن عبدك كافور جاء إلينا مكشوف الرأس ممزق الأثواب وهو يصيح وا سيده وا سيداه فقلنا له ما الخبر يا كافور فقال إن سيدى جلس تحت حائط فى البستان ليقضى حاجة فوقعت عليه فمات فقال سيده والله إنه أتانى فى هذه الساعة وهو يصبح وا سيدتاه وأولاد سيدتاه وقال إن سيدتى وأولادها ماتوا جميعًا ثم نظر إلى جانبه فرآنى وعمامتى ساقطة فى رأسى وأنا أصيح وأبكى بكاء شديدًا وأحثوا التراب على رأسى فصرخ على فأقبلت عليه فقال لى ويلك ياعبد النحس يا ابن الزانية ملعون الجنس ماهذه الوقائع التى عملتها ولكن والله لأسلخن جلدك عن لحمك من عظمك فقلت له والله ماتقدر أن تعمل معى شيئًا لأنك قد اشتريتنى على عيبى وأنت عالم على عيبى بهذا الشرط والشهود يشهدون عليك حين اشتريتنى على عيبى وأنا عالم به وهو أنى أكذب فى كل سنة كذبة واحدة وهذه نصف كذبة

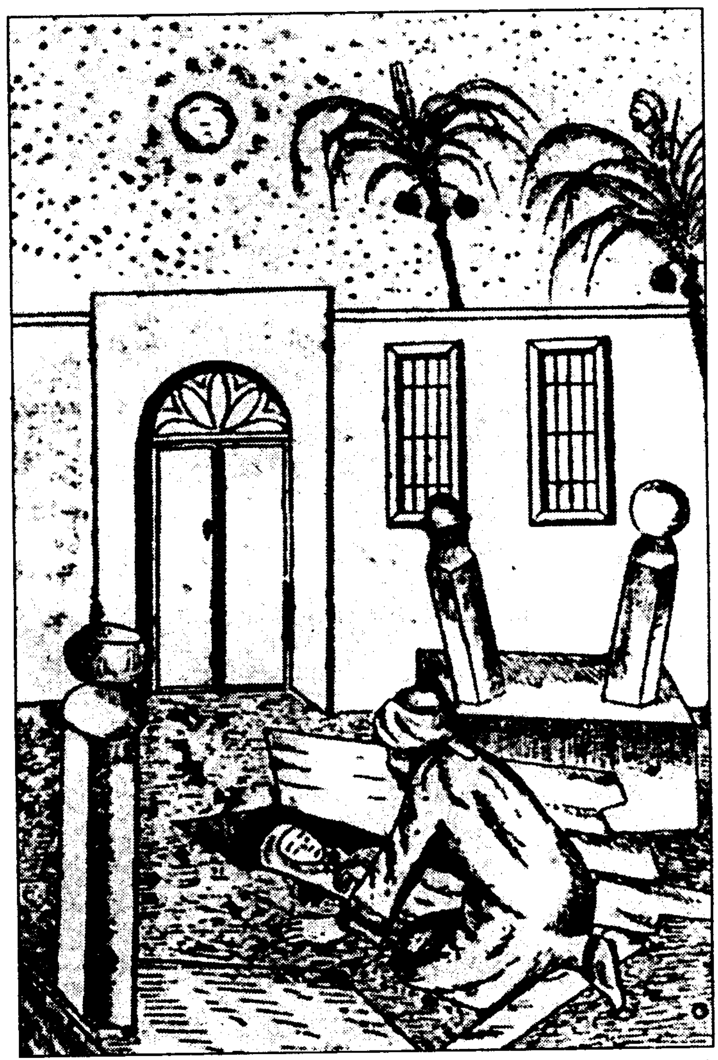
فلما سمع الحاضرون ذلك منه استعظموا تلك الكذبة وتعجبوا غاية العجب فلعنونى وشتمونى فبقيت واقفا أضحك وأقول كيف يقتلنى سيدى وقد اشترانى على هذا العيب فلما مضى سيدى إلى البيت وجده خرابًا وأنا الذى أخربت معظمه وكسرت فيه شيئًا يساوى جملة من المال فقالت له زوجته إن كافورا كسر الأوانى والصينى فازداد غيظه وقال والله مارأيت عمرى ولد زنا مثل هذا العبد ولأنه يقول إنها نصف كذبة فكيف لو كانت كذبة كاملة فحينئذ كان أخرب مدينة أو مدينتين ثم ذهب من شدة غيظه إلى الوالى فضربنى علقة شديدة حتى غبت عن الدنيا وغشى على فأتانى بالمزين فى حال غشيتى فخصانى وكوانى فلما أفقت وجدت نفسى خصياً وقال لى سيدى مثل ماأحرقت قلبى على أعز شىء عندى أحرقت قلبك على أعز شىء عندك ثم أخذنى فباعنى بأغلى ثمن لأنى صرت طواشيا وما زلت فى الفتن فى الأماكن التى أباع فيها وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٥٦)

قالت : بلغنى أن العبد قال ومازلت ألقى الفتن فى الأماكن التى أباع فيها وأنتقل من أمير إلى أمير ومن كبير إلى كبير بالبيع والشراء حتى دخلت قصر أمير المؤمنين وقد انكسرت نفسى وضعفت قوتى وأعدمت خصيتى فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليه وقالا له إنك خبيث ابن خبيث قد كذبت كذبًا شنيعًا ، ثم قالوا للعبد الثالث احك لنا حكايتك ، قال لهم يا أولاد عمى الحكاية معى طويلة وماهذا وقت حكايتها لأن الصباح يا أولاد عمى قريب وربما يطلع علينا الصباح ومعنا هذا الصندوق فننفضح بين الناس وتروح أرواحنا فدونكم نفتح الباب فإذا فتحنا ودخلنا محلنا قلت لكم على سبب قطع خصيتى ثم تعلق ونزل من الحائط وفتح الباب فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا حفرة على قدر الصندوق بين أربعة قبور وصار كافور يحفر وصواب ينقل التراب بالقفف إلى أن حفروا نصف قامة ثم حطوا الصندوق فى الحفرة وردوا عليه التراب وخرجوا من التربة وردوا الباب وغابوا عن عين غانم بن أيوب فلما خلا لغانم المكان وعلم أنه

وحده اشتغل سره بما فى الصندوق وقال فى نفسه ياترى أى شىء فى الصندوق ثم صبر حتى برق الفجر ولاح وبان ضياؤه فنزل من فوق النخلة وأزال التراب بيده حتى كشف الصندوق وخلصه ثم أخذ حجراً وضرب القفل فكسره وكشف الغطاء ونظر فرأى صبية نائمة مبنجة



(غانم بن أيوب وهو يكشف غطاء الصندوق الذى تركه العبيد الثلاثة ورأى فيه الصبية وهى مبنجة)

ونفسها طالع ونازل إلا أنها ذات حسن وجمال وعليها حلى ومصاغ من الذهب وقلائد من الجوهر تساوى ملك السلطان مايفى بثمنها مال فلما رآها غانم بن أيوب عرف أنهم تغامزوا عليها فلما تحقق ذلك الأمر عالج فيها حتى أخرجها من الصندوق وأرقدها على قفاها فلما استنشقت الأرياح ودخل الهواء فى مناخرها عطست ثم شرقت وسعلت فوقع من حلقها قرص بنج لو شمه الفيل لرقد من الليل إلى الليل ففتحت عينيها وأدارت طرفها وقالت ويلى من جاء بى إلى القبور فقال لها ياسيدتى ثلاثة عبيد خصيون أتوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكى لها جميع ماجرى وكيف أمسى عليه المساء حتى كان سبب سلامتها وإلا كانت ماتت بغصتها ثم سألها عن حكايتها وخبرها فقالت له أيها الشاب الحمد الله الذى رمانى عند مثلك فقم الآن وحطنى فى الصندوق واخرج إلى الطريق فإذا وجدت مكاريا أو بغالا فاكتره لحمل هذا الصندوق فاكترى رجلا وأتى به إلى التربة فحمل الصندوق بعد ماحط فيه الصبية ووقعت محبتها فى قلبه وسار بها وهو فرحان لأنها جارية تساوى عشرة آلاف دينار وعليها حلى وحلل يساوى مالاً جزيلا وما صدق أن يصل إلى داره وأنزل الصندوق وفتحه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٥٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن غانم بن أيوب وصل إلى داره بالصندوق وفتحه وأخرج الصبية منه ونظرت فرأت هذا المكان محلاً مليحًا مفروشًا بالبسط الملونة والألوان المفرج وغير ذلك ورأت قماشا محزومًا وأحمالا وغير ذلك فعلمت أنه تاجر كبير صاحب أموال ثم إنهاكشفت وجهها ونظرت إليه فإذا هو شاب مليح فلما رأته أحبته وقالت له هات لنا شيئًا نأكله فقال لها غانم على الرأس والعين ثم نزل السوق واشترى خروفًا مشويًا وصحن وحلاوة وأخذ معه نقلا وشمعًا وأخذ معه نبيذًا ومايحتاج إليه الأمر من آلة المشموم وأتى إلى البيت ودخل بالحوائج فلما رأته الجارية ضحكت وقبلته واعتنقته وصارت تلاطفه فازدادت عنده المحبة



واحتوت على قلبه ثم أكلا وشربا إلى أن أقبل الليل ولم يزالا كذلك إلى قرب الصبح فغلب عليهما النوم فنام كل واحد منهما فى موضعه إلى أن أصبح الصباح فقام غانم بن أيوب وخرج إلى السوق واشترى مايحتاج إليه من خضرة ولحم وخمر وغيره وأتى به إلى الدار وجلس هو وإياها يأكلان فأكلا حتى اكتفيا بعد ذلك أحضر الشراب وشربا ولعبا مع بعضهما فقال لها ياسيدتى ائذنى لى بقبلة من فيك لعلها تبرد نار قلبى فقالت يا غانم اصبر حتى أسكر وأغيب واسمح لك سراً بحيث لم أشعر أنك قبلتنى ثم إنها قامت على قدميها وخلعت بعض ثيابها وقعدت فى قميص رفيع وكوفية فعند ذلك تحركت الشهوة عند غانم وقال ياسيدتى أما تسمحين لى بما طلبته منك فقالت والله لايصح لك ذلك لأنه مكتوب على دكة لباسى قول صعب فانكسر خاطر غانم بن أيوب وزاد عنده الغرام لما عز عليه المطلوب فأنشد هذه الأبيات :

سألت من أمرضنى	فى قبلة تشفى السقم	فقال لا لا أبدا
قلت لها نعم نعم	فقال خذها بالرضا	من الجلال وابتسم
فقلت غصبا قال لا	إلا على الرأس علم	فلا تسل عما جرى
واستغفر الله ونم	فظن ما شئت بنا	فالحب يحلوا بالتهم

ولا أبالى بعد ذا إن باح أو كتم

ثم زادت محبته وانطلقت النيران فى مهجته هذا وهى تتمنع منه وتقول مالك وصول إلى ولم يزالا فى عشقهما ومنادمتهما وغانم بن أيوب غريق فى بحر الهيام ، وأما هى فإنها قد ازدادت قسوة وامتناعًا إلى أن دخل الليل بالظلام وأرخى عليهما ذيل المنام فقام غانم وأشعل القناديل وأوقد الشموع وزاد بهجة المقام وأخذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبط الطرى فمرغ وجهه عليهما وقال ياسيدتى ارحمى أسير هواك ومن قتلت عيناك كنت سليم القلب لولاك ثم بكى قليلا فقالت له ما الذى تريد فقال أريد أن أنام معك وأتصافى أنا وأنت فعند ذلك قالت له إنا الآن أوضح لك أمرى حتى تعرف قدرى وينكشف لك سرى ويظهر لك عذرى قال نعم فعند ذلك شقت ذيل قميصها ومدت يدها إلى تكة لباسها وقالت ياسيدى اقرأ الذى على هذا الطرف فأخذ طرف التكة فى يده ونظر فوجده مرقومًا عليه بالذهب أنا لك وأنت لى يا ابن عم

النبى فلما قرأه نثر يده وقال لها اكشفى لى عن خبرك قالت نعم اعلم أننى محظية أمير المؤمنين واسمى قوت القلوب وإن أمير المؤمنين لما ربانى فى قصره وكبرت نظر إلى صفاتى وما أعطانى ربى من الحسن والجمال فأحبنى محبة زائدة وأخذنى وأسكننى فى مقصورة وأمر لى بعشر جوار يخدمننى ثم إنه أعطانى ذلك المصاغ الذى تراه معى ثم إن الخليفة سافر يومًا من الأيام إلى بعض البلاد فجاءت السيدة زبيدة إلى بعض الجوارى التى فى خدمتى وقالت إذا نامت سيدتك قوت القلوب فحطى هذه القطعة البنج فى أنفها أو فى شرابها ولك على من المال مايكفيك فقالت لها الجارية حبا وكرامة ثم إن الجارية أخذت منها البنج وهى فرحانة لأجل المال ولكونها كانت فى الأصل لجاريتها فجاءت إلىّ ووضعت البنج فى جوفى فوقعت على الأرض وصارت رأسى عند رجلى ورأيت نفسى فى دنيا أخرى ولما تمت حيلتها حطتنى فى ذلك الصندوق وأحضرت العبيد سراً وأنعمت عليهم وعلى البوابين وأرسلتنى مع العبيد فى الليلة التى كنت نائما فيها فوق النخلة وفعلوا معى ما رأيت وكانت نجاتى على يديك وأتيت بى إلى هذا المكان وأحسنت إلى غاية الإحسان وهذه قصتى وما أعرف الذى جرى للخليفة فى غيبتى فاعرف قدرى ولا تشهر أمرى فلما سمع غانم بن أيوب كلام قوت القلوب وتحقق أنها محظية الخليفة تأخر إلى ورائه هيبة من الخليفة وجلس وحده فى ناحية من المكان يعاتب نفسه ويتفكر فى أمره وصار متحيراً فى عشق التى ليس له إليها وصول فبكى من شدة الغرام ولوعة الجد والهيام وصار يشكو الزمان وماله من العدوان فسبحان من شغل قلوب الكرام بالمحبة ولم يعط الأنذال منها وزن حبة وأنشد هذين البيتين :

قلب المحبة على الأحباب متعوب ... وعقله مع بديع الحسن منهوب

وقائل قال لى ما الحب قلت له ... الحب عذب ولكن فيه تعذيب

فعند ذلك قامت إليه قوت القلوب واحتضنته وقبلته وتمكن حبه فى قلبها وباحت له بسرها وماعندها من المحبة وطوقت على رقبته بيديها وقبلته وهو يتمنع عليها خوفًا من الخليفة ثم تحدثا ساعة من الزمان وهما غريقان فى بحر محبة بعضهما إلى أن طلع النهار فقام غانم ولبس أثوابه



وخرج إلى السوق على عادته وأخذ ما يحتاج إليه الأمر وجاء إلى البيت فوجد قوت القلوب تبكى فلما رأته سكتت عن البكاء وتبسمت وقالت أوحشتنى يامحبوب قلبى والله إن هذه الساعة التى غبتها عنى كسنة فإنى لا أقدر على فراقك وها أنا قد بينت لك حالى من شدة ولعى بك فقم الآن ودع ما كان واقض إربك منى قال أعوذ بالله هذا شىء لايكون كيف يجلس الكلب فى موضع السبع الذى لمولاى يحرم على أن أقربه ثم جذب نفسه منها وجلس فى ناحية وزادت هى محبة بامتناعه ثم جلست إلى جانبه ونادمته ولاعبته فسكرا وهامت بالافتضاح به فغنت منشدة هذه الأبيات :

قلب المتيم كاد أن يتفتتا	فإلى متى هذا الصدود إلى متى
يا معرضا عنى بغير جناية	فعوائد الغزلان أن تتلفتا
صد وهجر زائد وصبابة	ما كل هذا الأمر يحمله الفتى

فبكى غانم بن أيوب وبكت هى لبكائه وأقاما على ذلك ثلاثة أشهر طوال وهى كلما تتقرب منه يمتنع عنها ويقول كل ماهو مخصوص بالسيد حرام على العبد فلما طال بها المطال مع غانم ابن أيوب المتيم المسلوب وزادت بها الشجون والكروب أنشدت هذه الأبيات :

بديع الحسن كم هذا التجنى	ومن أغراك بالإعراض عنى
وأجريت الغرام لكل قلب	وكللت السهاد بكل جفن
وعهدى بالظبا صيد فمالى	أراك تصيد أرباب الجن
وأعجب ما أحدث عنك إنى	فتنت وأنت لم تعلم بأنى
فلا تسمح بوصلك لى فإنى	أغار عليك منك فكيف منى
ولست بقائل ما دمت حيا	بديع الحسن كم هذا التجنى

وأقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانمًا فهذا ما كان من أمر المتيم المسلوب غانم بن أيوب (وأما) ما كان من أمر زبيدة فإنها فى غيبة الخليفة فعلت بقوت القلوب ذلك الأمر ثم صارت متحيرة تقول فى نفسها ما أقول للخليفة إذا جاء وسأل عنها ومايكون جوابى له فدعت بعجوز كانت عندها وأطلعتها على سرها وقالت لها كيف أفعل وقوت القلوب قد فرط فيها

الفرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلمى ياسيدتى أنه قرب مجىء الخليفة ولكن أرسلى إلى نجار وأْمريه أن يعمل صورة ميت من خشب ويحفروا له قبراً وتوقد حوله الشموع والقناديل وأْمرى كل من فى القصر أن يلبسوا الأسود وأْمرى جواريك والخدام إذا علموا أن الخليفة أتى من سفره أن يشيعوا الحزن فى الدَهليز فإذا دخل وسأل عن الخير يقولون إن قوت القلوب ماتت ويعظم الله أجرك ومن معزتها عند سيادتنا دفنتها فى قصرنا فلما سمعت السيدة زبيدة كلامها ورأت أنه صواب خلعت عليها خلعة وأمرتها أن تفعل ذلك بعدما أعطتها جملة من المال فشرعت العجوز فى ذلك الأمر حالاً وأمرت النجار أن يعمل لها صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها إلى السيدة زبيدة فكفنتها وأوقدت الشموع والقناديل وفرشت البسط حول القبر ولبست السواد وأمرت الجوارى أن يلبسن السواد واشتهر الأمر فى القصر أن قوت القلوب ماتت ثم بعد مدة أقبل الخليفة من غيبته وطلع إلى قصره ولكن ما له شغل إلا قوت القلوب فرأى الغلمان والخدم والجوارى كلهم لابسين السواد فارتجف فؤاده فلما دخل القصر على السيدة زبيدة رآها لابسة الأسود فسأل عن ذلك فأخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشيًا عليه فلما أفاق سأل عن قبرها فقالت له السيدة زبيدة اعلم يا أمير المؤمنين أننى من معزتها عندى دفنتها فى قصرى فدخل الخليفة بثياب السفر إلى القصر ليزور قوت القلوب فوجد البسط مفروشة والشموع والقناديل موقودة فلما رأى ذلك شكرها على فعلها ثم إنه صار حائرًا فى أمره ولم يزل ما بين مصدق ومكذب فلما غلب عليه الوسواس أمر بحفر القبر وإخراجها منه فلما رأى الكفن وأراد أن يزيله عنها ليراها خاف من الله تعالى فقالت العجوز ردها إلى مكانها ثم إن الخليفة لم يزل قاعدًا على قبرها شهرًا كاملاً . فأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٥٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لم يزل يتردد على قبرها مدة شهر فاتفق أن الخليفة دخل الحريم بعد انفضاض الأمراء والوزراء من بين يديه إلى بيوتهم ونام ساعة فجلست



عند رأسه جارية وعند رجليه جارية وبعد أن غلب عليه النوم تنبه وفتح عينيه فسمع الجارية التى عند رأسه تقول للتى عند رجليه ويلك ياخيزران قالت لأى شىء ياقضيب قالت لها إن سيدنا ليس عنده علم بما جرى حتى إنه يسهر على قبر لم يكن فيه إلا خشبة منجرة صنعة النجار فقالت لها الأخرى وقوت القلوب أى شىء أصابها فقالت اعلمى أن السيدة زبيدة أرسلت مع جارية بنجا وبنجتها فلما تحكم البنج منها وضعتها فى صندوق وأرسلتها مع صواب وكافور وأمرتهن أن يرمياها فى التربة فقالت خيزران ويلك ياقضيب هل السيدة قوت القلوب لم تمت فقالت سلامة شبابها من الموت ولكن أنا سمعت السيدة زبيدة تقول إن قوت القلوب عند شاب اسمه غانم الدمشقى وصارتا يتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغت الجاريتان من الحديث وعرف القضية وأن هذا القبر زور وأن قوت القلوب عند غانم بن أيوب مدة أربعة أشهر غضب غضبًا شديدًا وقام وأحضر أمراء دولته فعند ذلك أقبل الوزير جعفر البرمكى وقبل الأرض بين يديه فقال له الخليفة بغيظ انزل ياجعفر بجماعة واسأل عن بيت غانم بن أيوب واهجموا على داره وائتونى بجاريتى قوت القلوب ولا بد لى أن أعذبه فأجابه جعفر بالسمع والطاعة فعند ذلك نزل جعفر هو وأتباعه والوالى بصحبته ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى دار غانم وكان غانم خرج فى ذلك الوقت وجاء بقدر لحم وأراد يمد يده ليأكل منها هو وقوت القلوب فلاحت منها التفاتة فوجدت البلاط أحاط بالدار كما يدور بالعين السواد فعند ذلك عرفت أن خبرها وصل إلى الخليفة سيدها فأيقنت بالهلاك واصفر لونها وتغيرت محاسنها ثم إنها نظرت إلى غانم وقالت له ياحبيبى فز بنفسك فقال لها ياحبيبتى ونور عينى كيف أصنع فى الخروج وقد أحاطوا بالدار فقالت له لاتخف ثم إنها نزعت ماعليه من الثياب وألبسته خلقانًا بالية وأخذت القدر التى كان فيها اللحم ووضعتها فوق رأسه وحطت فيها بعض خبز وزبد وبدية وطعام وقالت له اخرج بهذه الحيلة فلما سمع غانم كلام قوت القلوب وما أشارت عليه به خرج من بينهم وهو حامل القدر وستر عليه الستار ونجا من المكايد والأضرار ببركة نيته فلما وصل الوزير جعفر إلى ناحية الدار ترجل عن حصانه ودخل البيت ونظر إلى قوت القلوب وقد تزينت وتبهرجت وملأت صندوقًا من ذهب ومصاغ وجواهر وتحف مما خف حمله وغلا ثمنه فلما دخل عليها جعفر قامت وقالت له ياسيدى جرى القلم بما حكم الله فلما

رأى ذلك جعفر قال لها والله ياسيدتى إنه ما أوصانى إلا بقبض غانم بن أيوب فقالت اعلم أنه حزم تجارته وذهب إلى دمشق ولا علم لى بغير ذلك وأريد أن تحفظ لى الصندوق وتحمله فأخذ الصندوق وأمر بحمله وقوت القلوب معهم إلى دار الخلافة وهى مكرمة معززة وكان هذابعد أن نهبوا دار غانم ثم توجهوا إلى الخليفة فحكى لهَ جعفر جميع ماجرى فأمر الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم وأسكنها فيه وألزم عجوز لقضاء حاجتها لأنه ظن أن غانمًا فحش بها هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر غانم بن أيوب المتيم المسلوب فإنه لما سلبت نعمته تحير فى أمره وصار يبكى على نفسه حتى انفطر قلبه وسار ولم يزل سائرًا إلى آخر النهار وقد ازداد به الجوع وأضر به المشى حتى وصل إلى بلد فدخل المسجد وجلس على برش وأسند ظهره إلى حائط المسجد وارتمى وهو فى غاية الجوع والتعب ولم يزل مقيمًا هناك إلى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب جلده القمل وصارت رائحته منتنة وتغيرت أحواله فأتى أهل تلك البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحًا ضعيفًا من الجوع وعليه آثار النعمة لائحة فلما أقبلوا عليه وجدوه بردان جائعًا فالبسوه ثوبًا عتيقًا قد بليت أكمامه ثم انصرفوا لأشغالهم ولم يزل على هذه الحالة شهرًا وهو عندهم وقد تزايد عليه الضعف والمرض فتعطفوا عليه وتشاوروا مع بعضهم فى أمره ثم اتفقوا على أن يوصلوه إلى المارستان الذى ببغداد فبينما هم كذلك إذا بامرأتين سائلتين قد دخلتا عليه ولما رآهما أعطاهما الخبز الذى عند رأسه ونامتا عنده تلك الليلة ولم يعرفهما فلما كان ثانى يوم أتاه أهل القرية وأحضروا جملا وقالوا لصاحبه احمل هذا الضعيف فوق الجمل فإذا وصلت إلى بغداد فأنزله على باب المارستان لعله يتعافى فيحصل لك الأجر فقال لهم السمع والطاعة ثم إنهم أخرجوا غانم بن أيوب من المسجد وحملوه بالبرش الذى هو نائم عليه فوق الجمل وجاءت أمه وأخته يتفرجان عليه من جملة الناس ولم يعلما به ثم نظرا إليه وتأملتا وقالتا إنه يشبه غانمًا ابننا فياترى هل هو هذا الضعيف أولا وأما غانم فإنه لم يفق إلا وهو محمول فوق الجمل فصار يبكى وينوح وأهل القرية ينظرون أمه وأخته يبكيان عليه ولم يعرفانه ثم سافرت أمه وأخته إلى أن وصلتا إلى بغداد وأما الجمال فإنه لم يزل سائرًا به حتى أنزله على باب المارستان وأخذ جمله ورجع فمكث غانم راقدًا هناك إلى الصباح فلما درجت الناس فى الطريق نظروا إليه وقد صار رق الخلال ولم يزل الناس يتفرجون عليه حتى جاء شيخ السوق ومنع الناس



عنه وقال أنا أكتسب الجنة بهذا المسكين لأنهم متى أدخلوه المارستان قتلوه فى يوم واحد ثم أمر صبيانه بحمله فحملوه إلى بيته وفرش له فرشًا جديدًا ووضع له مخدة جديدة وقال لزوجته اخدميه بنصح فقالت على الرأس ثم تشمرت وسخنت له ماء وغسلت يديه ورجليه وبدنه هذا ما كان من أمره ، وأما ما كان من أمر قوت القلوب فإنه لما غضب عليها الخليفة ، وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٥٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قوت القلوب لما غضب عليها الخليفة وأسكنها فى مكان مظلم استمرت فيه على هذا ثمانين يومًا فاتفق أن الخليفة مر يومًا من الأيام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الأشعار فلما فرغت من إنشادها قالت ياحبيبى يا غانم ما أحسنك وما أعف نفسك قد أحسنت لمن أساءك وحفظت حرمة من انتهك حرمتك وسترت حريمه وهو سباك وسبى أهلك ولابد أن تقف أنت وأمير المؤمنين بين يدى حاكم عادل وتنتصف عليه فى يوم ويكون القاضى هو الله والشهود هم الملائكة فلما سمع الخليفة كلامها وفهم شكواها علم أنها مظلومة فدخل فى قصره وأرسل الخادم لها فلما حضرت بين يديه أطرقت وهى باكية العين حزينة القلب فقال يا قوت القلوب أراك تتظلمين منى وتنسبيننى إلى الظلم وتزعمين أنى أسأت إلى من أحسن إلى فمن هو الذى حفظ حرمتى وانتهكت حرمته وستر حريمى وسبيت حريمه فقالت له غانم بن أيوب فإنه لم يقربنى بفاحشة وحق نعمتك يا أمير المؤمنين فقال الخليفة لاحول ولاقوة إلا بالله يا قوت القلوب تمنى علىّ فأنا أبلغك مرادك قالت تمنيت عليك محبوبى غانم بن أيوب فلما سمع كلامها قال أُحضره إن شاء الله مكرما فقالت يا أمير المؤمنين إن أحضرته أتهبنى له فقال إن أحضرته أوهبتك هبة كريم لايرجع فى عطائه فقالت يا أمير المؤمنين ائذن لى أدور عليه لعل الله يجمعنى به فقال افعلى مابدا لك فخرجت ومعها ألف دينار ودخلت سوق الصاغة والجواهرجية وطلبت عريف السوق فحضر فدفعت له ألف دينار وقالت له تصدق بها على الغرباء فظهر إليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها هل لك أن

تذهبى إلى دارى وتنظرى إلى هذا الشاب الغريب ما أظرفه وما أكمله وكان هو غانم بن أيوب المتيم المسلوب فلما سمعت كلامه خفق قلبها وتعلقت به أحشاؤها فقالت له أرسل معى من يوصلنى إلى دارك فأرسل معها صبيًا صغيراً فأوصلها إلى الدار التى فيها الغريب فشكرته على ذلك فلما دخلت تلك الدار وسلمت على زوجة العريف قامت زوجة العريف وقبلت الأرض بين يديها لأنها عرفتها فقالت لها قوت القلوب أين الضعيف الذى عندكم؟ قالت هاهو ياسيدتى إلا أنه ابن ناس وعليه أثر النعمة فالتفتت إلى الفرش الذى هو راقد عليه وتأملته فرأته كأنه هو بذاته ولكنه قد تغير حاله وزاد نحوله ورق إلى أن صار كالخلال وانبهم عليها أمره فلم تتحقق أنه هو ولكن أخذتها الشفقة عليه فصارت تبكى وتقول إن الغرباء مساكين وإن كانوا أمراء فى بلادهم ورتبت له الشراب والأدوية ثم جلست عند رأسه ساعة وبكت وطلعت إلى قصرها وصارت تطلع فى كل سوق لأجل التفتيش على غانم ثم إن العريف أتى بأمه وأخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذاتا جمال بكت عليهما وقالت والله إنهما أولاد نعمة ويلوح عليهما أثر الغنى فقال العريف ياسيدتى إننا نحب الفقراء والمساكين لأجل الثواب وهؤلاء ربما جار عليهم الظلمة وسلبوا نعمتهم وأخربوا ديارهم ثم إن أمه قالت نسأل الله أن يجمعنا بمن نريده وهو ولدى غانم بن أيوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت أن هذه المرأة أم معشوقها وأن الأخرى أخته فبكت هى حتى غشى عليها فلما أفاقت أقبلت عليهما وقالت لهما لا بأس عليكما فهذا اليوم أول سعادتكما وآخر شقاوتكما فلا تحزنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٦٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قوت القلوب قالت لهما لاتحزنا ثم أمرت العريف أن يأخذهما إلى بيته ويخلى زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابًا حسنة فأدخلتهما زوجة العريف الحمام ونزعت ماعليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة فجلست تحادثهما ساعة ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذى عندها قالت هو بحاله فقالت قوموا بنا نطل عليه



فقامت هى وزوجة العريف وأمه وأخته دخلن عليه وجلسن عنده فلما سمعهن غانم بن أيوب المتيم المسلوب يذكرون قوت القلوب وكان قد انتحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه ورفع رأسه من فوق المخدة ونادى ياقوت القلوب فنظرت إليه وتحققته فعرفته وصاحت بقولها نعم ياحبيبى فقال لها قربى منى فقالت له لعلك غانم بن أيوب المتيم المسلوب فقال لها نعم أنا هو فعند ذلك وقعت مغشيًا عليها فلما سمعت أخته وأمه كلامهما صاحتا بقولهما وا فرحتاه ووقعتا مغشيا عليهما وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد الله الذى جمع شملنا بك وبأمك وأختك وتقدمت إليه وحكت له جَميع ماجرى لها من الخليفة ، وقالت لغانم إن الخليفة وهبنى لك ففرح بذلك غاية الفرح وقالت قوت القلوب لاتبرحوا حتى أحضر ثم إنها قامت ومن وقتها وساعتها وانطلقت إلى قصرها وحملت الصندوق الذى أخذته من داره وأخرجت منه دنانير وأعطت العريف إياها وقالت له خذ هذه الدنانير واشتر لكل شخص منهم أربع بدلات كوامل من أحسن القماش وعشرين منديلا وغير ذلك مما يحتاجون إليه ثم أدخلتهم الحمام وخرجوا وغيرت ما عليهم من الثياب وخلتهم فى بيت العريف وذهبت إلى الخليفة وقبلت الأرض بين يديه وأعلمته بالقصة وأنه قد حضر سيدها غانم بن أيوب المتيم المسلوب وأن أمه وأخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام على بغانم فنزل جعفر إليه وكانت قوت القلوب قد سبقته ودخلت على غانم وقالت له إن الخليفة قد أرسل إليك ليحضرك بين يديه فعليك بفصاحة اللسان وعذوبة الكلام وألبسته حلة فاخرة وأعطته دنانير كثيرة وقالت له أكثر البذل إلى حاشية الخليفة وأنت داخل عليه وإذا بجعفر أقبل عليه وهو على بغلته فقام غانم وقابله وحياه فأخذه جعفر ولم يزالا سائرين حتى دخلا على أميرالمؤمنين فلماحضروا بين يديه نظر إلى الوزراء والأمراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وأصحاب الصولة وكان غانم فصيح اللسان ثابت الجنان رقيق العبارة أنيق الإشارة فأطرق برأسه إلى الأرض ثم نظر إلى الخليفة وأنشد هذه الأبيات :

أفديك من ملك عظيم الشان	متتابع الحسنات والإحسان
متوقد العزمات فيض الندى	حدث عن الطوفان والنيران
لايلجون بغيره من قيصر	فى ذا المقام وصاحب الإيوانى

تضع الملوك على ثرى أعتابه	عند السلام جواهر التيجان
حتى إذا شخصت له أبصارهم	خروا لهيبته على الأذقان
ويفيدهم ذاك المقام مع الرضا	رتب العلا وجلالة السلطان
ضاقت بعسكرك الفيافى والفلا	فاضرب خيامك فى ذرى كيوان
وأقرى الكواكب بالمواكب محسنا	لشريف ذاك العالم الروحانى
وملكت شامخة الصياصى عنوة	من حسن تدبير وثبت جنان
ونشرت عدلك فى البسيطة كلها	حتى استوى القاصى بها والدانى

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة من محاسن رونقه وأعجبه فصاحة لسانه وعذوبة منطقه .
وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٦١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن غانم بن أيوب لما أعجب الخليفة فصاحته ونظمه وعذوبة منطقه قال له ادن منى فدنا منه ثم قال له اشرح لى قصتك وأطلعنى على حقيقة خبرك فقعد وحدث الخليفة بما جرى له من المبتدأ إلى المنتهى فلما علم الخليفة أنه صادق خلع عليه وقربه إليه ثم أمر أن يفرد له قصر ورتب له من الجوامك والجرايات شيئًا كثيرًا فنقل أمه وأخته إليه وسمع الخليفة بأن أخته فتنة من الحسن فتنة فخطبها منه فقال له غانم إنها جاريتك وأنا مملوكك فشكره وأعطاه مائة ألف دينار وأتى بالقاضى والشهود وكتبوا الكتاب ودخل هو وغانم فى نهار واحد فلما أصبح الصباح أمر الخليفة أن يؤرخ جميع ما جرى لغانم من أوله إلى آخره وأن يدون فى السجلات وليس هذا بأعجب من حكاية عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وماجرى لهم من العجائب والغرائب ، قال الملك وماحكايتهم .

(حكاية الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان بمدينة دمشق قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر النعمان وكان من الجبابرة الكبار قد قهر الملوك الأكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلى



له بنار ولايجاريه أحد فى مضمار وإذا غضب يخرج من منخريه لهيب النار وكان قد ملك جميع الأقطار ونفذ حكمه فى سائر القرى والأمصار وجزائر البحار وما فى الأرض من مشاهير الأنهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وأرسل رسله إلى أقصى العمار ليأتوه بحقيقة الأخبار فرجعوا وأخبروه بأن سائر الناس أذعنت لطاعته وجميع الجبابرة خضعت لهيبته.وقد عمهم بالفضل والامتنان وأشاع بينهم العدل والأمان لأنه كان عظيم الشان وحملت إليه الهدايا من كل مكان وجبى إليه خراج الأرض فى طولها والعرض وكان له ولد وقد سماه شركان لأنه نشأ آفة من آفات الزمان وقهر الشجعان وأباد الأقران فأحبه والده حبًا شديدًا بدا عليه من مزيد وأوصى له بالملك من بعده ثم إن شركان كان هذا حين بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرون سنة أطاع له جميع العباد لما به من شدة البأس والعناد وكان والده عمر النعمان له أربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن بغير شركان وهو من إحداهن والباقيات عواقر ولم يرزق من واحدة منهن بولد ومع ذلك كان له ثلثمائة وستون سرية على عدد أيام السنة القبطية وتلك السرارى من سائر الأجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن مقصورة وكانت المقاصير من داخل القصر فإنه بنى اثنى عشر قصرًا على عدد شهور السنة وجعل فى كل قصر ثلاثين مقصورة فكانت جملة المقاصير ثلثمائة وستون مقصورة وأسكن تلك الجوارى فى هذه المقاصير وفرض لكل سرية منهن ليلة يبيتها عندها وما يأتيها إلا بعد سنة كاملة فأقام على ذلك مدة من الزمان واتفق الأمر المقدر أن جارية من جوارى النعمان قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحًا شديدًا وقال لعل ذريتى ونسلى تكون كلها ذكورًا فأرخ يوم حملها وصار يحسن إليها فعلم شركان بذلك فاغتم وعظم الأمر وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٦٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان لما علم أن جارية أبيه قد حملت اغتم وكتم ذلك فى نفسه هذا ما كان من أمر شركان (وأما) ما كان من أمر الجارية فإنها كانت رومية وكانت

أحسن الجوارى وأجملهن وجها وأصونهن عرضا وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر وكانت تخدم الملك ليلة مبيته عندها وتقول أيها الملك كنت أشتهى من إله السماء أن يرزقك منى ولدًا ذكرًا حتى أحسن تربيته لك وأبالغ فى أدبه وصيانته فيفرح الملك ويعجبه ذلك الكلام فما زالت كذلك حتى كملت أشهرها فجلست على كرسى الطلق وكانت على صلاح تحسن العبادة فتصلى وتدعو الله أن يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل الله منها دعاءها وكان الملك قد وكل بها خادمًا يخبره بما تضعه هو ذكر أو أنثى وكذلك ولده شركان أرسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود تأملته القوابل فوجدنه بنتًا بوجه أبهى من القمر فأعلمن الحاضرين بذلك فرجع رسول الملك وأخبره بذلك وكذلك رسول شركان أخبره بذلك ففرح فرحًا شديدًا فلما انصرف الخدام قالت صفية للقوابل أمهلوا على ساعة فإنى أحس بأن أحشائى فيها شىء آخر ثم تأوهت وجاءها الطلق ثانيا وسهل الله عليها فوضعت مولودًا ثانيًا فنظرت إليه القوابل فوجدنه ولدا ذكرًا يشبه البدر بجبين وخد أحمر مورد ففرحت به الجارية والخدم والحشم وكل من حضر ورمت صفية الخلاص وقد أطلقوا الزغاريت فى القصر فسمع بقية الجوارى بذلك فحسدنها وبلغ عمر النعمان الخبر ففرح واستبشر وقام ودخل عليها وقبل رأسها ونظر إلى المولود ثم انحنى عليه وقبله وضربت الجوارى بالدفوف ولعبت بالآلات وأمر الملك أن يسموا المولود ضوء المكان وأخته نزهة الزمان فامتثلوا أمره وأجابوا بالسمع والطاعة ورتب لهم الملك من يخدمهم من المراضع والخدم والحشم والدادات وسمعت أهل دمشق بما رزق الله الملك من الأولاد فزينت المدينة وأظهروا الفرح والسرور وأقبل الأمراء والوزراء وأرباب الدولة وهنوا الملك عمر النعمان بولده ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد فى إكرامهم من الأنعام وأحسن إلى الحاضرين من الخاص والعام كل هذا وابن الملك شركان كان لايعلم أن والده عمر النعمان رزق ولدا ذكرًا ولم يعلم أنه رزق سوى نزهة الزمان وأخفوا عليه خبر ضوء المكان إلى أن مضت أيام وأعوام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما عمر النعمان جالس يومًا من الأيام إذ دخل عليه الحجاب وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا أيها



الملك قد وصلت إلينا رسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وأنهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين يديك فأذن لهم الملك ندخلهم وإلا فلا مرد لأمره فعند ذلك أمر لهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال إليهم وأقبل عليهم وسألهم عن حالهم قالوا اعلم أن الذى أرسلنا إليك الملك أفريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك أنه اليوم فى حرب شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قيسارية والسبب فى ذلك أن بعض ملوك العرب اتفق أنه وجد فى بعض الفتوحات كنزا من قديم الزمان عهد الإسكندر فنقل منه أموالاً لا تعد ولاتحصى ومن جملة ما وجد فيه ثلاث خرزات مدورات على قد بيض النعام وتلك الخرزات من أغلى الجواهر الأبيض الخالص الذى لا يوجد له نظير وكل خرزة منقوش عليها بالقلم اليونانى أمور من الأسرار ولهن منافع وخواص كثيرة ومن خواصهن أن كل مولود علقت عليه خرزة منهم لم يصبه ألم مادامت الخرزة معلقة عليه ولا يحم ولايسخن فلما وضع يده عليها وقع بها وعرف مافيها من الأسرار أرسل إلى الملك أفريدون هدية من التحف والمال ومن جملتها الثلاث خرزات وجهز مركبين واحدة فيها مال والأخرى فيها رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها فى البحر فلما جهز المركبين سافرا إلى أن قرب من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الأرض وفيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فأخذوا جميع مافى المركبين من التحف والأموال والذخائر والثلاث خرزات وقتلوا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فأرسل إليهم عسكراً فهزموه فأرسل إليهم عسكراً أقوى من الأول فهزموه أيضًا فعند ذلك اغتاظ الملك وأقسم أنه لايخرج إليهم إلا بنفسه فى جميع عسكره وأنه لايرجع عنهم حتى يخرب قيسارية ويترك أرضها وجميع البلاد التى يحكم عليها ملكها خرابًا والمراد من صاحب القوة والسلطان والملك عمر النعمان أن يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد أرسل إليك ملكنا معنا شيئًا من أنواع الهدايا ويرجو من إنعامك قبولها والتفضل عليه بالإنجاز ثم إن الرسل قبلوا الأرض بين يدى عمر النعمان . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٦٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن رسل ملك القسطنطينية قبلوا الأرض بين يدى الملك عمر النعمان بعد أن حكوا له ثم أعلموه بالهدية وكانت الهدية خمسين جارية من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكًا عليهم أقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك فى أذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تساوى ألف مثقال من الذهب والفضة والجوارى كذلك وعليهم من القماش مايساوى مالا جزيلاً فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم وأمر بإكرام الرسل وأقبل على وزرائه يشاورهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخًا كبيرًا يقال له دندان فقبل الأرض بين يدى الملك عمر النعمان وقال أيها الملك مافى الأمر أحسن من أنك تجهز عسكرًا جرارًا وتجعل قائدهم ولدك شركان ونحن بين يديه غلمان فلما سمع الملك هذا الكلام من وزيره دندان أعجبه واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغى أن تكون أنت فى مقدم العسكر وولدى شركان فى ساقة العسكر ثم إن الملك أمر بإحضار ولده فلما حضر قص عليه القصة وأخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان وأوصاه بأخذ الأهبة والتجهيز للسفر وأن لايخالف الوزير دندان فيما يشور به فامتثل شركان ماقال والده وقام فى الوقت واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخل قصره وأخرج مالا جزيلاً وأنفق عليهم المال وقال لهم قد أمهلتكم ثلاثة أيام فقبلوا الأرض بين يديه مطيعين لأمره ثم خرجوا من عنده وأخذوا الأهبة وإصلاح الشأن ثم إن شركان دخل خزائن السلاح وأخذ ما يحتاج إليه من العدد والسلاح ثم دخل الاصطبل واختار منه الخيل المسالمة وأخذ غير ذلك بعد ذلك أقاموا ثلاثة أيام ثم خرجت العساكر إلى ظهر المدينة وخرج عمر النعمان لوداع ولده شركان فقبل الأرض بين يديه وأهدى له سبع خزائن من المال وأقبل على الوزير دندان وأوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الأرض بين يديه وأجابه بالسمع والطاعة وأقبل الملك على ولده وأوصاه بمشاورة الوزير دندان فى سائر الأمور فقبل ذلك ورجع والداه إلى أن دخل المدينة ثم إن شركان أمر كبار العسكر بعرضهم عليه وكانت عدتهم عشرة آلاف فارس غير مايتبعهم ثم إن القوم حملوا ودقت الطبول وصاح النفير وانتشرت الأعلام تخفق على رؤوسهم ولم يزالوا سائرين والرسل يدلونهم على الطريق هذه عشرين يومًا ثم أشرفوا فى اليوم الحادى والعشرين على واد واسع الجهات كثير الأشجار والنبات



وكان وصولهم إلى ذاك الوادى ليلا فأمرهم شركان بالنزول والإقامة فيه ثلاثة أيام فنزل العساكر وضربوا الخيام وافترق العسكر يمينًا وشمالاً ونزل الوزير دندان وصحبته رسل أفريدون صاحب القسطنطينية فى وسط ذلك الوادى فصار لا يقدر أن يركض الجواد وكمن له عادة أن ينام على ظهر جواده فلما هجم عليه النوم وأما الملك شركان فإنه كان وقت وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا فى جوانب الوادى ثم إنه أرخى عنان جواده وأراد أن يكشف ذلك الوادى ويتولى الحرس بنفسه لأجل وصية والده إياه فإنهم فى أول بلاد الروم وأرض العدو فسار وحده بعد أن أمر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان ثم إنه لم يزل سائرًا على ظهر جواده فى جوانب الوادى إلى أن مضى من الليل ربعه فتعب وغلب عليه النوم ونام ولم يزل الجواد سائرًا به إلى نصف الليل فاستيقظ فوجد نفسه بين الأشجار وقد طلع عليه القمر فلما رأى القمر أشرق على مرج كأنه من مروج الجنة سمع كلامًا مليحًا وصوتًا عاليًا وضحكًا يسبى عقول الرجال وهى تقول وحق المسيح إن هذا منكن غير مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها وكتفتها بزنارها كل هذا وشركان يمشى إلى جهة الصوت حتى انتهى إلى طرف المكان ثم نظر فإذا بنهر مسح وطيور تمرح وغزلان تسنح ووحوش ترتع والطيور بلغاتها لمعانى الحظ تنشرح وذلك المكان مزركش بأنواع النبات كما قيل فى أوصافه هذان البيتان :

ما تحسن الأرض إلا عند زهرتها ... والماء من فوقها يجرى بإرسال

صنع الإله العظيم الشأن مقتدرًا ... معطى العطايا ومعطى كل مفضال

فنظر شركان إلى ذلك المكان فرأى فيه ديرًا ومن داخل الديرقلعة شاهقة فى الهواء فى ضوء القمر وفى وسطه نهر يجرى الماء منه إلى تلك الرياض وهناك امرأة بين يديها عشر جوار كأنهن الأقمار وعليهن من أنواع الحلى والحلل مايدهش الأبصار وكلهن أبكار فنظر شركان إلى هؤلاء العشر جوار فوجد بينهن جارية كأنها البدر عند تمامه بحاجب مزجوج وجبين أبلج وطرف أهدب وصدغ معقرب كاملة فى الذات والصفات كما قال الشاعر فى مثلها :

تزهو على بألحاظ بديعات ... وقدها مخجل للسمهريات

تبدو إلينا وخداها موردة ... فيها من الظرف أنواع الملاحات

كأن طرتها فى نور طلعتها ... ليل يلوح على صبح المسرات

فسمعها شركان وهى تقول للجوارى تقدموا حتى أصارعكن قبل أن يغيب القمر ويأتى الصباح فصارت كل واحدة منهن تتقدم إليها فتصرعها فى الحال وتكتفها بزنارها فلم تزل تصارعهن وتصرعهن حتى صرعت الجميع ثم التفتت إلى جارية عجوز كانت بين يديها وهى كالمغضبة عليها يافاجرة أتفرحين بصرعك للجوارى فها أنا عجوز وقد صرعتهن أربعين مرة فكيف تعجبين بنفسك ولكن إن كان لك قوة على مصارعتى فصارعينى فقالت لها ياسيدتى ذات الدواهى بحق المسيح أتصارعيننى حقيقة أم تمزحين معى؟ قالت لها بل أصارعك حقيقة وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٦٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما قالت أصارعك حقيقة قالت لها قومى للصراع إن كان لك قوة فلما سمعت العجوز منها اغتاظت غيظًا شديدًا وقام شعر بدنها كأنه شعر قنفذ وقامت لها الجارية فقالت لها العجوز وحق المسيح لم أصارعك إلا وأنا عريانة يافاجرة ثم إن العجوز أخذت منديل حرير بعد أن فكت لباسها وأدخلت يديها تحت ثيابها ونزعتها من فوق جسدها ولمت المنديل وشدته فى وسطها فصارت كأنها عفريتة معطاء أو حية رقطاء ثم إن العجوز لما فعلت قامت الجارية على مهل وأخذت فوطة يمانية وتنتها مرتين وشمرت سراويلها فبان لها ساقان من المرمر فوقهما كثيب من البلور ناعم مربرب وبطن يفوح المسك من أعكانه كأنه مصفح بشقائق النعمان وصدر فيه نهدان كفحلى رمان ثم انحنت عليها العجوز وتماسكا ببعضهما فرفع شركان رأسه إلى السماء ودعا الله أن الجارية تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز ووضعت يدها الشمال فى شقتها ويدها اليمنى فى رقبتها مع حلقها ورفعتها على يديها فانفلتت العجوز من يديها وأرادت الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاها إلى فوق فبانت شعرتها فى القمر ثم ضرطت ضرطتين عفرت إحداهما فى الأرض ودخلت الأخرى فى السماء فقال فى نفسه ما كذب من سماك الدواهى ثم تقرب منهما ليسمع مايجرى بينهما



فأقبلت الجارية ورمت على العجوز ملاءة من حرير رفيعة وألبستها ثيابها واعتذرت إليها وقالت لها ياسيدتى ذات الدواهى ما أردت إلا اصرعك لأجل جميع ماحصل لك ولكن أنت انفلت من بين يدى فالحمد الله على السلامة فلم ترد عليها جوابًا وقامت تمشى من خجلها ولم تزل ماشية إلى أن غابت عن البصر وصارت الجوارى مكتفات مرميات والجارية واقفة وحدها فقال شركان فى نفسه لكل رزق سبب ثم ركب جواده ولكزه ففر به كالسهم إذا فر من القوس وبيده حسامه ومجرد من غلافه ثم صاح الله أكبر فلما رأته الجارية نهضت قائمة وقالت اذهب إلى أصحابك قبل الصباح لئلا يأتيك البطارقة فيأخذوك على أسنة الرماح وأنت مافيك قوة لدفع النسوان فكيف تدافع الرجال الفرسان فتحير شركان فى نفسه وقال لها وقد ولت عنه معرضة لقصد الدبر ياسيدتى أتذهبين وتتركين المتيم الغريب المسكين الكسير القلب فالتفتت إليه وهى تضحك ثم قالت ماحاجتك؟ فإنى أجيب دعوتك فقال كيف أطأ أرضك وأتحلى بحلاوة لطفك وأرجع بلا أكل من طعامك وقد صرت من بعض خدامك فقالت لا يأبى الكرامة إلا لئيم تفضل باسم الله على الرأس والعين واركب جوادك وسر على جانب النهر مقابلى فأنت فى ضيافتى ففرح شركان وبادر إلى جواده وركب ومازال ماشيًا مقابلها وهى سائرة قبالته إلى أن وصل إلى جسر وإذا بالجوارى اللاتى معها فى المصارعة قائمات ينظرن إليها فلما أقبلت عليهن كلمت جارية منهن بلسان الرومية وقالت لها قومى إليه وامسكى عنان جواده ثم سيرى به إلى الدير فسار شركان وهى قدامه إلى أن عدى الجسر وقد اندهش عقله مما رأى وقال فى نفسه ياليت الوزير دندان كان معى فى هذا المكان وتنظر عيناه إلى تلك الجوارى الحسان ثم التفت إلى تلك الجارية وقال لها يابديعة الجمال قد صرت تحت حكمك وفى عهدك فلو أنت تنعمين علىّ بالمسير إلى بلاد الإسلام وتتفرجين على كل أسد ضرغام وتعرفين من أنا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد كنت ذا عقل ورأى ولكنى اطلعت الآن على مافى قلبك من الفساد وكيف يجوز لك أن تتكلم بكلمة تنسب بها إلى الخداع كيف أصنع هذا وأنا أعلم متى حصلت عند ملككم عمر النعمان لا أخلص منه لأنه مافى قصوره مثلى ولو كان صاحب بغداد وخراسان وبنى له اثنى عشر قصراً فى كل قصر ثلثمائة وست وستون جارية على عدد أيام السنة والقصور وعدد شهور السنة وحصلت عنده ماتركنى لأن اعتقادكم أنه يحل

لكم التمتع بمثلى كما فى كتبكم حيث قيل فيها أوما ماملكت أيمانكم فكيف تكلمنى بهذا الكلام وأما قولك تتفرجين على شجعان المسلمين فحق المسيح أنك قلت قولا غير صحيح فإنى رأيت عسكركم لما استقبلتم أرضنا وبلادنا فى هذين اليومين فلما أقبلتم لم أر تربيتكم تربية ملوك وإنما رأيتكم طوائف مجتمعة وأما قولك تعرفين من أنا فأنا لا أصنع جميلاً لأجل إجلالك وإنما أفعل ذلك لأجل الفخر ومثلك ما يقول لمثلى ذلك ولو كنت شركان بن الملك عمر النعمان الذى ظهر فى هذا المكان فقال شركان فى نفسه لعلها عرفت قدوم العساكر و عرفت عدتهم ثم قال شركان ياسيدتى أقسمت عليك بمن تعتقدين من دينك أن تحدثينى بسبب ذلك حتى يظهر لى الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبال ذلك فقالت له وحق دينى لولا إنى خفت أن يشيع خبرى أنى من بنات الروم لكنت خاطرت بنفسى وبارزت العشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان وظهرت بفارسهم شركان وإنى أسأل المسيح أن يرميه بين يدى فى هذا الدير حتى أخرج له فى صفة الرجال وأأسره وأجعله فى الأغلال وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٦٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه أخذته النخوة والحمية وغيرة الأبطال وأراد أن يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنها فرط جمالها وبديع حسنها فأنشد هذا البيت :

وإذا المليح أتى بذنب واحد   جاءت محاسنه بألف شفيع

ثم صعدت وهو فى أثرها فنظر شركان إلى ظهر الجارية فرأى أردافها تتلاطم كالأمواج الرجراج فأنشد هذه الأبيات :

فى وجهها شافع يمحو إساءتها   من القلوب وجيه حيثما شفعا
إذا تأملتها ناديت من عجب   البدر فى ليلة الإكمال قد طلعا
لو أن عفريت بلقيس يصارعها   مع فرط قوته فى ساعة صرخا



ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا إلى دهليز طويل فلقيها الجوارى فى آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤوسهن العصائب المزركشة بالفصوص من أصناف الجواهر وهن أمامها وشركان وراءها إلى أن وصلوا إلى الدير فوجدا بدائرة ذلك الدير أسرة مقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وأرض الدير مفروشة بأنواع الرخام المجزع ورأى فى الصدر سريرًا مفروشًا بالحرير الملوكى فقالت له الجارية اصعد يامولاى على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت عنه فسأل عنها بعض الخدام فقالوا له إنها ذهبت إلى مرقدها ونحن نخدمك كما أمرت ثم إنها قدمت إليه من غرائب الألوان فأكل حتى اكتفى ثم بعد ذلك قدمت إليه طشتًا وإبريقًا من الذهب فغسل يديه وخاطره مشغول بعسكره فصار متحيرًا فى أمره نادمًا على مافعل إلى أن طلع الفجر وبان النهار وهو يتحسر على مافعل وصار مستغرقًا فى الفكر وأنشد هذه الأبيات :

لـم أعـدم الحـزم ولكننـى	ذهبت فـى الأمر فما حيلتـى
لو كان من يكشف عنى الهوى	بـرئت مـن حـولى ومن قوتـى
وإن قلبى فـى ضـلال الهـوى	صـب وارجـو الله فـى شدتى

فلما فرغ من شعره رأى بهجة عظيمة قد أقبلت فنظر فإذا هو بأكثر من عشرين جارية كالأقمار حول تلك الجارية وهى بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها ديباح ملوكى وفى وسطها زنار مرصع بأنواع الجواهر وقد ضم خصرها وأبرز ردفها فصارا كأنهما كثيب بلور تحت قضيب من فضة ونهداها كفحلى رمان فلما نظر شركان ذلك كاد أن يطير من الفرح ونسى عسكره ووزيره وتأمل رأسها فرأى عليها شبكة من اللؤلؤ مفصلة بأنواع الجواهر والجوارى عن يمينها ويسارها يرفعن وهى تتمايل عجبًا فعند ذلك وثب شركان قائمًا على قدميه من هيبة حسنها وجمالها فصاح واحيرتاه من هذا الزنار ثم إن الجارية جعلت تنظر إليه زمانًا طويلا وتكرر فيه النظر إلى أن تحققته وعرفته فقالت له بعد أن أقبلت عليه قد أشرق بك المكان ياشركان كيف كانت ليلتك ياهمام بعدما مضينا وتركناك ثم قالت له إن الكذب عند الملوك منقصة وعار لاسيما عند أكابر الملوك وأنت شركان بن عمر النعمان فلا تنكر نفسك وحسبك ولاتكتم أمرك عنى ولاتسمعنى

بعد ذلك غير الصدق فإن الكذب يورث البغض والعداوة فقد تفسد فيك سهم القضا فعليك بالتسليم والرضا فلما سمع كلامها لم يمكنه الإنكار فأخبرها بالصدق وقال لها أنا شركان بن عمر النعمان الذى عذبنى الزمان وأوقعنى فى هذا المكان فقالت له طب نفسًا وقر عينا فإنك ضيفى وصار بيننا وبينك خبز وملح حديث ومؤانسة فأنت فى ذمتى وفى عهدى فكن آمنا وحق المسيح لو أراد أهل الأرض أن يؤذوك لما وصلوا إليك إلا إن أخرجت روحى من أجلك ولو كان خاطرى فى قتلك لقتلتك فى هذا الوقت ثم تقدمت إلى المائدة وأكلت من كل لون لقمة فعند ذلك أكل شركان ففرحت الجارية وأكلت معه إلى أن اكتفيا وبعد أن غسلا أيديهما قامت وأمرت الجارية أن تأتى بالرياحين وآلات الشراب من أوانى الذهب والفضة والبلور وأن يكون الشراب من سائر الألوان المختلفة والأنواع النفيسة فأتتها بجميع ماطلبت ثم إن الجارية ملأت أولاً القدح وشربته قبله كما فعلت فى الطعام ثم ملأت ثانيا وأعطته إياه فشرب فقالت له يامسلم انظر كيف أنت فى ألذ عيش ومسرة ولم تزل تشرب معه إلى أن غاب عن رشده وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٦٦)

قالت : لقد بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية مازالت تشرب وتسقى شركان إلى أن غاب عن رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم إنها قالت للجارية يامرجانة هات لنا شيئًا من آلات الطرب فقالت سمعا وطاعة ثم غابت لحظة وأتت بعود جلقى وجنك عجمى وناد تترى وقانون مصرى فأخذت الجارية العود وأصلحته وشدت أوتاره وغنت عليه بصوت رخيم وأنشدت مطربة بهذه الأبيات :

عفا الله عن عينيك كم سفكت دما ... وكم فوقت منك اللواحظ أسهما
أجل حبيبا جائرًا فى حبيبه ... حرام عليه أن يرق ويرحما
هنيئاً لطرف فيك مسهدا ... وطوبى لقلب ظل فيك متيما
تحكمت فى قتلى فإنك مالكى ... بروحى أفدى الحاكم المتحكما



وقالت يامسلم أما فهمت ما أقول قال لا ولكن ماطربت إلا على حسن أناملك فضحكت وقالت له إن غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال ماكنت أتمالك عقلى فأخذت آلة الطرب وغيرت الضرب وأنشد هذه الأبيات :

طعم التفريق مر	فهل لذلك صبر	تعرضت لى بثلاث
سد وبين وهجر	أهوى ظريفًا سبانى	بالحسن والهجر مر

فلما فرغت من شعرها نظرت إلى شركان فوجدته قد غرب عن وجوده ولم يزل مطروحًا بينهن ممدوداً ساعة ثم أفاق وتذكر الغناء فمال طربًا ولم يزالا فى لعب ولهو إلى أن ولى النهار بالرواح ونشر الليل الجناح فقامت إلى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له إنها مضت إلى مرقدها فقال فى رعاية الله وحفظه فلما أصبح أقبلت عليه الجارية وقالت له إن سيدتى تدعوك إليها فقام معها وصار خلفها فلما نظرته الجارية نهضت إليه قائمة وأخذت يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان فقالت له أتعرف شيئًا مما يتعلق بالعاشقين والمتيمين فقال نعم أعرف شيئًا من الأشعار فقالت أسمعنى فأنشد هذه الأبيات :

لا لا أبوح بحب عزة أنها	أخذت على مواثق وعهودا
رهبان مدين والذين عهدتهم	يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها	خروا لعزة ركعًا وسجودا

فلما سمعته قالت لقد كان كثيراً باهرا فى الفصاحة بارع البلاغة لأنه بالغ فى وصفه لعزة حيث قال وأنشدت هذين البيتين :

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى	فى الحسن عند موفق لقضى لها
وسعت إلى بغيب عزة نسوة	جعل الإله خدودهن نعالها

ثم قالت وقيل إن عزة كانت فى نهاية الحسن والجمال ثم قالت له يابن الملك إن كنت تعرف شيئًا من كلام جميل فأنشدنا منه ثم قال إنى أعرف به من كل واحد ثم أنشد من شعر جميل هذا البيت :

تريدين قتلى لاتريدين غيره	ولست أرى قصدا سواك أريد

فلما سمعت ذلك قالت له أحسنت يابن الملك ما الذى أرادته عزة بجميل حتى قال هذا الشطر أى تريدين قتلى لاتريدين غيره فقال لها شركان ياسيدتى لقد أرادت به ماتريدين منى ولايرضيك فضحكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقامت الجارية إلى مرقدها ونامت ونام شركان فى مرقده إلى أن أصبح الصباح فلما أفاق أقبلت عليه الجوارى بالدفوف وآلات الطرب على العادة وقبلن الأرض بين يديه وقلن له تفضل فإن سيدتنا تدعوك إلى الحضور عندها فقام شركان ومشى والجوارى حوله يضربن بالدفوف فلما رأت الجارية شركان قامت له وأخذت يده وأجلسته إلى جانبها وقالت له إنت ابن الملك عمر النعمان فهل تحسن لعب الشطرنج فقال نعم ولكن لاتكونى كما قال الشاعر :

أقول والوجد يطوينى وينشرنى	ونهلة من رضاب الحب ترويني
حضرت شطرنج من أهوى فلاعبنى	بالبيض والسود ولكن ليس يرضينى
كأنما الشاة عند الرخ موضعه	وقد تفقد دستا بالفرازين
فإن نظرت إلى معنى لواحظها	فإن ألحاظها يا قوم ترديني

ثم قدم له الشطرنج ولعبت معه فصار شركان كلما أراد أن ينظر إلى نقلها نظر إلى وجهها فيضع الفرس موضع الفيل ويضع الفيل موضع الفرس فضحكت وقالت إن كان لعبك هكذا فأنت لاتعرف شيئًا فقال هذا أول دست لاتحسبيه فلما غلبته رجع وصف القطع ولعب معها فغلبته أولا وثانيًا وثالثًا ورابعًا وخامسًا ثم التفتت إليه وقالت له إنت فى كل شىء مغلوب فقال ياسيدتى مع مثلك يحسن أن أكون مغلوبًا ثم أمرت بإحضار الطعام فأكلا وغسلا يديهما وأمرت بإحضار الشراب فشربا وبعد ذلك أخذت القانون وكان لها بضرب القانون معرفة جيدة فأنشدت هذه الأبيات :

الدهر ما بين مطوى ومبسوط	ومثله مثل مجرور ومخروط
فاشرب على حسنه إن كنت مقتدرًا	أن لاتفارقنى فى وجه تفريط

ثم إنهما لم يزالا على ذلك إلى أن دخل إلى الليل فكان ذلك اليوم أحسن من اليوم الذى قبله فلما أقبل الليل مضت الجارية إلى مرقدها وانصرف شركان إلى موضعه فنام إلى الصباح



ثم أقبلت عليه الجوارى بالدفوف وآلات الطرب وأخذوه على العادة إلى أن وصلوا إلى الجارية فلما رأته نهضت قائمة وأمسكته من يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء ثم أخذت العود وأنشدت هذين البيتين :

لاتركنن إلى الفراق فإنه مر المذاق ... الشمس عند غروبها تصفر من ألم الفراق

فبينما هما على هذه الحالة وإذا هما بضجة فالتفتا فرأى رجالا وشبانًا مقبلين وغالبهم بطارقة وبأيديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا يا شركان فأيقن بالهلاك فلما سمع شركان هذا الكلام وقال فى نفسه لعل هذه الجارية الجميلة خدعتنى وأمهلتنى إلى أن جاءت رجالها وهم البطارقة الذين خوفتنى بهم ولكن أنا الذى جنيت على نفسى وألقيتها فى الهلاك ثم التفت إلى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالاصفرار ثم وثبت على قدميها قالت لهم ماتطلبون فقال لها البطريق المقدم عليهم أيتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة أما تعرفين الذى عندك من هو قالت لا أعرفه فمن هو فقال لها هذا مخرب البلدان وسيد الفرسان هذا شركان بن الملك عمر النعمان فلما سمعت كلام البطريق نظرت إليه وقالت له ما اسمك قال لها اسمى ماسوره بن عبدك موسورة ابن كاشردة بطريق البطارقة قالت له كيف دخلت علىّ بغير أذنى فقال لها يامولاتى إنى لما وصلت إلى الباب ما منعنى حاجب ولابواب بل قام جميع البوابين ومشوا بين أيدينا كما جرت به العادة إنه إذا جاء غيرنا يتركونه واقفًا على الباب حتى يستأذنوا عليه بالدخول وليس هذا وقت إطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا إليه فلما سمعت الجارية هذا الكلام قالت له إن هذا الكلام غير حسن ولكن قد كذبت العجوز ذات الدواهى فإنها قد تكلمت بكلام لاتعلم حقيقته وأنا وحق المسيح الذى عندى ماهو شركان ولا أسرته ولكن رجل أتى إلينا وقدم علينا فطلب الضيافة فأضفناه فإن تحققنا أنه شركان بعينه وثبت عندنا أنه هو من غير شك فلا يليق بمروءتى أن أمكنكم منه لأنه دخل تحت عهدى وذمتى فلا تخونونى فى ضيفى فقال البطريق ماسورة يا أبريزة أنا لا أقدر أعود إلى الملك إلا بغريمه فلما سمعت هذا الكلام قالت لا كان هذا الأمر لأنه عنوان السفه وهذا

رجل واحد وأنتم مائة بطريق فإذا أردتم مصادمته فأبرزوا له واحد بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٦٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة أبريزة لما قالت للبطريق ذلك قال وحق المسيح لقد قلت الحق ولكن ما يخرج له أولا غيرى فخرج شركان فلما رآه البطريق وثب إليه وحمل عليه فقابله شركان كأنه الأسد وضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فلما نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها وعرفت أنها لم تصرعه حين صرعته بقوتها بل بحسنها وجمالها ثم إن الجارية أقبلت على البطارقة وقالت لهم خذوا بثأر صاحبكم فخرج له أخو المقتول وكان جبارًا عنيدًا فحمل على شركان دون أن يضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فعند ذلك نادت الجارية وقالت ياعبد المسيح خذوا بثأر صاحبكم فلم يزالوا يبرزوا إليه واحدًا بعد واحد وشركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقًا والجارية تنظر إليهم وقد قذف الله الرعب فى قلوب من بقى منهم وقد تأخروا عن البراز ولم يجسروا على البراز إليه بل حملوا عليه حملة واحدة بأجمعهم وحمل عليهم بقلب أقوى من الحجر إلى أن طحنهم طحن الدروس وسلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية على جواريها وقالت لهن من بقى فى الدير فقلن لهم لم يبق أحد إلا البوابين ثم إن الملكة لاقته وأخذته بالأحضان وطلع شركان معها إلى القصر بعد فراغه من الحرب وكان قد بقى منهم قليل كامن فى زوايا الدير فلما نظرت الجارية إلى ذلك قامت من عند شركان ثم رجعت إليه وعليها زردية ضيقة العيون وبيدها صارم مهند وقالت وحق المسيح لا أبخل بنفسى على ضيفى ولا أتخلى عنه ولم أبق بسبب ذلك معيرة فى بلاد الروم ثم إنها تأملت البطارقة فوجدتهم قد قتل منهم ثمانون وانهزم منهم عشرون فلما نظرت إلى ما صنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فالله درك ياشر كان ثم إنه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى فأقبلت عليه الجارية متبسمة وقبلت يده وقلعت



الدرع الذى كان عليها فقال لها ياسيدتى لأى شىء لبست الدرع الزرد وشهرت حسامك قالت حرصا عليك من هؤلاء اللئام ثم إن الجارية دعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم أصحاب الملك يدخلون منزلى بغير أذنى فقالوا لها أيتها الملكة ماجرت العادة أننا نحتاج إلى استئذان منك على رسل الملك خصوصًا البطريق الكبير فقالت لهم أظنكم ما أردتم إلا هتكى وقتل ضيفى ثم أمرت شركان أن يضرب رقابهم وقالت لباقى خدامها إنهم يستحقون أكثر من ذلك ثم التفتت لشركان وقالت له الآن ظهر لك ما كان خافيًا فها أنا أعلمك بقصتى أعلم أنى بنت ملك الروم حردوب واسمى إبريزة والعجوز التى تسمى ذات الدواهى جدتى أم أبى وهى التى أعلمت أبى بك ولابد أن تدبر حيلة فى هلاكى خصوصًا وقد قتلت بطارقة أبى وشاع أنى قد تحزبت مع المسلمين فالرأى أنى أترك الإقامة هنا مادامت ذات الدواهى خلفى فلما سمع شركان هذا الكلام طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله لايصل إليك أحدًا مادامت روحى فى جسدى ولكن هل لك صبر على فراق والدك وأهلك قالت نعم فخلفها شركان وتعاهدا على ذلك فقالت الآن طاب قلبى ولكن بقى عليك شرط آخر فقال وماهو فقالت له إنك ترجع بعسكرك إلى بلادك فقال لها ياسيدتى إن أبى عمر النعمان أرسلنى إلى قتال والدك بسبب المال الذى أخذه ومن جملته الثلاث خرزات الكثيرة البركات فقالت له طب نفسا وقرعينا فها أنا أحدثك بحديثها وأخبرك بسبب معاداتنا لملك القسطنطينية وذلك أن لنا عيدًا يقال له عيد الدير كل سنة تجتمع فيه الملوك من جميع الأقطار وبنات الأكابر يقعدون فيه سبعة أيام وأنا من جملتهم فلما وقعت بيننا العداوة منعنى أبى من حضور ذلك العيد مدة سبع سنين فاتفق فى سنة من السنين أن بنات الأكابر من سائر الجهات قد جاءت من أماكنها إلى الدير فى ذلك العيد على العادة ومن جملة من جاء إليه بنت ملك القسطنطينية وكان يقال لها صفية فأقاموا فى الدير ستة أيام وفى اليوم السابع انصرفت الناس فقالت أنا ما أرجع إلى القسطنطينية إلا فى البحر فجهزوا لها مركبًا فنزلت هى وخواصها فلما حلوا القلوع وساروا فبينما هم سائرون وإذا بريح قد خرج عليهم فأخرج المركب عن طريقها وكان هناك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور وفيها خمسمائة إفرنجى ومعهم العدة والسلاح وكان

لهم مدة فى البحر فلما لاح لهم قلع المركب التى فيها صفية ومن معها من البنات انقضوا عليها مسرعين فما كان غير ساعة حتى وصلوا إلى تلك المركب ووضعوا فيها الكلاليب وجروها وحلوا قلوعه وقصدوا جزيرتهم فما بعدوا غير قليل حتى انعكس عليهم الريح فجذبهم إلى شعب بعد أن مزق قلوع مركبهم وقربهم منا فخرجنا فرأيناهم غنيمة قد انساقت إلينا فأخذناهم وقتلناهم واغتنمنا ما معهم من الأموال والتحف وكان فى مركبهم أربعون جارية ومن جملتهم صفية ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية فاختار أبى منهن عشر جوارى وفيهن أبنة الملك وفرق الباقى على حاشيته ثم عزل خمس فيهن ابنة الملك من العشر جوارى وأرسل تلك الخمس إلى والدك عمر النعمان مع شىء من الجوخ ومن قماش الصوف ومن القماش الحرير الرومى فقبل الهدية أبوك واختار من الخمس الجوارى صفية بنت الملك أفريدون فلما كان أول هذا العام أرسل أبوها إلى والدى مكتوبًا فيه كلام لاينبغى ذكره وصار يهدده فى ذلك المكتوب ويقول له ساعة وصول كتابى إليكم ترسلوا إلى ابنتى من عندكم وإن أهملتم كتابى وعصيتم أمرى فلابد أن أكافئكم على قبيح أفعالكم وسوء أعمالكم فلما وصلت هذه المكاتبة إلى أبى وقرأها وفهم مافيها شق عليه ذلك وندم حيث لايعرف أن صفية بنت الملك فى تلك الجوارى ليردها إلى والدها فصار متحيراً فى أمره ولم يمكنه بعد هذه المدينة المستطيلة أن يرسل إلى الملك عمر النعمان ويطلبها منه لاسيما وقد سمعنا من مدة يسيرة أنه رزق من جاريته التى يقال لها صفية بنت الملك أفريدون أولاداً فلما تحققنا ذلك علمنا أن هذه الورطة هى المصيبة العظمى ولم يكن لأبى حيلة غير أنه كتب جوابًا للملك أفريدون يتعذر إليه فيه ويحلف له بالأقسام أنه لايعلم أن ابنته من جملة الجوارى التى كانت فى تلك المركب ثم أظهر له على أنه أرسلها إلى الملك عمر النعمان وأنه رزق منها أولاداً فلما وصلت رسالة أبى إلى أفريدون ملك القسطنطينية قام وقعد وأرغى وأزبد ، وقال كيف تكون ابنتى مسبية بصفة الجوارى وتتداولها أيدى الملوك ويطؤنها بلا عقد ثم قال وحق المسيح لابد أن أفعل فعلا يتحدث به الناس من بعدى ومازال صابرًا إلى أن عمل الحيلة ونصب مكايدة عظيمة وأرسل رسلا إلى والدك عمر النعمان وأذكر له ماسمعت من الأقوال حتى جهزك والدك بالعساكر التى معك من أجلها وسيرك إليه حتى يقبض عليك ومن



معك من عساكرك وأما الثلاث خرزات التى أخبر والدك بها فى مكتوبه فليس لذلك صحة وإنما كانت مع صفية ابنته وأخذها أبى منها حين استولى عليها هى والجوارى التى معها ثم وهبها وهى الآن عندى فاذهب أنت إلى عسكرك وردهم قبل أن يتوغلوا فى بلاد الإفرنج والروم فإنكم إذا توغلتم فى بلادهم يضيقون عليكم الطرق فلما سمع شركان هذا الكلام صار مشغول الفكر بالأوهام ثم إنه قبل يد الملكة أبريزة وقال الحمد الله الذى من على بك وجعلك سببًا لسلامتى وسلامة من معى ولكن يعز على فراقك ولا أعلم ما يجرى عليك بعدى فقالت له اذهب أنت الآن إلى عسكرك وردهم فلما أراد الانصراف قالت له لاتنس العهد الذى الذى بينى وبينك ثم فارقها شركان ونزلا من الدير وقدموا له جواده فركب وخرج متوجهًا إلى الجسر فلما وصل إليه أمر من فوقه ودخل بين تلك الأشجار فلما تخلص من الأشجار ومشى فى ذلك المرج وإذا هو بثلاثة فوارس فأخذ لنفسه الحذر منهم وشهر سيفه وانحدر فلما قربوا منه ونظر بعضهم بعضًا عرفوه وعرفهم ووجد أحدهم الوزير دندان ومعه أميران وعندما عرفوه ترجلوا له وسلموا عليه وسأله الوزير دندان عن سبب غيابه فأخبره بجميع ماجرى له من الملكة أبريزة من أوله إلى آخره فحمد الله تعالى على ذلك ثم قال شركان ارحلوا بنا من هذه البلاد ففرحوا كلهم ولم يزالوا سائرين مجدين فى السير حتى وصلوا إلى سطح الوادى وكانت الرسل قد توجهوا إلى ملكهم وأخبروه بقدوم شركان فجهز إليه عسكرا ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ماكان من أمر الرسل وملكهم وأما ما كان من أمر شركان فإنه سافر بعسكره مدة خمسة وعشرين يومًا حتى أشرفوا على أوائل بلادهم فلما وصلوا هناك أمنوا على أنفسهم ونزلوا لأخذ الراحة فخرج إليهم أهل تلك البلاد بالضيافات وعليق البهائم ثم أقاموا يومين ورحلوا طالبين ديارهم وتأخر شركان بعدهم فى مائة فارس وجعل الوزير دندان أميرًا على من معه من الجيش فسار الوزير دندان بمن معه مسيرة يوم ثم بعد ذلك وركب شركان هو والمائة فارس الذين معه وساروا مقدار فرسخين حتى وصلوا إلى محل مضيق جبلين وإذا أمامهم غبرة وعجاج فمنعوا خيولهم من السير مقدار ساعة حتى انكشف الغبار وبأن من تحته مائة فارس ليوث عوابس وفى الحديد والزرد غواطس فلما أن قربوا من شركان ومن معه صاحوا عليهم وقالوا وحق يوحنا ومريم أننا قد بلغنا ما أملناه

ونحن خلفكم مجدون السير ليلا ونهاراً حتى سبقناكم إلى هذا المكان فلما سمع شركان ذلك الكلام لاجت عيناه وأحمرت وجنتاه وقال لهم ياكلاب النصارى كيف تجاسرتم علينا وجئتم بلادنا ومشيتم فى أرضنا وما كفاكم ذلك حتى تخاطبونا بهذا الخطاب أظننتم أنكم تخلصون من أيدينا وتعودون إلى بلادكم ثم صاح على المائة فارس الذين معه وقال لهم دونكم وهؤلاء الكلاب فإنهم فى عددكم ثم سل سيفه وحمل عليهم وحملت معه المائة فارس فاستقبلتهم الإفرنج بقلوب أقوى من الصخر ولم يزالوا فى الحرب والكفاح والضرب بالصفاح إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا عن بعضهم واجتمع شركان بأصحابه فلم يجد أحداً منهم مجروحًا غير أربعة أنفس حصل لهم جراحات سليمة فقال لهم شركان أنا طول عمرى أخوض بحر الحرب العجاج المتلاطم بالأمواج وأقاتل الرجال فوالله مالقيت أصبر على الجلاد وملاقاة الرجال مثل هؤلاء الأبطال فقالوا له اعلم أيها الملك أن فيهم فارسًا إفرنجيًا وهو المقدم عليهم له شجاعة وطعنات نافذات غير أن كل من وقع منا بين يديه يتغافل عنه ولايقتله فوالله لو أراد قتلنا لقتلنا بأجمعنا فتحير شركان لما سمع ذلك المقال وقال فى غد نصطف ونبارزهم فها نحن مائة وهم مائة ونطلب النصر عليهم من رب السماء وباتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح وسلمت على محمد زين الملاح ركب الملك شركان وركب معه المائة فارس وأتوا إلى الميدان كلهم فوجدوا الإفرنج قد اصطفوا للقتال فقال شركان لأصحابه أن أعداءنا قد اصطفوا فدونكم والمبادرة إليهم فنادى مناد من الإفرنج لايكون قتالنا فى هذا اليوم إلا مناوبة بأن يبرز بطل منكم إلى بطل منا فعند ذلك برز فارس من أصحاب شركان وسار بين الصفين وقال هل من مبارز فلم يتم كلامه حتى برز إليه فارس من الإفرنج غريق فى سلاحه وقماشه وذهب وهو راكب على جواد أشهب وذلك الإفرنجى لانبات بعارضيه فسار بجواده حتى وقف فى وسط الميدان وصادمه بالضرب والطعان فلم يكن غير ساعة حتى طعنه الإفرنجى بالرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيراً وقاده حقيراً ففرح به قومه ومنعوه أن يخرج إلى الميدان وأخرجوا غيره وقد خرج إليه من المسلمين آخر وهو أخو الأسير ووقف معه فى الميدان وحمل الاثنان على بعضهما ساعة يسيرة



ثم كر الإفرنجى على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيراً ومازال يخرج إليهم من المسلمين واحداً بعد واحد والإفرنج يأسرونهم إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أسروا من المسلمين عشرون فارساً فلما عاين شركان ذلك عظم عليه الأمر فجمع أصحابه وقال لهم ما هذا الأمر الذى حل بنا أنا أخرج فى غد إلى الميدان وأطلب براز المقدم عليهم وأ حذره من قتالنا فإن أبى قاتلناه وإن صالحنا صالحناه وباتوا على هذا الحال إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ثم ركب الطائفتان واصطف الفريقان فلما خرج شركان إلى الميدان رأى الإفرنج قد ترجل منهم أكثر من نصفهم قدام فارس منهم ومشوا قدامه إلى أن صاروا فى وسط الميدان فتأمل شركان ذلك الفارس فرآه الفارس المقدم عليهم وهو لابس قباء من أطلس أزرق وجهه كالبدر إذا أشرق من فوقه زردية ضيقة العيون وبيده سيف مهند وهو راكب على جواد أدهم فى وجهه غرة كالدرهم وذلك الإفرنجى لانبات بعارضيه ثم إنه لكز جواده حتى صار فى وسط الميدان وأشار إلى المسلمين وهو يقول بلسان عربى فصيح ياشركان يا ابن عمر النعمان الذى ملك الحصون والبلدان دونك والحرب والطعان وأبرز إلى من قد ناصفك فى الميدان فأنت سيد قومك وأنا سيد قومى فمن غلب منا صاحبه أخذه هو وقومه تحت طاعته فما استتم كلامه حتى برز له شركان وقلبه من الغيظ ملآن وساق جواده ودنا من الإفرنجى فى الميدان فكرعليه الإفرنجى كالأسد الغضبان وصدمه صدمة الفرسان وأخذا فى الطعن والضرب وصار إلى حومة الميدان كأنهما جبلان يصطدمان أو بحران يلتطمان ولم يزالا فى قتال وحرب ونزال من أول النهار إلى أن أقبل الليل بالاعتكار ثم انفصل كل منهما من صاحبه وعاد إلى قومه وبات شركان فلما أصبح الصباح خرج له الإفرنجى ونزل فى وسط الميدان وأقبل عليه شركان ثم أخذ فى القتال وأوسعا فى الحرب والمجال وأمتدت إليهما الأعناق ولم يزالا فى حرب وكفاح وطعن بالرماح إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ثم افترقا ورجعا إلى قومهم وصار كل منهما يحكى لأصحابه ما لاقاه من صاحبه ثم إن الإفرنجى قال لأصحابه فى غد يكون الانفصال وباتوا تلك الليلة إلى الصباح ثم ركب الاثنان وحملا على بعضهما ولم يزالا فى حرب إلى نصف النهار وبعد ذلك عمل الإفرنجى حيلة ولكز جواده ثم جذبه باللجام فعثر به فرماه فانكب

عليه شركان وأراد أن يضربه بالسيف خوفًا أن يطول به المطال فصاح به الإفرنجى وقال ياشركان ما هكذا تكون الفرسان إنما فعل المغلوب بالنسوان فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكلام رفع طرفه إليه وأمعن النظر فوجده الملكة أبريزة التى وقع له معها فى الدير فلما عرفها رمى السيف من يده وقبل الأرض بين يديها وقال لها ماحملك على هذه الفعال فقالت له أردت أن أختبرك فى الميدان وانظر ثباتك فى الحرب والطعان فتبسم شركان من قولها وقال الحمد لله على السلامة وعلى اجتماعى بك ياملكة الزمان ثم إن الملكة أبريزة صاحت على جواريها وأمرتهن بالرحيل بعد أن يطلقن العشرين أسيرًا الذين كن أسرتهن من قوم شركان فامتثلت الجوارى أمرها ثم قبلن الأرض بين يديها فقال لهن مثلكن من يكون عند الملوك مدخرًا للشدائد ثم إنه أشار إلى أصحابه أن يسلموا عليها فترجلوا جميعًا وقبلوا الأرض بين يدى الملكة أبريزة ثم ركب المائتا فارس وساروا فى الليل والنهار مدة ستة أيام وبعد ذلك أقبلوا على الديار فأمر شركان الملكة أبريزة وجواريها أن ينتزعن ماعليهن من لباس الإفرنج . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

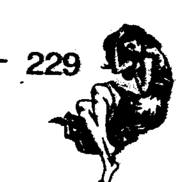
***

الليلـة (٦٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان أمر الملكة أبريزة وجواريها أن ينزعن ماعليهن من الثياب وأن يلبس لباس بنات الروم ففعلن ذلك ثم إنه أرسل جماعة من أصحابه إلى بغداد ليعلم والده عمر النعمان بقدومه ويخبره أن الملكة أبريزة بنت ملك الروم جاءت صحبته لأجل أن يرسل موكبًا لملاقاتهم ثم إنهم نزلوا من وقتهم وساعتهم فى المكان الذى وصلوا إليه وباتوا فيه إلى الصباح فلما أصبح الصباح ركب شركان هو ومن معه وركبت أيضا الملكة أبريزة هى ومن معها واستقبلوا المدينة وإذا بالوزير دندان قد أقبل فى ألف فارس من أجل ملاقاة الملكة أبريزة هى وشركان وكان خروجه بإشارة الملك عمر النعمان كما أرسل إليه ولده شركان فلما قربوا منها ترجلوا إليهما وقبلوا الأرض بين أيديهما ثم ركبا وركبوا معهما وصاروا فى خدمتهما حتى

وصلا إلى المدينة وطلعا قصر الملك ودخل شركان على والده فقام إليه واعتنقه وسأله عن الخبر فأخبره بما قالته الملكة أبريزة وأن ملك القسطنطينية أراد أن يعمل لنا حيلة من أجل صفية بنته لأن ملك الروم قد أخبره بحكايتها وبسبب إهدائها إليك وأن ملك الروم ما كان يعرف أنها ابنة ملك أفريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك ماكان أهداها إليك بل كان يردها إلى والدها ثم قال شركان لوالده ومايخلصنا من هذه الحيل والمكايد إلا أبريزة فلما سمع الملك عمر النعمان من ولده شركان ذلك الكلام عظمت أبريزة عنده وصار يتمنى أنه يراها ثم إنه طلبها لأجل أن يسألها فعند ذلك ذهب شركان إليها وقال لها إن الملك يدعوك فأجابت بالسمع والطاعة فأخذها شركان وأتى بها إلى والده فلما دخلت الملكة أبريزة على الملك عمر النعمان قبلت الأرض بين يديه وتكلمت بأحسن الكلام فتعجب الملك من فصاحتها وشكرها على ما فعلت مع ولده شركان ثم إنه قربها إليه وأدناها منه وأفرد لها قصرا مختصًا بها وبجواريها ورتب لها ولجواريها الرواتب ثم أخذ يسألها عن تلك الخرزات الثلاث التى تقدم ذكرها سابقا فقالت له إن تلك الخرزات معى ياملك الزمان ثم إنها قامت ومضت إلى محلها وفتحت صندوقًا وأخرجت منه علبة وأخرجت من العلبة حقا من الذهب وفتحته وأخرجت منه الخرزات الثلاث ثم قبلتها وناولتها للملك وانصرفت فأخذت قلبه معها وبعد انصرافها أرسل إلى ولده شركان فحضر فأعطاه خرزة من الثلاث خرزات فسأله عن الاثنين الأخريين فقال ياولدى قد أعطيت منهما واحدة لأخيك ضوء المكان والثانية لأختك نزهة الزمان فلما سمع شركان أن له أخا يسمى ضوء المكان وما كان يعرف إلا أخته نزهة الزمان التفت إلى والده الملك النعمان وقال له يا ولدى ألك ولد غيرى قال نعم وعمره الآن سنين ثم أعلمه أن اسمه ضوءالمكان وأخته نزهة الزمان وأنهما ولدا فى بطن واحدة فصعب عليه ذلك ولكنه كتم سره وقال لوالده على بركة الله تعالى ثم رمى الخرزة من يده ونفض أثوابه ثم قام وهو لايعلم كيف يصنع من شدة الغيظ ومازال ماشيًا حتى دخل قصر الملكة أبريزة فلما أقبل عليها نهضت قائمة وشكرته على فعاله ودعت له ولوالده وجلست وأجلسته فى جانبها فلما استقر به الجلوس رأتِ فى وجهه الغيظ فسألته عن حاله وماسبب غيظه فأخبرها أن والده الملك عمر النعمان رزق من صفية ولدين ذكرًا وأنثى

وسمى الولد ضوء المكان والأنثى نزهة الزمان وقال لها إنه أعطاهما خرزتين وأعطانى واحدة فتركتها وأنا إلى الآن لم أعلم بذلك إلا فى هذا الوقت فخنقنى الغيظ وقد أخبرتك بسبب غيظى ولم أخف عنك شيئًا وأخشى عليك أن يتزوجك فإنى رأيت منه علامة الطمع فى أنه يتزوجك فإذا رأيت منه علامة الطمع فى أنه يتزوج بك فما تقولين أنت فى ذلك فقالت اعلم ياشركان أن أباك ماله حكم علىّ ولا يقدر أن يأخذنى بغير رضاى وإن كان يأخذنى غصبًا قتلت روحى وأما الثلاث خرزات فما كان على بالى أنه ينعم على أحد أولاده بشىء منها وماظننت إلا أنه يجعلها فى خزائنه مع ذخائره ولكن اشتهى من احسانك أن تهب لى الخرزة التى أعطاها لك والدك إن قبلتها منه فقال سمعا وطاعة ثم قالت له لاتخف وتحدثت معه ساعة وقالت له إنى أخاف أن يسمع أبى أنى عندكم فيسعى فى طلبى ويتفق هو والملك أفريدون من أجل ابنته صفية فيأتيان إليكم بعساكر وتكون ضجة عظيمة فلما سمع شركان ذلك قال لها يامولاتى إذا كنت راضية بالاقامة عندنا لا تفكرى فيهم فلو اجتمع علينا كل من فى البر والبحر لغلبناهم فقالت مايكون إلا الخيرهذا ما كان من أمر شركان (وأما) ماكان من أمر أبيه عمر النعمان فإنه بعد انصراف ولده شركان دخل على جاريته صفية ومعه تلك الخرزات فلما رأته نهضت قائمة إلى أن أجلس فأقبل عليه ولداه ضوء المكان ونزهة الزمان فلما رآهما علق على كل واحد منهما خرزة ففرحا بالخرزتين وقبلا يديه وأقبلا على أمهما ففرحت بهما ودعت للملك بطول الدوام فقال لها الملك ياصفية حيث إنك ابنة الملك أفريدون ملك القسطنطينية لأى شىء لم تعلمينى لأجل أن أزيد فى اكرامك ورفع منزلتك فلما سمعت صفية ذلك قالت أيها الملك وماذا أريد أكثر من هذا زيادة على هذه المنزلة التى أنا فيها فها أنا مغمورة بإنعامك وخيرك وقد رزقنى الله منك بولدين ذكر وأنثى فأعجب الملك عمر النعمان كلامها واستظرف عذوبة ألفاظها ودقة فهمها وظرف آدابها ومعرفتها ثم إنه مضى من عندها وأفرد لها ولأولادها قصرًا عجيبًا هذا ما كان من أمره مع صفية وأولادها (وأما) ما كان من أمره مع الملكة أبريزة فإنه اشتغل بحبها وصار ليلا ونهارًا مشغوفًا بها وفى كل ليلة يدخل إليها ويتحدث عندها ويلوح لها بالكلام فلم ترد له جوابًا بل تقول ياملك الزمان أنا فى هذا الوقت مالى غرض فى الرجال فلمارأى تمنعها منه اشتد



به الغرام وزاد عليه الوجد والهيام فلما أعياه ذلك أحضر وزيره دندان وأطلعه على مافى قلبه من محبة الملكة أبريزة ابنة الملك حردوب وأخبره أنها لاتدخل فى طاعته وقد قتله حبها ولم ينل منها شيئًا فلما سمع الوزير دندان ذلك قال للملك إذا جن الليل فخذ معك قطعة بنج مقدار مثقال وادخل عليها واشرب معها شيئًا من الخمر فإذا كان وقت الفراغ من الشرب والمنادمة فاعطها القدح الأخير واجعل فيه ذلك البنج واسقها إياه فإنها ماتصل إلى مرقدها إلا وقد تحكم عليها البنج فتبلغ غرضك منها وهذا ماعندى من الرأى فقال له الملك نعم ما أشرت به علىّ ثم إنه عمد إلى خزائنه وأخرج منها قطعة بنج مكرر لو شمه الفيل لرقد من السنة إلى السنة ثم إنه وضعها فى جيبه وصبر إلى أن مضى قليل من الليل ودخل على الملكة أبريزة فى قصرها فلما رأته نهضت إليها قائمة فأذن لها بالجلوس فجلست وجلس عندها وصار يتحدث معها فى أمر الشراب فقدمت سفرة الشراب وصفت له الأوانى وأوقدت الشموع وأمرت بإحضار النقل والفاكهة وكل مايحتاجان إليه وصار يشرب معها وينادمها إلى أن دب السكر فى رأس الملكة أبريزة فلما عم الملك عمرالنعمان ذلك أخرج قطعة البنج من يده وجعلها بين أصابعه وملأ كأسًا بيده وشربه وملأ ثانيا وأسقط قطعة البنج من جيبه فيه وهى لاتشعر بذلك ثم قال لها خذى واشربى هذا فأخذته الملكة أبريزة وشربته فما كان إلا دون ساعة حتى تحكم البنج عليها وسلب إدراكها فقام إليها فوجدها ملقاة على ظهرها وقد كانت قلعت السراويل من رجليها ورفع الهواء ذيل قميصها عنها فلما دخل عليها الملك ورآها على تلك الحالة فما تمالك نفسه حتى قلع سراويله ووقع عليها وأزال بكارتها وقام من فوقها ودخل إلى جارية من جواريه يقال لها مرجانة وقال لها ادخلى على سيدتك وكلميها فدخلت الجارية على سيدتها فوجدت دمها يجرى على سيقانها وهى ملقاة على ظهرها فمدت يدها إلى منديل من مناديلها وأصلحت به شأن سيدتها ومسحت عنها ذلك الدم فلما أصبح الصباح تقدمت الجارية مرجانة وغسلت وجه سيدتها ويديها ورجليها ثم جاءت بماء الورد وغسلت وجهها وفمها فعند ذلك عطست الملكة أبريزة وتقايت ذلك البنج فنزلت القطعة من بطنها كالقرص ثم إنها غسلت فمها ويديها وقالت لمرجانة اعلميني بما كان من أمرى فأخبرتها أنها رأتها ملقاة على ظهرها ودمها سائل على فخديها

فعرفت أن الملك عمر النعمان قد وقع بها وواصلها وتمت حيلته عليها فاغتمت لذلك غمًا شديدًا وحجبت نفسها وقالت لجواريها امنعوا كل من أراد أن يدخل على وقولوا له إنها ضعيفة حتى أنظر ماذا يفعل الله بى فعند ذلك وصل الخبر إلى الملك عمر النعمان بأن الملكة أبريزة ضعيفة فصار يرسل إليها الأشربة والسكر والمعاجين وأقامت على ذلك شهوراً وهى محجوبة ثم إن الملك قد بردت ناره وانطفأ شوقه إليها وصبر عنها وكان قد علقت منه فلما مرت عليها أشهر وظهر الحمل وكبرت بطنها ضاقت بها الدنيا فقالت لجاريتها مرجانة اعلمى أن القوم ما ظلمونى وإنما أنا الجانية على نفسى حيث إنى تركت أبى وأمى ومملكتى وأنا قد كرهت الحياة وضعفت همتى ولم يبق عندى من الهمة ولا من القوة شيء وكنت إذا ركبت جوادى أقدرعليه وأنا الآن لا أقدر على الركوب ومتى ولدت عندهم صرت معيرة عند الجوارى وكل من فى القصر يعلم أنه أزال بكارتى سفاحًا وإذا رجعت لأبى بأى وجه ألقاه وبأى وجه إرجع إليه وما أحسن قول الشاعر :

بم التعلل من أهلى ولاوطنى ولانديم ولاكأس ولاسكن

فقالت لها مرجانة : الأمر أمرك وأنا فى طوعك فقالت وأنا اليوم أريد أن أخرج سرًا بحيث لا أحد يعلم بى غيرك وأسافر إلى أبى وأمى ، فإن اللحم إذا نتن ما له إلا أهله والله يفعل بى مايريد فقالت لها نعم ما تفعلين أيتها الملكة ثم إنها جهزت أحوالها وكتمت سرها وصبرت أيامًا حتى خرج الملك للصيد والقنص وخرج ولده شركان إلى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فأقبلت أبريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها أريد أن أسافر هذه الليلة ولكن كيف أصنع فى المقادير وقد قرب أوان الطلق والولادة وإن قعدت خمسة أيامًا وأربعة وضعت هنا ولم أقدر أن أروح بلادى وهذا كان مكتوبًا على جبينى ومقدرًا علىّ فى الغيب ثم تفكرت ساعة وبعد ذلك قالت لمرجانة انظرى لنا رجلا يسافر معنا ويخدمنا فى الطريق فإنه ليس لى قوة على حمل السلاح فقالت مرجانة والله ياسيدتى ما أعرف غير عبد أسود اسمه الغضبان وهو من عبيد الملك عمر النعمان وهو شجاع ملازم لباب قصرنا فإن الملك أمره أن يخدمنا وقد غمرناه بإحساننا



فها أنا أخرج إليه وأكلمه فى شأن هذا الأمر وأعده بشىء من المال وأقول له إذا أردت المقام عندنا أزوجك بمن شئت وكان قد ذكر لى قبل اليوم أنه كان يقطع الطريق إن هو وافقنا بلغنا مرادنا ووصلنا إلى بلادنا فقالت لها هاتيه عندى حتى أحدثه فخرجت له مرجانة وقالت ياغضبان قد أسعدك الله إن قبلت من سيدتك ما تقوله لك من الكلام ثم أخذت بيده وأقبلت به على سيدتها فلما رآها قبل الآرض بين يديها فحين رأته نفر قلبها منه لكنها قالت فى نفسها إن الضرورة لها أحكام وأقبلت عليه تحدثه وقلبها نافر منه وقالت له ياغضبان هل فيك مساعدة لنا على غدرات الزمان وإذا أظهرتك على أمرى تكون كاتمًا له فلما نظرالعبد إليها ورأى حسنها ملكت قلبه وعشقها لوقته وقال لها ياسيدتى إن أمرتينى بشىء لا أخرج عنه فقالت له أريد منك فى هذه الساعة أن تأخذنى وتأخذ جاريتى هذه وتشد لنا راحلتين وفرسين من خيل الملك وتضع على كل فرس خرجًا من المال وشيئًا من الزاد فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحًا شديدًا وقال ياسيدتى إنى أخدمكما بعيونى وأمضى معكما وأشد لكما الخيل ثم مضى وهو فرحان وقال فى نفسه قد بلغت ما أريد منهما وإن لم يطاوعانى قتلتهما وأخذت ما معهما من المال وأضمر ذلك فى سره ثم مضى وعاد معه راحلتان وثلاثة من الخيل وهو راكب إحداها وأقبل على الملكة أبريزة وقدم إليها فرسا فركبتها وهى متوجعة من الطلق ولاتملك نفسها من كثرة الوجع وركبت مرجانة فرسًا ثم سافر بهما ليلا ونهارًا حتى وصلوا بين الجبال وبقى بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فقالت للغضبان أنزلنى فقد لحقنى الطلق وقالت لمرجانة انزلى واقعدى تحتى وولدينى فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق رأسها ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة أبريزة من فوق فرسها وهى غائبة عن الدنيا من شدة الطلق وحين رآها الغضبان نزلت على الأرض وقف الشيطان فى وجهه فشهر حسامه فى وجهها وقال ياسيدتى ارحمينى بوصلك فلما سمعت مقالته فالتفتت إليه وقالت له مابقى إلا العبيد السود بعدما كنت لا أرضى بالملوك الصناديد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٦٩)

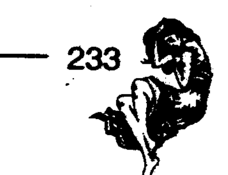
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة أبريزة لما قالت للعبد العبد ، هو الغضبان مابقى إلا العبيد السود ثم صارت تبكته وأظهرت له الغيظ وقالت له ويلك ماهذا الكلام الذى تقوله لى فلا تتكلم بشيء من هذا فى حضرتى واعلم أننى لا أرضى بشيء مما قلته لو سقيت كأس الردى ولكن اصبرحتى أصلح الجنين وأصلح شأنى وأرمى الخلاص ثم بعد ذلك إن قدرت على فافعل بى ماتريد وإن لم تترك فاحش الكلام فى هذا الوقت فإنى اقتل نفسى بيدى وأرتاح من هذا كله ثم أنشدت هذه الأبيات :

أيا غضبان دعنى قد كفانى	مكايد الحوادث والزمان
عن الفحشاء ربى قد نهانى	وقال النار مثوى من عصانى
وإنى لا أميل بفعل سوء	بعين النقص دعنى لا ترانى
ولم تترك الفحشاء عنى	وترعى حرمتى فيمن رعانى
لأصرخ طاقتى لرجال قومى	وأجلب كل قاصيها ودانى
ولو قطعت بالسيف اليمانى	لما خليت فحاشا يرانى
من الأحرار والكبراء طرا	فكيف العبد من نسل الزوانى

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضبًا شديدًا واحمرت مقلته واغبرت سحنته وانتفخت مناخره وامتدت مشافره وزادت به النفرات وأنشد هذه الأبيات :

أيا ابريزة لا تتركينى	قتيل هواك باللحظ اليمانى
فقلبى قد تقطع من جفاكى	وجسمى ناحل والصبر فانى
ولفظك قد سبى الألباب سحرا	فعقلى نازح والشوق دانى
ولو جلبت ملء الأرض جيشا	لابلغ ماء ربى فى ذا الزمان

فلما سمعت أبريزة كلامه بكت بكاء شديدًا وقالت ويلك ياغضبان وهل بلغ من قدرك أن تخاطبنى بهذا الخطاب ياولد الزنا وتربية الخنا أتحسب أن الناس كلهم سواء فلما سمع ذلك العبد النحس هذا الكلام غضب منها غضبًا شديدًا وتقدم إليها وضربها بالسيف فقتلها هذا



ماكان من أمر الغضبان (وأما) ما كان من الملكة أبريزة فإنها صارت طريحة على الأرض وكان الولد الذى ولدته ذكرا فحملته مرجانة فى حجرها وصرخت صرخة عظيمة وشقت أثوابها وقالت واخيبتاه كيف قتل سيدتى عبد أسود لا قيمة له بعد فروسيتها فبينما هى تبكى وإذا هى بغبار قد ثار حتى سد الأقطار ولما انكشف ذلك الغبار بان من تحته عسكر جرار وكانت العساكر عساكر ملك الروم والد الملكة أبريزة وسبب ذلك أنه لما سمع أن ابنته هربت هى وجواريها إلى بغداد وأنها عند الملك عمر النعمان خرج بمن معه يتشمم الأخبار من بعض المسافرين إن كانوا رأوها عند الملك عمر النعمان فخرج بمن معه ليسأل المسافرين من أين أتوا لعلة يعلم بخبر ابنته وكان على بعد هؤلاء الثلاثة ابنته والعبد الغضبان وجاريتها مرجانة فقصدهم ليسألهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه بسبب قتلها فنجا بنفسه فلما أقبلوا عليها رآها أبوها مرمية على الأرض وجاريتها تبكى عليها فرمى نفسه من فوق جواده ووقع فى الأرض مغشياً عليه فلما رأت مرجانة سيدها عرفته وزادت فى البكاء والنحيب فلما أفاق الملك من غشيته سألها عن الخبر فأخبرته بالقصة وقالت إن الذى قتل ابنتك عبد أسود من عبيد الملك عمر النعمان وأخبرته بما فعل الملك عمر النعمان بابنته فلما سمع حردوب ذلك الكلام أسودت الدنيا فى وجهه وبكى بكاء شديداً ثم أمر بإحضار محفة وحمل بنته فيها ومضى إلى القيسارية وأدخلوها القصر ثم إن الملك حردوب دخل على أمه ذات الدواهى وقال أهكذا يفعلون المسلمين ببنتى فإن الملك عمر النعمان أزال بكارتها قهراً وبعد ذلك قتلها عبد أسود من عبيده فوحق المسيح لابد من أخذ ثار ابنتى وكشف العار عن عرضى وإلا قتلت نفسى بيدى ثم بكى بكاء شديداً فقالت له أمه ذات الدواهى ما قتل ابنتك إلا مرجانة لأنها كانت تكرهها فى الباطن ثم قالت لولدها لاتحزن من أخذ ثارها فوحق المسيح لا أرجع عن الملك النعمان حتى أقتله وأقتل أولاده ولاعملن معه عملا تعجز عنه الدهاة والأبطال ويتحدث عنه المتحدثون فى جميع الأقطار فإن بعض الأعراب يقول إن أخذ الثار بعد أربعين عامًا مدته قليلة فأحضر بعض الجوارى وعلمهن ونحن إذا علمنا تلك الجوارى بلغنا من عدونا مانختار لأنه مغرم بحب الجوارى و عنده ثلثمائة وست وعشرون جارية وازددن مائة جارية من خواص جواريك التى كن

مع المرحومة فإذا تعلم الجوارى ما أخبرتك من العلوم فإنى آخذهم بعد ذلك وأسافر بهم فلما سمع الملك حردوب كلام أمه ذات الدواهى فرح فرحًا شديدًا وقبّل رأسها ثم أرسل من وقته وساعته المسافرين والقصاد إلى أطراف البلاد ليأتوا إليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا أمره وسافروا إلى بلاد بعيدة وأتوا بماطلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروا بين يديه أكرمهم غاية الإكرام وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل إذا فعلوا ما أمرهم به ثم أحضر لهم الجوارى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

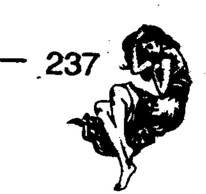
الليلة (٧٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العلماء والحكماء لما أحضروا عند الملك حردوب أكرمهم إكرامًا زائدًا وأحضروا الجوارى بين أيديهم وأوصاهم أن يعلموهن الحكمة والأدب فامتثلوا أمره هذا ما كان من أمر الملك حردوب ، وأما ما كان من أمر الملك عمر النعمان فإنه لما عاد من الصيد والقنص وطلع القصر طلب الملكة أبريزة فلم يجدها ولم يخبره أحد عنها فعظم عليه ذلك وقال كيف تخرج هذه الجارية من القصر ولم يعلم بها أحد فإن كان مملكتى على هذا الأمر فإنها ضائعة المصلحة ولاضابط لها فما بقيت أخرج إلى الصيد والقنص حتى أرسل إلى الأبواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره بفراق الملكة أبريزة فبينما هو كذلك وإذا بولده شركان قد أتى من سفر فاعلمه والده لذلك وأخبره أنها هربت وهو فى الصيد والقنص فاغتم شركان لذلك غما شديداً ثم إن الملك صار يتفقد أولاده كل يوم ويكرمهم وكان قد أحضر العلماء والحكماء ليعلموهم العلم ورتب لهم الرواتب فلما رأى شركان ذلك غضب غضبًا شديدًا وحسد إخوته على ذلك إلى أن ظهر أثر الغيظ فى وجهه ولم يزل متمرضًا حتى ضعف فقال له والده يومًا من الأيام مالى أراك تزداد ضعفًا فى جسمك واصفرار فى لونك فقال له شركان ياوالدى كلما رأيتك تقرب إخوتى وتحسن إليهم يحصل عندى حسد وأخاف أن يزيد بى الحسد فأقتلهم وتقتلنى أنت بسببهم إذا أنا قتلتهم فمرض جسمى وتغير لونى بسبب ذلك لكنّ أنا أشتهى من إحسانك أن تعطينى قلعة من القلاع حتى أقيم بها بقية عمرى فإن صاحب المثل يقول بعدى



عن حبيبى أجمل لى وأحسن عين لاتنظر وقلب لايحزن ثم أطرق برأسه إلى الأرض فلما سمع الملك عمر النعمان كلامه عرف سبب ما هو فيه من التغير فأخذ بخاطره وقال له ياولدى إنى أجيبك ماتريد وليس فى ملكى أكبر من قلعة دمشق فقد ملكتك لها من هذا الوقت ثم أحضر الموقعين فى الوقت والساعة وأمرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام فكتبوا له ذلك وجهزوه وأخذ الوزير دندان معه وأوصاه بالمملكة والسياسة وقلده أموره ثم ودعه والده هذا ما كان من أمر شركان (وأما) ما كان من أمر والده عمر النعمان فإنه بعد سفر ولده شركان أقبل عليه الحكماء وقالوا يامولانا إن أولادك تعلموا الحكمة والأدب فعند ذلك فرح الملك عمر النعمان فرحًا شديداً وأنعم على جميع الحكماء حيث رأى ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل وصار له من العمر أربع عشرة سنة مشتغلا بالدين والعبادة محبًا للفقراء وأهل العلم والقرآن وصار أهل بغداد يحبونه نساء ورجالاً إلى أن طاف ببغداد محمل العراق من أهل الحج وزيارة قبر النبى ﷺ فلما رأى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق إلى الحج فدخل على والده وقال له إنى أتيت إليك لأستأذنك فى أن أحج فمنعه من ذلك وقال له اصبر إلى العام القابل وأنا أتوجه إلى الحج وآخذك معى فلما رأى الأمر يطول عليه دخل على أخته نزهة الزمان فوجدها قائمة تصلى فلما قضت الصلاة قال لها إنى قتلنى الشوق إلى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام واستأذنت والدى فمنعنى من ذلك فالمقصود أن أخذ شيئًا من المال وأخرج إلى الحج ولا أعلم أبى بذلك فقالت له أخته بالله عليك أن تأخذنى معك ولاتحرمنى من زيارة قبر النبى ﷺ فقال لها إذا جن الظلام فاخرجى من هذا المكان ولا تعلمى أحداً بذلك فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان وأخذت شيئًا من المال ولبست لباس الرجال وكانت قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان ومشت متوجهة إلى باب القصر فوجدت أخاها ضوء المكان قد جهز الجمال فركب وأركبها وسار ليلا واختلط بالحجيج ومشيا إلى أن صار فى وسط الحجاج العراقيين ومازالا سائرين وكتب الله لهما السلامة حتى دخل مكة المشرفة ووقفا بعرفات وقضيا مناسك الحج ثم توجها إلى زيارة قبر النبى ﷺ فزاره وبعد ذلك أراد الرجوع مع الحجاج إلى بلادهما فقال ضوء المكان لأخته يا أختى أريد أن أزور بيت

المقدس والخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقالت له وأنا كذلك واتفقا على ذلك ثم خرجا واكترى له ولها مع المقادسة وجهزا حالهما وتوجها مع الركب فحصل لأخته فى تلك الليلة حمى باردة فتشوشت ثم شفيت وتشوش الآخر فصارت تلاطفه فى ضعفه ولم يزالا سائرين إلى أن دخلا بيت المقدس واشتد به الضعف وهى تخدمه وتنفق عليه وعلى نفسها حتى فرغ ما معها من المال وافتقرت ولم يبق معها دينار ولا درهم فأرسلت صبى الخان إلى السوق بشىء من قماشها فباعه وأنفقته على أخيها ثم باعت شيئًا آخر ولم تزل تبيع من متاعها شيئًا فشيئًا حتى لم يبق لها غير حصيرة مقطعة فبكت ، وقالت لله الأمر من قبل ومن بعد ثم قال لها أخوها يا أختاه أنى أحسست بالعافية وفى خاطرى شىء من اللحم المشوى فقالت له أخته والله يا أخى إنى مالى وجه للسؤال ولكن غدا أدخل بيت أحد الأكابر وأخدم وأعمل بشىء تقتات به أنا وأنت ثم تفكرت ساعة وقالت إنى لايهون على فراقك وأنت فى هذه الحالة ولكن لابد من طلب المعاش قهرًا عنى فقال لها أخوها بعد العز تصبحين ذليلة فلاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم بكى وبكت ساعة ثم بعد ذلك قامت نزهة الزمان وغطت رأسها بقطعة عباءة من ثياب الجمالين كان صاحبها نسيها عندها وقبلت رأس أخيها وغطته وخرجت من عنده وهى تبكى ولاتعلم أين تمضى ومازال أخوها ينتظرها إلى قرب وقت العشاء ولم تأت فمكث بعد ذلك وهو ينتظرها إلى أن طلع النهار فلم تعد إليه ولم يزل على هذه الحالة يومين فعظم ذلك عنده وارتجف قلبه واشتد به الجوع فخرج من الحجرة وصاح على صبى الخان وقال له أريد أن تحملنى إلى السوق فحمله وألقاه فى السوق فاجتمع عليه أهل القدس وبكوا عليه لما رأوه على تلك الحالة وأشار لهم بطلب شىء يأكله فجاءوا له من التجار الذين فى السوق ببعض دراهم واشتروا له شيئًا وأطعموه إياه ثم حملوه ووضعوه على دكان وفرشوا له قطعة برش ووضعوا عند رأسه ابريقا فلما أقبل الليل انصرف عنه كل الناس وهم حاملون همه فلما كان نصف الليل تذكر أخته فازداد به الضعف وامتنع من الأكل والشرب وغاب عن الوجود فقام أهل السوق وأخذوا له من التجار ثلاثين درهمًا واكتروا له جملا وقالوا للجمال احمل هذا وأوصله إلى دمشق وأدخله المارستان لعله أن يبرأ فقال على الرأس ، ثم قال فى نفسه كيف أمضى بهذا المريض وهو مشرف



على الموت ثم خرج به إلى مكان واختفى به إلى الليل ثم ألقاه على مزبلة مستوقد حمام ثم مضى إلى حال سبيله فلما أصبح الصباح طلع وقاد الحمام إلى شغله فوجده ملقى على ظهره فقال فى نفسه لأى شىء ما يرمون هذا الميت إلا هنا ورفسه برجله فتحرك فقال له الوقاد الواحد منكم يأكل القطعة الحشيش ويرمى نفسه فى أى موضع كان ثم نظر إلى وجهه فرآه لا نبات



(الوقاد عندما عثر على ضوء المكان وهو ملقى فى المزبلة)

بعارضيه وهو ذو بهاء وجمال فأخذته الرأفة عليه وعرف أنه مريض وغريب فقال لاحول ولاقوة إلا بالله إنى دخلت فى خطيئة هذا الصبى وقد أوصانى النبى ﷺ بإكرام الغريب لاسيما إذا كان الغريب مريضًا ثم حمله وأتى به إلى منزله ودخل به على زوجته وخرج الوقاد إلى السوق وأتى له بشىء من ماء الورد والسكر ورش على وجهه وسقاه السكر وأخرج له قميصًا نظيفًا وألبسه إياه فشم نسيم الصحة وتوجهت إليه العافية واتكأ على المخدة ففرح الوقاد بذلك وقال الحمد الله على عافية هذا الصبى اللهم إنى أسألك بسرك المكنون أن تجعل سلامة هذا الشاب على يدى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ومازال الوقاد يتعهده ثلاثة أيام وهو يسقيه السكر وماء الخلاف وماء الورد ويتعطف عليه ويتلطف به حتى عادت الصحة فى جسمه وفتح عينيه فاتفق أن الوقاد دخل عليه فرآه جالسًا وعليه آثار العافية ففرح الوقاد هو وزوجته بعافية ضوء المكان وقال يا والدى هل لك أن تدخل معى الحمام قال نعم فمضى إلى السوق وأتى له بمكارى وأركبه حمارًا وجعل يسنده إلى أن وصل إلى الحمام ثم دخل معه الحمام وأجلسه فى داخله ومضى إلى السوق واشترى له سدرًا ودقاقًا وقال لضوء المكان ياسيدى بسم الله أغسل لك جسدك وأخذ الوقاد يحك لضوء المكان رجليه وأسرع يغسل له جسده بالسدر والدقاق وإذا ببلان قد أرسله معلم الحمام إلى ضوء المكان فوجد الوقاد يحك رجليه فتقدم إليه البلان وقال له هذا نقص فى حق المعلم فقال الوقاد والله إن المعلم غمرنا بإحسانه فشرع البلان يحلق رأس ضوء المكان ثم اغتسل هو والوقاد وبعد ذلك رجع به الوقاد إلى منزله وألبسه قميصًا وثوبًا من ثيابه وعمامة لطيفة وأعطاه حزامًا وكانت زوجة الوقاد قد ذبحت دجاجتين وطبختهما فلما طلع ضوء المكان وجلس على الفراش قام الوقاد وأذاب له السكر فى ماء الورد وسقاه ثم قدم له السفرة وصار الوقاد يفسخ له من ذلك الدجاج ويطعمه ويسقيه من المسلوقة إلى أن اكتفى



وغسل يديه وحمد الله على العافية ثم قال للوقاد أنت الذى من الله على بك وجعل سلامتى على يديك فقال الوقاد عنك هذا الكلام وقل لنا ماسبب مجيئك إلى هذه المدينة ومن أين أنت فإنى أرى على وجهك آثار النعمة فقال له ضوء المكان قل لى كيف وقعت بى حتى أخبرك بحديثى فقال الوقاد أما أنا فإنى وجدتك مرميًا على القمامة فى المستوقد حين لاح الفجر لما توجهت إلى أشغالى ولم أعرف من رماك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٧٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوقاد قال لم أعرف من رماك فأخذتك عندى وهذه حكايتى فقال ضوء المكان سبحان من يحيى العظام وهى رميم أنك يا أخى مافعلت الجميل إلا مع أهله وسوف تجنى ثمرة ذلك ثم قال للوقاد وأنا الآن فى أى البلاد فقال له الوقاد أنت فى مدينة القدس فعند ذلك تذكر ضوء المكان غربته وفراق أخته وبكى حيث باح بسره إلى الوقاد وحكى حكايته ثم أنشد هذه الأبيات :

لقد حملونى فى الهوى غير طاقتى ومـن أجلهم قامت علىّ قيامتـى
ألا فارفقوا يا هاجرين بمهجتى فقد رق لى من بعدكم كل شامت
ولاتمنعوا أن تسمحوا لى بنظرة تخفف أحوالى وفرط صبابتى
سألت فؤادى الصبر عنكم فقال لى إليك فإن الصبر من غير عادتى

ثم زاد بكاؤه فقال له الوقاد لاتبك واحمد الله على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كم بيننا وبين دمشق فقال ستة أيام فقال ضوء المكان هل لك أن ترسلنى إليها فقال له الوقاد ياسيدى كيف أدعك تروح لوحدك وأنت شاب صغير فإن شئت السفر إلى دمشق فأنا الذى أروح معك وإن أطاعتنى زوجتى وسافرت معى أقمت هناك فقالت له زوجته أسافر معكما فقال الوقاد الحمد الله على الموافقة ثم إن الوقاد قام وباع أمتعته وأمتعة زوجته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوقاد اتفق هو وزوجته على السفر مع ضوء المكان وعلى أنهما يمضيان معه إلى دمشق ثم إن الوقاد باع أمتعته وأمتعة زوجته ، ثم اكترى حمارًا وأركب ضوء المكان إياه وسافروا ولم يزالوا مسافرين ستة أيام إلى أن دخلوا دمشق فنزلوا هناك فى آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيئًا من الأكل والشرب على العادة ومازالوا على ذلك الحال خمسة أيام وبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد أيامًا قلائل وانتقلت إلى رحمة الله تعالى فعظم ذلك على ضوء المكان لأنه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه وحزن عليها الوقاد حزنًا شديدًا فالتفت ضوء المكان إلى الوقاد فوجده حزينًا فقال له لاتحزن فإننا كلنا داخلون فى هذا الباب فالتفت الوقاد إلى ضوء المكان وقال له جزاك الله خيرًا ياولدى فالله تعالى يعوض علينا بفضله ويزيل عنا الحزن فهل لك ياولدى أن تخرج بنا ونتفرج فى دمشق لينشرح خاطرك فقال له ضوء المكان الرأى رأيك فقام الوقاد ووضع يده فى يد ضوء المكان وسار إلى أن أتيا تحت اصطبل والى دمشق فوجدا جمالا محملة صناديق وفرشا وقماشًا من الديباج وغيره وجنائب مسرجة فسأل بعض الخدم عن ذلك فقال له المسئول هذه هدية من أمير دمشق يريد ارسالها إلى الملك عمر النعمان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وأنشد يقول :

إن شكونا البعاد ماذا نقول ... أو تلفنا شوقا فكيف السبيل

أو رأينا رسلا تترجم عنا ... ما يودى شكوى لمحب رسول

أو صبرنا فما من الصبر عندى ... بعد فقد الأحباب إلا قليل

وقال أيضًا :

رحلوا غائبين عن جفن عينى ... وهم فى الفؤاد منى حلول

غاب عنى جمالهم فحيانى ... ليس تحلوا والاشتياق يحول

إن قضى الله باجتماعى عليكم ... أذكر الوجد فى حديث يطول



فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد ياولدى نحن ماصدقنا أنك جاءتك العافية فطب نفسًا ولا تبك فإنى أخاف عليك من النكسة ومازال يلاطفه ويمازحه وضوء المكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لأخته ومملكته ويرسل العبرات ثم أنشد هذه الأبيات :

تزود من الدنيا فإنك راحل　　　وأيقن بأن الموت لاشك نازل
نعيمك فى الدنيا غرور وحسرة　　　وعيشك فى الدنيا محال وباطل
ألا إنما الدنيا كمنزل راكب　　　أناخ عشيا وهو فى الصبح راحل

ثم إن ضوء المكان جعل يبكى وينتحب على غربته وكذلك الوقاد صار يبكى على فراق زوجته ولكنه مازال يتلطف بضوء المكان إلى أن أصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كأنك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم ولا أستطيع أن أقيم هنا واستودعتك الله فإنى مسافر مع هؤلاء القوم وأمشى معهم قليلا قليلا حتى أصل إلى بلادى فقال له الوقاد وأنا معك فإنى لا أقدر أن أفارقك فإنى عملت معك حسنة وأريد أن أتمها بخدمتى لك فقال له ضوء المكان جزاك الله عنى خيراً . هذا ماكان من أمر ضوء المكان (وأما) ما كان من أمر أخته نزهة الزمان فإنها لما فارقت أخاها ضوء المكان خرجت من الخان الذى كانا فيه فى القدس بعد أن التفت بالعباءة لأجل أن تخدم أحداً و تشترى لأخيها ما اشتهاه من اللحم المشوى فصارت تتضرع إلى الله تعالى فى دفع البليات وأنشدت هذه الأبيات :

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم　　　والشوق حرك ماعندى من الألم
والحزن أقلقنى والشوق أحرقنى　　　والدمع باح بحب أى مكتتم
يامن يلوم على ما حل بى وجرى　　　إنى صبرت على ما خط بالقلم
أقسمت بالحب مالى سلوة أبدا　　　يمين أهل الهوى مبرورة القسم
ياليل بلغ رواة الحب عن خبرى　　　واشهد بعلمك أنى فيك لم أنم

ثم إن نزهة الزمان أخت ضوء المكان صارت تمشى وتلتفت يمينًا ويسارًا وإذا بشيخ مسافر من البدو ومعه خمسة أنفار من العرب قد التفت إلى نزهة الزمان فرآها جميلة وعلى رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال فى نفسه إن هذه جميلة ولكنها ذات قشف فإن كانت من

أهل المدينة أو كانت غريبة فلا بد لى منها ثم إنه تبعها قليلا قليلا حتى تعرض لها فى الطريق فى مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها وقال لها يابنية هل أنت حرة أم مملوكة؟ فلما سمعت كلامه نظرت إليه وقالت ياعم أنا بنت غريبة ولى أخ ضعيف فقال لها هل لك أن تمضى إلى بيتى فقالت أنا أمضى معك إلى بيتك بشرط أن أكون عندك بالنهار وبالليل أمضى إلى أخى فإن قبلت هذا الشرط مضيت معك لأنى غريبة وجئت أنا وأخى من بلاد الحجاز وأخاف أن أخى لايعرف لى مكاناً فلما سمع البدوى كلامها قال فى نفسه والله إنى فزت بمطلوبى ثم إن البدوى صار يحدثها فى الطريق إلى أن خرج من مدينة القدس واجتمع برفقته فوجدهم قد رحلوا الجمال فركب البدوى جملا وأردفها خلفه وساروا معظم الليل فعرفت نزهة الزمان أن كلام البدوى كان حيلة عليها وأنه مكر بها فصارت تبكى وتصرخ فى الطريق وهم قاصدين الجبال خوفًا أن يراهم أحد فلما صاروا قريب الفجر نزلوا عن الجمال وتقدم البدوى إلى نزهة الزمان وقال لها يا مدنية ما هذا البكاء والله إن لم تتركى البكاء ضربتك إلى أن تهلكى ياقطعة حضرية فلما سمعت نزهة الزمان كلامه كرهت الحياة وتمنت الموت فالتفتت إليه وقالت له ياشيخ السوء ياشيبة جهنم كيف استأمنتك وأنت تخوننى وتمكر بى فلما سمع البدوى كلامها قال لها ياقطعة حضرية ذلك لسان تجاوبيننى به وقام إليها ومعه سوط فضربها وقال لها إن لم تسكتى قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت أخاها وماهو فيه من الأمراض فبكت سرًا وفى ثانى يوم التفتت إلى البدوى وقالت له كيف تعمل على هذه الحيلة حين أتيت بى إلى هذه الجبال القفرة وما قصدك منى فلما سمع كلامها قسا قلبه وقال ياقطعة حضرية ألك لسان تجاوبيننى به وأخذ السوط ونزل به على ظهرها إلى أن أغشى عليها فانكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها بالضرب وصار يشتمها ويقول لها وحق طرطورى إن سمعتك تبكين قطعت لسانك ودسسته فى فرجك ياقطعة حضرية فعند ذلك سكتت ولم ترد جوابًا وآلمها الضرب فقعدت على قرافيصها وجعلت رأسها فى طوقها وصارت تتفكر فى حالها وفى حال أخيها وفى ذلها بعد العز وفى مرض أخيها ووحدته واغترابهما وأرسلت دموعها على الوجنات وأنشدت هذه الأبيات :

من عادة الدهر إدبار وإقبال ... فما يدوم له بين الورى حال
وكل شىء من الدنيا له أجل ... وتنقضى لجميع الناس آجال



كم أحمل الضيم والأهوال يا أسفى من عيشة كلهم ضيم وأهوال
لا أسعد الله أياماً عززت بها دهراً أوفى طى ذاك العز إذلال
قد خاب قصدى وآمالى بها انصرمت وقد تقطع بالتغريب أوصال
يا من يمر على دار فيها سكنى بلغه عنى أن الدمع هطال

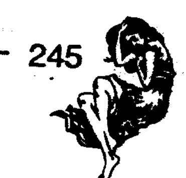
فلما سمع البدوى شعرها عطف عليها ورثى لها ورحمها وقام إليها ومسح دموعها وأعطاها قرصاً من شعير ثم إنها لما طال عليها الليل وأحرقها الجوع أكلت من ذلك القرص الشعير شيئاً يسيراً فلما انتصف الليل وأمر البدوى جماعته أن يسافروا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٤)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن البدوى لما أعطى نزهة الزمان القرص الشعير ووعدها أن يبيعها لرجل جيد مثله قالتله نعم ماتفعل فلما انتصف الليل وأحرقها الجوع وأكلت من القرص الشعير شيئاً يسيراً ثم إن البدوى أمر جماعته أن يسافروا فحملوا الجمال وركب البدوى جملا وأردف نزهة الزمان خلفه وساروا ومازالوا سائرين مدة ثلاثة أيام ثم دخلوا مدينة دمشق ونزلوا فى خان السلطان بجانب باب الملك وقد تغير لون نزهة الزمان من الحزن وتعب السفر فسارت تبكى من أجل ذلك فأقبل عليها البدوى وقال لها ياحضرية وحق طرطورى إن لم تتركى هذا البكاء لا أبيعك إلا ليهودى ثم إنه قام وأخذ بيدها وأدخلها فى مكان وتمشى إلى السوق ومر على التجار الذين يتجرون فى الجولرى وصار يكلمهم ثم قال لهم عندى جارية أتيت بها معى وأخوها ضعيف فأرسلته إلى أهلى فى مدينة القدس لأجل أن يداووه حتى يبرأ وقصدى أن أبيعها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوى وقال له اعلم ياشيخ العرب أنى أروح معك وأشترى منك الجارية التى تمدحها وتشكر عقلها وأدبها وحسنها وجمالها وأعطيك ثمنها وأشرط عليك شروطاً إن قبلتها نقدت لك ثمنها وإن لم تقبلها رددتها عليك فقال له البدوى إن شئت فاطلع بها إلى السلطان واشرط علىّ ماشئت من الشروط فإنك إذا أوصلتها إلى الملك شركان بن

الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان ربما تليق بعقله فيعطيك ثمنها ويكثر لك الربح فيها فقال له التاجر وأنا لى عند السلطان حاجة وهو أن يكتب إلى والده عمر النعمان بالوصية على فإن قبل الجارية منى وزنت لك ثمنها فقال له البدوى قبلت منك هذا الشرط ثم مشى الاثنان إلى أن أقبلا على المكان الذى فيه نزهة الزمان ووقف البدوى على باب الحجرة وناداها ياناحية وكان سماها بهذا الاسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فالتفت البدوى إلى التاجر وقال هاهى قاعدة دونك فأقبل عليها وانظرها ولاطفها مثل ما أوصيتك فتقدم التاجر إليها فرآها بديعة فى الحسن والجمال ولاسيما وكانت تعرف بلسان العرب فقال التاجر إن كانت كما وصفت لى فإنى أبلغ بها عند السلطان ما أريد ثم إن التاجر قال لها السلام عليك يابنية كيف حالك فالتفتت إليه وقالت كان ذلك فى الكتاب مسطوراً ونظرت إليه فإذا هو رجل ذو وقار ووجه حسن فقالت فى نفسها أظن أن هذا جاء يشترينى ثم قالت إن امتنعت عنه صرت عند هذا الظالم فيهلكنى من الضرب فعلى كل حال هذا رجل وجهه حسن وهو أرجى للخير من هذا البدوى الجلف ولعله ماجاء إلا ليسمع منطقى فأنا أجاوبه به جوابًا حسنًا كان ذلك وعينيها فى الأرض ثم رفعت بصرها إليه وقالت بكلام عذب وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ياسيدى بهذا أمر النبى ﷺ وأما سؤالك عن حالى فإن شئت أن تعرفه فلا تتمنه إلا لأعدائك ثم سكتت فلما سمع التاجر كلامها طار عقله فرحا بها والتفت إلى البدوى وقال له كم ثمنها فإنها جليلة فاغتاظ البدوى وقال له أفسدت على الجارية بهذا الكلام لأى شىء تقول إنها جليلة مع أنها من رعاع الناس فأنا لا أبيعها لك فلما سمع التاجر كلامه عرف أنه قليل العقل فقال له طب نفساً وقر عينا فأنا أشتريها على هذا العيب الذى ذكرته فقال البدوى وكم تدفع لى فيها قال له ياشيخ العرب ادفع لك فيها مائة دينار سالمة ليدك غير الضمان وقانون السلطان فلما سمع ذلك البدوى اغتاظ غيظًا شديداً وصرخ فى ذلك التاجر وقال له قم إلى حال سبيلك لو أعطيتنى مائة دينار فى هذه القطة العباءة التى عليها مابعتها لك فأنا لا أبيعها بل أخليها عندى ترعى الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالى يامنتنة أنا لا أبيعك ثم التفت إلى التاجر وقال له كنت أحسبك أهل معرفة وحق طرطورى إن لم تذهب عنى لاسمعتك مالا يرضيك قال له ياشيخ العرب طول بالك وقل لى مالها من القماش عندك فقال البدوى



وماتعمل فطاعة الجوارى بهذه القماش والله إن هذه العباءة التى هى ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن إذنك اكشف عن وجهها واقلبها كما يقلب الناس الجوارى ثم إن التاجر تقدم إليها وهو خجلان من حسنها وجمالها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن التاجر تقدم إلى نزهة الزمان وهو خجلان من حسنها وجلس إلى جانبها وقال لها ياسيدتى ما اسمك فقالت له تسألنى عن اسمى فى هذا الزمان أو عن اسمى القديم فقال لها هل لك اسم جديد واسم قديم قالت نعم اسمى القديم نزهة الزمان واسمى الجديد غصة الزمان فلما سمع التاجر منها هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك أخ ضعيف فقالت أى والله ياسيدى ولكن فرق الزمان بينى وبينه ولا أعلم ماوقع له وتذكرت ماجرى لها من هذا الأمر مع البدوى ومن بعدها عن أمها وأبيها ومملكتها فجرت دموعها على خدها وأرسلت العبرات وأنشدت هذه الأبيات :

حيثما قد وفاك إلهى | أيها الراحل المقيم بقلبى
ولك الله حيث أمسيت جار | حافظ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لقربك عينى | واستهلت مدامعى أى سكب
ليت شعرى بأى ربع وأربع | أنت مستوطن بدار وشعب
إن يكن شاربًا لماء حياة | حضر الورد فالمدامع شربى
أو شهدت الرقاد يومًا فجمر | من سهاد بين الفراش وجنبى
كل شىء إلا فراقك سهل | عند قلبى وغيره غير صعب

فلما سمع التاجر ما قالته من الشعر بكى ومد يده ليمسح دموعها عن خدها فغططت وجهها وقالت له حاشاك ياسيدى ثم إن البدوى قعد ينظر إليها وهى تغطى وجهها من التاجر حيث أراد أن يمسح دموعها عن خدها فاعتقد أنها تمنعه من التقليب فقام إليها يجرى وكان

معه مقود جمل فرفعه فى يده وضربها به على أكتافها فجاءت الضربة بقوة فانكبت بوجهها على الأرض فجاءت حصاة من الأرض فى حاجبها فشقته فسال دمها على وجهها فصرخت صرخة عظيمة وغشى عليها وبكت وبكى التاجر معها فقال التاجر لابد أن أشترى هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا وأريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوى وهى فى غشيتها فلما أفاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها إلى السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وأنشدت هذين البيتين :

وارحمة لعزيزة ... بالضيم قد صارت ذليله

تبكى بدمع هاطل ... وتقول مافى الوعد حيله

فلما فرغت من شعرها التفتت إلى التاجر وقالت له بصوت خفى بالله لاتدعنى عند هذا الظالم الذى لايعرف الله تعالى فإن بت هذه الليلة عنده قتلت نفسى بيدى فخلصنى منه يخلصك الله مما تخاف فى الدنيا والآخرة فقام التاجر وقال للبدوى ياشيخ العرب هذه البنت بعنى إياها بما تريد فقال البدوى تكلم فقال بألف دينار فقال البدوى بعتك إياها بهذا الثمن وأقدر أننى أشتريت بها ملحا هذا ماكان من أمره (وأما) ما كان من أمر التاجر ونزهة الزمان فإنه لما أخذها ألقى عليها شيئا من ثيابه ومضى بها إلى منزله . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن التاجر لم تسلم الجارية من البدوى وضع عليها شيئًا من ثيابه ومضى بها إلى منزله وألبسها أفخر الملبوس ثم أخذها ونزل بها إلى السوق وأخذ لها مصاغًا ووضعه فى بقجة من الأطلس ووضعها بين يديها وقال لها هذا كله من أجلك ولا أريد منك إلا إذا طلعت بك إلى السلطان والى دمشق أن تعلميه بالثمن الذى اشتريتك به وإن كان قليلا فى ظفرك وإذا اشتراك منى فاذكرى له مافعلت معك واطلبى لى منه مرقومًا سلطانيًا بالوصية على لاذهب به إلى والده صاحب بغداد الملك عمر النعمان فلما سمعت كلامه بكت وانتحبت



فقال لها التاجر ياسيدتى إنى أراك كلما ذكرت لك بغداد تدمع عيناك ألك فيها أحد تحبينه فإن كان تاجرًا أو غيره فأخبرينى فإنى أعرف جميع ما فيها من التجار وغيرهم وإن أردت رسالة أنا أوصلها إليها فقالت والله مالى معرفة بتاجر ولا غيره وإنما لى معرفة بالملك عمر النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلامها فرح فرحًا شديدًا وقال فى نفسه والله إنى وصلت إلى ما أريد ثم قال لها أنت عرضت عليه سابقًا فقالت لا بل تربيت أنا وبنته فكنت عزيزة عنده ولى عنده حرمة كبيرة فإن كان غرضك أن الملك عمر النعمان يبلغك ماتريد فأئتنى بدواة وقرطاس فإنى أكتب لك كتابًا فإذا دخلت مدينة بغداد فسلم الكتاب من يدك إلى يد الملك عمر النعمان وقل له إن جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروف الليالى والأيام حتى بيعت من مكان إلى مكان وهى تقرئك السلام وإذا سألك عنى فأخبره أنى عند نائب دمشق فتعجب التاجر من فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما أظن إلا أن الرجال لعبوا بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم وأعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول بقراط لجالينوس الحكيم فلما سمع التاجر منها هذا الكلام صاح بخ بخ فياسعيد من تكونين فى قصره ثم أتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أحضر التاجر ذلك بين يديها وقبل الأرض تعظيمًا فأخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت فى الدرج هذه الأبيات :

ما بال نومى من عينى قد نفرا	أأنت علمت طرفى بعدك السهرا
وما لذكرك يذكى النار فى كبدى	أهكذا كل صب للهوى ذكرا
سقا الأيام ما كان أطيبها	مضت ولم أقض من لذاتها وطرا
أستعطف الريح أن الريح حاملة	إلى المتيم من أكنافكم خبرا
يشكو إليك محب قل ناصره	وللفراق خطوب تصدع الحجرا

ثم إنها لما فرغت من كتابة هذا الشعر كتبت بعده هذا الكلام وهى تقول من استولى عليها الفكر وأنحلها السهر فظلمتها لاتجد لها من أنوار ولاتعلم الليل من النهار ثم أفاضت دموع العين وكتبت أيضًا هذين البيتين :

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدنى	وفرق الهجر بين الجفن والوسن
كفى بجسمى نحولا أننى دنف	لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

وبعد ذلك كتبت فى أسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الأهل والأوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم طوت الدرج وناولته للتاجر فأخذه وقبله وعرف مافيه ففرح وقال سبحان من صورك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان كتبت الكتاب وناولته للتاجر فأخذه وقرأه وعلم مافيه فقال سبحان من صورك وزاد فى إكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلما جاء الليل خرج إلى السوق وأتى بشىء فأطعمها إياه ثم دخل الحمام وأتى لها ببلانة وقال لها إذا فرغت من غسل رأسها فألبسيها ثيابها ثم أرسلى أعلمينى بذلك فقالت سمعا وطاعة ثم أحضر لها طعامًا وفاكهة وشمعًا وجعل ذلك على مصطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها ألبستها ثيابها ولما خرجت من الحمام وجلست على مصطبة الحمام وجدت المائدة فأكلت هى والبلانة من الطعام والفاكهة وتركت الباقى لحارسة الحمام ثم أمرها التاجر أن تتزين بأحسن الزينة ومشت ومشى التاجر قدامها فلما عاينها الناس بهتوا فى حسنها وقالوا تبارك الله أحسن الخالقين هنيئًا لمن كانت هذه عنده ومازال التاجر يمشى وهى تمشى خلفه حتى دخل على الملك شركان فلما دخل على الملك قبل الأرض بين يديه وقال أيها الملك السعيد أتيت لك بهدية غريبة الأوصاف عديمة النظير فى هذا الزمان قد جمعت بين الحسن والإحسان فقال له الملك قصدى أن أراها عيانا فخرج التاجر وأتى بها حتى أوقفها قدامه فلما رآها الملك شركان حن الدم إلى الدم وكانت قد فارقته وهى صغيرة ولم ينظرها لأنه بعد مضى مدة من ولادتها سمع أن أختًا تسمى نزهة الزمان وأخاها يسمى ضوء المكان فاغتاظ من أبيه غيظًا شديدًا غيرة على المملكة كما تقدم ولما قدمها إليه التاجر قال له يا ملك الزمان إنها مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لانظير لها فى عصرها تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية والسياسية والرياضية فقال له الملك خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها وتوجه إلى حال سبيلك فقال له

التاجر سمعًا وطاعة ولكن اكتب لى مرقومًا لأنى لا أدفع عشراً أبدا على تجارتى فقال الملك إنى أفعل لك ذلك ثم دعا بخازنداره وقال له اعط هذا التاجر ثلثمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ثم إن شركان أحضر القضاة الأربعة وقال لهم أشهدكم أنى أعتقت جاريتى هذه وأريد أن أتزوجها فكتب القضاة حجة بإعتاقها ثم كتبوا كتابى عليها ونثر المسك على رؤوس الحاضرين ذهبًا كثيراً وصار الخدم والغلمان يلتقطون مانثره عليهم الملك من الذهب ثم إن الملك أمر بكتابة منشور إلى التاجر على طبق مراده من أنه لايدفع على تجارته عشراً ولا يتعرض له أحد بسوء فى سائر مملكته وبعد ذلك أمر بخلعة سنية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٧٨)

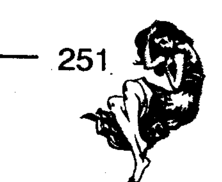
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك صرف جميع من عنده غير القضاة والتاجر وقال للقضاة أريد أن تسمعوا من ألفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وأدبها من كل ما ادعاه التاجر لنتحقق صدق كلامه فقالوا لابأس من ذلك فأمر بإرخاء ستارة بينه هو ومن معه وبين الجارية ومن معها وصار جميع النساء اللاتى مع الجارية خلف الستارة يقبلن يديها ورجليها لما علموا أنها صارت زوجة الملك ثم درن حولها وقمن يخدمنها وخففن ماعليها من الثياب وصرن ينظرن حسنها وجمالها وسمعت نساء الأمراء والوزراء أن الملك شركان اشترى جارى لامثيل لها فى الجمال والعلم والأدب وأنها حوت جميع العلوم وقد وزن ثمنها ثلثمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها وأحضر القضاة الأربعة بعد لأجل امتحانها حتى ينظر كيف تجاوبهم عن أسئلتهم فطلب النساء الإذن من أزواجهن ومضين إلى القصر الذى فيه نزهة الزمان فلما دخلن عليها وجدن الخدم وقوفًا بين يديها وحين رأت نساء الأمراء والوزراء داخلة عليها قامت إليهن وقابلتهن وقامت الجوارى خلفها وتلقت النساء بالترحيب وصارت تتبسم فى وجوههن فأخذت قلوبهن وأنزلتهن فى مراتبهن كأنها تربت معهن فتعجبن من حسنها وجمالها وعقلها وأدبها وقلن لبعضهن ماهذه جارية بل هى ملكة بنت ملك وصرن يعظمن قدرها وقلن لها ياسيدتنا أضاءت بك بلدتنا وشرفت بلادنا ومملكتنا فالمملكة مملكتك والقصر قصرك وكلنا

جواريك فبالله لاتخلينا من إحسانك والنظر إلى حسنك فشكرتهن على ذلك ، هذا كله والستارة مرخاة بين نزهة الزمان ومن عندها من النساء وبين الملك شركان هو والقضاة الأربعة والتاجر ثم بعد ذلك ناداها الملك شركان وقال لها أيتها الجارية العزيزة فى زمانها إن هذا التاجر قد وصفك بالعلم والأدب وادعى أنك تعرفين فى جميع العلوم حتى علم النحو فأسمعينا من كل باب طرفًا يسيراً فلما سمعت كلامه قالت سمعًا وطاعة أيها الملك : الباب الأول فى السياسات الملكية ومابنبغى لولاة الأمور الشرعية ومايلزمهم من قبل الأخلاق المرضية واعلم أيها الملك أنه على قدر حسن أخلاق السلطان يكون الزمان فإنه قد قال رسول الله ﷺ شيئان فى الناس إن صلحا صلح الناس وإن فسدا فسدا الناس العلماء والأمراء وقد قال بعض الحكماء الملوك الثلاثة : ملك ودين ، وملك محافظة على الحرمات ، وملك هوى ؛ فأما ملك الدين فإنه يلزم رعيته باتباع دينهم وينبغى أن يكون أدينهم لأنه هو الذى يقتدى به فى أمور الدين ويلزم الناس طاعته فيما أمر به موافقا للأحكام الشرعية ولكنه ينزل السخط منزلة الراضى بسبب التسليم إلى الأقدار ، وأما ملك المحافظة على الحرمات فإنه يقوم بأمور الدين والدنيا ويلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروءة ويكون جامعا بين العلم والسيف فمن زاغ عما سطر القلم زلت به القدم فيقوم اعوجاجه بحد الحسام وينشر العدل فى جميع الأنام ، وأما ملك الهوى فلا دين له إلا اتباع هواه ولم يخش سطوة مولاه الذى ولاه فمآل ملكه إلى الدمار ونهاية عتوه إلى دار البوار ، وقالت الحكماء : الملك يحتاج إلى كثير من الناس وهم محتاجون إلى واحد ولأجل ذلك وجب أن يكون عارفًا باختلافهم ليرد اختلافهم إلى أوفاتهم ويعمهم بعد له ويغمرهم بفضله وكتب كسرى لابنه وهو فى جيشه لاتوسعن على جيشك فيستغنوا عنك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنها قالت إن كسرى كتب لابنه وهو فى جيشه لاتوسعن على جيشك فيستغنوا عنك ولاتضيق عليهم فيضجروا منك واعطهم عطاء مقتصد وامنحهم



منحا جميلا ووسع عليهم فى الرخاء ولا تضيق عليهم فى الشدة ، وقال على رضى الله عنه اتقوا أشرار الناس وكونوا منهم على حذر ولا تشاوروهم فى أمر ولا تضيقوا عليهم فى معروف حتى لايطمعوا فى المكر ، وقال من ترك الاقتصاد حار عقله ، وقال عمر رضى الله عنه : النساء ثلاثة امرأة مسلمة تقية ودود تعين بعلها على الدهر ولاتعين الدهر على بعلها ، وأخرى تزاد للولد لاتزيد على ذلك ، وأخرى يجعلها الله غلا فى عنق من يشاء ، والرجال أيضًا ثلاثة رجل عاقل إذا أقبل على رأيه ، وآخر أعقل منه وهو من إذا نزل به أمر لايعرف عاقبته فيأتى ذوى الرأى فينزل عن آرائهم ، وآخر حائر لايعلم شيئًا ولايطيع مرشدا والعدل لابد منه فى كل الأشياء حتى إن الجوارى يحتجن إلى العدل وضربوا لذلك مثلا قطاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فإنهم لو لم يتنصافوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيما يقسمونه لاختل نظامهم وبالجملة فسيد مكارم الأخلاق الكرم وما أحسن قول الشاعر :

ببذل وحلم ساد فى قومه الفتى   وكونك إياه عليك يسير

وقال آخر :

ففى الحلم إتقان وفى العفو هيبة   وفى الصدق منجاة لمن كان صادقًا
ومن يلتمس حسن الثناء بماله   يكن بالندى فى حلية المجد سابقا

ثم إن نزهة الزمان تكلمت فى سياسة الملوك حتى قال الحاضرون ما رأينا أحدًا تكلم فى باب السياسة مثل هذه الجارية فلعلها تسمعنا شيئًا من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ماقالوه وفهمته فقالت : وأما باب الأدب فإنه واسع المجال لأنه مجمع الكمال فقد اتفق أن بنى تميم وفدوا على معاوية ومعهم الأحنف بن قيس فدخل حاجب معاوية عليه ليستأذنه لهم فى الدخول فقال ياأمير المؤمنين إن أهل العراق يريدون الدخول عليك ليتحدثوا معك فاسمع حديثهم فقال معاوية انظر من بالباب فقال بنو تميم قال يدخلوا فدخلوا ومعهم الأحنف بن قيس فقال له معاوية اقرب منى يا أبا بحر بحيث اسمع كلامك ثم قال يا أبا بحر كيف رأيك لى قال أمير المؤمنين فرق الشعر وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة وأدم

السواك فإنه فيه اثنتين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنها قالت إن الأحنف بن قيس قال لمعاوية لما سأله وأدم السواك فإن فيه اثنتين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معاوية كيف رأيت لنفسك قال أوطئ قدمى على الأرض وأنقلهم على تمهل وأراعيها بعينى قال كيف رأيك إذا دخلت على نفر من قومك دون الأمراء قال أطرق حياء وابدا بالسلام وادع مالا يعنينى واقلل الكلام قال كيف رأيك إذا دخلت على نظرائك قال استمع لهم إذا قالوا ولا أجول عليهم إذا جالوا قال كيف رأيك إذا دخلت على أمرائك قال أسلم من غير إشارة وانتظر الإجابة فإن قربونى قربت وإن أبعدونى بعدت فقال معاوية أحسنت فى الجواب فقل حاجتك فقال حاجتى أن تتق الله فى الرعية وتعدل بينهم بالسوية ثم نهض قائمًا من مجلس معاوية فلما ولى قال معاوية لم يكن بالعراق إلا هذا لكفى ثم إن نزهة الزمان قالت وهذه النبذة ومن جملة الأدب واعلم أيها الملك أنه كان معيقب عاملا على بيت المال فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت واعلم أيها الملك أنه كان معيقب عاملا فى بيت المال فى خلاقة عمر بن الخطاب فاتفق أنه رأى ابن عمر يومًا فأعطاه درهمًا من بيت المال قال معيقب وبعد أن أعطيته الدرهم انصرفت إلى بيتى فبينما أن جالس وإذا برسول عمرجاءنى فذهبت معه وتوجهت إليه فإذا الدرهم فى يده وقال لى ويحك يامعيقب إنى قد وجدت فى نفسك شيئًا قلت وما ذلك يا أمير المؤمنين قال إنك تخاصم أمة محمد ﷺ فى



هذا الدرهم يوم القيامة ، وروى زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى أشرفنا على نار تضرم فقال يا أسلم إنى أحسب هؤلاء ركبًا ضر بهم البرد فانطلق بنا إليهم فخرجنا حتى أتينا لهم فإذا امرأة توقد نارًا تحت قدر ومعها صبيان يتضاغون فقال عمر السلام عليكم أصحاب الضوء وكره أن يقول أصحاب النار مابالكم قالت أضر بنا البرد والليل فما بال هؤلاء يتضاغون قالت من الجوع قال فما هذه القدرة قالت ماء أسكتهم به وإن عمر بن الخطاب ليسأله الله يوم القيامة قال وما يدرى عمر بحالهم قالت كيف يتولى أمور الناس ويغفل عنهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد قال أسلم فأقبل عمر على وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الصرف فأخرج عدلا فيه دقيق وإناء فيه شحم ثم قال حملنى هذا فقلت أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين فقال أتحمل عنى وزرى يوم القيامة فحملته إياه وخرجنا نهرول حتى ألقينا ذلك العدل عندها ثم أخرج من الدقيق شيئًا وجعل يقول للمرأة زددى إلى وكان ينفخ تحت القدر وكان ذا الحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ وأخذ مقدارًا من الشحم فرماه فيه ثم قال أطعميهم وأنا أبرد لهم ولم يزالوا كذلك حتى أكلوا وشبعوا وترك الباقى عندها ثم أقبل على وقال يا أسلم إنى رأيت الجوع أبكاهم فأحببت لا أنصرف حتى يتبين لى سبب الضوء الذى رأيته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت قيل إن عمر مر براع مملوك فابتاعه شاة فقال له إنها ليست لى فقال إنت القصد فاشتراه ثم اعتقه وقال اللهم كما رزقتنى العتق الأصغر

ارزقنى العتق الأكبر وقيل إن عمر بن الخطاب يطعم الحليب للخدم ويأكل اللبن ويكسوهم الغليظ ويلبس الخشن ويعطى الناس حقوقهم ويزيد فى عطائهم وأعطى رجلا أربعة آلاف درهم وزده ألفا فقيل أما تزيد ابنك كما زدت هذا قال أتيت والده يوم أحد وقال الحسن أتى عمر بمال كثير فأتته حفصة وقالت له يا أمير المؤمنين حق قرابتك فقال ياحفصة إنما أوصى الله بحق قرابتى من مالى وأما مال المسلمين فلا ياحفصة قد أرضيت قومك وأغضبت أباك فقامت تجر ذيلها وقال ابن عمر تضرعت إلى ربى سنة من السنين أن يرينى أبى حتى رأيته يمسح العرق عن جبينه فقلت له ماحالك ياوالدى فقال لولا رحمة ربى لهلك أبوك . قالت نزهة الزمان اسمع أيها الملك السعيد الفصل الثانى من الباب الثانى وهو باب الأدب والفضائل وماذكر فيه من أخبار التابعين والصالحين قيل لما حضرت عبدالله بن شداد الوفاة أحضر ولده محمد فأوصاه وقال له يابنى إنى لأرى داعى الموت قد دعانى فاتق ربك فى السر والعلانية واشكر الله على ما أنعم وأصدق فى الحديث فالشكر يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد فى الميعاد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٨٤)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عبدالله بن شداد صار يوصى ولده بأن التقوى خير زاد فى الميعاد كما قال بعضهم :

ولست أرى السعادة جمع مال   ولكـن التقى هـو السعيد
وتقـوى الله خير الـزاد حقـا   وعنـد الله تلقـى مـا تـريد

ثم قالت نزهة : الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثانى من الباب الأول قيل لها وماهى قالت لما ولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة جاء لأهل بيته فأخذ ما بأيديهم ووضعه فى بيت المال ففزعت بنو أمية إلى عمته فاطمة بنت مروان فأرسلت إليه قائلة إنه لابد من لقائك ثم أتته ليلا فأنزلها عن دابتها فلما أخذت مجلسها قال لها ياعمة أنت أولى بالكلام لأن الحاجة لك فأخبرينى عن مرادك فقالت ياأميرالمؤمنين أنت أولى بالكلام ورأيك يستكشف



مايخفى عن الإفهام فقال عمر بن عبدالعزيز إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين وعذاباً بالقوم آخرين ثم اختار له ماعنده فقبضه إليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٨٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبدالعزيز إن الله قد بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين وعذاباً لقوم آخرين ثم أختار له ماعنده فقبضه إليه وترك للناس نهراً يروى عطاشهم ثم قال أبوبكر خليفة بعده فأجرى النهر مجراه وعمل مايرضى الله ثم قام عمر بعد أبى بكر فعمل خيراً أعمال الأبرار واجتهد اجتهاداً مايقدر أحد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهراً ثم ولى معارية فاشتق منه يزيد وبنو مروان كعبد الله والوليد وسليمان حتى آل الأمر إلىّ فأحببت أن أرد النهر إلى ما كان عليه فقالت قد أردت كلامك ومذكراتك فقط فإن كنت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيئًا ورجعت إلى بنى أمية فقالت لهم ذوقوا عاقبة أمركم بتزويجكم إلى عمر بن الخطاب وقال بعض الثقات كنت أحلب الغنم فى خلافة عمر بن عبدالعزيز فمررت براع فرأيت مع غنمه ذئبًا أو ذئابًا فظننت أنها كلابها ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهذه الكلاب فقال إنها ليست كلابا بل هى ذئاب فقلت هل ذئاب فى غنم لم تضرها فقال إذا أصلح الرأس صلح الجسد ، وخطب عمر بن عبدالعزيز على منبر من طين فحمد الله وإثنى عليه ثم تكلم بثلاث كلمات فقال أيها الناس أصلحوا أسراركم لتصلح علانيتكم لإخوانكم وتكفوا أمر دنياكم واعلموا أن الرجل ليس بينه وبين آدم رجل حى فى الموتى مات عبدالملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده فقال له مسلمة يا أمير المؤمنين لو علمنا لك متكئًا لتقعد عليه قليلا فقال أخاف أن يكون فى عنقى منه إثم يوم القيامة ثم شهق شهقة فخر مغشيًا عليه فقالت فاطمة يا مريم يا مزاحم يا فلان انظرواه ذا الرجل فجاءت فاطمة تصب عليه الماء وتبكى حتى أفاق من غشيته فرآها تبكى فقال مايبكيك يافاطمة قالت يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا فتذكرت مصرعك بين يدى الله عز

وجل للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذاك الذى أبكانا فقال حسبك يافاطمة فلقد أبلغت ثم أراد القيام فنهض فسقط فضمته فاطمة إليها وقالت بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك كلنا ثم إن نزهة الزمان قالت لأخيها شركان وللقضاة الأربعة تتمة الفصل الثانى من الباب الأول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٨٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت لأخيها شركان وهى لم تعرفه بحضور القضاة الأربعة والتاجر تتمة الفصل الثانى من الباب الأول واتفق أنه كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أهل الموسم أما بعد فإنى أشهد الله فى الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الأكبر أنى أبرأ فى ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم أن أكون أمرت بذلك أو تعمدته أو يكون أمر من أموره بلغنى أو أحاط به علمى وأرجو أن يكون لذلك موضع من الغفران إلاّ أنه لا إذن منى بظلم أحد فإنى مسئول عن كل مظلوم إلا وأى عامل من عمالى زاغ عن الحق وعمل بلا كتاب ولا سنة فلا طاعة له عليكم حتى يرجع إلى الحق ، وقال رضى الله تعالى عنه ما أحب أن يخفف عنى الموت لأنه آخره يؤجر عليه المؤمن وقال بعض الثقات قدمت على أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز وهو خليفة فرأيت بين يديه اثنى عشر درهما فأمر بوضعها فى بيت المال قلت يا أمير المؤمنين إنك أفقرت أولادك وجعلتهم عيالا لا شىء لهم فلو أوصيت إليهم بشىء وإلى هو فقير من أهل بيتك فقال ادن منى فدنوت منه فقال أما قولك أفقرت أولادك فأوص إليهم أو إلى من هو فقير من أهل بيتك فغير سديد لأن الله خليفتى على أولادى وعلى من هو فقير من أهل بيتى وهو وكيل عليهم وهو ما بين رجلين إما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجًا وإما رجل معتكف على المعاصى فإنى لم أكن لأقويه على معصية الله ثم بعث إليهم وأحضرهم بين يديه وكانوا اثنى عشر ذكرًا فلما نظر إليهم ذرفت عيناه بالدموع ثم قال إن أباكم ما بين أمرين أما أن تستغنوا فيدخل أبوكم النار وأما أن تفتقروا فيدخل أبوكم الجنة ودخول أبيكم الجنة أحب إليه

من أن تستغنوا قوموا قد وكلت أمركم إلى الله وقال خالد بن صفوان أن صحبنى يوسف بن عمر إلى هشام بن عبدالملك فلما قدمت عليه وقد خرج بقرابته وخدمه فنزل فى أرض وضرب له خيامًا فلما أخذت الناس مجالسهم خرجت من ناحية البساط فنظرت إليه فلما صارت عينى فى عينه قلت له تمم الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وجعل ما قلدك من هذه الأمور رشداً ولا خالط سرورك أذى يا أمير المؤمنين إنى أجد لك نصيحة أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فاستوى جالسًا وكان متكئًا وقال هات ما عندك يا ابن صفوان فقلت يا أمير المؤمنين إن ملكًا من الملوك خرج قبلك فى عام قبل عامك هذا إلى هذه الأرض فقال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه وهل أعطى أحد مثل ما أعطيته وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والمعينين على الحق السالكين فى منهاجه فقال أيها الملك إنك سألت عن أمر عظيم أتاذن لى فى الجواب عنه قال نعم قال رأيت الذى أنت فيه لم يزل زائلاً فقال هو شىء زائل قال فما لى أراك قد أعجبت بشىء تكون فيه قليلا وتسأل عنه طويلا وتكون عند حسابه مرتهنا قال فأين المهرب وأين الطلب قال إن تقيم فى ملكك فتعمل بطاعة الله تعالى أو تلبس أطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك فإذا كان السحر فإنى قادم عليك قال خالد ابن صفوان ثم إن الرجل قرع عليه بابه عند السحر فرآه قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظيم موعظته فبكى هشام ابن عبدالملك بكاء كثيراً حتى بل لحيته وأمر بنزع ما عليه ولزم قصره فأتت الموالى والخدم إلى خالد ابن صفوان وقالوا أهكذا فعلت بأمير المؤمنين أفسدت لذته ونغصت حياته ثم إن نزهة الزمان قالت لشركان وكم فى هذا الباب من النصائح وأنى لاعجز عن الإتيان بجميع مافى الباب فى مجلس واحد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٨٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت لشركان وكم فى هذا الباب من النصائح وإنى لأعجز عن الإتيان لك بجميع مافى هذا الباب فى مجلس واحد ولكن على طول

الأيام يامالك الزمان يكون خيراً فقالت القضاة أيها الملك إن هذه الجارية أعجوبة الزمان ويتيمة العصر والأوان فإننا مارأينا ولاسمعنا بمثلها فى زمن من الأزمان ثم إنهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان إلى خدمه وقال لهم اشرعوا فى عمل العرش وهيئوا الطعام من جميع الألوان فامتثلوا أمره وهيئوا جميع الأطعمة وأمر نساء الأمراء والوزراء وأرباب الدولة لم ينصرفوا حتى يحضروا جلاء العروس فما جاء وقت العصر حتى مدوا السفرة مما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين وأكل جميع الناس حتى اكتفوا وكان الملك شركان قد دخل الحمام فلما خرج جلس على المنصة وجليت عليه العروس ثم خففوا عنها ثيابها وأوصوها بما توصى به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان وأخذ وجهها وعلقت منه فى تلك الليلة وأعلمته بذلك ففرح فرحًا شديداً وأمر الحكماء أن يكتبوا تاريخ الحمل فلما أصبح جلس على الكرسى وطلع له أرباب دولته وهنّؤوه وأحضر كاتب سره وأمره أن يكتب كتابًا لوالده عمر النعمان بأنه اشترى جارية ذات علم وأدب قد حوت فنون الحكمة وأنه لابد من إرسالها بغداد لتزور أخاه ضوء المكان وأخته نزهة الزمان وأنه أعتقها وكتب كتابه ودخل بها وحملت منه ثم ختم الكتاب وأرسله إلى أبيه بصحبة بريد فغاب ذلك البريد شهراً كاملا ثم رجع إليه بالجواب وناوله فأخذه وقرأه فإذا فيه البسملة هذا من عند الحائر الولهان الذى فقد الولدان وهجر الأوطان الملك عمر النعمان إلى ولده شركان اعلم أنه بعد مسيرك من عندى ضاق على المكان حتى لا أستطيع صبراً ولا أقدر أن أكتم سراً وسبب ذلك أننى ذهبت إلى الصيد والقنص وكان ضوء المكان قد طلب منى الذهاب إلى الحجاز فخفت عليه من نوائب الزمان ومنعته من السفر إلى العام الثانى أوالثالث فلما ذهبت إلى الصيد والقنص غبت شهراً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك عمر النعمان قال فى مكتوبه فلما ذهبت إلى الصيد والقنص غبت شهراً فلما أتيت وجدت أخاك وأختك أخذا شيئًا من المال وسافرا مع الحجاج خفية فلما علمت بذلك ضاق بى الفضا وقد انتظرت مجىء الحجاج لعلهما يجيئان



فلما جاء الحجاج سألت عنهما فلما يخبرنى أحد بخبرهما فلبست لأجلهما ثياب الحزن وأنا مرهوق الفؤاد عديم الرقاد دمع العين ثم أنشد هذين البيتين :

خيالهما عندى ليس بغائب جعلت له القلب أشرف موضع
ولولا رجاء لعود ماعشت ساعة ولا خيال الطيف لم أتهجع

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك أعرفك أنك لاتتهاون فى كشف الأخبار فإن هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على حزن أبيه وفرح لفقد أخته وأخيه وأخذ الكتاب ودخل به على زوجته نزهة الزمان ولم يعلم أنها أخته وهى لاتعلم أنه أخوها مع أنه يتردد عليها ليلا ونهاراً إلى أن كملت شهرها وجلست على كرسى الطلق فسهل الله عليها الولادة فولدت بنتاً فأرسلت تطلب شركان فلما رآته قالت له هذه بنتك فسمها ماتريد فإن عادة الناس أن يسموا أولادهم فى سابع يوم ولادتهم ثم انحنى شركان على بنته وقبلها فوجد فى عنقها خرزة معلقة من الثلاث خرزات التى جاءت بها الملكة إبريزة من بلاد الروم فلما عاين الخرزة معلقة فى عنق ابنته غاب عقله واشتد به الغيظ وحملق عينيه فى تلك الخرزة حتى عرفها حق المعرفة ثم نظر إلى نزهة الزمان وقال لها من أين جاءتك هذه الخرزة ياجارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت له أما تستحى وأنت تقول ياجارية وأنا ملكة بنت ملك والآن زال الكتمان واشتهر الأمر وبان أنا نزهة الزمان بنت الملك عمر النعمان فلما سمع شركان منها هذا الكلام لحقه الارتعاش وأطرق برأسه إلى الأرض . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان لما سمع هذا الكلام ارتجف قلبه واصفر لونه ولحقه الارتعاش وأطرق برأسه إلى الأرض وعرف أنها أخته من أبيه فغاب عن الدنيا وقال فى نفسه كيف أتزوج بأختى لكن إنما أزوجها لواحد من حجابى وإذا ظهر أمر أدعى أننى طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يا نزهة الزمان أنت أختى

حقيقة فنظرت إليه وتأملته فعرفته فلما عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت قد وقعنا فى ذنب عظيم ماذا يكون العمل وما أقول لأبى وأمى وإذا قالا لى من أين جاءتك هذه البنت فقال شركان الرأى عندى أن أزوجك بالحاجب وأدعك تربى بنتى فى بيته بحيث لايعلم أحد بأنك أختى فقالت له وما تسمى البنت فقال أسميها قضى فكان ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها إلى بيته هى وبنتها فربوها على أكتاف الجوارى وواظبوا عليها بالأشربة وأنواع السفوف هذا كله وأخوها ضوء المكان مع الوقاد بدمشق فاتفق أنه أقبل بريد يومًا من عند الملك عمر النعمان إلى الملك شركان ومعه كتاب فأخذه وقرأه فرأى فيه بعد البسملة اعلم أيها الملك العزيز أنى حزين حزنًا شديدًا على فراق الأولاد وعدمت الرقاد ولازمنى السهاد وقد أرسلت هذا الكتاب إليك فحال حصوله بين يديك ترسل إلينا الخراج وترسل صحبته الجارية التى اشتريتها وتزوجت بها فإنى أحببت أن أراها وأسمع كلامها لأنه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهد أبكار وقد حازوا من العلم والأدب وفنون الحكمة ما يجب على الإنسان معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فإنهن حزن أنواع العلم والفضيلة والحكمة فلما رأيتهن أحببتهن وقد اشتهيت أن يكن فى قصرى وفى ملك يدى لأنه لا يوجد لهن نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنه فقالت لا أبيعهن إلا بخراج دمشق وأنا والله أرى خراج دمشق قليلا فى ثمنهن فإن الواحدة منهن تساوى أكثر من هذا المبلغ فأجبتها إلى ذلك ودخلت بهن إلى قصرى وبقين فى حوزتى فعجل لنا بالخراج لأجل أن تسافر المرأة بلادها وأرسل لنا الجارية لأجل أن تناظرهن . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك عمر النعمان قال فى مكتوبه وأرسل الجارية لأجل أن تناظرهن بين العلماء فإذا غلبتهن أرسلتها إليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم ذلك شركان أقبل على صهره وقال له هات الجارية التى زوجتك إياها فلما حضرت أوقفها على الكتاب وقال لها يا

أختى ماعندك من الرأى فى رد الجواب قالت له الرأى أن أحكى لأبى حكايتى وأخبره بما وقع لى مع البدوى الذى باعنى للتاجر وأخبره بأن التاجر باعنى لك وزوجتنى للحاجب بعد عتقى فقال لها شركان وهو كذلك ثم أخذ ابنته قضى فكان وسلمها للمراضع والخدم وشرع فى تجهيز الخراج ويتوجه إلى بغداد ثم كتب كتابًا وسلمه للحاجب وودع نزهة الزمان وكان قد أخذ منها الخرزة وجعلها فى عنق ابنته فى سلسلة من خاص الذهب ثم سافر الحاجب فى تلك الليلة فاتفق أنه خرج ضوء المكان هو والوقاد فى تلك الليلة يتفرجان فرأيا جمالا وبغالا ومشاعل وفوانيس مضيئة فسأل ضوء المكان عن هذه الأحمال وعن صاحبها فقيل له هذا خراج دمشق مسافر إلى الملك عمر النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن رئيس هذه المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذى تزوج الجارية التى تعلمت العلم والحكمة فعند ذلك بكى بكاء شديدًا وتذكر أمه وأباه وأخته ووطنه وقال مابقى لى قعود هنا بل أسافر مع هذه القافلة وأمشى قليلا قليلا حتى أصل إلى بلادى ثم إن ضوء المكان قال للوقاد يا أخى سوف تنظر ما أفعل بك إذا وصلت إلى أهلى ومازالوا مسافرين إلى أن طلعت الشمس فلما اشتد عليهم الحر وأمرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا وسقوا جمالهم ثم أمرهم بالمسير بعد خمسة أيام وصلوا إلى مدينة حماة ونزلوا بها وأقاموا بها ثلاثة أيام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنهم أقاموا فى مدينة حماة ثلاثة أيام ثم سافروا ومازالوا مسافرين حتى وصلوا مدينة أخرى فتذكر ضوء المكان أخته نزهة الزمان وأباه وأمه ووطنه وكيف يرجع إلى أبيه بغير أخته فبكى وأنَّ واشتكى واشتدت به الحسرات فأنشد هذه الأبيات :

خليلى كم هذا التأنى واصبر ... ولم يأتنى منكم رسول يخبر
ألا إن أيام الوصال قصيرة ... فيا ليت أيام التفرق تقصر
خذوا بيدى ثم ارحموا لصبابتى ... تلاشى بها جسمى وإن كنت أصبر
فان تطلبوا منى سلوا أقل لكم ... فوالله ما أسلوا لى حين أحشر

فقال له الوقاد : اترك هذا البكاء والأنين فإننا قريبان من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان والله لا أفتر عن ذلك ثم التفت بوجهه إلى ناحية بغداد وكان القمر مضيئًا وكانت نزهة الزمان لم تنم تلك الليلة لأنها تذكرت أخاها ضوء المكان فقلقت وصارت تبكى فبينما هى تبكى إذ سمعت أخاها ضوء المكان يبكى وينشد هذه الأبيات :

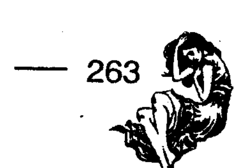
لمع البـرق اليـمـانـى فشجانـى ما شجانى من حبيب كان عندى
ساقيـا كـأس التهـانـى وميض البرق هل تر جـع أيـام التـدانـى
يا عـذولـى لا تلمنـى إن ربى قد بلانـى بحبيـب غاب عنـى
وزمانـى قـد دهـانـى قد نأت نزهة قلبـى عنـدمـا ولـى زمـانى
وحوى لى الهم صرفـا وبكـأس قد سقانى وأرانـى يا خـليـلى
مت مـن قبل التدانـى يا زمـانـا للتـصابـى عـد قـريبا بالأمـانى
فـى سـرور مع أمـان مـن زمان قـد رمانـى مـن المسكيـن غـريب
بات مـرعـوب الجنـان صار فى الحزن فريدا يعد نـزهـات الـزمـان
حكمت فينـا برغم كـف أولاد الـزوانى

فلما فرغ من شعره وصاح وخر مغشيًا عليه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر نزهة الزمان فإنها كانت ساهرة فى تلك الليلة لأنها تذكرت أخاها فى ذلك المكان فلما سمعت ذلك الصوت بالليل ارتاح فؤادها وقامت وتنحنحت ودعت الخادم فقال لها ماحاجتك فقالت له قم وائتنى بالذى ينشد الأشعار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٩٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت من أخيها الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له اذهب وائتنى بمن ينشد هذه الأشعار فقال لها إنى لم أسمعه ولم أعرفه والناس كلهم نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظًا فهو الذى ينشد الأشعار ففتش فلم ير مستيقظًا سوى الرجل الوقاد وأما ضوء المكان فإنه كان فى غشيته فلما رأى الوقاد الخادم واقفًا على رأسه خاف منه



فقال له الخادم هل أنت الذى كنت تنشد الشعر وقد سمعتك سيدتنا فاعتقد الوقاد أن السيد . اغتاظت من الإنشاد فخاف وقال والله ماهو أنا فقال الخادم ومن الذى كان ينشد الشعر فدلنى عليه فإنك تعرفه لأنك يقظان فخاف الوقاد على ضوء المكان وقال فى نفسه ربما يضره الخادم بشىء فقال لم أعرفه فقال له الخادم والله إنك تكذب فإنه ماهنا قاعداً إلا أنت فأنت تعرفه فقال له الوقاد أنا أقول لك الحق إن الذى كان ينشد الأشعار رجل عابر طريق وهو الذى أزعجنى وأقلقنى فالله يجازيه فقال له الخادم إذا سمعته ثانيًا فائت به عندنا فلما سمع ضوء المكان ذلك بكى وقال من يمنعنى من الإنشاد فأنا أنشد ويجرى على مايجرى فإنى قريب من بلادى ولا أبالى بأحد فقال له الوقاد أنت ما مرادك الإهلاك نفسك فقال له ضوء المكان لابد من الإنشاد فقال له الوقاد وقد وقع الفراق بينى وبينك من هنا وكان مرادى أن لا أفارقك حتى تدخل مدينتك وتجتمع بأبيك وأمك وقد مضى لك عندى سنة ونصف وما حصل لك منى مايضرك فما سبب إنشادك الشعر ونحن فى غاية التعب من المشى والسهر والناس قد هجعوا يستريحون من التعب ومحتاجون إلى النوم فقال ضوء المكان لا أرجع عما أنا فيه ثم هزته الأشجان فباح بالكتمان وجعل ينشد هذه الأبيات :

قف بالديار وحى الأربع الدرسا	ونادها فعساها أن تجيب عسى
فإن أجنك ليل من توحشها	أوقد من الشوق فى ظلماتها قبسا
إن صبل صل عذاريه فلا عجب	أن يجن لسعا وإن اجتنى لعسا
يا جنة فارقتها النفس مكرهة	لولا التأسى بدار الخلد مت آسى

فلما فرغ من شعره صاح ثلاث صيحات ثم وقع مغشيا عليه فقام الوقاد وغطاه فلما سمعت نزهة الزمان ما أنشده من الأشعار بكت وصاحت على الخادم وقالت ويلك إن الذى أنشد أولا أنشد ثانياً وسمعته قريبا منى والله وإن لم تأتينى به لأنبهن عليك الحاجب فيضربك ويطردك ولكن خذ هذه الألف دينار وأعطه إياها وائتنى به برفق فإن أبى فادفع له هذا الكيس الذى فيه الألف دينار فإن أبى فاتركه واعرف مكانه وصنعته ومن أى البلاد وارجع إلى بسرعة ولا تغيب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان أرسلت الخادم يفتش عليه وقالت له إذا وجدته فلاطفه وائتنى به ولا تغب فخرج الخادم يتأمل فى الناس ويدوس بينهم وهم نائمون فلم يجد أحدًا مستيقظًا فجاء إلى الوقاد فوجده قاعدا مكشوف الرأس فدنا منه وقبض على يده وقال له أنت الذى كنت تنشد الشعر فخاف على نفسه وقال لا والله يامقدم القوم ماهو أنا فقال الخادم لا أتركك حتى تدلنى على من كان ينشد الشعر لأنى لا أقدر على الرجوع إلى سيدتى من غيره فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان وبكى بكاء شديدًا وقال للخادم والله ماهو أنا وإنما سمعت إنسانًا عابر سبيل ينشد فلا تدخل فى خطيئتى فإنى غريب وجئت من بلاد القدس فقال الخادم للوقاد قم أنت معى إلى سيدتى وأخبرها بفمك فإنى مارأيت أحدًا مستيقظًا غيرك فقال الوقاد أما جئت ورأيتنى فى الموضع الذى أنا قاعد فيه وعرفت مكانى وما أحد يقدر أن ينفك عن موضعه إلا أمسكته فامض أنت إلى مكانك فإن بقيت تسمع أحدا فى هذه الساعة ينشد شيئًا من الشعر سواء كان بعيدًا أو قريبًا لاتعرفه إلا منى ثم باس رأس الخادم وأخذ بخاطره فتركه الخادم ودار دورة وخاف أن يرجع إلى سيدته بلا فائدة فاستتر فى مكان قريب من الوقاد فقام الوقاد إلى ضوء المكان ونبهه وقال له قم اقعد حتى أحكى لك ما جرى وحكى له ما وقع فقال له دعنى فإنى لا أبالى بأحد فإن بلادى قريبة فقال الوقاد لضوء المكان أما علمت أن زوجة الحاجب تريد زجرك لأنك أقلقتها وكأنها ضعيفة أو تعبانة من السفر وكم مرة وهى ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء المكان إلى كلام الوقاد بل صاح ثالثًا وأنشد هذه الأبيات :

تركت كل لائم ... مـلالـة أقلقنى ... يعـذلنى وما درى
بابه حـرضنى ... قالا الوشاة قد سلا ... قلت لحب الوطن
قالوا فما أحسنه ... قلت فما أعشقنى ... قالوا فما أعزه
قلت فما أذلنى ... هيهات أن أتركه ... لوذقت كاس السجن

وما اطلعت لائما ... لى فى الهوى يعذلنى



وكان الخادم يسمعه وهو مستخف فما فرغ من شعره إلا والخادم على رأسه فلما رآه الوقاد فر ووقف بعيدًا ينظر مايقع بينهما فقال الخادم السلام عليكم ياسيدى فقال ضوءالمكان وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال الخادم ياسيدى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٩٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخادم قال لضوء المكان ياسيدى إنى أتيت فى هذه الليلة ثلاث مرات لأن سيدتى تطلبك عندها فإنها حاضرة بالقرب منك وأخبرنى عن اسمك وبلدك وحالك فقال حبًا وكرامة ولكن حيث سألتنى عن اسمى فإنه محى ورسمى فنى وجسمى بلى ولى حكاية تكتب بالإبر على آماق البصر وها أنا فى منزلة السكران الذى أكثر من الشراب وحلت به الأوصاب فتاه عن نفسه واحتار فى أمره وغرق فى بحر الأفكار فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت وزادت فى البكاء والأنين وقالت للخادم قل له هل فارقت أحدًا ممن تحب مثل أمك وأبيك فسأله الخادم كما أمرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع وأعزهم عندى أختى التى فرق الدهر بينى وبينها فلما سمعت نزهة الزمان منه هذا الكلام قالت الله يجمع شمله بمن يحب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٩٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت كلامه قالت الله يجمع شمله بمن يحب ثم قالت للخادم قل له أسمعنا شيئًا من الأشعار المتضمنة لشكوى الفراق فقال له الخادم كما أمرته سيدته فصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات :

ليت شعرى لو دروا   أى قلب ملكوا   وفؤادى لو درى
أى شعب سلكوا   أتراهم سلموا   أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى   فى الهوى وارتبكوا

وأنشد أيضًا هذه الأبيات :

أضحى الثنائي بديلا من تدانينا	وتاب عن طيب دنيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتليت جوانحنا	شوقا إليكم ولاجفت مآقينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا	بأن نغص فقال الدهر آمينا
أن الزمان الذى ما زال يضحكنا	أنسا بقربكم قد عاد بكينا
يا جنة الخلد بدلنا بسلسلها	والكوز العذاب زقومًا وغسلينا

ثم سكب العبرات وأنشد هذه الأبيات :

لله نذران أزر مكانى	وفيه أختى نزهة الزمان
لأقضين بالصفا زمانى	ما بين غيدى مرد حسان
ورشف اللمى فاتر الأجفان	بشط نهر سال فى بستان

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الزمان كشفت زيل الستارة عن المحفة ونظرت إليه فلما وقع بصرها على وجهه عرفته غاية المعرفة فصاحت قائلة يا ضوء المكان فرفع بصره إليها فعرفها وصاح قائلاً يا أختى يانزهة الزمان فألقت بنفسها عليه فتلقاها فى حضنه ووقع الاثنان مغشيًا عليهما فلما رآهما الخادم على تلك الحالة تعجب فى أمرهما وألقى عليهما شيئًا سترهما به وصبر عليهما حتى أفاقا فلما أفاقا من غشيتهما وفرحت نزهة الزمان غاية الفرح وزال عنهما الهم والترح وتوالت عليها المسرات وأنشدت هذه الأبيات :

الدهر أقسم لايزال مكدرى	حنثت يمينك يا زمان فكفر
السعد وافى الحبيب مساعدى	فانهض إلى داعى السرور وشمر

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضم أخته إلى صدره وفاضت لفرط سروره من أجفانه العبرات وأنشد هذه الأبيات :

ولقد ندمت على تفرق شملنا	ندما أفاض الدمع مع أجفانى
هجم السرور على حتىَ إنه	من فرط ما قد سرنى أبكانى
ياعين صار الدمع عندك عادة	تبكين من فرح ومن أحزان



وجلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت قم ادخل المحفة واحك لى ماوقع لك وأنا أحكى لك ما وقع لى فقال ضوء المكان احكى لى أنت أولاً فحكت له جميع ما وقع لها منذ فارقته من الخان فاحك لى أنت بعد ذهابى من عندك فحكى لها جميع ما وقع له من الأول إلى الآخر وكيف منَّ الله عليه بالوقاد وكيف سافر معه وأنفق عليه ماله وأنه كان يخدمه فى الليل والنهار فشكرته على ذلك ثم قال لها يا أختى إن هذا الوقاد فعل معى من الإحسان فعلا لايفعله فى أحد من أحبابه ولا الوالد مع ولده حتى كان يجوع ويطعمنى ويمشى ويركبنى وكانت حياتى على يديه فقالت له نزهة الزمان أرسل إلى الخادم وأمره أن يأتى بالوقاد ويهيئ له حصاناً يركبه ويرتب له سفرة طعام فى الغداة والعشى ويأمره أن لايفارقنا فعند ذلك أرسل الحاجب إلى الخادم وأمره أن يفعل ذلك فقال سمعا وطاعة ثم إن الخادم أخذ غلمانه وذهب يفتش على الوقاد إلى أن وجده فى آخر المركب وهو يشد حماره ويريد أن يهرب ودموعه تجرى على خده من الخوف على نفسه ومن حزنه على فراق ضوء المكان وصار يقول نصحته فى سبيل الله فلم يسمع منى ياترى كيف حاله؟ فلم يتم كلامه إلا والخادم واقف على رأسه ودارت حوله الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا فوق رأسه ورأى الغلمان حوله فاصفر لونه وخاف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوقاد لما أراد أن يشد حماره ويهرب وصار يكلم نفسه ويقول ياترى كيف حاله؟ فما تم كلامه إلا والخادم واقف على رأسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا على رأسه فارتعدت فرائصه وخاف وقال وقد رفع صوته بالكلام إنه ماعرف مقدار ما عملته معه من المعروف فأظن أنه غمز الخادم وهؤلاء الغلمان على وأنه أشركنى معه فى الذنوب وإذا بالخادم صاح عليه وقال له من الذى كان ينشد الأشعار ياكذاب كيف تقول لى أنا ما أنشد الأشعار ولا أعرف من أنشدها وهو رفيقك فأنا لا أفارقك من هنا إلى

بغداد والذى يجرى على رفيقك يجرى عليك فلما سمع الوقاد كلامه قال فى نفسه ماخفت منه وقعت فيه ثم أنشد هذا البيت :

كان الذى خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

ثم إن الخادم صاح على الغلمان وقال لهم أنزلوه عن الحمار فأنزلوا الوقاد عن حماره وأتوا له بحصان فركبه ومشى صحبة الركب والغلمان حوله محدقون به وقال لهم الخادم إن عدم منه شعرة كانت بواحد منكم ولكن أكرموه ولاتهينوه فلما رأى الوقاد الغلمان حوله يئس من الحياة والتفت إلى الخادم وقال يامقدم أنا مالى إخوة ولا أقارب وهذا الشاب لايقرب لى ولا أنا أقرب له وإنما أنا رجل وقاد فى حمام ووجدته ملقى على المزبلة مريضا وصار الوقاد يبكى ويحسب فى نفسه ألف حساب والخادم ماش بجانبه ولم يعرفه بشىء ولم يزالا على تلك الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد ولم يبق بينهم وبين البلاد إلا ثلاثة أيام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نازلين إلى أن لاح الفجر فاستيقظوا وأرادوا أن يرحلوا وإذا بغبار عظيم قد لاح لهم وأظلم الجو منه حتى صار كالليل الداجى فصاحَ الحاجب قائلا أمهلوا ولاتحملوا وركب هو ومماليكه وساروا نحو ذلك الغبار فلما قربوا منه بان من تحته عسكر جرار كالبحر الزخار وفيه رايات وأعلام وطبول وفرسان وأبطال فتعجب الحاجب من أمرهم فلما رآهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة فارس وأتوا إلى الحاجب هو ومن معه وأحاطوا بها وأحاطت كل خمسة من العسكر بمملوك من مماليك الحاجب فقال لهم الحاجب أى شىء الخبر ومن أين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه الأفعال؟ فقالوا له من أنت ومن أين أتيت وإلى أين نتوجه فقال لهم أنا حاجب أمير دمشق الملك شركان ابن الملك عمر النعمان فلما سمعوا كلامه أرخوا مناديلهم على وجوههم وبكوا وقالوا له إن عمر النعمان قد مات وما مات إلا مسمومًا فتوجه وما عليك بأس حتى تجتمع بوزيره الأكبر الوزير دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديدًا وقال وا خيبتاه فى هذه السفرة وصار يبكى هو من معه إلى أن اختلطوا بالعسكر



فاستاذنوا له الوزير دندان فأذن له وأمر الوزير بضرب خيامه وجلس على سرير فى وسط الخيمة وأمر الحاجب بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره فأعلمه أنه صاحب أمير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سمع الوزير دندان ذلك بكى عند ذكر الملك عمر النعمان ثم قال له الوزير إن الملك عمر النعمان قد مات مسمومًا وبسبب موته اختلف الناس فيمن يولونه بعده حتى أوقعوا القتل فى بعضهم ولكن منعهم عن بعضهم الأكابر والأشراف والقضاة الأربعة وأتفق جميع الناس على أن ما أشار به القضاة الأربعة لايخالفهم فيه أحد فوقع فوق الاتفاق أننا نسير إلى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتى به ونسلطنه على مملكة أبيه وفيهم جماعة يريدون ولده الثانى وقالوا إنه يسمى ضوء المكان وله أخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها إلى أرض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما أحد على خبر فلما سمع الحاجب علم أن القضية التى وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت الملك غما عظيمًا ولكنه فرح فرحًا شديدًا وخصوصًا بمجىء ضوء المكان لأنه يصير سلطانًا ببغداد فى مكان أبيه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حاجب شركان لما سمع من الوزير دندان ماذكره من خبر الملك عمر النعمان تأسف إلى الوزير دندان وقال إن قصتكم من أعجب العجائب اعلم أيها الوزير الكبير أنكم حيث صادفتمونى الآن أراحكم الله من التعب وقد جاء الأمر كما تشتهون فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحًا شديدا ثم قال له أيها الحاجب أخبرنى بقصتهما وبما جرى لهما وبسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة الزمان وأنها صارت زوجته وأخبره بحديث ضوء المكان من أوله إلى أخره فلما فرغ الحاجب من حديثه أرسل الوزير دندان إلى الأمراء والوزراء وأكابر الدولة وأطلعهم على القصة ثم قعد الأمراء للمشورة وأعطوا بقية الجيش إذنا فى أن يركبوا مع بعضهم ويتقدموا قليلا قليلا حتى يتموا المشورة ويلحقوهم فلما فرغ الكبراء من

مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم أرسل الحاجب إلى الوزير دندان وقال له الرأى عندى أن أتقدم واسبقكم لأجل أن أهيئ للسلطان مكانا يناسبه وأعلمه بقدومكم وأنكم اخترتموه على أخيه شركان سلطانًا عليكم فقال الوزير نعم الرأى الذى رأيته ثم نهض ونهض الوزير دندان تعظيمًا له وقدم له التقاديم وأقسم عليه أن يقبلها وكذلك الأمراء الكبار وأرباب المناصب قدموا له التقاديم ودعوا له وقالوا لعلك تحدث السلطان ضوء المكان فى أمرنا ليبقينا مستمرين فى مناصبنا فأجابهم لما سألوه ثم أمر غلمانه بالسير فأرسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وأمر الفراشين أن ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا أمره وركب الحاجب وهو فى غاية الفرح وقال فى نفسه ما أبرك هذه السفرة وعظمت زوجته فى عينه وكذلك ضوء المكان ثم جد فى السفر إلى أن وصل إلى مكان بينه وبين المدينة مسافة يوم ثم أمر بالنزول فيه لأجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان ثم نزل من بعيد هو ومماليكه وأمر الخدام أن يستأذنوا السيدة نزهة الزمان فى أن يدخل عليها فأستاذنوها فى شأن ذلك فأذنت له فدخل عليها واجتمع بها وبأخيها وأخبرهما بموت أبيهما وأن ضوء المكان جعله الرؤساء ملكًا عليهم عوضاً عن أبيه عمر النعمان وهنأهما بالملك فبكيا على فقد أبيهما وسألا عن سبب قتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان وفى غد يكون هو والجيش كله فى هذا المكان ومابقى فى الأمر أيها الملك إلا أن تفعل ما أشاروا به لأنهم كلهم اختاروك سلطانًا وإن لم تفعل سلطنوا غيرك وأنت لا تأمن على نفسك من الذى يتسلطن غيرك فربما يقتلك أو يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من أيديكما فأطرق برأسه ساعة من الزمن ثم قال قبلت هذا الأمر لأنه لايمكن التخلى عنه وتحقق أن الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب ياعم وكيف أعمل مع أخى شركان فقال ياولدى أخوك يكون سلطان دمشق وأنت سلطان بغداد فشد عزمك وجهز أمرك فقبل منه ضوء المكان ذلك ثم إن الحاجب قدم إليه البدلة التى كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة وخرج من عنده وأمر الفراشين أن يختاروا موضعا عاليًا وينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها إذا قدم عليه الأمراء ثم إن الطباخين أمر يطبخوا طعامًا فاخرًا ويحضروه وأمر السقايين أن ينصبوا أحواض الماء وبعد ساعة طار الغبار حتى سد الأقطار ثم

انكشف ذلك الغبار وبأن من تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٩٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الحاجب لما أمر الفراشين أن ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك ثم إن الحاجب خرج فى تلك الساعة وأمر بمد السماط وأمر بإحضار العسكر جميعًا فحضروا وأكلوا وشربوا ثم إن الملك ضوء المكان قال للوزير دندان أؤمر العسكر بالإقامة عشرة أيام حتى أختلى بك وتخبرنى بسبب قتل أبى فامتثل الوزير دندان قول السلطان وقال لابد من ذلك ثم خرج إلى وسط الخيام وأمر العسكر بالإقامة عشرة أيام فامتثلوا أمره ثم أن الوزير أعطاهم إذنًا أنهم يتفرجون ولا يدخل أحد من أرباب الخدمة عند الملك مدة ثلاثة أيام فتضرع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العز ثم أقبل عليه الوزير وأعلمه بالذى كان فصبر إلى الليل ودخل على أخته نزهة الزمان وقال لها أعلمت بسبب قتل أبى ولم نعلم بسببه كيف كان فقال لم أعلم سبب قتله ثم إنها ضربت لها ستارة وأمر بإحضار الوزير دندان فحضر دندان بين يديه فقال أريد أن تخبرنى تفصيلا بسبب قتل أبى الملك عمر النعمان فقال الوزير دندان اعلم أيها الملك أن الملك عمر النعمان لما أتى من الصيد والقنص وجاء إلى المدينة سأل عنكما فلم يجدكما فعلم أنكما قد قصدتما الحج فاغتم لذلك وازداد به الغيظ وضاق صدره وأقام نصف سنة وهو يستخبر عنكما كل شارد ووارد فلم يخبر أحد عنكما فبينما نحن بين يديه يومًا من الأيام بعدما مضى لكما سنة كاملة من تاريخ فقدكما وإذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد أبكار فاستأذنت ذلك العجوز فى الدخول على الملك فأذن لها فدخلت عليه وقبلت الأرض بين يديه وكنت أنا جالسًا بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها إليه لما رأى عليها آثار الزهد والعبادة فلما استقرت العجوز عنده أقبلت عليه وقالت له اعلم أيها الملك أن معى خمسة جوار ماملك أحد من الملوك مثلهن لأنهن

ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقرأن القرآن بالروايات ويعرفن العلوم وأخبار الأمم السالفة وهن بين يديك وواقفات فى خدمتك ياملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء أو يُهان فنظر المرحوم والدك إلى الجوارى فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعنى شيئًا مما تعرفه من أخبار الناس الماضين والأمم السابقين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فتقدمت واحدة منهن وقبلت الأرض بين يديه وقالت اعلم أيها الملك أن أتباع الشرع ينفع صاحبه فاحبب أخاك إذا كان بهذه الصفة ولا تقطعه وإن ظهر لك منه ماتكره فإنه ليس كالمرأة يمكن طلاقها ومراجعتها بل قلبه كالزجاج إذا تصدع لاينجبر ولله در القائل :

احرص على صون القلب من الأذى ... فرجوعها بعد التنافر يعسر

إن القلوب إذا تنافر ودها ... مثل الزجاجة كسرها لايجبر

وقالت الجارية فى آخر كلامها وهى تشير إلينا إن أصحاب العقول قالوا خير الأخوان أشدهم فى النصيحة وخير الأعمال أجملها عاقبة وخير الثناء ما كان على أفواه الرجال وقد قيل لاينبغى للعبد أن يغفل عن شكر الله خصوصًا على نعمتين العافية والعقل وقيل من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ومن عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها ومن أطاع الهوى ضيع الحقوق ومن أطاع الواشى ضيع الصديق ومن ظن بك خيرًا فصدق ظنه بك ومن بالغ فى الخصومة أثم ومن لم يحذر الحيف لم يأمن السيف ، وها أنا أذكر لك شيئًا من آداب القضاة اعلم أيها الملك أنه لاينفع حكم بحق إلا بعد التثبيت وينبغى للقاضى أن يجعل الناس فى منزلة واحدة حتى لايطمع شريف فى الجور ولا ييأس ضعيف من العدل وينبغى أيضًا أن يجعل البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حرامًا أو حرم حلالاً وماشككت فيه اليوم فراجع فيه عقلك وتبين به رشدك لترجع فيه إلى الحق



فالحق فرع والرجوع إلى الحق خير من التمادى على الباطل ثم أعرف الأمثال وافقه المقام وسو بين الأخصام فى الوقوف وليكن نظرك على الحق موقوفًا وفوض أمرك إلى الله عز وجل واجعل البينة على من ادعى فإن حضرت بينته أخذت بحقه وإلا فحلف المدعى عليه وهذا حكم الله واقبل شهادة عدو المسلمين بعضهم على بعض فإن الله تعالى أمر الحكام أن تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر ويجب على القاضى أن يجتنب الألم والجوع وأن يقصد بقضائه بين الناس وجه الله تعالى فإن من خلصت نيته وأصلح مابينه وبين نفسه كفاه الله مابينه وبين الناس ، وقال الزهرى ثلاث إذا كن فى قاض كان منعزلا : إذا أكرم اللئام وأحب المحامد وكره العزل وقد عزل عمر بن عبدالعزيز قاضيا فقال له لم عزلتنى فقال عمر قد بلغنى عنك أن مقالك أكبر من مقامك ، وحكى أن الإسكندر قال لقاضيه إنى وليتك منزلة واستودعتك فيها روحى وعرضى ومروءتى فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك وقال لطباخه إنك مسلط على جسمى فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبه أنك متصرف فى عقلى فاحفظنى فيما تكتبه عنى ثم تأخرت الجارية الأولى وتقدمت الثانية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٠٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم تأخرت الجارية الأولى وتقدمت الثانية وقبلت الأرض بين يدى الملك والدك سبع مرات ثم قالت قال لقمان لابنه ثلاثة لاتعرف إلا فى ثلاثة مواطن لايعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا أخوك إلا عند حاجتك إليه وقيل إن الظالم نادم وإن مدحه الناس والمظلوم سليم وإن ذمة الناس وقال الله تعالى : ﴿ولاتحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ وقال عليه الصلاة والسلام : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى . . .» واعلم أيها الملك أن أعجب مافى الإنسان قلبه لأن به زمام أمره فإن هاج به الطمع أهلكه الحرص وأن ملكه الآسى قتله الأسف وأن عظم عنده الغضب

اشتد به العطب وإن سعد بالرضا أمِن من السخط وإن ناله الخوف شغله الحزن وإن أصابته مصيبة ضمنه الجزع وإن استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وإن أغصته فاقة أشغله الهم وإن أجهده الجزع أقعده الضعف فعلى كل حِالة لاصلاح له إلا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده وقيل لبعض العلماء من أشرّ الناس حالا قال من غلبت شهوته مروءته وبعدت فى المعالى همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته وما أحسن ما قاله قيس :

وأنى لأغنى الناس عن متكلف	يرى الناس ضلالا وما هو مهتدى
وما المال والأخلاق إلا معارة	فكل بما يخفيه فى الصدر مرتدى
إذا ما أتيت الأمر من غير بابه	ضللت وإن تدخل من الباب تهتدى

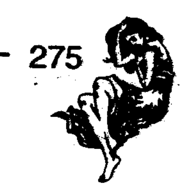
ثم إن الجارية قالت : وأما أخبار الزهد فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ماحقيقة الزهد فقال لى قد بينه رسول الله ﷺ فى قوله : الزّاهد من لم ينس القبر والبلا وآثر ما يبقى على مايفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه فى الموتى ، وقال رجل لمحمد بن عبدالله أوصنى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٠١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك عمر النعمان وقال رجل لمحمد بن عبدالله أوصنى فقال أوصيك أن تكون فى الدنيا مالكًا زاهدًا وفى الآخرة مملوكًا طامعًا قال وكيف ذلك قال الزاهد فى الدنيا يملك الدنيا والآخرة وقال سعيد بن جبير صحبت فضالة بن عبيد فقلت له أوصنى فقال احفظ عنى هاتين الخصلتين أن لا تشرك بالله شيئًا وأن لاتؤذى من خلق الله أحدًا وأنشد هذين البيتين :

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم	وأنف الهموم فما فى الأمر من بأس
إلا اثنتين فما تقربهما أبدا	الشرك بالله والإضرار بالناس



وما أحسن قول الشاعر :

إذا أنت لم يصحبك زاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وإنك لم ترصد كما كان أرصدا

ثم تقدمت الجارية الثالثة بعد أن تأخرت الثانية وقالت إن باب الزهد واسع جداً ولكن اذكر بعض مايحضرنى فيه عن السلف الصالح قال بعض العارفين أنا أستبشر بالموت ولا أتيقن فيه راحة فيرانى علمت أن الموت يحول بين المرء وبين الأعمال فأرجو مضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيئ وكان عطاء السلمى إذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديداً فقيل له لم ذلك فقال إنى أريد أن أقبل على أمر عظيم وهو الانتصاب بين يدى الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية ولذلك كان على زين العابدين بن الحسين يرتعد إذا قام للصلاة فسئل عن ذلك فقال أتدرون لمن أقوم ولمن أخاطب؟ وقيل كان بجانب سفيان الثورى رجل ضرير فإذا كان شهر رمضان يخرج ويصلى بالناس فيسكت ويبطى وقال سفيان إذا كان يوم القيامة أتى بأهل القرآن فيميزون بعلامة مزيد الكرامة عمن سواهم وقال سفيان لو أن النفس استقرت فى القلب كما ينبغى لطار فرحًا وشوقًا إلى الجنة وحزنا وخوفا من النار وعن سفيان الثورى أنه قال النظر إلى وجه الظالم خطيئة ثم تأخرت الجارية الثالثة وتقدمت الجارية الرابعة وقالت وها أنا أتكلم ببعض مايحضرنى من أخبار الصالحين روى أن بشر الحافى قال سمعت خالدًا يقول إياكم وسرائر الشرك فقلت له وما سرائر الشرك قال إن يصلى أحدكم فيطيل ركوعه وسجوده حتى يلحقه الحدث ، وقال بعض العارفين فعل الحسنات يكفر السيئات وقال بعض العارفين التمست من بشر الحافى شيئًا من سرائر الحقائق فقال يابنى هذا العلم لاينبغى أن نعلمه كل أحد فمن كل مائة خمسة مثل زكاة الدرهم قال إبراهيم بن أدهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينما أنا أصلى وإذا ببشر يصلى فقمت وراءه أركع إلى أن يؤذن المؤذنون فقام رجل رث الحالة وقال يا قوم احذروا الصدق الضار ولا بأس بالكذب النافع وليس مع الاضطرار اختيار ولاينفع الكلام عند العدم كما لايضر السكوت عند وجود الوجود وقال إبراهيم رأيت بشرًا سقط

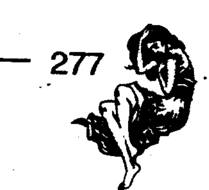
منه دانق فقمت إليه وأعطيته درهمًا فقال لآخذه فقلت إنه من خالص الحلال فقال لى أنا لست أستبدل نعم الدنيا بنعم الآخرة ، ويروى أن أخت بشر الحافى قصدت أحمد بن حنبل .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٠٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان إن الجارية قالت لوالدك إن أخت بشر الحافى قصدت أحمد بن حنبل فقالت له يا إمام الدين إنا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا فى النهار وربما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل فى ضوئها فهل يحرم علينا ذلك قال لها من أنت قالت أخت بشر الحافى فقال يا أهل بشر مازال أستنشق الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين إذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل وكان ابن دينار إذا مر فى السوق ورأى ما يشتهيه يقول يانفس اصبرى فلا أوافقك على ماتريدين وقال رضى الله عنه سلامة النفس فى مخالفتها وبلاؤها فى متابعتها ، وقال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة وإذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل ويقول إلهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك ومخالفتك وما أنا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها على فى قديم أزلك فاغفر لى مافرط منى فإنى قد عصيتك بجهلى فلما فرغ من دعائه تلا هذه الآية : ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة﴾ وسمعت سقطة لم أعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا إلى مدرجنا وإذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مر بنا البارحة وولدى قائم يصلى فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتًا ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت الجارية الخامسة وقالت وها أنا أذكر بعض ما يحضرنى من أخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتاه الفتوح وقال كل نعمة لاتقرب إلى الله فهى بلية وقليل الدنيا يشغل عن



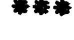
كثير الآخرة وكثيرها ينسيك قليلها ، وسئل أبو حازم من أيسر الناس؟ فقال رجل أذهب عمره فى طاعة الله ، قال فمن أحمق الناس؟ قال رجل باع آخرته بدنيا غيره ، وروى أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال : ﴿رب أنى لما نزلت إلى من خير﴾ فقير فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجاريتان فسقى لهما ولمُ تصدرا الرعاء فلما ارجعتا أخبرتا أباهما شعيبًا فقال لهما لعله جائع ثم قال لاحداهما ارجعى إليه وادعيه فلما أتته غطت وجهها وقالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فكره موسى ذلك وأراد أن لايتبعها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كونى خلفى فمشت خلفه حتى دخل على شعيب والعشاء مهيأ . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٠٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى على شعيب عليهما السلام والعشاء مهيأ فقال شعيب لموسى ياموسى إنى أريد أن أعطيك أجر ما سقيت لنا فقال موسى أنا من أهل بيت لانبيع شيئًا من عمل الآخرة بما على الأرض من ذهب وفضة فقال شعيب يا شاب ولكن أنت ضيفى وإكرام الضيف عادتى وعادة آبائى بإطعام الطعام فجلس موسى فأكل ثم إن شعيبًا استأجر موسى ثمانى حجج أى سنتين وجعل أجرته على ذلك تزويجه إحدى ابنتيه وكان عمل موسى لشعيب صداقًا لها كما قال تعالى حكاية عنه ﴿إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك﴾ وقال رجل لبعض أصحابه وكان له مدة لم يره إنك أوحشتنى لأننى ما رأيتك منذ زمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب أتعرفه قال نعم هو جارى منذ ثلاثين سنة إلا أننى لم أكلمه قال له إنك نسيت الله فنسيت جارك ولو أحببت الله لأحببت جارك أما علمت أن للجار على حقا كحق القرابة ، وقال حذيفة دخلنا

مكة مع إبراهيم ابن آدهم وكان شقيق البلخي قد حج في تلك السنة فاجتمعنا في الطواف فقال إبراهيم ياشقيق ما شأنكم في بلادكم فقال شقيق إننا إذا رزقنا أكلنا وإذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا إذا رزقنا آثرنا وإذا جعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدى إبراهيم قال له أنت أستاذى وقال الشافعى - رضى الله عنه - ما شبعت من خبز الشعير عشر سنين لأن الشبع يقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن القيام ، وروى عند عبدالله ومحمد السكرى أنه قال كنت أنا وعمرة نتحدث فقال مارأيت أروع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعى واتفق أننى خرجت أنا والحرث بن لبيب الصفار وكان الحرث تلميذ المزنى وكان صوته حسنًا فقرأ قوله تعالى **﴿هذا يوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾** فرأيت الأمام الشافعى تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابًا شديدًا وخر مغشيًا عليه فلما أفاق قال أعوذ بالله من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين ، اللهم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب لى غفران ذنوبى من جودك وجملنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك ثم قمت وانصرفت ، وقال بعض الثقات لما دخلت بغداد كان الشافعى بها فجلست على الشاطئ لاتوضأ للصلاة إذمر بى إنسان فقال لى ياغلام أحسن وضوءك يحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة فالتفت وإذا برجل تتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره فالتفت إلى وقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله تعالى فقال اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه غدا أفلا أزيدك قلت بلا قال كن فى الدنيا زاهدًا وفى الآخرة راغبًا وأصدق فى جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت عنه فقيل لى الإمام الشافعى وكان الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لاينسب إلى منه شىء . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلـة (١٠٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان قالت العجوز لوالدك كان الشافعى يقول وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لاينسب إلى منه شىء ، وقال مانظرت أحدًا أن يوفقه الله تعالى للحق ويعينه على إظهاره وما ناظرت أحدًا قط إلا لأجل إظهار الحق وما أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه ، وقال رضى الله تعالى عنه إذا خفت على علمك العجب فاذكر رضا من تطلب وفى أى نعيم ترغب ومن أى عقاب ترهب وقيل لأبى حنيفة إن أمير المؤمنين أباجعفر المنصور قد جعلك قاضيًا ورسم لك بعشرة آلاف درهم فما رضى فلما كان اليوم الذى توقع أن يؤتى إليه فيه المال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ثم جاء رسول أمير المؤمنين بالمال فلما دخل عليه وخاطبه لم يكلمه فقال رسول الخليفة إن هذا المال حلالا فقال اعلم أنه حلال لى ولكنى أكره أن يقع فى قلبى مودة الجبابرة فقال له لو دخلت إليهم وتحفظت من ودهم قال هل آمن أن ألج البحر ولا تبتل ثيابى ومن كلام الشافعى رضى الله عنه .

ألا يا نفس أن ترضى بقولى	قالت عـزيزة أبدا غنيه
دعى عنك المطامع والأمانى	فكـم أمنية جلبت عنيه

ومن كلام سفيان الثورى فيما أوصى به على بن الحسين السلمى : عليك بالصدق وإياك والكذب والخيانة والرياء والعجب فإن العمل الصالح يحيطه الله بخصلة من هذه الخصال ولا تأخذ دينك إلا عمن هو مشفق على دينه وليكن جليسك من يزهدك فى الدنيا وأكثر ذكر الموت وأكثر الاستغفار واسأل الله السلامة فيما بقى من عمرك وانصح كل مؤمن إذا سألك عن أمر دينه وإياك أن تخون مؤمنًا فإن من خان مؤمنًا فقد خان الله ورسوله وإياك والجدال والخصام ودع ما يريبك إلى مالا يريبك تكن سليمًا وأمر المعروف وأنهى عن المنكر تكن حبيب الله وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك واقبل المعذرة ممن اعتذر إليك ولا تبغض أحدًا من المسلمين وصل من قطعك واعفى عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء وليكن أمرك مفوضًا إلى الله فى السر

والعلانية واخش الله من خشية من قد علم أنه ميت ومبعوث وسائر إلى الحشر والوقوف بين يدى الجبار واذكر مصيرك إلى إحدى الدارين إما إلى جنة عالية وإما إلى نار حامية فتعجب الملك من كمال صلاحها وزهدها وورعها وعظمت فى عينه وقال نفعنا الله بهذه المرأة الصالحة ثم اتفق معها على أن يصوم الشهر كما اشترطته عليه فقالت له وأنا أعينك بدعوات أدعو بهن لك فأتنى بكوز ماء فأخذته وقرأت عليه وهمهمت وقعدت ساعة تتكلم بكلام لانفهمه ولانعرف منه شيئًا ثم غطته بخرقة وختمته وناولته لوالدك وقالت له إذا صمت العشرة الأولى فافطر فى الليلة الحادية عشرة على مافى هذا الكوز فإنه ينزع حب الدنيا من قلبك فأخذ والدك الكوز ثم نهض وأفرد له خلوة فى القصر ووضع الكوز فيها وأخذ مفتاح الخلوة فى جيبه فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز إلى حال سبيلها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٠٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان فلما كان النهار وصام السلطان وخرجت العجوز إلى حال سبيلها وأتم الملك صوم العشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر فتح الكوز وشربه فوجد له فى فؤاده فعلا جميلا وفى العشرة أيام الثانية من الشهر جاءت العجوز ومعها حلاوة فى ورق أخضر يشبه ورق الشجر فدخلت على والدك وسلمت عليه فلما رآها قام لها وقال لها مرحبًا بالسيدة الصالحة فقالت له أيها الملك إن رجال الغيب يسلمون عليك لأنى أخبرتهم عنك ففرحوا بك وأرسلوا معى هذه الحلاوة وهى من حلاوة الآخرة فافطرعليها فى آخر النهار ففرح والدك فرحًا زائدًا وقال الحمد الله الذى جعل لى إخوانا من رجال الغيب ثم شكر العجوز وقبل يديها وأكرمها وأكرم الجوارى غاية الإكرام ثم مضت مدة عشرين يومًا وأبوك صائم وعند رأس العشرين يومًا أقبلت عليه العجوز وقالت له أيها الملك اعلم أنى أخبرت رجال الغيب بما بينى وبينك من المحبة وأعلمتهم بأنى تركت الجوارى عندك ففرحوا حيث كانت



الجوارى عند ملك مثلك لأنهم كانوا إذا رأوهن يبالغون لهن فى الدعاء المستجاب فأريد أن أذهب بهن إلى رجال الغيب متى تخرجين بهن فقلت له فى الليلة السابعة والعشرين فأرجع بهن إليك فى رأس الشهر وتكون أنت قد أوفيت الصوم وحصل استبراؤهن وصرن لك تحت أمرك فقال لها وأنا أعرف ذلك أيتها السيدة الصالحة فقالت له بعد ذلك ولابد أن ترسل معهن من يعز عليك من قصرك حتى يجد الأنس ويلتمس البركة من رجال الغيب فقال لها عندى جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين أنثى وذكر ولكنهما فقدا منذ سنتين فخذيها معهن لأجل أن تحصل لها البركة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (١٠٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان لعل رجال الغيب يدعون الله لها بأن يرد عليها ولديها ويجمع شملنا بهما فقالت العجوز نعم ماقلت وكان ذلك أعظم غرضها ثم إن والدك أخذ فى تمام صيامه فقالت له يا ولدى إنى متوجهة إلى رجال الغيب فأحضر لى صفية فدعا بها فحضرت فى ساعتها فسلمها إلى العجوز فخلطتها بالجوارى ثم دخلت العجوز مخدعها وخرجت للسلطان بكأس مختوم وناولته له وقالت إذا كان يوم الثلاثين فادخل الحمام ثم اخرج منه وادخل خلوة من الخلاوى التى فى قصرك واشرب هذا الكأس ونم فقد نلت ماتطلب والسلام منى عليك فعند ذلك فرح الملك وشكرها وقبل يدها فقالت له أستودعتك الله فقال لها ومتى أراك أيتها السيدة الصالحة فإنى أود أن لا أفارقك فدعت له وتوجهت ومعها الجوارى والملكة صفية وقعد الملك بعدها ثلاثة أيام ثم هلَّ الشهر فقام الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام ودخل الخلوة التى فى القصر وأمر أن لايدخل عليه أحد ورد الباب عليه ثم شرب الكأس ونام ونحن قاعدون فى انتظاره إلى آخر النهار فلم يخرج من الخلوة فقلنا له لعله تعبان من الحمام ومن سهر الليل وصيام النهار فبسبب ذلك نام فانتظرناه ثانى يوم فلم يخرج فوقفنا بباب الخلوة وأعلنا برفع الصوت لعله ينتبه ويسأل عن الخبر فلم يحصل منه

فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق لحمه وتفتت عظمه فلما رأيناه على هذه الحالة عظم علينا ذلك وأخذ الكأس فوجدنا فى غطائه قطعة ورق مكتوب فيها من أساء لايستوحش منه وهذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك فلما قرأنا هذه الورقة علمنا أن العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يفدنا البكاء شيئًا واختلف العساكر فيمن يجعلونه سلطانًا عليهم فمنهم من يريدك ومنهم من يريد أخاك شركان ولم نزل فى هذا الاختلاف مدة شهر فلما فرغ الوزير من كلامه بكى ضوء المكان هو وأخته نزهة المكان وبكى الحاجب أيضا ثم قال الحاجب لضوء المكان أيها الملك إن البكاء لايفيدك شيئًا ولايفيدك إلا أنك تشد قلبك وتقوى عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف مثلك فعند ذلك سكت عن بكائه وأمر بنصب السرير خارج الدهليز ثم أمر أن يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه والسلحدارية من ورائه ووقف الوزير دندان قدامه ووقف كل واحد من الأمراء وأرباب الدولة فى مرتبته ثم إن الملك ضوء المكان قال للوزير دندان أخبرنى بخزائن أبى فقال سمعا وطاعة وأخبره بخزائن الأموال وبما فيها من الذخائر والجواهر وعرض عليه مافى خزانته من الأموال فأنفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية وقال له أنت فى مكانك فقبل الأرض بين يديه ودعا له بالبقاء ثم خلع على الأمر ثم إنه قال للحاجب اعرض على الذى معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٠٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ضوء المكان أمر الحاجب أن يعرض عليه ما أتى به من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر ولم يبق منها شيئًا أبدًا فقبل الأمراء الأرض بين يديه ثم إنهم مضوا إلى خيامهم فلما أصبحوا أمرهم بالسفر فسافروا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت وطلع السلطان ضوء المكان قصر أبيه وجلس على السرير ووقف أمراء العساكر والوزير دندان



وحاجب دمشق بين يديه فعند ذلك أمر كاتب السر أن يكتب كتابًا إلى أخيه شركان ويذكر فيه ماجرى من الأول إلى الآخر ويذكر فى آخره وساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهز أمرك وتحضر بعسكرك حتى نتوجه إلى غزو الكفار ونأخذ منهم الثار ونكشف العار ثم طوى الكتاب وختمه وقال للوزير دندان مايتوجه بهذا الكتاب إلا أنت ولكن ينبغى أن تتلطف به فى الكلام وتقول له إن أردت ملك أبيك فهو لك وأخوك يكون نائبًا عنك فى دمشق كما أخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده وتجهز للسفر ثم أمر ضوء المكان أن يجعلوا للوقاد مكانًا فاخرًا ويفرشوه بأحسن الفرش وذلك الوقاد له حديث طويل ثم إن ضوء المكان خرج يومًا إلى الصيد والقنص وعاد إلى بغداد فقدم له بعض الأمراء من الخيول الجياد ومن الجوارى الحسان ومايعجز عن وصفه اللسان فأعجبته جارية منهن فاستخلى بها ودخل عليها فى تلك الليلة فعلقت منه من ساعتها وبعد مدة رجع الوزير دندان من سفره وأخبره بخبر أخيه شركان وأنه قادم عليه فلما عاين ضوء المكان أراد أن يترجل إليه فأقسم عليه شركان أن لايفعل ذلك وترجل شركان ومشى خطوات فلما صار بين يدى ضوء المكان رمى ضوء المكان نفسه عليه فاحتضنه شركان إلى صدره وبكيا بكاء شديدًا وعزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان وسارا وسار العسكر معهما إلى أن أشرفوا على بغداد ونزلوا ثم طلع ضوء المكان هو وأخوه شركان قصر الملك وباتا تلك الليلة وعند الصباح خرج ضوء المكان وأمر أن يجمع العساكر من كل جانب وينادوا بالغزو والجهاد إلى أن مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم يأتون أفواجًا متتابعة ثم قال شركان لأخيه يا أخى أعلمنى بقضيتك فأعلمه بجميع ما وقع له من الأول إلى الآخر وبما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال له شركان أما كافأته على معروفه فقال له يا أخى ما كافأته إلى الآن ولكن أكافئه إن شاء الله تعالى لما أرجع من الغزوة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٠٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان قال لأخيه ضوء المكان أما كافأت الوقاد على معروفه فقال له يا أخى ما كافأته إلى الآن ولكن إن شاء الله تعالى لما أرجع من الغزوة وأتفرغ له

فعند ذلك عرف شركان أن أخته الملكة نزهة الزمان صادقة فى جميع ما أخبرته به ثم كتم أمره وأمرها وأرسل إليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له أيضًا معه السلام ودعت له وسألت عن ابنتها قضى فأخبرها أنها بعافية وأنها فى غاية مايكون من الصحة والسلامة فحمدت الله تعالى وشكرته ورجع شركان إلى أخيه يشاوره فى أمر الرحيل فقال له يا أخى لما تتكامل العساكر تأتى إلى العربان من كل مكان ثم أمر بتجهيز الميرة وإحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان إلى زوجته وكان مضى لها خمسة أشهر وكان أرباب الأقلام وأهل الحساب تحت طاعتها ورتب لها الجرايات والجوامك وسافر فى ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد أن قدمت العربان وجميع العساكر من كل مكان وسارت الجيوش والعساكر حتى وصلوا إلى بلاد الروم فنفرت أهل القرى والصعاليك وفروا إلى القسطنطينية فلما سمع أفريدون ملكهم بخبرهم قام وتوجه إلى ذات الدواهى فإنها هى التى دبرت فى الحيل وسافرت إلى بغداد حتى قتلت الملك عمر النعمان ثم أخذت جواريها والملكة صفية ورجعت إلى بلادها فلما رجعت إلى ولدها ملك الروم وأمنت على نفسها قالت لابنها قر عينا فقد أخذت لك بثأر ابنتك إبريزة وقتلت الملك عمر النعمان وجئت بصفية فقم الآن وارحل إلى ملك القسطنطينية وأظن أن المسلمين لايثبتون على قتالنا فقال أمهلى إلى أن يقربوا من بلادنا حتى نجهز أحوالنا ثم أخذوا فى جمع رجالهم وتجهيز أحوالهم فلما جاءهم الخبركانوا قد جهزوا حالهم وجمعوا الجيوش وسارت فى أوائلهم ذات الدواهى فلما وصلوا إلى القسطنطينية سمع الملك الأكبر ملكها أفريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لملاقاته فلما اجتمع أفريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فأخبره بما فعلت أمه ذات الدواهى من الحيل وإنها قتلت ملك المسلمين وأخذت من عنده الملكة صفية وقالوا إن المسلمين جمعوا عساكرهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٠٩)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أفريدون قال لملك الروم إن المسلمين جمعوا عساكرهم وجاءوا ونريد أن نكون جميعًا يدًا واحدة ونلقاهم ففرح الملك أفريدون بقدوم ابنته وقتل عمر



النعمان وأرسل إلى سائر الأقاليم يطلب منهم النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر النعمان فهرعت إليه جيوش النصارى وضاقت بهم الأرض من كثرتهم وأمر الملك الأكبر أفريدون أن يرحلوا من القسطنطينية فرحلوا واستمر تتابع عساكرهم فى الرحيل عشرة أيام وساروا حتى نزلوا بواد واسع الأطراف وكان ذلك الوادى قريبا من البحر المالح فأقاموا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أرادوا أن يرحلوا فأتتهم الأخبار بقدوم عساكر الإسلام وحماة ملة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام فأقاموا فيه ثلاثة أيام أخرى وفى اليوم الرابع رأوا غباراً طار حتى سد الأقطار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلى ذلك الغبار وتمزق إلى الجو وطار ومحت ظلمته كواكب الأسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات إسلامية وأعلام محمدية وأقبل الفرسان وهم لابسون زرود الحديد وقد صاروا فيه كالبدرة السافرة فى الليالى العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون عيسى ومريم والصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان ذلك كله تدبير العجوز ذات الدواهى لأن الملك أقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب فى هذا الأمر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير أنى أشير عليك بأمر يعجز عن تدبيره إبليس ولو استعان بحزبه المتاعيس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١١٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن هذا كله كان بتدبير العجوز لأن الملك كان أقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب فى هذا الأمر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير أنى أشير عليك بأمر يعجز عن تدبيره إبليس وهو أن ترسل خمسين ألفاً من الرجال ينزلون فى المراكب ويتوجهون فى البحر إلى أن يصلوا إلى جبل الدخان فيقيمون هناك ولايرحلون من ذلك المكان حتى يأتيكم أعلام الأسلاف فاستصوب الملك أفريدون كلام العجوز قال نعم الرأى رأيك ياسيدة العجائز الماكرة ومرجع الكهان فى الفتن الثائرة

وحين هجم عليهم عسكر الأسلاف فى ذلك الوادى لم يشعروا إلا والنار تلهب فى الخيام والسيوف تعمل فى الأجسام ثم أقبلت جيوش بغداد وخراسان وهم فى مائة وعشرين ألف فارس وفى أوائلهم ضوء المكان فلما رآهم عسكر الكفار الذين كانوا فى البحر طلعوا إليهم من البحر وتبعوا أثرهم فلما رآهم ضوء المكان قال ارجعوا إلى الكفار ياحزب النبى المختار وقاتلوا أهل الكفر والعدوان فى طاعة الرحيم الرحمن فلما اختلط المسلمون ببعضهم قويت قلوبهم ونادوا قائلين إن الله وعدنا بالنصر وأوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف والسنان واخترق شركان الصفوف وهاج فى الألوف وقاتل قتالاً تشيب منه الأطفال ولم يزل يجول فى الكفار ويعمل فيهم بالصارم البتار وينادى الله أكبر حتى رد القوم إلى ساحل البحر وكلت منهم الأجسام ونصر دين الإسلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من القوم فى ذلك الوقت خمسة وأربعون ألفًا ومن المسلمون ثلاثة آلاف وخمسمائة ثم إن أسد الدين الملك شركان لم ينم فى تلك الليلة لاهو ولا أخوه ضوء المكان بل كانا يباشران الناس ويتفقدان الجرحى ويهنئانهم بالنصر والسلامة والثواب فى يوم القيامة هذا ما كان من أمر المسلمين وأما ما كان من أمر الملك أفريدون ملك القسطنطينية وملك الروم وأمه ذات الدواهى فإنهم جمعوا أمراء العسكر وقالوا لبعضهم إنا كنا بلغنا المراد وشفينا الفؤاد ولكن إعجابنا بكثرتنا هو الذى خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهى إنه لاينفعكم إلا أنكم تتقربون للمسيح وتتمسكون بالاعتقاد الصحيح فوحق المسيح ماقوى عسكر المسلمين إلا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك أفريدون إنى قد عولت فى غد على أن أصف لهم الصفوف وأخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فإنه إذا برز إلى الملك شركان قتله وقتل غيره من الأبطال حتى لم يبق منهم أحدًا وقد عولت فى هذه الليلة على تقديسكم بالبخور الأكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الأرض وكان البخور الذى أراده خره البطريق الكبير ذى الأنكار والنكير فإنهم كانوا يتنافسون فيه وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلا منه كحلاً فى العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان إلى حمل الرماح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١١١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه لما أصبح الصباح عاد الملك أفريدون بخواص من بطارقته وأرباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب فى وجوههم وبخرهم بالبخور المتقدم ذكره الذى هو خرء البطريق الأكبر والكاهن الأمكر فلما بخرهم دعا بحضور لوقا بن شملوط الذى يسمونه سيف المسيح وكان ذلك الملعون لوقا مافى بلاد الروم أعظم منه ولا أرمى بالنبال ولا أضرب بالسيف ولا أطعن بالرمح والنزال وكان بشع المنظر كان وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد وطلعته طلعة الرقيب وقربه أصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومن الأبخر نكهته ومن القوس قامته ومن الكفر سميته بعد ذلك أقبل على الملك أفريدون وقبل قدميه ثم وقف بين يديه فقال الملك أفريدون إى أريد أن تبرز إلى شركان ملك دمشق بن عمر النعمان وقد انجلى عنا هذا الشر والهوان فقال سمعا وطاعة ثم إن الملك نقش فى وجهه الصليب وزعم أن النصر يحصل له عن قريب ثم انصرف لوقا من عند الملك أفريدون وركب الملعون لوقا جوادًا أشقر وعليه ثوب أحمر وزردية من الذهب المرصع بالجواهر وحمل رمحًا له ثلاث حراب كأنه إبليس اللعين يوم الأحزاب وتوجه هو وحزبه الكفار كأنهم يساقون إلى النار وبينهم مناد ينادى بالعربى ويقول يأمة محمد ﷺ لا يخرج منكم إلا فارسكم سيف الإسلام شركان صاحب دمشق الشام فما استتم كلامه حتى برز إليه شركان كأنه أسد غضبان وكان راكبًا على ظهرجواد يشبه شارد الغزلان فساقه نحو لوقا حتى صار عنده وهز الرمح فى يده كأنه أفعى من الحيات وأنشد هذه الأبيات :

لى أشقر سمح العنان مغاير ... يعطيك مايرضيك من مجهوده
ومثقف لدى السنان كأنما ... أم المنايا ركبت فى عوده
ومهند عضب إذا جردته ... خلت البروق تموج فى تجريده

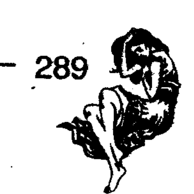
فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولاهذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيمًا للصليب المنقوش عليه ثم قبلها وأشرع الرمح نحو شركان وكر عليه ثم طوح الحربة بإحدى يديه حتى خفيت عن

أعين الناظرين وتلقاها باليد الأخرى كفعل الساحرين ثم رمى بها شركان فخرجت من يديه كأنها شهاب ثاقب فضجت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة منه اختطفها من الهواء فتحيرت عقول الورى ثم إن شركان هزها بيده التى أخذها بها من النصرانى حتى كاد أن يقصفها ورماها فى الجو حتى خفيت عن النظر وتلقاها بيده الثانية فى أقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه وقال وحق من خلق السبع الطباق لأجعلن هذا اللعين شهرة فى الآفاق ثم رماه بالحربة فأراد لوقا أن يفعل بالحربة كما فعل شركان ومد يده إلى الحربة ليختطفها من الهواء فعاجله شركان بحربة ثانية فضربه بها فوقعت فى وسط الصليب الذى فى وجهه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١١٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار لما لقوا لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم واستغاثوا ببطارقة الديور وقالوا أين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعًا عليه واعملوا الصوارم وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكأن الخيل خلقت بلا قوائم ومازال مناد الحرب ينادى إلى أن كلت الأيادى وذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعان وقد امتلأت الأرض بالقتلى وعظمت الجراحات وصار لايعرف الجريح ممن مات ثم إن شركان اجتمع بأخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان فقال شركان لأخيه ضوء المكان والحاجب إن الله قد فتح بالهلاك الكافرين والحمد الله رب العالمين فقال ضوء المكان لأخيه لم نزل نحمد الله لكشف الحرب على العرب والعجم وسوف تتحدث الناس جيلا بعد جيل بما صنعت باللعين لوقا محرف



الإنجيل وأخذك الحربة من الهواء وضربك لعدو الله بين الورى ويبقى حديثك إلى آخر الزمان ثم قال شركان أيها الحاجب الكبير والمقدام الخطير فأجابه بالتلبية فقال له خذ معك الوزير دندان وعشرين ألف فارس وسر بهم إلى ناحية البحر فقال السمع والطاعة واتفقوا على ذلك الأمر من تلك الساعة ثم تجهزوا وساروا وقد أخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين ألفًا كما أمر الملك شركان فلما أصبح الصباح ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومعتقلون بالرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق فى الربا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الرؤوس ورفعت الصلبان على قلوع المراكب وقصدوا الساحل من كل جانب وأنزلوا الخيل فى البر وعزموا على الكر والفر ولمعت السيوف وتوجهت الجموع وبرقت أشهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على الرجال والفرسان وطارت الرؤوس على الأبدان وخرست الألسن وتغشت الأعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل فى الدما وتقابضوا باللحى وصاحت عسكر الإسلام بالصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام والثناء على الرحمن بما أولى من الإحسان وصاحت عساكر الكفار بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والشعانين والمطران وتأخر ضوء المكان هو وشركان إلى ورائهما وتقهقرت الجيوش وأظهروا الانهزام للأعداء وزحفت عليهم عساكر الكفر لتولهم الهزيمة وتهيؤا للطعن والضرب فاستهل أهل الإسلام قراءة أول سورة البقرة صارت القتلى تحت أرجل الخيل مندثرة وصار منادى الروم يقول ياعبدة المسيح وذوى الدين الصحيح خدام الجاثليق قد لاح لكم التوفيق إن عساكر الإسلام قد جنحوا إلى الفرار فلا تولوا عنهم الأدبار فمكنوا السيوف من أقفائهم ولا ترجعوا من ورائهم وإلا برئتم من المسيح عيسى بن مريم الذى فى المهد تكلم وظن أفريدون ملك القسطنطينية أن عساكر الكفار منصورة ولم يعلم أن ذلك من تدبير المسلمين صوره فأرسل إلى ملك الروم يبشره بالظفر ويقول له مانفعنا إلا غائط البطريق الأكبر لما فاحت رائحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر وغائب وأقسم بالمعجزات النصرانية المريمية والمياه المعمودية أنى لا أترك على الأرض مجاهدًا بالكلية وأنى مصر على سوء هذه النية

وتوجه الرسول بهذا الخطاب ثم صاح على بعضهم قائلين خذوا بثأر لوقا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١١٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثأر لوقا وصار ملك الروم ينادى بالأخذ بثأر إبريزة فعند ذلك الصباح صاح الملك ضوء المكان وقال ياعباد الملك الديان اضربوا أهل الكفر والطغيان وإذا بشركان قد حمل هو ومن معه على الكفار وقطعوا عليهم طريق الفرار وجال بين الصفوف وطاف وإذا بفارس مليح الانعطاف قد فتح بين عسكر الكفر ميدانا وجال فى الكفرة حربا وطعانا وملأ الأرض رؤوسا وأبدانا وقد خافت الكفار من حربه ومالت أعناقهم لطعنه وضربه وقد هزم الكفار شر هزيمة فلما رآه شركان قال أعيذك بالقرآن وآيات الرحمن من أنت أيها الفارس من الفرسان فلقد أرضيت بفعلك الملك الديان الذى لايشغله شأن حيث هزمت أهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قائلا أنت الذى بالأمس عاهدتنى فما أسرع ما نسيتنى ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ماخفى من حسنه فإذا ضوء المكان ففرح به شركان إلا أنه خاف عليه من ازدحام الأقران وانطباق الشجعان فقال له يا ملك إنك قد خاطرت بنفسك فالصق جوادك بجوادى فإنى لا آمن عليك من الأعادى والمصلحة فى أن لاتخرج من تلك العصائب لأجل أن ترمى الأعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان إنى أردت أن أساويك فى النزال ولا أبخل بنفسى بين يديك فى القتال ثم انطبقت عساكر الإسلام على الكفار وأحاطوا بهم من جميع الأقطار وجاهدوهم حق الجهاد وكسروا شوكة الكفار والعناد فتأسف الملك أفريدون لما رأى ماحل بالروم من الأمر المذموم وقد ولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار يقصدون المراكب وإذا بالعساكر قد خرجوا عليهم من ساحل البحر وفى أوائلهم الوزير دندان مجندل الشجعان وضرب فيهم بالسيف والسنان وكذا الأمير بهرام صاحب دوائر الشام وهو فى عشرين ألف ضرغام وأحاطت بهم عساكر الإسلام من خلف ومن أمام

ومالت فرقة من المسلمين على من كان فى المراكب وأوقعوا فيهم المعاطب فرموا أنفسهم فى البحر وقتلوا منهم جمعا عظيمًا يزيد على مائة ألف خنزير ولم ينج من أبطالهم لاصغير ولاكبير وأخذوا مراكبهم بما فيها من الأموال والذخائر والأثقال إلا عشرين مركبًا وغنم المسلمون فى ذلك اليوم غنيمة ماغنم أحد مثلها فى سالف الزمان ولاسمعت أذن بمثل هذا الحرب والطعان ومن جملة ماغنموه خمسون ألف من الخيل والذخائر والاسلاب مما لا يحيط به حصر ولاحساب وفرحوا فرحًا عليه من مزيد بما من الله عليهم من النصر والتأييد هذا ماكان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر المنهزمين فإنهم وصلوا إلى القسطنطينية فقابلهم أفريدون ملك القسطنطينية على الساحل وأخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير وأخبروه أن لوقا بن شملوط حلت به النوائب وتمكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك أفريدون القيامة وعلم أن اعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المآتم وانحلت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب ولما دخل ملك الروم أفريدون وأخبره بحقيقة الحال وأن هزيمة المسلمين كانت على وجه الخدع والمحال قال لا تنظر أن يصل من العسكر إلا من وصل إليك فلما سمع الملك أفريدون ذلك الكلام وقع مغشيًا عليه وصار أنفه تحت قدميه . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

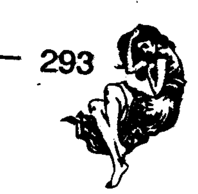
الليلة (١١٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك أفريدون لما أفاق من غشيته نفض الخوف جراب معدته فشكا إلى العجوز ذات الدواهى لأنها قرأت كتب الإسلام وسافرت إلى بيت الله الحرام كل ذلك لتطلع على الأديان وتعرف آيات القرآن ومكثت فى بيت المقدس سنتين لتحوز مكر الثقلين فهى آفة من الآفات وبلية من البليات فاسدة الاعتقاد ليست لدين تنقاد وكانت أكثر إقامتها عند ولدها حردوب ملك الروم لأجل الجوارى الأبكار لأنها كانت تحب السحاق وإن تأخرت عنها تكون فى انمحاق وكل جارية أعجبتها تعلمها الحكمة وتسحق عليها الزعفران

فيغشى عليها من فرط اللذة مدة من الزمن فمن طاوعتها أحسنت إليها ورغبت ولدها فيها ومن لاتطاوعها تتحايل على هلاكها وبسبب ذلك علمت مرجانة وريحانة وأترجة جوارى إبريزة وكانت الملكة إبريزة تكره العجوز وتكره أن ترقد معها لأن صنانها يخرج من تحت إبطيها ورائحة فسائها أنتن من الجيفة وجسدها أخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت إبريزة تبرأ منها إلى الحكيم العليم ولله در القائل :

يا من تسفل للغنى مذلة	وعلى الفقير لقد علا تياها
وزين شنعته بجمع دراهم	عطر القبيحة لايبقى بفساها

ولنرجع إلى حديث مكرها ودواهى أمرها هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فإنها طلعت خارج البلد مع أصحابها وألبستهم زى تجار المسلمين وكانت قد أخذت معها مائة بغلة محملة من القماش الأنطاكى ما بين أطلس معدنى وديباج ملكى وغير ذلك وأخذت من الملك أفريدون كتابًا مضمونه أن هؤلاء التجار من أرض الشام وكانوا فى ديارنا فلا ينبغى أن يتعرض لهم أحد بسوء عشرًا أو غيره حتى يصلوا إلى بلادهم ومحل إقامتهم لأن التجار بهم عمار البلاد وليسوا من أهل الحرب والفساد ثم إن الملعونة ذات الدواهى قالت لمن معها إنى أريد أن أدبر حيلة على هلاك المسلمين فقالوا أيها الملكة أؤمرينا بما شئت فنحن تحت طاعتك فلا أحبط المسيح عملك فلبست ثيابًا من الصوف الأبيض الناعم وحكت جبينها حتى صار له وسم ودهنته بدهان دبرته حتى صار له ضوء عظيم وكانت الملعونة نحيلة الجسم غايرة العينين فقيدت رجليها من فوق قدميها وصارت حتى وصلت إلى عسكر المسلمين ثم حلت القيد من رجليها وقد أثر القيد فى ساقيها ثم دهنتها بدم الأخوين وأمرت من معها أن يضربوها ضربًا عنيفًا وأن يضعوها فى صندوق فقالوا كيف نضربك وأنت سيدتنا ذات الدواهى فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتى الكنيف ولأجل الضرورات تباح المحظورات وبعد أن تضعونى فى الصندوق خذوه فى جملة الأموال واحملوه على البغال ومروا بذلك بين عساكر الأسلاف ولاتخشوا شيئًا من الملام وإن تعرض أحد من المسلمين فسلموا له البغال وماعليها من الأموال وانصرفوا إلى ملكهم ضوء المكان واستغيثوا به وقولوا له نحن كنا فى بلاد الكفرة



ولم يأخذوا منا شيئًا بل كتبوا لنا توقيعًا أن لايتعرض لنا حد فكيف تأخذون أنتم أموالنا وهذا كتاب ملك الروم والذى مضمونه أن لايتعرض لنا أحد بمكروه فإذا قال ما الذى ربحتموه من بلاد الروم فى تجارتكم فقولوا له ربحنا خلاص رجل زاهد وقد كان فى سرداب تحت الأرض له فيه نحو خمسة عشر عامًا وهو يستغيث فلا يغاث بل يعذبه الكفار ليلا ونهارًا ولم يكن عندنا علم بذلك مع أننا أقمنا فى القسطنطينية مدة من الزمان بعنا بضائعنا واشترينا خلافها وجهزنا حالنا وعزمنا على الرحيل إلى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث فى أمر السفر فلما أصبحنا رأينا صورة فى الحائط فلما قربنا منها تأملناها فإذا هى تحركت وقالت يا مسلمين هل فيكم من يعامل رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة إن الله أنطقنى لكم ليقوى يقينكم ويلهمكم دينكم وتخرجوا من بلاد الكافرين وتقصدوا عساكر المسلمين فإن فيهم سيف الرحمن وبطل الزمان الملك شركان وهو الذى يفتح القسطنطينية ويهلك أهل الملة النصرانية ثم إن العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام من تلك الصورة علمنا أن ذلك العابد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١١٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما اتفقت مع من معها على الكلام قالت فإذا ألقى إليكم الملك شركان سمعه فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا أن ذلك العابد من أكابر الصالحين وعباد الله المخلصين فسافرنا مدة ثلاثة أيام ثم رأينا ذلك الدير فعرجنا عليه وملنا إليه وأقمنا هناك يومًا فى البيع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار قصدنا تلك الصومعة التى فيها السرداب فسمعنا بعد تلاوة الآيات ينشد هذه الأبيات :

كيد أكابده وصدرى ضيق	وجرى بقلبى بحر هم مغرق
إن لم يكن فرج فموت عاجل	إن الحمام من الرزايا أرفق
يا برق إن جئت الديار وأهلها	وعلا عليك من البشائر رونق

كيف السبيل إلى اللقاء وبيننا　　تلك الحروب وباب رهن مغلق
بلغ أحبتنا السلام وقل لهم　　إنى بدير الروم قاص موثق

ثم قالت : إذا وصلتم بى إلى عسكر المسلمين وصرت عندهم أعرف أدبر حيلة فى خديعتهم وقتلهم عن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قيدوا يديها ووضعوها فى الصندوق بعد أن ضربوها أشد الضربات الموجعات تعظيمًا لها لأنهم يرون فى طاعتها من الواجبات ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا هذا ماكان من أمر اللعينة ذات الدواهى ومن معها (وأما) ما كان من أمر عسكر المسلمين فإنهم لما نصرهم الله على أعدائهم وغنموا ماكان من المراكب من الأموال والذخائر وصار يهنى بعضهم بعضًا بالنصر على الأعداء وهنأ الوزير دندان شركان وأخاه وقال لهما اعلما أيها الملكان أن الله عز وجل نصرنا حيث وهبنا أنفسنا وهجرنا الأهل والأوطان والرأى عندى أن نرحل وراءهم ونحاصرهم ونقاتلهم لعل الله أن يبلغنا مرادنا ونستأصل أعداءنا وإن شئتم فأنزلوا فى هذه المراكب وسيروا فى البحر ونحن نسير فى البر ونصبر على القتال والطعن والنزال ثم إن الوزير دندان مازال يحرضهم على القتال وأنشد قول من قال :

وإن عمر جعلت الحرب والده　　والمشرفى أخا والسمهرى أبا
بكل أشعث يلقى الموت مبتسمًا　　حتى كان له فى قتله إربا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من أيدنا بنصره العزيز وأظفرنا بغنيمة الفضة والإبريز أمر ضوء المكان العسكر بالرحيل فسافروا طالبين القسطنطينية وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عنهم الماء ستة أيام فلما أشرفوا على ذلك المرج رأوه كأنه جنة أخذت زخرفها وازينت وسكرت أغصانها من رحيق الظل فتمايلت وجمعت بين عذوبة النسيم فلما نظر ضوء المكان إلى ذلك المرج الذى التفت أشجاره وزهت أزهاره وترنمت أطياره نادى أخاه شركان وقال له يا أخى إن دمشق ما فيها مثل هذا المكان فلا نرحل منه إلا بعد ثلاثة أيام حتى نأخذ راحة لأجل أن تنشط عساكر الإسلام وتقوى نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام فأقاموا فيه فبينما هم كذلك إذ سمعوا أصواتًا من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل إنها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين فى هذا المكان للراحة ولعل العساكر صادفوهم وربما أخذوا شيئًا من بضائعهم التى



معهم حيث كانوا فى بلاد الكفار وبعد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون بالملك فلما رأى ضوء المكان ذلك أمر بإحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا أيها الملك إنا كنا فى بلاد الكفار ولم ينهبوا منا شيئًا فكيف تنهب أموالنا إخواننا المسلمون ونحن فى بلادهم فإننا لما رأينا عساكركم أقبلنا عليهم فأخذوا ما كان معنا وقد أخبرناك بما حصل لنا ثم أخرجوا له كتاب ملك القسطنطينية فأخذه شركان وقرأه ثم قال لهم سوف نرد عليكم ماأخذ منكم ولكن كان الواجب أن لاتحملوا تجارة إلى بلاد الكفار فقالوا يامولانا إن الله سيرنا إلى بلادهم لنظفر بما لم يظفر به أحد من الغزاة ولا أنتم فى غزوتكم فقال له شركان وما الذى ظفرتم به فقالوا مانذكر لك ذلك إلا فى خلوة لأن هذا الأمر إذا شاع بين الناس ربما اطلع عليه أحد فيكون سبيلاً لهلاكنا وهلاك كل من توجه إلى بلاد الروم من المسلمين وكانوا قد خبئوا الصندوق الذى فيه اللعينة ذات الدواهى فأخذهم ضوء المكان وأخوه واختليا بهم فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى أبكوهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١١٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن النصارى الذين فى هيئة التجار لما اختلى بهم ضوء المكان وأخوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد وبكوا حتى أبكوهما وأخبروهما كما أعلمتهم الكاهنة ذات الدواهى فرق قلب شركان وأخذته الرأفة عليه فبكى ضوء المكان وأخوه بكاء شديدًا ثم قاموا إليها وقبلا يديها ورجليها وصار ينتحبان فأشارت إليهما كفا عن هذا البكاء واسمعا كلامى فتركا البكاء امتثالا لأمرها فقالت اعلما أنى قد رضيت بما صنعه بى مولاى لأنى أرى أن البلاء الذى نزل بى امتحان منه عز وجل ومن لم يصبر على البلاء والمحن فليس له وصول إلى جنات النعيم وكنت أتمنى أنى أعود إلى بلادى لاجزعا من البلاء الذى حل بى بل لأجل أن أموت تحت حوافر خيل المجاهدين الذين هم بعد القتل أحياء غير أموات ثم أنشدت هذه الأبيات :

الحصن طور ونار الحرب موقدة	وأنت موسى وهذا الوقت ميقات
ألق العصا تتلقف كل ما صنعوا	ولاتخف ما حبال القوم حيات
فاقرأ سطور الوغى سورا	فأقر سيفك فى الأعناق آيات

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام إليها شركان وقبل يدها وأحضر لها الطعام فامتنعت وقالت إنى لم أفطر من مدة خمسة عشر عامًا فكيف أفطر فى هذه الساعة فأنا أصبر إلى الغروب فلما جاء وقت العشاء أقبل شركان هو وضوء المكان وقدما إليها الأكل وقالا لها كل أيها الزاهد فقالت ماهذا وقت الأكل وإنما هذا وقت عبادة الملك الديان ثم انتصبت فى المحراب تصلى إلى أن ذهب الليل ولم تزل على هذه الحالة ثلاثة أيام بلياليها وهى لاتقعد إلا فى وقت التحية فلما رآها ضوء المكان على تلك الحالة ملك قلبه حسن الاعتقاد فيها وقال لشركان اضرب خيمة من الأديم لذلك العابد ووكل له فراشاً بخدمته ، وفى اليوم الرابع دعت الطعام فقدموا لها من الألوان ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين فلم تأكل من ذلك إلا رغيفًا واحدًا بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت إلى الصلاة فقال شركان لضوء المكان ، أما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية الزهد ولولا هذا الجهاد لكنت لازمته واعبد الله بخدمته حتى ألقاه وقد اشتهيت أن أدخل معه الخيمة وأتحدث معه ساعة فقال له ضوء المكان وأنا كذلك ثم قالوا إننا نشتهى أن تحدثنا بسبب أسرك وتدعو لنا فى هذه الليلة فإنها خير لنا من ملك القسطنطينية فلما سمعت الكلام وقالت والله لولا أنكم أمراء المسلمين ما أحدثكم بشىء من ذلك أبدا فإنى لا أشكو إلا إلى الله وها أنا أحدثكم بسبب أسرى اعلموا أننى كنت فى القدس مع بعض الأبدال وأرباب الأحوال وكنت لا أتكبر عليهم لأن الله سبحانه وتعالى أنعم على بالتواضع والزهد فاتفق أننى توجهت إلى البحر ليلة ومشيت على الماء فداخلنى العجب من حيث لا أدرى وقلت فى نفسى من مثلى يمشى على الماء فقسما قلبى من ذلك الوقت وابتلانى الله بحب السفر فسافرت إلى بلاد الروم وجلت فى أقطارها سنة كاملة حتى لم أترك موضعًا إلا عبدت الله فيه فلما وصلت إلى هذا المكان صعدت إلى هذا الجبل وفيه دير راهب يقال له مطروحنا فلما رآنى خرج إلى وقبل يدىّ ورجلى وقال إنى رأيتك منذ دخلت بلاد الروم وقد شوقتنى إلى بلاد الإسلام ثم أخذ بيدى وأدخلنى فى ذلك الدير ثم دخل بى إلى بيت مظلم فلما دخلت فيه غافلنى وأغلق على الباب وتركنى فيه أربعين يومًا من غير طعام ولاشراب وكان قصده بذلك قتلى صبراً فاتفق فى بعض الأيام أنه دخل



ذلك الدير بطريق يقال له دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان ومعه إبنة يقال لها تماثيل ولكنها فى الحسن ليس لها مثيل . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (١١٧)

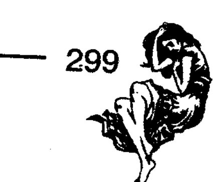
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوزة ذات الدواهى قالت إن البطريق دخل على ومعه عشرة من الغلمان ومعه ابنة فى غاية الجمال ليس لها مثيل فلما دخلوا الدير أخبرهم الراهب مطروحنا بخبرى فقال البطريق اخرجوه لأنه لم يبق من لحمه ما يأكله الطير ففتحوا باب ذلك البيت المظلم فوجدونى منتصبًا فى المحراب أصلى وأقرأ وأسبح وأتضرع إلى الله سبحانه وتعالى فلما رأونى فى تلك الحالة قال مطروحنا هذا ساحر من السحرة فلما سمعوا كلامه وقاموا جميعًا ودخلوا علىّ وأقبل على دقيانوس هو وجماعته وضربونى ضربًا عنيفًا فعند ذلك تمنيت الموت ولمت نفسى وقلت هذا جزاء من يتكبر ويعجب بما أنعم عليه ربه مما ليس فى طاقته وأنت يانفسى قد داخلك العجب والكبر أما علمت أن الكبر يغضب الرب ويقسى القلب ويدخل الإنسان فى النار ثم بعد ذلك قيدونى وردونى إلى مكانى وكان سردابًا فى ذلك البيت تحت الأرض وكل ثلاثة أيام يرمون إلى قرصة من شعير وشربة من ماء وكل شهر أو شهرين يأتى البطريق ويدخل ذلك الدير وقد كبرت ابنته تماثيل لأنها كانت بنت تسع سنين حين رأيتها ومضى لى فى الأسر خمس عشرة سنة فجملة عمرها أربعة وعشرون عامًا وليس فى بلادنا ولا فى بلاد الروم أحسن منها وكان أبوها يخاف عليها من الملك أن يأخذها منه لأنها وهبت نفسها للمسيح غير أنها تركب مع أبيها فى زى الرجال الفرسان وليس لها مثيل فى الحسن ولم يعلم من رآها أنها جارية وقد خزن أبوها أمواله فى هذا الدير لأن كل من كان عنده شىء من نفائس الذخائر يضعه فى الدير وقد رأيت فيه من أنواع الذهب والفضة والجواهر وسائر الألوان والتحف مالا يحصى عدده إلا الله فأنتم أولى به من هؤلاء الكفرة فخذوا مافى هذا الدير وأنفقوه على المسلمين فقال ضوء المكان إن قصدى أن نأخذ معنا مائة فارس وبغالا كثيرة ونتوجه إلى ذلك

الجبل ونحملهم المال الذى فى الدير ثم أرسل من وقته وساعته إلى الحاجب الكبير فأحضره بين يديه وأحضر المقدمين والأتراك والديلم وقال إذا كان وقت الصباح فارحلوا إلى القسطنطينية وأنت أيها الحاجب الكبير تكون عوضًا عنى فى الرأى والتدبير وأنت يارستم تكون نائبًا عن أخى فى القتال ولاتعلموا أحدًا أننا لسنا معكم وبعد ثلاثة أيام نلحقكم ثم انتخب مائة فارس من الأبطال وانحاز هو وأخوه شركان والوزير دندان والمائة فارس وأخذوا معهم البغال والصناديق لأجل حمل المال . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١١٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه لما أصبح الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيل فرحلوا وهم يظنون أن شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا أنهم ذهبوا إلى الدير هذا ماكان من أمرهم (وأما) ماكان من أمر الملك ضوء المكان وأخيه شركان والوزير دندان والعسكر فإنهم لما وصلوا إلى الدير دخلوه فرأوا الراهب مطروحنا قد أقبل لينظر إلى حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا اللعين فضربوه بالسيوف وأسقوه كأس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة إلى موضع النذور فأخرجوا منه التحف والذخائر أكثر مما وصفته لهم بعد أن جمعوا ذلك وضعوه فى الصناديق وحملوه إلى البغال وأما تماثيل فإنها لم تحضر هى ولا أبوها خوفًا من المسلمين فأقام ضوء المكان فى انتظارها ذلك النهار وثانى يوم وثالث يوم فقال شركان والله إن قلبى مشغول بعسكر الإسلام لا أدرى ماحالهم فقال أخوه إنا قد أخذنا هذا المال العظيم وما أظن أن تماثيل ولاغيرها يأتى إلى هذا الدير بعد أن جرى عسكر الروم وماجرى فينبغى أننا نقنع بما يسره الله لنا ونتوجه لعل الله يعيننا على فتح القسطنطينية ثم نزلوا من الجبل فما أمكن ذات الدواهى أن تتعرض لهم خوفا من التفطن لخداعها ثم إنهم ساروا إلى أن وصلوا إلى باب الشعب وإذا بالعجوز قد أكمنت لهم عشرة آلاف فارس فلما رأوهم احتاطوا بهم من كل جانب وأسرعوا نحو الرماح وجردوا عليهم بيض الصفاح ونادى الكفار بكلمة كفرهم وفرقعوا سهام شرهم فنظر ضوء



المكان وأخوه شركان والوزير دندان هذا الجيش فرأوه جيشًا عظيمًا وقالوا من أعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا أخى ماهذا وقت كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمى بالسهام فشدوا عزمكم وقووا نفوسكن فإن هذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد العرب والعجم لولا أن هذا المكان ضيق لكنت أفنيتهم لوكانوا مائة ألف فارس فقال ضوء المكان لو علمنا ذلك لأخذنا معنا خمسة آلاف فارس فقال الوزير دندان لو كان معنا عشرة آلاف فارس فى هذا المكان الضيق لاتفيدنا شيئًا ولكن الله يعيننا عليهم وأنا أعرف هذا الشعب وضيقه وأعرف أن فيه مفاوز كثيرة لأنى قد غزوت فيه مع الملك عمر النعمان حين حاصرنا القسطنطينية وكنا نقيم فيه وفيه ماء أبرد من الثلج فانهضوا بنا لنخرج من هذا الشعب قبل أن يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا إلى رأس الجبل فيرموا علينا بالحجارة ولا نملك فيهم أربًا فأخذوا فى الإسراع بالخروج من ذلك الشعب فنظر إليهم الزاهد وقال لهم ماهذا الخوف وأنتم قد بعتم أنفسكم لله تعالى فى سبيله والله إنى مكثت مسجونًا تحت الأرض خمسة عشر عامًا ولم أعترض على الله فيما فعل بى فقاتلوا فى سبيل الله فمن قتل منكم فالجنة مأواه ومن قتل فإلى الشرف مسعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان ولعبت فى أعناقهم السيوف ودارت بينهم كاسات الحتوف وقاتل المسلمون بقية يومهم إلى آخر النهار ولما أقبل الليل نزلوا فى مغارة من ذلك الشعب من كثرة ماحصل لهم من الوبال ورمى الحجارة وقتل منهم فى ذلك اليوم خمسة وأربعون رجلا ولما اجتمعوا مع بعضهم فتشوا عن ذلك الزاهد فلم يجدوا له أثر فعظم عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان أنا رأيته يقوى الفرسان بالإشارة الربانية ويعيذهم بالآيات الرحمانية فبينما هم فى الكلام وإذا بالملعونة دواهى قد أقبلت وفى يدها رأس البطريق الكبير الرئيس على العشرين ألفا وكان جبارًا عنيدًا وشيطانًا مريدًا وقد قتله رجل من الأتراك بسهم فعجل الله بروحه إلى النار فلما رأى الكفار مافعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكليتهم عليه وأوصلوا الأذية إليه فعجل الله به إلى الجنة ثم إن الملعونة قطعت رأس ذلك البطريق وأتت بها وألقتها بين يدى شركان والملك ضوء المكان والوزير دندان

فلما رآها شركان وثب قائمًا على الأقدام وقال الحمد لله على رؤيتك أيها العابد المجاهد الزاهد فقالت ياولدى إنى قد طلبت الشهادة فى هذا اليوم فصرت أرمى روحى بين عسكر الكفار وهم يهابوننى فلما انفصلتم أخذتنى الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكان يعد بألف فارس فضربته حتى أطحت رأسه عن بدنه ولم يقدر أحد من الكفار أن يدنو منى وأتيت برأسه إليكم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (١١٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن اللعينة ذات الدواهى قالت أتيت برأسه إليكم لتقوى نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد وأريد أن أشغلكم فى الجهاد وأذهب إلى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم عندهم بعشرين ألف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان صدقت أيها الزاهد لأنى شاهدت ذلك وإذا كنت تقدر أن تمضى أول الليل يكون أجود لنا فقال أنا امضى فى هذه الساعة وأن كنت تريد أن تجىء معى و لايراك أحد فقم وإن كان أخوك يذهب معنا أخذناه دون غيره فإن ظل الولى لايستر غير اثنين ؛ فقال شركان أما أنا فلا أترك أصحابى ولكن إذا كان أخى يرضى بذلك فلا بأس حيث ذهب معك وخلص من هذا الضيق فإنه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وإن شاء فليأخذ معه الوزير دندان من يختار ثم يرسل إلينا عشرة آلاف إعانة على هؤلاء اللئام واتفقوا على هذا الحال فعند ذلك خرجت العجوز ذات الدواهى وكان شركان حدث أخاه بعد خروجها وقال لولا أن هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لأنه كان جبارًا عنيدًا وشيطانًا مريدًا فبينما هم يتحدثون فى كرامات الزاهد وإذا باللعينة ذات الدواهى قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفر فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا أن هذا حيلة وخداع ، ثم قالت اللعينة أين ملك الزمان ضوء المكان ؛ فأجابها بالتلبية فقالت له خد معك وزيرك وسر خلفى حتى نذهب إلى القسطنطينية وكانت ذات الدواهى قد أعلمت الكفار بالحيلة التى عملتها ففرحوا بذلك غاية



الفرح وقالوا مايجبر خاطرنا إلا قتل ملكهم فى نظير قتل البطريق لأنه لم يكن عندنا أفرس منه وقالوا لعجوز النحس ذات الدواهى حين أخبرتهم أنها تذهب إليهم بملك المسلمين إذا أتيت به نأخذه إلى الملك أفريدون ثم إن العجوز ذات الدواهى توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهى سابقة عليهما وتقول لهما سيروا على بركة الله تعالى فأجاباها إلى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم ووصلوا إلى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون إليهم ولايتعرضوا لهم بسوء لأن الملعونة أوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان إلى عساكر الكفار وعرفوا أن الكفار عاينوهم ولم يتعرضوا لهم قال الوزير دندان والله أن هذه كرامة من الزاهد ولاشك أنه من الخواص فقال ضوء المكان والله إن الذى حل بنا عقوبة لنا من الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٢٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار وضعوا القيود فى أرجلهما ووكلوا بهما هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوزير دندان (وأما) ماكان من أمر شركان فإنه بات تلك الليلة فلما أصبح الصباح قام وصلى الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر وتأهبوا إلى قتال الكفار وقوى قلوبهم شركان ووعدهم بكل خير ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى الكفار فلما رآهم الكفار من بعيد قالوا لهم يا مسلمين إنا أسرنا سلطانكم ووزيره الذى به انتظام أمركم وإن لم ترجعوا عن قتالنا قتلناكم عن آخركم فلما سمع شركان كلامهم وتحقق أسر أخيه والوزير دندان عظم عليه وبكى وضعفت قوته وأيقن بالهلاك وقال فى نفسه ياترى ما سبب أسرهما عما حصل منهما من إساءة أدب فى حق الزاهد واعتراض عليه وماشأنهما ثم نهضوا إلى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وتبين فى ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافتت عليهم الكفار تهافت الذباب على الشراب من كل مكان ومازال شركان ومن معه يقاتلون قتال من

لايخاف الموت ولا يعتريه فى طلب الفرصة حتى سال الوادى بالدماء وامتلأت الأرض بالقتلى فلما أقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين ذهب إلى مكانه وعاد المسلمون إلى تلك المغارة ولم يبق منهم إلا القليل ولم يكن منهم إلا على الله والسيف تعويل وقد قتل منهم فى هذا النهار خمسة وثلاثون فارسًا من الأمراء والأعيان وإن من قتل بسيفهم من الكفار آلاف من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الأمر ، وقال لأصحابه كيف العمل فقال له أصحابه لايكون إلا مايريده الله تعالى فلما كان ثانى يوم قال شركان لبقية العسكر إن خرجتم للقتال مابقى منكم أحد لأنه لم يبق عندنا إلا القليل من الماء والزاد والرأى الذى عندى فيه الرشاد أن تجردوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لأجل أن تدفعوا عن أنفسكم كل من يدخل عليكم فلعل الزاهد أن يكون وصل إلى عسكر المسلمين ويأتينا بعشرة آلاف فارس فيعينون على قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه هو ومن معه فقال له أصحابه إن هذا الرأى هو الصواب وما فى سداده ارتياب ثم إن العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا فى طرفيه وكل من أراد أن يدخل عليهم من الكفار يقتلوه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وصبروا على قتال الكفار إلى أن ذهب النهار وأقبل الله بالاعتكار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٢١)

قالت أبلغنى أيها الملك السعيد أنه عندما أقبل الليل لم يبق عند الملك شركان إلا خمسة وعشرون رجلا لاغير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضى هذه الأيام فإننا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم لبعض قوموا نهجم عليهم فإنه لم يبق منهم إلا خمسة وعشرون رجلا فإن لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فإذا انقادوا وسلموا أنفسهم إلينا أخذناهم أسارى وإن أبو تركناهم حطبًا للنارحتى يصيروا عبرة لأولى الأبصار فلا رحم لمسيح أباهم ولاجعل مستقر النصارى مثواهم إنهم حطوا الحطب إلى باب المغارة وأضرموا فيه النار فأيقن شركان ومن معه



بالبوار فبينما كذلك وإذا بالبطريق الرئيس عليهم التفتت إلى المشير بقتلهم وقال له لايكون قتلهم إلا عند الملك أفريدون لأجل أن يشفى غليله فينبغى أننا نبقيهم عندنا أسارى وفى غد نسافر بهم إلى القسطنطينية ونسلمهم إلى الملك أفريدون فيفعل بهم مايريد فقالوا هذا هو الرأى الصواب ثم أمروا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حرسا فلما جن الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه وكان شركان وضوء المكان مقيدين وكذلك من معهم من الأبطال فعند ذلك نظر شركان إلى أخيه وقال يا أخى كيف الخلاص؟ فقال ضوء المكان والله لا أدرى وقد صرنا كالطير فى الأقفاص فاغتاظ شركان وتنهد من شدة غيظه فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام إلى رئيس الحراس وأخذ مفاتيح القيود من جيبه وفك ضوء المكان وفك الوزير دندان وفك بقية العسكر فلما خلصوا جميعًا من الأسر وصاروا فى أمن من الكفار التفت إليهم شركان وقال لهم لاتخافوا حيث سترنا الله ولكن عندى رأى ولعله صواب فقالوا وما هو قال أريد أن تطلعوا فوق الجبل وتكبروا كلكم تكبيرة واحدة وتقولوا لقد جاءتكم العساكر الإسلامية ونصيح كلنا صيحة واحدة ونقول الله أكبر فيفترق الجمع من ذلك ولايجدون لهم فى هذا الوقت حيلة فإنهم سكارى ويظنون أن عسكر المسلمين أحاطوهم من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضربًا بالسيف فى بعضهم من دهشة السكر والنوم فنقطعهم بسيوفهم ويدور السيف فيهم إلى الصباح فأجابوه إلى ذلك وطلعوا إلى فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والأشجار والأحجار من خشية الله تعالى فسمع الكفار وذلك التكبير فصاح الكفار صيحة مزعجة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٢٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه عندما صاح الكفار على بعضهم ولبسوا السلاح وقالوا قد هجمت علينا الأعداء وحق المسيح ثم قتلوا من بعضهم مالا يعلم عدده إلا الله تعالى فلما

كان الصباح فتشوا على الأسارى فلم يجدوا لهم أثراً فقال رؤساؤهم إن الذى فعل بكم هذه الفعال هم الأسارى الذين كانوا عندنا فدواكم والسعى خلفهم حتى تلحقوهم فتسقوهم كأس الوبال ولايحصل لكم خوف ولا انذهال ثم إنهم ركبوا خيولهم وسعوا خلفهم فما كان إلا لحظة حتى لحقوهم وأحاطوا بهم فلما رأى ضوء المكان ذلك ازداد به الفزع وقال لأخيه الذى خفت من حصوله قد حصل ومابقى لنا حيلة إلا الجهاد فلزم شركان السكون عن المقال ثم إنحدر ضوء المكان من أعلى الجبل وكبرت معه الرجال وعولوا على الجهاد وبيع أنفسهم فى طاعة رب العباد فبينما هم كذلك وإذا بأصوات يصيحون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فالتفتوا إلى جهة الصوت فرأوا جيوش المسلمين وعساكر الموحدين مقبلين ثم انحاز المسلمون إلى بعضهم وباتوا مستبشرين طول ليلهم فلما أصبح الصباح وأشرق نوره ولاح رأوا بهرام مقدم الديلم ورستم مقدم الأتراك ومعهما عشرين ألف فارس مقبلين عليهم كالليوث العوابس فلما رأوا ضوء المكان ترجل الفرسان وسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه فقال لهم ضوء المكان أبشروا بنصر المسلمين وهلاك الكافرين ثم هنوا بعضهم بالسلامة وعظيم الأجر فى القيامة وكان السبب فى مجيئهم إلى هذا المكان أن الأمير بهرام والأمير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين والرايات على رؤوسهم منشورة حتى وصلوا إلى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على الأسوار وملكوا الأبراج والقلاع واستعدوا فى كل حصن مناع حين علموا بقدوم العساكر الإسلامية وقد سمعوا قعقعة السلاح ونظروا فرأوا المسلمين وسمعوا حوافر خيولهم من تحت الغبار فإذا هم كالجراد المنتشر والسحاب المنهمر وسمعوا أصوات المسلمين بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن هذا ما كان سبب مجيئهم (وأما) ماكان من أمر العجوز ذات الدواهى فإنها لما أوقعت السلطان ضوء المكان وأخاه شركان والوزير دندان فى أيدى الكفار أخذت تلك العاهرة جواد وركبته وقالت للكفار أريد أن ألحق عسكر المسلمين وأتخيل على هلاكهم لأنهم فى القسطنطينية فأعلمهم أن أصحابهم هلكوا فإذا سمعوا ذلك منى تشتت شملهم وانصرم حبلهم وتفرق جمعهم ثم أدخل أنا إلى الملك أفريدون ملك القسطنطينية وولدى الملك حردوب ملك



الروم وأخبرهما بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما إلى المسلمين ويهلكونهم لايتركون أحدًا منهم ثم سارت تقطع الأرض على ذلك الجواد طول الليل فلما أصبح الصباح لاح لها عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات وأخفت جوادها هناك ثم خرجت وتمتمت قليلا وهى تقول فى نفسها لعل عساكر المسلمين قد رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية فلما قربت منهم نظرت إليهم وتحققت أعلامهم فرأتها غير منكسة فعلمت أنهم أتوا غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم وأصحابهم فلما عاينت ذلك أسرعت نحوهم بالجرى الشديد مثل الشيطان المريد إلى أن وصلت إليهم وقالت لهم العجل العجل ياجند الرحمن إلى جهاد حزب الشيطان فلما رآها بهرام أقبل عليها وترجل وقبل الأرض بين يديها وقال لها يا ولى الله ما وراءك فقالت لاتسأل عن سوء الحال وشديد الأهوال فإن أصحابنا لما أخذوا المال من دير مطروحنا أرادوا أن يتوجهوا إلى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جرار ذو بأس من الكفار ثم إن الملعونة أعادت عليهم أرجافا ووجلا وقالت إن أكثرهم هلك ولم يبق إلا خمسة وعشرون رجلا فقال بهرام أيها الزاهد متى فارقتهم فقال فى ليلتى هذه فقال بهرام سبحان الذى طوى لك الأرض البعيدة وأنت ماشى على قدميك متكئا على جريدة لكنك من الأولياء الطيارة المهمين وحى الإشارة ثم ركب على ظهر جواده وهو مدهوش وحيران بما سمعه من ذات الإفك والبهتان وقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا وأسر سلطاننا ومن معه ثم قالوا لبعضهم أسرعوا بنا إلى القسطنطينية لأننا تركنا أصحابنا هناك وقلوبنا عندهم فعند ذلك أسرعوا فى المسير وتوكلوا على اللطيف الخبير وكان ضوء المكان يقوى المسلمين على الثبات وينشد هذه الأبيات :

لك الحمد مستوجب الحمد والشكر	فما زالت لى بالعون يارب فى أمرى
ربيت غريبا فى البلاد وكنت لى	كفيلا وقد قدرت يا ربنا نصرى
وأعطيتنى مالا وملكا ونعمة	وقلدتنى سيف الشجاعة والنصر
وخولتنى ظل المليك معمرًا	وقد وجدت لى من فيض جودك بالغمر

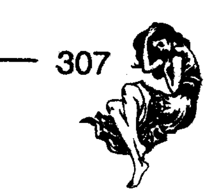
وسلمتنـى مـن كل خطب حذرته	بمشـورة الصـدر الـوزير فتـى الدهـر
بفضلك قد صلنا على الروم صولة	وقـد رجعـوا بالضـرب فـى خـور
وأظهـرت أنـى قـد هـزمت هزيمة	وعـدت عليهـم عـودة الضيغـم الغمـر
تـركتهم فـى القاع صرعـى كأنهم	نشـاوى بكـأس المـوت لاقهـوة الخمـر
وصـارت بـأيدينا المـراكب كـلها	وصـار لنا السلطـان فـى البـر والبحـر
وجـاء إلينا الـزاهد العابـد الـذى	كـرامته شـاعت لـذى البـدو والحضـر
أتينا لأخـذ الثار مـن كـل كـافر	وقـد شـاع عند النـاس مـا كان من أمرى
وقـد قتلوا مـنا رجـالا فأصبحوا	لهـم غـرف فـى الخلد تعلـوا علـى نهر

فلما فرغ ضوء المكان من شعره هنأه أخوه شركان بالسلامة وشكره على أفعاله ثم إنهم توجهوا مجدين المسير . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (١٢٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان هنأ أخاه ضوء المكان بالسلامة وشكره على أفعاله ثم إنهم توجهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم هذا ماكان من أمرهم (وأما) ماكان من أمر العجوز ذات الدواهى فإنها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت إلى الغابة وأخذت جوادها وأتت به إلى السرادق الذى فيه الحاجب فلما رآها نهض لها قائمًا وأشار إليها بالإيماء وقال مرحبًا بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فأخبرته بخبرها المرجف وبهتانها المتلف وقالت له إنى أخاف على الأمير رسم والأمير بهرام لأنى قد لاقيتهما مع عسكرهما فى الطريق وأرسلتهما إلى الملك ومن معه وكانا فى عشرين ألف فارس والكفار أكثر منهم وإنى أردت فى هذه الساعة أن ترسل جملة من عسكرك حتى تلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن آخرهم وقالت لهم العجل العجل فلما سمع الحاجب والمسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم وبكوا وقالت لهم ذات الدواهى استعينوا بالله واصبروا على هذه الرزية فلكم أسوة بمن سلف من الأمة المحمدية فالجنة



ذات القصور أعدها لمن يموت شهيداً ولابد من الموت لكل أحد ولكنه فى الجهاد أحمد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهى دعا بأخى الأمير بهرام وكان فارسًا يقال له تركاش وانتخب له عشرة آلاف فارس وأبطال عوابس وأمره بالسير فسار فى ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما أصبح الصباح رأى شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين وقال إن هذه عساكر مقبلة علينا فإما أن يكونوا من عسكر المسلمين فهذا هو النصر المبين وإما أن يكونوا من عسكر الكفار فلا اعتراض على الأقدار ثم إنه أتى إلى أخيه ضوء المكان وقال له لاتخف أبدا فإنى أفديك بروحى من الرد فإن كان هؤلاء من عسكر الإسلام فهذا مزيد الإنعام وإن كان هؤلاء أعداؤنا فلابد من قتالهم لكن اشتهى أن أقابل العابد قبل موتى لأسأله أن يدعو لى أن لا أموت إلا شهيداً فبينما هم كذلك وإذا بالرايات قد لاحت مكتوبًا عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله فصاح شركان كيف حال المسلمين قالوا بعافية وسلامة ما أتينا إلا خوفًا عليكم ثم ساروا مجدين فى سيرهم فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد سار حتى سد الأقطار وأظلم منه النهار فنظر إليه شركان وقال إنى أخاف أن يكون الكفار قد كسروا عسكر الإسلام لأن هذا الغبار سد المشرقين وملأ الخافقين ثم لاح من تحت ذلك عمود من الظلام أشد سواداً من حالك الأيام ومازالت تقرب منهم تلك الدعامة وهى أشد من هول يوم القيامة فتسارعت إليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب سوء هذا الحال فرأوه الزاهد المشار إليه فازدحموا على تقبيل يديه وهو ينادى يا أمة خير الأنام ومصباح الظلام إن الكفار غدروا بالمسلمين فأدركوا عساكر الموحدين وأنقذوهم من أيدى الكفرة اللئام فإنهم هجموا عليهم فى الخيام ونزل بهم العذاب المهين وكانوا فى مكانهم آمنين فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبه من شدة الخفقان وترجل عن جواده وهو حيران ثم قبل يد الزاهد ورجليه وكذلك ضوء المكان وبقية العسكر من الرجال والركبان إلا الوزير دندان فإنه لم يترجل عن جواده وقال والله إن قلبى نافر من هذا الزاهد لأنى ماعرفت للمتنطعين فى الدين غير الفاسد فاتركوه وأدركوا أصحابكم المسلمين فإن هذا من المطرودين عن باب رحمة رب العالمين فكم غزوت مع الملك عمر النعمان ودست أراضى هذا المكان فقال له

شركان دع هذا الظن الفاسد أما نظرت إلى هذا العابد وهو يحرض المؤمنين على على القتال ولا يبالى بالسيوف والنبال وما دروا أن هذا الزاهد الطاهر هو الذى قال فى مثله الشاعر :

صلى وصام لامر كان يطلبه لما قضى الأمر لاصلى ولاصاما

ثم إن ذلك الزاهد مازال ماشيًا بين الخيل والرجال كأنه الثعلب المحتال للاغتيال وسار رافعًا صوته بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن ومازالوا سائرين حتى أشرفوا على عسكر الإسلام فوجدهم شركان فى حالة الانكسار والحاجب قد أشرق على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الأبرار والفجار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٢٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السبب فى خزل المسلمين أن اللعينة ذات الدواهى هى عدوة الدين لما رأت بهرام ورستم قد سارا بعسكرهما نحو شركان وأخيه ضوء المكان سارت هى نحو عسكر المسلمين وأنقذت الأمير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك أن تفرق عسكر المسلمين لأجل أن يضعفوا ثم تركتهم وقصدت القسطنطينية ونادت بطارقة الروم بأعلى صوتها وقالت أدلوا حبلا لأربط فيه هذا الكتاب وأوصلوه إلى ملككم أفريدون ليقرأه هو وولدى ملك الروم ويعملان بما فيه من أوامره ونواهيه فادلوا لها حبلا فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند الداهية العظمى والطامة الكبرى ذات الدواهى إلى الملك أفريدون أما بعد فإنى دبرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنين وقد أسرتهم وأسرت سلطانهم ووزيرهم ثم توجهت إلى عسكرهم أخبرتهم بذلك فانكسرت شوكتهم وضعفت قوتهم فلما وصل كتابها إلى الملك أفريدون وفرح فرحًا شديدًا وأرسل فى الحال ملك الروم ابن ذات الدواهى وأحضره وقرأ الكتاب عليه ففرح وقال انظر مكر أمى فإنه يغنى عن السيوف وطلعتها تنوب عن هول اليوم المخوف فقال الملك أفريدون لا أعدم المسيح طلعة أمك ولا أخلاك من مكرك ولؤمك ثم إنه أمر البطارقة أن ينادوا بالرحيل إلى خارج المدينة وشاع الخبر فى القسطنطينية وخرجت عساكر النصرانية



والعصابة الصليبية وجردوا السيوف الحداد وأعلنوا بكلمة الكفر والإلحاد وكفروا برب العباد فلما نظر الحاجب إلى ذلك قال إن الروم قد وصلوا إلينا وقد علموا أن سلطاننا غائب فربما هجموا علينا وأكثر عساكرنا قد توجه إلى الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب و نادى ياعسكر المسلمين وحماة الدين المتين إن هربتم هلكتم وإن صبرتم نصرتم فاعلموا أن الشجاعة صبر ساعة وماضاق الأمر إلا أوجد الله اتساعه بارك الله فيكم ونظر إليكم بعين الرحمة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٢٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الحاجب قال لجيوش المسلمين بارك الله عليكم ونظر إليكم بعين الرحمة فعند ذلك كبر المسلمون وصاح الموحدون ودارت رحى الحرب بالطعن والضرب وعملت الصوارم والرماح وملأ الدم الأودية والبطاح وقسمت القسوس والرهبان وشدوا الزنانير ورفعوا الصلبان وأعلن المسلمون بالتكبير وصاحوا بتلاوة القرآن فلما نظر الكفار إلى الرايات المحمدية وعليها كلمة الإخلاص الإسلامية صاحوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور ونادوا يوحنا ومريم والصليب المسخم وانقبضت أيديهم عن القتال وقد أقبل الملك أفريدون على ملك الروم وصار أحدهما إلى الميمنة والآخر فى الميسرة وعندهم فارس يسمى لاويا فوقف وسطهما واصطفوا للنزال وإن كانوا فى فزع وزلزال ثم صفت المسلمون عساكرهم فعند ذلك أقبل شركان على أخيه ضوء المكان وقال له ياملك الزمان لاشك أنهم يريدون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن أحب أن أقدم من العسكر من له عزم ثابت فإن التدبير نصف المعيشة فقال السلطان ماذا تريد ياصاحب الرأى السديد فقال شركان أريد أن أكون فى قلب عسكر الكفار وأن يكون الوزير دندان فى الميسرة وأنت فى الميمنة والأمير بهرام فى الجناح الأيمن والأمير رستم فى الجناح الأيسر وأنت أيها الملك العظيم تكون تحت الأعلام والرايات لأنك عمادنا وعليك بعد الله اعتمادنا ونحن كلنا نفديك من كل أمر يؤذيك فشكره ضوء المكان على

ذلك وارتفع الصياح وجردت الصفاح فبينما هم كذلك وإذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم وقال إنى رسول إليكم أجمعين وما على الرسول إلا البلاغ فاعطونى الإقالة حتى أبلغكم الرسالة فقال له شركان الأمان فلا تخش ضرب سيف ولاطعن سنان فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع الصليب من عنقه بين يدى السلطان وخضع راجى الإحسان فقال له المسلمون مامعك من الأخبار فقال إنى رسول من عند الملك أفريدون نصحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الإنسانية والهياكل الرحمانية وبينت له أن الصواب حقن الدماء والاقتصار على فارسين فى الهيجاء فأجابنى إلى ذلك وهو يقول لكم إنى فديت عسكرى بروحى فليفعل ملك المسلمين مثلى ويفدى عسكره بروحه فإن قتلنى فلا يبقى لعسكر الكفار ثبات وإن قتلته فلا يبقى لعسكر المسلمين ثبات . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٣٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن رسول الملك أفريدون لما قال للمسلمين إن قتل ملك المسلمين فلا يبقى لعسكره ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال ياراهب إنا أجبناه إلى ذلك وقل له أن البراز يكون غد لأننا أتينا من سفرنا على تعب فى هذا اليوم وبعد الراحة لاعتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل إلى الملك أفريدون ملك الروم وأخبره بذلك ففرح الملك أفريدون غاية الفرح وزال عنه الهم والترح وقال فى نفسه لاشك أن شركان هذا هو أضربهم بالسيف وأطعنهم بالسنان فإذا قتلته انكسرت همتهم وضعفت قوتهم وقد كانت ذات الدواهى هى كاتبت الملك أفريدون بذلك وقالت له إن شركان هو فارس الشجعان وشجاع الفرسان وحذرت أفريدون من شركان وكان أفريدون فارسًا عظيمًا لأنه كان يقاتل بأنواع القتال ويرمى بالحجارة والنبال ويضرب بالعمود الحديد ولايخشى من البأس الشديد ثم بات الكفار تلك الليلة فى فرح وسرور وشرب خمور فلما كان الصباح أقبلت الفوارس بسور الرماح وبيض الصفاح وإذا هم بفارس قد برز فى الميدان وهو راكب على جواد من الخيل الجياد معدة للحرب والجلاد

وله قوائم شداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد معد للبأس الشديد وفى صدره مرآة من الجوهر وفى يده صارم أبتر وقنطارية خلنجية من غريب عمل الإفرنج ثم إن الفارس كشف عن وجهه وقال من عرفنى فقد اكتفانى ومن لم يعرفنى فسوف يرانى أنا أفريدون المغمور ببركة شواهى ذات الدواهى فما تم كلامه حتى خرج فى وجهه فارس المسلمين شركان ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فصار الاثنان كأنهما جبلان يصطدمان أو بحران يلتطمان ثم تقاربا وتباعدا والتصقا وافترقا ولم يزالا فى كر وفر وهزل وجد وضرب وطعن والجيشان ينظران إليهما وبعضهم يقول إن شركان غالب والبعض يقول إن أفريدون غالب ولم يزل الفارسان على هذا الحال حتى بطل القيل والقال وعلا الغبار وولى النهار ومالت الشمس إلى الاصفرار وصاح الملك أفريدون على شركان وقال وحق المسيح والاعتقاد الصحيح ما أنت إلا فارس كرار وبطل مغوار غير أنك غدار وطبعك ماهو إلا طبع الأخيار لأنى أرى فعلك غير حميد وقتالك قتال الصنديد وقومك ينسبونك إلى العبيد وهاهم أخرجوا لك غير جوادك وتعود إلى القتال وإنى وحق دينى قد أعيانى قتالك وأتعبنى ضربك وطعانك فإن كنت تريد قتالى فى هذه الليلة فلا تغيرشيئًا من عدتك ولاجوادك حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك فلما سمع شركان هذا الكلام اغتاظ من قول أصحابه فى حقه حيث ينسبونه إلى العبيد فالتفت إليهم شركان وأراد أن يسير إليهم ويأمرهم أن لايغيروا له جوادًا ولا عدة وإذا بأفريدون هز حربته وأرسلها إلى شركان فالتفت وراءه فلم يجد أحدًا فعلم أنها حيلة من الملعون فرد وجهه بسرعة وإذا بالحربة قد أدركته فمال عنها حتى ساوى برأسه قربوس سرجه فجرت الحربة على صدره وكان شركان عالى الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصاح صيحة واحدة وغاب عن الدنيا فلما رأى ضوء المكان أخاه مائلا على الجواد كاد أن يقع أرسل نحوه الفرسان فتسابقت إليه الفرسان وأتوا به إليه وحملت الكفار على المسلمين والتقى الجيشان واختلط الصفان وعمل اليمانى وكان أسبق الناس إلى شركان الوزير دندان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (١٢٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان رأى اللعين قد ضرب أخاه شركان بالحربة ظن أنه مات فأرسل إليه الفرسان وكان أسبق الناس إليه الوزير دندان وأمير الترك بهرام وأمير الديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فأسندوه ورجعوا به إلى أخيه ضوء المكان ثم أوصوا به الغلمان و عادوا إلى الحرب والطعان واشتد النزال وتقصفت النصال وبطل القيل والقال إلى أن ذهب أكثر الليل وكلت الطائفتان عن القتال فنادوا بالانفصال ورجعت كل طائفة إلى خيامها وتوجه جميع الكفار إلى ملكهم أفريدون وقبلوا الأرض بين يديه وهنأه القسوس والرهبان بظفره بشركان ثم إن الملك أفريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسى مملكته وأقبل عليه ملك الروم وقال له قوى المسيح ساعدك واستجاب من الأم الصالحة ذات الدواهى ماتدعو به لك واعلم أن المسلمين مابقى لهم إقامة بعد شركان فقال أفريدون فى غد يكون الانفصال إذا خرجت إلى النزال وطلبت ضوء المكان وقتلته فإن عسكرهم يولون الأدبار ويركنون إلى الفرار هذا ما كان من أمر الكفار (وأما) ما كان من عساكر الإسلام فإن ضوء المكان لما رجع إلى الخيام لم يكن له شغل إلا بأخيه فلما دخل عليه وجده فى أسوأ الأحوال وأشد الأهوال فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه اقتضى رأيهم إحضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده تلك الليلة فى آخر الليل أقبل عليهم الزاهد وهو يبكى فقال الزاهد ياولدى عليك بجميل الصبر يعظم الله لك الأجر فإن الأجر على قدر المشقة فقال شركان ادع لى فدعا له فلما أصبح الصباح وبان الفجر ولاح برزت المسلمون إلى ميدان الحرب و تهيأ الكفار للطعن والضرب وتقدمت عساكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح وجردوا السلاح وأراد الملك ضوء المكان وأفريدون أن يحملا على بعضهما وإذا بضوء المكان خرج إلى الميدان وخرج معه الوزير دندان والحاجب وبهرام وقالوا لضوء المكان نحن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا أقعد عن الخروج إلى هؤلاء العلوج فلما صار فى الميدان لعب



بالسيف والسنان حتى أذهل الفرسان وتعجب الفريقان وحمل فى الميمنة فقتل منها بطريقين وفى الميسرة فقتل منها بطريقين ونادى فى وسط الميدان أين أفريدون حتى أذيقه عذاب الهوان فأراد الملعون أن يولى وهو مغبون فأقسم عليه ضوء المكان أن لايبرح من الميدان وقال له ياملكًا بالأمس كان قتال أخى واليوم قتالى وأنا بشجاعتك لا أبالى ثم خرج وبيده صارم وتحته حصان كأنه عنتر فى حومة الميدان وذلك الحصان أدهم مغاير كما قال فيه الشاعر :

قد سابق الطرف بطرف سابق كـأنه يـريد إدراك القـدر

دهـمته تبـدى سـوادًا حالكا كأنها ليل إذا بالليل عـكـر

صهيـله يـزعـج مـن يسمعه كأنه الرعد إذا الرعد زجر

لوسابق الريح جرى من قبلها والبـرق لا يسـبقه إذا ظهـر

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترس من مضاربه وأظهر ما فى بطنه من عجائبه وأخذا فى الكر والفر حتى ضاقت الصدور وقل الصبر للمقدور وصاح ضوء المكان وهجم على ملك القسطنطينية أفريدون وضربه ضربة أطاح بها رأسه وقطع أنفاسه فلما نظرت الكفار إلى ذلك حملوا جميعًا عليه وتوجهوا بكليتهم إليه فقابلهم فى حومة الميدان واستمر الضرب والطعان حتى سال الدم بالجريان وضج المسلمون بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وأنزل الله النصر على المؤمنين والخزى على الكافرين فسجد وشكر الكريم المتعـال ثم أقبل عليـه وهنأه بالسلامة فقال له شركان إننا كلنا فى بركة هذا الزاهد الأواب وما انتصرنا إلا بدعائه المستجاب فإنه لم يزل اليوم قاعدًا يدعو للمسلمين بالنصر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (١٢٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما دخل على أخيه شركان وجده جالسًا والعابد عنده ففرح وأقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال إن شركان قال إننا كلنا فى بركة هذا الزاهد

وما انتصر ثم إلا بدعائه لكم فإنه مابرح اليوم يدعو للمسلمين وكنت وجدت فى نفسى قوى حين سمعت تكبيركم فعلمت أنكم منصورون على أعدائكم فاحك لى يا أخى ما وقع لك فحكى له جميع ما وقع له مع الملعون أفريدون وأخبره أنه قتله وراح إلى لعنة الله فأثنى عليه وشكر مسعاه فلما سمعت ذات الدواهى وهى فى صفة الزاهد بقتل ولدها أفريدون وانقلب لونها بالاصفرار ثم إنها قالت فى نفسها وحق المسيح مابقى فى حياتى فائدة إن لم أحرق قلبه على أخيه شركان كما أحرق قلبى على عماد الملة النصرانية والعبادة الصليبية الملك أفريدون ولكنها كفت



(العجوزة شواهى ذات الدواهى وبيدها خنجر وهى داخلة على شركان وهو غرقان فى النوم هو وغلمانه)



مابها ثم إن الوزير دندان والملك شركان والحاجب استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللزق والأدهان وأعطوه الدواء فتوجهت العافية وفرحوا بذلك فرحًا شديدًا وأعلموا به العساكر فتباشر المسلمون وقالوا فى غد يركب معنا ويباشر الحصار ثم إن شركان قال لهم إنكم قاتلتم اليوم وتعبتم من القتال فينبغى أن تتوجهوا إلى أماكنكم وتناموا ولاتسهروا فأجابوه إلى ذلك وتوجه كل منهم إلى سرادقه ومابقى عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهى فتحدث معها قليلا من الليل ثم اضطجع لينام وكذلك الغلمان فلما غلب عليهم النوم صاروا مثل الأموات هذا ما كان من أمر شركان وغلمانه (وأما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فإنها بعد نومهم صارت يقظانة وحدها فى الخيمة ونظرت إلى شركان فوجدته مستغرقًا فى النوم فوثبت على قدميها كأنها دبة معطاء وآفة نقطاء وأخرجت من وسطها خنجرًا مسمومًا لو وضع على صخرة لأذابها ثم جردته من غمده وأتت عند رأس شركان وجردته على رقبته فذبحته وأزالت رأسه عن جسده ثم وثبت على قدميها وأتت إلى الغلمان النيام وقطعت رؤوسهم لئلا ينتبهوا ثم خرجت من الخيمة وأتت إلى خيام السلطان فوجدت الحراس غير نائمين فمالت إلى خيمة الوزير دندان فوجدته يقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحبًا بالزاهد العابد فلما سمعت ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له إن سبب مجيئى إلى هنا فى هذا الوقت أنى سمعت صوت ولى من أولياء الله وأنا ذاهبة إليه ثم ولت فقام الوزير دندان ومشى خلفها فلما أحست الملعونة أنه وراءها فخشيت أن تفتضح فقالت فى نفسها إن لم أخدعه فإنى أفتضح فأقبلت إليه وقالت أيها الوزير إنى سائرة خلف هذا الولى لأعرفه وبعد أن أعرفه استأذنه فى مجيئك إليه وأقبل عليك وأخبرك لأنى أخاف أن تذهب معى بغير استئذان الولى فيحصل له نفرة منى إذا رآك معى فلما سمع الوزير كلامها استحى أن يرد عليها جوابًا فتركها ورجع إلى خيمته وأراد أن ينام فما طاب له منام وكادت الدنيا أن تنطبق عليه فقام وخرج من خيمته وقال فى نفسه أنا أمضى إلى شركان وأتحدث معه إلى الصباح فصار إلى أن دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلا منه كالقناة ونظر الغلمان مذبوحين فصاح صيحة أزعجت كل من كان نائمًا فتسارعت الخلق إليه فرأوا الدم سائلا فضجوا بالبكاء والنحيب فعند ذلك

استيقظ السلطان ضوء المكان وسأل عن الخبرة فقيل له إن شركان أخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعًا إلى أن دخل الخيمة فوجد الوزير دندان يصيح ووجد جثة أخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا وصاحت كل العساكر وبكوا وداروا حول ضوء المكان ساعة حتى استفاق ثم نظر إلى شركان وبكى بكاء شديدًا وفعل مثله الوزير ورستم وبهرام ، وأما الحاجب فإنه صاح وأكثر من النواح ثم طلب الارتحال لما به من الأواج فقال الملك أما علمتم بالذى فعل بأخى هذه الفعال ومالى لا أرى الزاهد الذي عن متاع الدنيا متباعد فقال الوزير ومن جلب هذه الأحزان إلا هذا الزاهد الشيطان فوالله إن قلبى نفر منه فى الأول والآخر لأننى أعرف أن كل متنطع فى الدين خبيث ماكر ثم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٢٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملعونة لما فرغت من الداهية التى عملتها والمخازى التى لنفسها أبدتها أخذت دواة وقرطاسًا وكتبت فيه من عند شواهى ذات الدواهى إلى حضرة المسلمين اعلموا أنى دخلت بلادكم وغششت بلؤمى كرامكم وقتلت سابقًا ملككم عمر النعمان وسط قصره وقتلت أيضًا فى واقعة الشعب والمغارة رجالا كثيرا وآخر من قتلته بمكرى ودهائى وغدرى شركان وغلمانه لوساعدنى الزمان وطاوعنى الشيطان كنت قتلت السلطان والوزير دندان وأمراء الإسلام هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر المسلمين فإنهم أقاموا ثلاثة أيام فى هم واغتمام وفى اليوم الرابع نظروا إلى ناحية السور وإذا ببطريق معه سهم نشاب وفى طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه إليهم فأمر السلطان الوزير دندان أن يقرأه فلما قرأه وسمع مافيه وعرف معناه هملت بالدموع عيناه صاح وتضجر من مكرها وقال الوزير والله لقد كان قلبى نافرًا منها فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا الحيلة مرتين ولكن والله لا أحول من هنا حتى أملأ فرجها بسبيح الرصاص وأسجنها سجن الطير فى الأقفاص وبعد ذلك



أصلبها من شعرها على باب القسطنطينية ثم تذكر أخاه فبكى بكاء شديداً فدخل عليه الوزير دندان وقال له طب نفسا وقر عينا أخاك مامات إلا بأجله وليس فى هذا الحزن فائدة وما أحسن قول الشاعر :

ما لا يكون فلا يكون بحيله   أبداً وما هو كائن سيكون
سيكون ماهو كائن فى وقته   وأخو الجهالة دائما مغبون

فدع البكاء والنوح وقو قلبك لحمل السلاح فقال ياوزير إن قلبى مهموم من أجل موت أبى وأخى ومن أجل غيابنا عن بلادنا فإن خاطرى مشغول برعيتى فبينما هم كذلك وإذ بالأخبار وردت عليهم من بغداد صحبة أمير من أمرائه مضمونها أن زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولداً وسمته نزهة الزمان أخت الملك كان ما كان ولكن الغلام سيكون له شأن بسبب مارأوه من العجائب والغرائب وقد أمر العلماء والخطباء أن يدعوا لكم على المنابر ودبر كل صلاة وأننا طيبون بخير والأمطار كثيرة وأن صاحبك الوقاد فى غاية النعمة الجزيلة وعنده الخدم والغلمان ولكنه إلى الآخر لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال ضوء المكان اشتد ظهرى حيث رزقت ولداً اسمه كان ماكان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٢٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك قال للوزير دندان إنى أريد أن أترك هذا الحزن وأعمل لأخى ختمات وأموراً من الخيرات فقال الوزير نعم ما أردت ثم أمر بنصب الخيام على قبر أخيه فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقرأ القرآن فصار بعضهم يقرأ وبعضهم يذكر الله إلى الصباح ثم إنهم انصرفوا إلى الخيام وأقبل السلطان على الوزير دندان وأخذا يتشاوران فى أمر القتال واستمروا على ذلك أياماً وليالى وضوء المكان يتضجر من الهم والأحزان ثم قال إنى أشتهى سماع أخبار الناس وأحاديث الملوك بجميع حكايات المتقدمين من المتيمين وغيرهم قال هذا أمر سهل لأننى لم يكن لى شغل فى حياة المرحوم والدك إلا بالحكايات والأشعار وفى هذه

الليلة أحدثك بخبر العاشق والمعشوق لأجل أن ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده ولم يبق له اشتغال إلا بانتظار مجيء الليل لأجل أن يسمع ما يحكيه الوزير دندان من أخبار المتقدمين من الملوك والمتيمين فما صدق أن الليل أقبل حتى أمر بإيقاد الشموع والقناديل وإحضار مايحتاجون إليه من الأكل والشرب وآلات البخور فأحضروا له جميع ذلك ثم أرسل إلى الوزير دندان فحضر وأرسل إلى بهرام ورستم وتركاش والحاجب الكبير فحضروا فلما حضروا جميعهم بين يديه التفتت إلى الوزير دندان وقال له اعلم أيها الوزير أن الليل قد أقبل وأسدل جلابيبه علينا وأسبل وأريد أن تحكى لنا ماوعدتنا من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

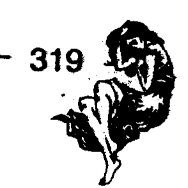
***

الليلة (١٣١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما حضر الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت إلى الوزير وقال اعلم أيها الوزير أن الليل قد أقبل جلابيبه عليها وأسبل ونريد أن تحكى لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة .

(حكاية العاشق والمعشوق)

اعلم أيها الملك السعيد أنه كان فى سالف الزمان مدينة وراء جبال أصبهان يقال لها المدينة الخضراء وكان بها ملك يقال له الملك سليمان وكان صاحب جود وإحسان وعدل وأمان وفضل وامتنان وسارت إليه الركبان من كل مكان وشاع ذكره فى سائر الأقطار والبلدان وأقام فى المملكة مدة مديدة من الزمان وهو فى عز وأمان إلا أنه كان خاليًا من الأولاد والزوجات وكان له وزير يقاربه فى الصفات من الجود والهبات فاتفق أنه أرسل إلى وزيره يومًا من الأيام وأحضره بين يديه وقال له ياوزير إنه ضاق صدرى وعيل صبرى وضعف منى الجلد لكونى بلا زوجة ولا ولد ما هذا سبيل الملوك الحكام على كل أمير وصعلوك فإنهم يفرحون بخلفة الأولاد و تتضاعف لهم بهم العدد والأعداد وقد قال النبى تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة فما عندك من



الرأى يا وزير فقال له الوزير إن الله قضى حاجتك وبلغك أمنيتك فقال له وكيف ذلك فقال له اعلم أيها الملك إنه بلغنى أن الملك زهرشاه صاحب الأرض البيضاء له بنت بارعة فى الجمال يعجز عن وصفها القيل والقال ولم يوجد لها فى هذا الزمان مثيل لأنها فى غاية الكمال قويمة الاعتدال ذات طرف كحيل وشعر طويل وخصر نحيل وردف ثقيل إن أقبلت فتنت وإن أدبرت قتلت تأخذ القلب والناظر فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأى عندى أيها الملك أن نرسل إلى أبيها رسولا فطنا خبيرا بالأمور مجربًا لتصاريف الدهور ليتلطف فى خطبتها لك من أبيها فإنها لانظير لها فى قاصى الأرض ودانيها وتحظى منها بالوجه الجميل ويرضى عليك الرب الجليل فقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال لارهبانية فى الإسلام فعند ذلك توجه إلى الملك كمال الفرح واتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والغم ثم أقبل على الوزير وقال اعلم أيها الوزير أنه لايتوجه لهذا الأمر إلا أنت لكمال عقلك وأدبك فقم إلى منزلك واقض أشغالك وتجهز فى غد واخطب لى هذه البنت التى أشغلت بها خاطرى ولا تعدل إلا بها فقال سمعا وطاعة ثم إن الوزير توجه إلى منزله واستدعى بالهدايا التى تصلح للملوك من ثمين الجواهر ونفيس الذخائر حملوها إلى البغال والجمال وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة جارية وانتشرت على رأسه الرايات والأعلام وأوصاه الملك أن يأتى إليه فى مدة قليلة من الأيام وبعد توجهه صار الملك سليمان شاه على مقالى النار مشغولا بحبها فى الليل والنهار وسار الوزير ليلا ونهار يطوى برار وأقفار حتى بقى بينه وبين المدينة التى هو متوجه إليها يوم واحد ثم نزل على شاطئ نهر وأحضر بعض خواصه وأمره أن يتوجه إلى الملك زهر شاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعًا وطاعة ثم توجه بسرعة إلى تلك المدينة فلما قدم عليها وافق قدومه أن الملك زهرشاه كان جالسًا فى بعض المنتزهات قدام باب المدينة فرآه وهو داخل وعرف أنه غريب فأمر بإحضاره بين يديه فلما حضر الرسول أخبره بقدوم الملك الأعظم سليمان شاه صاحب الأرض الخضراء وجبال أصفهان ففرح الملك زهرشاه ورحب بالرسول وأخذه وتوجه به إلى قصره وقال أين فارقت الوزير فقال فارقته على شاطئ النهر الفلانى وفى غد يكون واصلا إليك وقادمًا عليك أدام الله نعمته عليك ورحم والديك فأمر زهرشاه بعض وزرائه أن يأخذ معظم خواصه وحجابه ونوابه

وأرباب دولته ويخرج بهم إلى مقابلته تعظيمًا للملك سليمان شاه لأن حكمه نافذ فى الأرض هذا ماكان من أمر الملك زهرشاه (وأما) ما كان من أمر الوزير فإنه استقر فى مكانه إلى نصف الليل ثم رحل متوجهًا إلى المدينة فلما لاح الصباح وأشرقت الشمس على الروابى والبطاح لم

(وزير الملك سليمان شاه عندما دخل على الملك زهر شاه وقبل يديه)



يشعر إلا ووزير الملك زهرشاه وحجابه وأرباب دولته وخواص مملكته قدموا عليه واجتمعوا به على فراسخ من المدينة فأيقن الوزير بقضاء حاجته وسلم على الذين قابلوه ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا إلى قصر الملك ودخلوا بين يديه فى باب القصر إلى سابع دهليز وهو المكان الذى لايدخله الراكب لأنه قريب من الملك فترجل الوزير وسعى على قدميه حتى وصل إلى إيوان عال وفى صدر ذلك الإيوان سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وله أربعة قوائم من أنياب الفيل وعلى ذلك السرير مرتبة من الأطلس الأخضر مطرزة بالذهب الأحمر ومن فوقها سرادق بالدر والجوهر والملك زهرشاه جالس على ذلك السرير وأرباب دولته واقفون فى خدمته فلما دخل الوزير عليه وصار بين يديه ثبت جنانه وأطلق لسانه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٣٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك زهرشاه ثبت جنابه وأطلق لسانه ثم قال أيها الملك الكبير والسيد الخطير أنى سعيت إليك وقدمت عليك فى أمر لك فيه الصلاح والخير والفلاح وهو أنى قد أتيتك رسولا خاطبًا وفى بنتك الحسيبة النسيبة راغبًا من عند الملك سليمان شاه صاحب العدل والأمان والفضل والإحسان ملك الأرض الخضراء وجبال أصفهان ثم إنه سكت ينتظر الجواب فلما سمع الملك زهرشاه ذلك الكلام نهض قائمًا على الأقدام ولثم الأرض باحتشام فتعجب الحاضرون خضوع الملك للرسول واندهشت منهم العقول ثم إن الملك أثنى على ذى الجلال والإكرام وقال وهو فى حالة القيام أيها الوزير المعظم والسيد المكرام اسمع ما أقول إننا للملك سليمان شاه من جملة رعاياه ونتشرف بنسبه ونتنافس فيه وابنتى جارية من جملة جواريه وهذا أجل مرادى ليكون ذخرى واعتمادى ثم إنه أحضر القضاة والشهود وشهدوا أن الملك سليمان شاه وكل وزيره فى الزواج وتولى الملك زهرشاه عقد ابنته بابتهاج ثم إن القضاة أحكموا عقد النكاح ودعوا لهما بالفوز

والنجاح ثم إن الملك أخذ فى تجهيز ابنته وإكرام الوزير وعم بولائمه العظيم والحقير واستمر فى إقامة الفرح مدة شهرين ولم يترك فيه شيئًا مما يسر القلب والعين ولما تم ما تحتاج إليه العروس أمر الملك بإخراج الخيام فضربت بظاهر المدينة وعبوا القماش فى الصناديق وهيؤا الجوارى الروميات والوصائف التركيات . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٣٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ثم إنهم أحضروا الوصائف التركيات وأصحاب العروسة بنفيس الذخائر وثمين الجواهر ثم صنع محفة من الذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر وأفرد لها عشر بغال للمسير وصارت تلك المحفة كأنها مقصورة من المقاصير وصاحبتها كأنها حوراء من الحور الحسان وخدرها كقصر من قصور الجنان ثم حزموا الذخائر والأموال وحملوها على البغال والجمال وتوجه الملك زهرشاه معهم قدر ثلاثة فراسخ ثم ودع ابنته . وودع الوزير ومن معه ورجع إلى الأوطان فى فرح وأمان وتوجه الوزير بابنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٣٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير توجه بابنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ويجد السير فى الليل والنهار حتى بقى بينه وبين بلاده ثلاثة أيام ثم أرسل إلى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة فأسرع الرسول بالسير حتى وصل إلى الملك وأخبره بقدوم العروسة ففرح الملك سليمان شاه وخلع على الرسول وأمر عساكره أن يخرجوا فى موكب عظيم إلى ملاقاة العروسة ولم يبق أحد إلا وقد خرج ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صائحة وروائح الطيب فائحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا إلى باب القصر وتقدمت الغلمان بالمحفة إلى باب السر فأضاء المكان ببهجتها وأشرقت



جهاته بحلى زينتها فلما أقبل الليل فتح الخدم أبواب السرادق ووقفوا وهم محيطون بالباب ثم جاءت العروسة وهى بين الجوارى كالقمر بين النجوم أو الدرة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سريراً من المرمر مرصع بالدر والجوهر فجلست عليه ودخل عليها الملك وأوقع الله محبتها فى قلبه فأزال بكارتها وزال ماكان عنده من القلق والسهر وأقام عندها نحو شهر فعلقت منه فى أول ليلة وبعد تمام الشهر خرج وجلس على سرير مملكته وعدل فى رعيته إلى أن وفت أشهرها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٣٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك عندما جلس على سرير مملكته إلى أن وفت أشهرها وفى آخر ليلة الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحرة فجلست على كرسى الطلق وهون الله عليها الولادة فوضعت غلامًا ذكراً تلوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحًا جليلا وأعطى المبشر مالا جزيلا ومن فرحته توجه إلى الغلام وقبله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر :

الله خول منه آجام العلا ... أسداً وآفاق الرياسة كوكبا
هشت لمطلعه الأسنة والأسرة ... والمحافل والجحافل والظبى
لاتركبوه على النهود فإنه ... ليرى ظهور الخيل أوطأ مركبا
ولتفطموه عن الرضاع فإنه ... ليرى دم الأعداء أحلى مشربا

ثم إن الدايات أخذن ذلك المولود وقطعن سرته وكحلن مقلته ثم سموه تاج الملوك خاران وارتضع ثدى الدلال وتربى فى حجر الإقبال ومازالت الأيام تجرى والأعوام تمضى حتى صار له من العمر سبع سنين فعند ذلك أحضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وأمرهم أن يعلموا ولده الخط والحكمة والأدب فمكثوا على ذلك مدة سنين حتى تعلم مايحتاج إليه الأمر فلما عرف جميع ماطلبه منه الملك أحضره من عند الفقهاء والمعلمين وأحضر له أستاذاً يعلمه

الفروسية فلم يزل يعلمه حتى صار له من العمر أربع عشرة سنة وكان إذا خرج لبعض أشغاله يفتتن به كل من رآه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٣٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن تاج الملوك خاران بن الملك سليمان شاه لما مهر فى الفروسية وفاق أهل زمانه وصار من فرط حسنه إذا خرج إلى بعض أشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظموا فيه الأشعار وتهتكت فى محبته الأحرار لما حوى من الجمال الباهر فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عامًا وبلغ مبلغ الرجال زاد به الجمال ثم صار لتاج الملوك خاران أصحاب وأحباب وكل من يتقرب إليه يرجو أنه يصير سلطانًا بعد موت أبيه وأن يكون عنده أمير ثم إنه تعلق بالصيد والقنص وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلك مخافة عليه من آفات البرد والوحوش فلم يقبل منه فاتفق أنه قال لخدامه خذوا معكم عليق عشرة أيام فامتثلوا ما أمرهم به فلما خرج بأتباعه للصيد والقنص . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٣٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن تاج الملوك أمر خدامه بالخروج وساروا فى البر ولم يزالوا سائرين أربعة أيام حتى أشرفوا على أرض خضراء فرأوا فيها وحوشًا رائعة وأشجارًا يانعة و عيونًا نابعة فقال تاج الملوك لأتباعه انصبوا الحبائل هنا وأوسعوا دائرة حلقتها ويكون اجتماعنا عند رأس الحلقة فى المكان الفلانى فامتثلوا أمره ونصبوا الحبائل وأوسعوا دائرة حلقتها فاجتمع فيها شىء كثير من أصناف الوحوش والغزلان إلى أن ضجت منهم الوحوش وتنافرت فى وجوه الخيل فأغرى عليها الكلاب والفهود والصقور ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فأصابوا مقاتل الوحوش وما وصلوا إلى آخر الحلقة إلا وقد أخذوا من الوحوش شيئًا كثيرًا وهرب الباقى وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء وأحضر الصيد وقسمه وأفرد لأبيه سليمان شاه خاص الوحوش وأرسله إليه



وفرق البعض على أرباب دولته وبات تلك الليلة فى ذلك المكان فلما أصبح الصباح أقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان فنزلت تلك القافلة على الماء والخضر فلما رآهم تاج الملوك قال لبعض أصحابه ائتنى بخبر هؤلاء واسألهم لأى شىء نزلوا فى هذا المكان فلما توجه إليهم الرسول قال لهم أخبرونا من أنتم وأسرعوا فى رد الجواب فقالوا له نحن تجار ونزلنا هنا لأجل الراحة لأن المنزل بعيد علينا وقد نزلنا فى هذا المكان لأننا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده ونعلم أن كل من نزل عنده صار فى أمان واطمئنان ومعنا قماش نفيس جئنا به من أجل ولده تاج الملوك فرجع الرسول إلى ابن الملك وأعلمه بحقيقة الحال وأخبره بما سمعه من التجار فقال ابن الملك إذا كان معهم شىء جاءوا به من أجلى فما أدخل المدينة ولا أرحل من هذا المكان حتى استعرضه ثم ركب وأراد أن يسير فلاحت منه التفاتة إلى القافلة فرأى شابًا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعانى بجبين أزهر ووجه أقمر إلا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الأحباب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (١٣٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن تاج الملوك لاحت منه التفاتة إلى القافلة فرأى شابًا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعانى إلا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الأحباب وزاد به الانتحاب وسالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الأبيات :

طال الفـراق ودام الهـم والوجــل   والدمع فى مقلتى يا صاح منهمل
والقلب ودعته يـوم الـفراق وقــد   بقيت فـردا فـلا قـلب ولا أمـل
ياصاحبى قف معى حتى أودع من   مـن نطقها تشفى الأمراض والعلل

ثم إن الشاب بعدما فرغ من الشعر بكى ساعة وغشى عليه فلما أفاق من غشيته نظر ابن الملك واقفًا على رأسه فنهض قائمًا على قدميه وقبل الأرض بين يديه فقال له تاج الملوك لأى

شيء لم تعرض بضاعتك علينا فقال يامولاي إن بضاعتي ليس فيها شيء يصلح لسعادتك فقال لابد أن تعرض على ما معك وتخبرني بحالك فإني أراك باكي العين حزين القلب فإن كنت مظلومًا أزلنا ظلامتك وإن كنت مديونًا قضينا دينك فإن قلبي قد احترق من أجلك حين رأيتك ثم إن تاج الملوك أمر بنصب كرسي فنصبوا له كرسيًا من العاج والأبنوس مشبكًا بالذهب والحرير وبسطوا له بساطًا من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسي وأمر الشاب أن يجلس على البسط وقال له اعرض على بضاعتك فقال له الشاب يامولاي لاتذكر لي ذلك فإن بضاعتي ليست بمناسبة لك فقال له تاج الملوك لابد من ذلك ثم أمر بعض غلمانه بإحضارها فأحضرها قهرًا عنه فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وأن واشتكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات :

بما بجفنيك عن غنج ومن كحل	وما بقــــدك مــن لين ومــن ميل
وما بثغرك مـن خمر ومن شـهد	وما بعطفك مـن لطف ومـن ميـل
عندى زيارة طيف منك يا أملى	أحلى من الأمن عند الخائف الوجل

ثم إن الشاب فتح بضاعته وعرضها على تاج الملوك قطعة قطعة وتفصيلة تفصيلة وأخرج من جملتها ثوبًا من الأطلس منسوجًا بالذهب يساوى ألف دينار فلما فتح الثوب وقعت من وسطه خرقة فأخذها الشاب بسرعة ووضعها تحت وركه فقال له تاج الملوك ماهذه الخرقة فقال يامولاي ليس لك بهذه الخرقة حاجة فقال له ابن الملك أرني إياها قال له يامولاي أنا ما امتنعت عن عرض بضاعتي عليك إلا لأجلها فإني لا أقدر على أنك تنظر إليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (١٣٩)

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك أنا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك إلا لأجلها فإني لا أقدر على أنك تنظر إليك فقال له تاج الملوك لابد من كوني



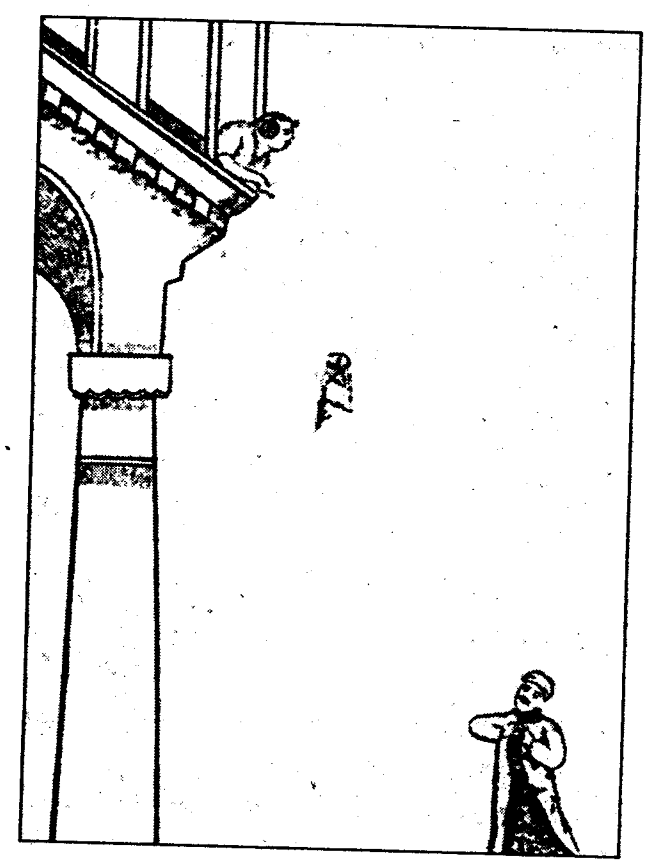
أنظر إليها وألح عليه واغتاظ فأخرجها من تحت ركبتيه وبكى فقال له تاج الملوك أرى أحوالك مستقيمة فأخبرنى ماسبب بكائك فقال الشاب اعلم يامولاى أن أبى كان من التجار الكبار ولم يرزق ولداً غيرى وكان لى بنت عم تربيت أنا وإياها فى بيت أبى لأن أباها مات وكان قبل موته تعاهد هو وأبى على أن يزوجانى بها فلما بلغت مبلغ الرجال وبلغت هى مبلغ النساء لم يحجبوها ولم يحجبونى عنها ثم تحدث والدى مع أمى وقال لها فى هذه السنة نكتب كتاب عزيز على عزيزة وأتفق مع أمى على هذا الأمر ثم شرع أبى فى تجهيز مؤن الولائم هذا كله وأنا وبنت عمى ننام مع بعضنا فى فراش واحد ولم ندر كيف الحال وكانت هى أشعر منى وأعرف وأدرى فلما جهز أبى أدوات الفرح ولم يبق غيركتب الكتاب والدخول على بنت عمى أراد أبى أن يكتب الكتاب بعد صلاة الجمعة ثم توجه إلى أصحابه التجار وغيرهم وأعلمهم بذلك ومضت أمى وعزمت صواحبتها من النساء ودعت أقاربها فلما جاء يوم الجمعة غسلوا القاعة المعدة للجلوس وغسلوا رخامها وفرشوا فى دارنا البسط ووضعوا فيها مايحتاج إليه الأمر بعد أن زوقوا حيطانها بالقماش المقصب واتفق الناس أن يجيئوا ببيتنا بعد صلاة الجمعة ثم مضى أبى وعمل الحلويات وأطباق السكر وما بقى غير كتب الكتاب وقد أرسلتنى أمى إلى الحمام وأرسلت خلفى بدلة جديدة من أفخر الثياب فلما خرجت من الحمام لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة فلما لبستها فاحت منها رائحة زكية عبقت فى الطريق ثم أردت أن أذهب إلى الجامع فتذكرت صاحبا لى فرجعت أفتش عليه ليحضر كتب الكتاب وقلت فى نفسى اشتغل بهذا الأمر إلى أن يقرب وقت الصلاة ثم إنى دخلت زقاقًا مادخلته قط وكنت عرقان من أثر الحمام والقماش الجديد الذى على جسدى فساح عرقى وفاحت روائحى فقعدت فى رأس الزقاق لأرتاح على مصطبة وفرشت منديلا مطرزاً كان معى فاشتد علىّ الحر فعرق جبينى وصار العرق ينحدر على وجهى ولم يمكن مسح العرق عن وجهى بالمنديل لأنه مفروش تحتى فأردت أن آخذ ذيل فرجيتى وأمسح وجنتى فما أدرى إلا ومنديل أبيض وقع علىّ من فوق وكان ذلك المنديل أرق من النسيم ورؤيته ألطف من شفاء السقيم فمسكته بيدى ورفعت رأسى

إلى فوق لأنظر من أين سقط هذا المنديل فوقعت عينى فى عين صاحبة هذا الغزال . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٤٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فرفعت رأسى إلى فوق لأنظر من سقط هذا المنديل فوقعت عينى فى عين صاحبة هذا الغزال وإذا بها مطلة من طاقة من شباك



(الشاب الذى يحكى لتاج الملوك عندما ألقى إليه المنديل من النافذة ونظر الصبية التى ألقته)



من نحاس لم تر عينى أجمل منها وبالجملة يعجز عن وصفها لسانى فلما رأتنى نظرت إليها وضعت أصبعها فى فمها ثم أخذت أصبعها الوسطانى وألصقته بأصبعها الشاهد ووضعتهما على صدرها بين نهديها ثم أدخلت رأسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت فنظرت إلى الطاقة فوجدتها مطبوقة فصبرت إلى مغيب الشمس فلم أسمع حسًا ولم أر شخصًا فلما يئست من رؤيتها قمت من مكانى وأخذت المنديل معى ثم نشرته بين يدى فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضمخة بالروائح الزكيات ومكتوب فيها هذه الأبيات :

بعثت له أشكوه من ألم الجوى ... بخط رقيق والخطوط فنون
فقال خليلى ماالخطك هكذا ... رقيقا دقيقا لايكاد يبين
فقلت لأنى فى نحول ودقة ... كذا خطوط العاشقين تكون

ثم بعد أن قرأت الأبيات أطلقت فى بهجة المنديل نظر العين فرأيت فى إحدى حاشيته تسطير هذين البيتين :

كتب العذار وياله من كاتب ... سطرين فى خديه بالريحان
وا حيرة القمرين منه إذا بد ... وإذا انثنى واخجلة الأغصان

ومسطر فى الحاشية الأخرى هذان البيتان :

كتبَ العذار بعنبر فى لؤلؤ ... سطرين من سبج على تفاح
القتل فى الحدق المراض إذا رنت ... والسكر فى الوجنات لافى الراح

فلما رأيت ماعلى المنديل من الأشعار انطلق فى فؤادى لهيب النار وزادت بى الأشواق والأفكار فما وصلت إلى البيت إلا بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمى جالسة تبكى فلما رأتنى مسحت دموعها وأقلت علىّ وقلعتنى الثياب وسألتنى عن سبب غيابى وأخبرتنى أن جميع الناس من أمراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا فى بيتنا وحضر القاضى والشهود وأكلوا الطعام واستمروا لمدة جالسين ينتظرون حضورك من أجل كتب الكتاب فلما يئسوا من حضورك تفرقوا وذهبوا إلى حال سبيلهم وقالت إلى إن أباك اغتاظ بسبب ذلك غيظًا شديدًا وحلف أنه لايكتب كتابًا إلا فى السنة القابلة لأنه غرم فى هذا الفرح مالاً كثيرًا ثم قالت لى ما الذى

جرى لك فى هذا اليوم فقلت لها جرى لى كذا وكذا وذكرت لها المنديل وأخبرتها بالخبر من أوله إلى آخره فأخذت الورقة والمنديل وقرأت ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وأنشدت هذه الأبيات :

من قال أول الهوى اختيار ... فقل كذبت كله اضطرار
وليس بعد الاضطرار عار ... دلت على صحته أخبار
مزيفة على صحيح النقد ... فإن تشأ فقل عذاب يعذب
أو ضربان فى الحشى أو ضرب ... نعمة أو نقمة أو رب
تأتنس النفس به أو تعطب ... قد حرت بين عكسه والطرد
ومع ذا أيامه مواسم ... وثغرها على الدوام باسم
ونفحات طيبها نواسيم ... وهو لكل مايشين حاسم ... ماحل قط قلب نذل وغد

ثم إنها قالت لى فما قالت لك وما أشارت به إليك فقلت لها مانطقت بشىء غير أنها وضعت أصبعها فى فمها ثم قرنتها بالإصبع الوسطى وجعلت الأصبعين على صدرها وأشارت إلى الأرض ثم أدخلت رأسها وأغلقت الطاقة ولم أرها بعد ذلك فأخذت قلبى معها فقعدت إلى غياب الشمس على أنها تطل من الطاقة ثانيا فلم تفعل فلما يئست منها قمت من ذلك المكان وهذه قصتى وأشتهى منك أن تعيننى على مابليت فرفعت رأسها إلى وقالت ياابن عمى لو طلبت عينى لأخرجتها لك من جفونى ولابد أن أساعدك على حاجتك وأساعدها على حاجتها فإنها مغرمة بك كما أنك مغرم بها فقلت لها وماتفسير ما أشارت به قالت أما موضع أصبعها فى فمها فإنه إشارة إلى أنك عندها بمنزلة روحها من جسدها وإنما تعض على وصالك بالنواجذ وأما المنديل فإنه إشارة إلى سلام المحبين على المحبوبين ، وأما الورقة فإنها إشارة إلى أن روحها متعلقة بك ، وأما موضع أصبعيها على صدرها بين نهديها فتفسيره أنها تقول لك بعد يومين تعالى هنا ليزول عنى بطلعتك العنا ثم قعدت فى البيت يومين لاأدخل ولاأخرج ولا آكل ولا أشرب ووضعت رأسى فى حجر ابنة عمى وهى تسلينى وتقول قوى عزمك وهمتك وطيب قلبك وخاطرك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٤١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان خرجت وتمشيت إلى أن دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة وإذا بالطاقة قد انفتحت فنظرت بعينى إليها فلما رأيتها وقعت مغشيًا على ثم أفقت فشددت عزمى وقويت قلبى ونظرت إليها ثانيًا فغبت عن الوجود ثم استفقت فرأيت معها مرآة ومنديلا أحمر وحين رأتنى شمرت عن ساعديها وفتحت أصابعها الخمس ودقت بهما على صدرها بالكف والخمسة أصابع ثم رفعت يديها وأبرزت الماء من الطاقة وأخذت المنديل الأحمر ودخلت به وعادت وأدلته من الطاقة إلى صوب الزقاق ثلاث مرات وهى تدليه وترفعه ثم عصرته ولفته بيدها وطأطت رأسها ثم جذبتها من الطاقة وانصرفت واستمريت جالسًا إلى وقت العشاء ثم جئت إلى البيت قرب نصف الليل فوجدت ابنة عمى واضعة يدها على خدها وأجفانها تسكب العبرات وهى تنشد هذه الأبيات :

مالى وللاحى عليك يعنف ... كيف السلو وأنت غصن أهيف

ياطلعة سلبت فؤادى وانثنت ... ما للهوى العذرى عنها مصرف

تركية الألحاظ تفعل بالحشا ... ما ليس يفعله الصقيل المرهف

حملتنى نقل الغرام وليس لى ... جلد على حمل القميص أوضعف

ولقد بكيت دما لقول عوازلى ... من جفن من تهوى بروعك مرهف

يا ليت قلبى مثل قلبك إنما ... جسمى كخصرك بالنحافة متلف

لك يا أميرى فى الملاحة ناظر ... صعب على وحاجب لاينصف

كذب الذى قال الملاحة كلها ... فى يوسف كم فى جمالك يوسف

أتكلف الإعراض عنك مخافة ... من أعين الرقباء كم أتكلف

فلما سمعت شعرها زاد مابى من الهموم وتكاثرت على الغموم ووقعت فى زوايا البيت فنهضت إلى وحملتنى وقلعتنى أثوابى ومسحت وجهى بكمها ثم سألتنى عما جرى لى فحكيت لها جميع ما حصل منها فقالت ياابن عمى أما إشارتها بالكف والخمسة أصابع فإن تفسيره تعالى بعد خمسة أيام وأما إشارتها بالمرآة وإبراز رأسها من الطاقة فإن تفسيره اقعد على

دكان الصباغ حتى يأتيك رسولى فلما سمعت كلامها اشتعلت النار فى قلبى فضعفت وضعفت بنت عمى من أجلى وصارت تذكر أحوال العشاق والمحبين على سبيل التسلى فى كل ليلة إلى أن أنام وكنت أستيقظ فأجدها سهرانة من أجلى ودمعها يجرى على خدها ولم أزل كذلك إلى أن مضت الخمسة أيام فقامت ابنة عمى وسخنت لى ماء وحمتنى وألبستنى ثيابى وقالت لى توجه إليها قضى الله حاجتك وبلغك مقصودك من محبوبتك فمضيت ولم أزل ماشيًا إلى أن أتيت إلى رأس الزقاق وكان ذلك فى يوم السبت فرأيت دكان الصباغ مقفلة فجلست عليها حتى أذن العصر واصفرت الشمس وأذن المغرب ودخل الليل وأنا لا أدرى لها أثرًا ولم أسمع حسا ولا خبرًا فخشيت على نفسى وأنا جالس وحدى فقمت وتمشيت وأنا كالسكران إلى أن دخلت البيت فلما دخلت البيت رأيت ابنة عمى عزيزة وإحدى يديها قابضة على وتد مدقوق فى الحائط ويدها الأخرى على صدرها وهى تصعد الزفرات وتنشد هذه الأبيات :

وما وجد إعرابية بأن أهلها	فحنت إلى بان الحجاز ورنده
إذا آنست ركبا تكفل شوقها	بنار قراه والدموع بورده
بأعظم عن وجدى بحبى وإنما	يرى أننى أذنبت ذنبا بوده

فلما فرغت من شعرها التفتت إلىّ فرأتنى أبكى فمسحت دموعها ودموعى بكمها وتبسمت فى وجهى وقالت لى ياابن عمى هناك الله بما أعطاك فلأى شىء لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها إربك فلما سمعت كلامها رفستها برجلى فى صدرها فانقلبت على الإيوان فجاءت جبهتها على طرف الإيوانِ وكان هناك وتد فجاء فى جبهتها فتأملتها فرأيت جبينها قد انفتح وسال دمها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٤٢)

قالت: بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما رفست ابنة عمى فى صدرها انقلبت على طرف الإيوان فجاء الوتد فى جبينها فانفتح جبينها وسال دمها فسكتت ولم تنطق



بحرف واحد ثم إنها قامت فى الحال وأحرقت حراقًا وحشت به ذلك الجرح وتعصبت بعصابة ومسحت الدم الذى سال على البساط وكأن ذلك شىء ما كان ثم إنها أتتنى وتبسمت فى وجهى وقالت لى بلين الكلام والله ياابن عمى ماقلت هذا الكلام استهزاء بك ولابها وقد كنت مشغولة بوجع رأسى ومسح الدم وفى هذه الساعة قد خفت رأسى وخفت جبهتى فأخبرنى بما كان من أمرك فى هذا اليوم وجلست تسايرنى وأنا أدعو الله أن يصبح الصباح فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وتوجهت إليها ودخلت ذلك الزقاق بسرعة وجلست على تلك المصطبة وإذا بالطاقة قد انفتحت وأبرزت رأسها وهى تضحك ثم غابت ورجعت معها مرآة وكيس وقصرية ممتلئة زرعا أخضر وفى يدها قنديل فأول مافعلت أخذت المرآة فى يدها وأدخلتها فى الكيس ثم ربطته ورمته فى البيت ثم أرخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على رأس الزرع لحظة ثم أخذت جميع ذلك وانصرفت وهى لم تكلمنى بكلمة فقط فاشتد ذلك غرامى وزاد وجدى وهيامى ورموزها المخفية وهى لم تكلمنى بكلمة قط فاشتد ذلك غرامى وزاد وجدى وهيامى ثم إنى رجعت على عقلى وأنا باكى العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرأيت بنت عمى قاعدة ووجها إلى الحائط وقد احترق قلبها من شدة بكائها وهى فى أسوأ الحالات تبكى وتنشد هذه الأبيات :

أينما كنت لم تزل بامان	أيها الراحل المقيم بقلبى
ولك الله حيث أمسيت جار	منقذ منصروف الدهر وخطب
غبت فاستوحشت لبعدك عنى	واستهلت مدامعى أى سكب
ليت شعرى بأى أرض ومغنى	أنت مستوطن بدار وشعب
إن يكن شربك القراح زلالا	فدموعى من المحاجر شربى
كل شىء سوى فراقك عذب	كالتجافى بين الرقاد وجنبى

ثم بعد ذلك قالت ياابن عمى أخبرنى بما حصل لك منها فى هذه المرة فأخبرتها بجميع ماحصل لى فقالت اصبر فقد آن أوان وصالك وظفرت ببلوغ آمالك إشارتها لك بالمرآة وكونها أدخلتها فى الكيس فإنها تقول لك اصبر إلى أن تغطس الشمس وأما رخاؤها وشعرها على

وجهها فإنها تقول لك إذا أقبل الليل وانسدل الليل سواد الظلام على نور النهار فتعال وأما إشارتها لك بالقصرية التى فيها زرع فإنها تقول لك إذا جئت فادخل البستان الذى وراء الزقاق وأما إشارتها لك بالقنديل فإنها تقول لك إذا دخلت البستان فامش فيه وأى موضع وجدت القنديل مضيئًا فتوجه إليه واجلس تحته وانتظر فإن هواك قاتلى فلما سمعت كلام ابنة عمى صحت من فرط الغرام وقلت كم تعدنى وأتوجه إليها ولا أحصل مقصودى ولا أجد لتفسيرك معنى صحيحًا فعند ذلك ضحكت بنت عمى وقالت بقى عليك من الصبر أن تصبر بقية هذا اليوم إلى أن يولى النهار ويقبل الليل بالاعتكار فتحظى بالوصال وبلوغ الآمال وهذا الكلام صدق بغير يمين ثم أنشدت هذه البيتين :

درج الأيام تندرج وبيوت الهم لاتلج رب أمر عز مطلبه قربته ساعة الفرج

ثم إنها أقبلت على وصارت تسلينى بلين الكلام ولم تجسر أن تأتينى بشىء من الطعام مخافة من غضبى عليها ورجاء ميلى إليها ولم يكن لها قصد إلا أنها أتت إلىّ وقلعتنى ثم قالت ياابن عمى اقعد معى حتى أحدثك بما يسليك إلى آخر النهار وإن شاء الله تعالى مايأتى الليل إلا وأنت عند محبوبتك فلم ألتفت إليها وصرت أنتظر مجىء الليل وأقول يارب عجل بمجىء الليل فلما أتى الليل بكت ابنة عمى بكاء شديدًا وأعطتنى حبة مسك خالص وقالت لى يا ابن عمى اجعل هذه الحبة فى فمك فإذا اجتمعت بمحبوبتك وقضيت منها حاجتك وسمحت لك بما تمنيت فأنشدها هذا البيت :

إلا أيها العشاق بالله خبروا إذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

ثم إنها قبلتنى وحلفتنى أنى لا أنشدها ذلك البيت من الشعر إلا بعد خروجى من عندها فقلت لها سمعًا وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم أزل ماشيا حتى وصلت إلى البستان فوجدت بابه مفتوحًا فدخلته فرأيت نورًا على بعد فقصدته فلما وصلت إليه وجدت مقعدًا عظيمًا معقودا عليه قبة من العاج والأبنوس والقنديل معلق فى وسط القبة وذلك المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضة وهناك شمعة كبيرة موقودة فى شمعدان من الذهب تحت القنديل وفى وسط تلك فسقية فيها أنواع التصاوير وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بفوطة من الحرير



وإلى جانبها باطية كبيرة من الصينى مملوءة خمرًا وفيها قدح من بلور مزركش بالذهب إلى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطى فكشفته فرأيت فيه من سائر الفواكه مابين تين ورمان وعنب ونارنج وأترنج وكباد وبينهما أنواع الرياحين من ورد وياسمين وآس ونسرين ونرجس من سائر المشمومات فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح وزال عنى الهم والترح لكننى ما وجدت فى هذه الدار أحدًا من خلق الله تعالى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٤٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ولم أر عبدًا ولا جارية ولا من يعانى هذه الأمور فجلست فى ذلك المقعد أنتظر مجىء محبوبة قلبى إلى أن مضى أول ساعة من الليل وثانى وثالث ساعة فلم تأت واشتد بى ألم الجوع فتقدمت إلى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت فى وسطها طبقا من الصينى وفيه أربع دجاجات محمرة ومتبلة بالبهارات وحول ذلك الطبق أربع زبادى واحدة حلوى والأخرى حب الرمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادى مابين حلو وحامض فأكلت من القطائف وأكلت قطعة لحم وعمدت إلى البقلاوة وأكلت منها ماتيسر ثم قصدت الحلوى وأكلت معلقة أو اثنين أو ثلاثا أو أربعا وأكلت بعض دجاجة وأكلت لقمة فعند ذلك امتلأت بطنى وارتخت مفاصلى وقد كسلت عن السهر فوضعت رأسى على وسادة بعدما غسلت يدى فغلبنى النوم ولم أعلم بما جرى لى فلما استيقظت وجدت على بطنى ملحًا وفحمًا فانتصبت قائمًا ونفضت ثيابى وقد التفت يمينًا وشمالا فلم أجد أحدًا ووجدت أنى كنت نائمًا على الرخام من غير فرش فتحيرت فى عقلى وحزنت حزنًا عظيمًا وجرت دموعى على خدى وتأسفت على نفسى فقمت وقصدت البيت فلما وصلت إليه وجدت ابنة عمى تدق بيدها على صدرها وتبكى بدمع يحكى السحب الماطرات وتنشد هذه الأبيات :

هب ريح من الحمى ونسيم ... فأثار الهوى بنشر هبوبه
يا نسيم الصبا هلم إلينا ... كل صب بحظه ونصيبه

لـو قـدرنا مـن الغـرام اعتنقنا	كاعتناق المحب صدر حبيبه
حـرم الله بعد وجـه ابن عمـى	كل عيش من الزمان وطيبه
ليت شعرى هل قلبه مثل قلبى	ذائب من حر الهوى ولهيبه

فلما رأتنى قامت مسرعة ومسحت دموعها وأقبلت على بلين كلامها وقالت ياابن عمى أخبرنى بما جرى لك فأخبرتها بجميع ماجرى لى فتبسمت تبسم الغيظ ثانيًا وقالت إن قلبى ملآن موجع فلا عاش من يوجع قلبك وهذه المرأة تتعزز عليك والله ياابن عمى إنى خائفة عليك منها واعلم ياابن عمى أن تفسير الملح هو أنك مستغرق فى النوم فكأنك دلع الطعم بحيث تعافك النفوس فينبغى لك أن تتملح حتى لاتمج الطباع لأنك تدعى أنك من العشاق الكرام والنوم على العشاق حرام فدعواك المحبة كاذبة وكذلك هى محبتها لك كاذبة لأنها لما رأتك نائمًا لم تنبهك ولو كانت محبتها صادقة لنبهتك وأما الفحم فإن تفسير إشارته سود الله وجهك حيث ادعيت المحبة كذبًا وإنما أنت صغير لم يكن لك همة إلا الأكل والشرب والنوم فهذا تفسير إشارتها فالله تعالى يخلصك منها فلما سمعت كلامها ضربت بيدى على صدرها وقلت والله إن هذا هو الصحيح لأنى نمت والعشاق لاينامون فأنا الظالم لنفسى وما كان أضر على من الأكل والنوم فكيف يكون الأمر ثم إنى ازددت فى البكاء وقلت لابنة عمى دلينى على شىء أفعله وارحمينى يرحمك الله وإلا مت وكانت بنت عمى تحبنى محبة شديدة .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٤٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فقالت لى على رأسى وعينى ولكن يا ابن عمى قد قلت لك مرارًا لوكنت ادخل واخرج لكنت اجمع بينك وبينها فى أقرب زمن وأغطيكما بذيلى ولا أفعل معك هذا إلا لقصد رضاك وإن شاء الله تعالى أبذل غاية الجهد فى الجمع بينكما ولكن اسمع قولى وابلغ امرى واذهب إلى نفس ذلك المكان واقعد هناك فلما



خرجت وذهبت إلى البستان وجدت المكان مهيأ على الحالة التى رأيتها أولا وفيه مايحتاج إليه من الطعام والشراب والنقل والمشموم وغير ذلك فطلعت المقعد وشممت رائحة الطعام فاشتاقت نفسى إليه فمنعتها مراراً فلم أقدر على منعها فقمت وأتيت إلى السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج وحوله أربع زبادى من الطعام فيها أربعة ألوان فأكلت من كل لون لقمة وأكلت ما تيسر من الحلوى وأكلت قطعة لحم وشربت من الزردة وأعجبتنى فاكثرت الشرب منها بالملعقة حتى شبعت وامتلأت بطنى وبعد ذلك انطبقت أجفانى فأخذت وسادة ووضعتها تحت رأسى وقلت لعلى أتكئ عليها ولا أنام فأغمضت عينى ونمت وما انتبهت حتى طلعت الشمس فوجدت على بطنى كعب عظم وفردة طاب ونواة بلح وبزرة خروب وما أدرى لأى شىء فعلت هذا ثم بكيت وأقبلت عليها وقلت لها افسرى لى إشارة فعلها هذا وقولى لِى ماذا أفعل وساعدينى على الذى أنا فيه فقالت لى على الرأس والعين أما فردة الطاب التى وضعتها على بطنك فإنها تشير لك إلى أنك حضرت وقلبك غائب وكأنها تقول لك ليس العشق هكذا فلا تعد نفسك من العاشقين وأما نواة البلح بأنها تشير لك بها إلى أنك لوكنت عاشقًا لكان قلبك محترقًا بالغرام ولم تذق لذلك المنام فإن لذة الحب كتمرة ألهبت فى الفؤاد جمرة وأما بزرة الخروب فإنها تشير لك به إلى أن قلب المحب مسلوب وتقول لك اصبر صبر أيوب فلما سمعت هذا التفسير انطلقت فى فؤادى النيران وزادت بقلبى الأحزان فصحت وقلت قدر الله على النوم لقلة بختى ثم قلت لها يا ابنة عمى بحياتى عندك أن تدبرى لى حيلة أتوصل بها فبكت وقالت ياعزيز يا ابن عمى إن قلبى ملآن بالفكر ولا أقدر أن أتكلم ولكن روح الليلة إلى ذلك المكان وأحذر أن تنام فإنك تبلغ المرام هذا هو الرأى والسلام فقلت لها إن شاء الله لا أنام وأفعل ما تأمرينى به فقامت بنت عمى وأتت بالطعام وقالت لى كل الآن ما يكفيك حتى لايبقى فى خاطرك شىء فأكلت كفايتى ولما أتى الليل قامت بنت عمى وأتتنى ببدلة عظيمة وألبستنى إياها وحلفتنى أن أذكر لها البيت المذكور وحذرتنى من النوم ثم خرجت من عند بنت عمى وتوجهت إلى البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت إلى البستان وجعلت أفتح عينى بأصابعى وأهز رأسى حين جن الليل . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (١٤٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك وطلعت من ذلك المقعد ونظرت إلى البستان وجعلت أفتح عينى بأصابعى وأهز رأسى حين جن الليل فلما طلعت جعت من السهر وهبت على روائح الطعام فازداد جوعى وتوجهت إلى السفرة وكشفت غطاؤها وأكلت من كل لون لقمة وأكلت قطعة لحم وأتيت إلى باطية الخمر وقلت فى نفسى أشرب قدحًا فشربته ثم شربت الثانى والثالث إلى غاية عشرة وقد ضربنى الهواء فوقعت على الأرض كالقتيل وما زلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرأيت نفسى خارج البستان وعلى بطنى شفرة ماضية ودرهم حديد فارتجفت وأخذتهما وأتيت بهما إلى البيت فوجدت ابنة عمى فقلت لها أسألك بالله أن تفسرى لى إشارة السكين والدرهم الحديد فقالت إن الدرهم الحديد فأنها تشير بها إلى عينها اليمين وإنها تقسم بها وتقول وحق رب العالمين وعينى اليمين إن رجعت ثانى مرة ونمت لأذبحك بهذه السكين وأنا خائفة عليك يا ابن عمى من مكرها وقلبى ملآن بالحزن عليك فما أقدر أن أتكلم فإن كنت تعرف من أنك إن رجعت إليها لا تنام فارجع إليها واحذر النوم فإنك تفوز بحاجتك وإن عرفت أنك رجعت إليها تنام على عادتك ثم رجعت إليها ونمت ذبحتك فقلت لها كيف يكون يابنت عمى أسألك بالله أن تساعدينى على هذه البلية فقالت على عينى ورأسى لكن إن سمعت كلامى وأطعت أمرى قضيت حاجتك فقلت لها إنى أسمع كلامك وأطع أمرك فجاءت بشىء من الأكل فامتنعت منه فقالت لى أما قلت لك اسمع منى وكل فأكلت ولم أخالفها وصارت تضع الأكل فى فمى وأنا أمضغ حتى امتلأت ثم أسقتنى نقيع عناب السكر ثم غسلت يدى ونشفتها بمحرمة ورشت على ماء الورد وجلست معها وأنا فى عافية فلما أظلم الليل وألبستنى ثيابى وقالت يابن عمى اسهر جميع الليل ولاتنم فإنها ما تأتيك فى هذه الليلة إلا فى آخر الليل وإن شاء الله تجتمع بها فى هذه الليلة ولكن لاتنس وصيتى ثم بكت فأوجعنى قلبى عليها من كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التى وعدتينى بها فقالت لى إذا انصرفت من عندها فأنشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجت من عندها وأنا فرحان ومضيت إلى البستان وطلعت المقعد وأنا شبعان فجلست وسهرت إلى ربع الليل ثم طال الليل علىّ حتى كأنه



سنة فمكثت ساهرًا حتى مضى ثلاثة أرباع الليل وصاحت الديوك فاشتد عندى الجوع من السهر فقمت إلى السفرة وأكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسى وأردت أن أنام وإذا بضجة على بعد فنهضت وغسلت يدى وفمى ونبهت نفسى فما كان إلا قليل وإذا بها أتت ومعها عشر جوارى وهى بينهن كأنها البدر بين الكواكب وعليها حلة من الأطلس الأخضر مزركشة بالذهب الأحمر وهى كما قال الشاعر :

تتيه على العشاق فى حلل خضر	مفككة الأزرار محلولة الشعر
فقلت لها مالاسم قالت أنا التى	كويت قلوب العاشقين على الجمر
شكوت لها ما أقاسى من الهوى	فقالت إلى صخر شكوت ولم تدر
فقلت لها إن كان قلبك صخرة	فقد أنبع الله الزلال من الصخر

فلما رأتنى ضحكت وقالت كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمت أنك عاشق لأن من شيم العشاق سهر الليل فى مكابدة الأشواق ثم أقبلت على الجوارى وغمزتهن فانصرفن عنها وأقبلت على وقد ضمتنى إلى صدرها وقبلتنى وقبلتها وكانت تلك الليلة مسرة القلب وقرة الناظر كما قال فيها الشاعر :

أهنى ليالى الدهر عندى ليلة	لم أخل فيها الكأس من أعمال
فرقت فيها بين جفنى والكرى	وجمعت بين القرط والخلخال

فلما أصبح الصباح أردت الانصراف وإذا بها أمسكتنى وقالت لى قف حتى أخبرك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٤٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك قالت قف حتى أخبرك بشىء وأوصيك وصية فوقفت فحلت منديلا وأخرجت هذه الخرقة التى فيها صورة الغزل ثم قالت لى هذا عمل أختى فقلت لها وما اسم أختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ بهذه الخرقة ثم

ودعتها وانصرفت وأنا فرحان ومشيت إلى أن دخلت على ابنة عمى فوجدتها فلما رأتنى قامت ودموعها تتساقط ثم أقبلت علىّ وقبلت صدرى وقالت هل فعلت ما أوصيتك به من إنشاد بيت الشعر فقلت لها إنى نسيته وما شغلنى عنه إلا صورة هذا الغزل ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ولم تطق الصبر وأفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين :

يا طالبا للفراق مهلا　　فلا يغرنك العناق

مهلا فطبع الزمان غدر　　وآخر الصحبة الفراق

فلما فرغت من شعرها قالت ياابن عمى هب لى هذه الخرقة فوهبتها لها فأخذتها ونشرتها ورأت مافيها فلما جاء وقت ذهابى قالت ابنة عمى اذهب مصحوبًا بالسلامة ولكن إذا انصرفت من عندها فأنشدها بيت شعر الذى أخبرتك به أولا ونسيته فقلت لها أعيديه لى فأعادته ثم مضيت إلى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية فى انتظارى فلما رأتنى قامت وقبلتنى وأجلستنى فى حجرها ثم أكلنا وشربنا وقضينا أغراضنا كما تقدم ولاحاجة إلى الإعادة فلما أصبح الصباح أنشدت بيت الشعر وهو :

ألا أيها العشاق بالله خبروا　　إذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فلما سمعته هملت عيناها بالدموع وأنشدت :

يدارى هواه ثم يكتم سره　　ويصبر فى كل الأمور ويخضع

فحفظته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمى ثم خرجت وأتيت إلى ابنة عمى فوجدتها راقدة وأمى عند رأسها تبكى على حالها فلما دخلت عليها قالت لى أمى تبا لك من ابن عم كيف تترك بنت عمك على غير استواء ولاتسأل عن مرضها فلما رأتنى ابنة عمى رفعت رأسها وقعدت وقالت لى ياعزيز هل أنشدتها البيت الذى أخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وأنشدتنى بيتًا آخر وحفظته فقالت بنت عمى اسمعنى إياه فلما أسمعتها إياه بكت بكاء شديدًا وأنشدت هذا البيت :

لقد حاول الصبر الجميل ولم يجد　　له غير قلب فى الصبابة يجزع



ثم قالت ابنة عمى إذا ذهبت إليها على عادتك فأنشدها هذا البيت الذى سمعته فقلت لها سمعًا وطاعة ثم ذهبت إليها فى البستان على العادة وكان بيننا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلما أردت الانصراف أنشدتها ذلك البيت وهولقد إلى آخره فلما سمعته سالت مدامعها فى المحاجر وأنشدت قول الشاعر :

فإن لم يجد صبرا لكتمان سره   فليس له عندى سوى الموت أنفع

فحفظته وتوجهت إلى البيت فلما دخلت على ابنة عمى وجدتها ملقاة مغشيًا عليها وأمى جالسة عند رأسها فلما سمعت كلامى فتحت عينيها وقالت ياعزيز هل أنشدتها بيت الشعر قلت لها نعم ولما سمعته بكت وأنشدتنى هذا البيت فإن لم يجد إلى آخره فلما سمعته بنت عمى غشى عليها ثانيًا فلما أفاقت أنشدت هذا البيت وهو :

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا   سلامى على من كان للوصل يمنع

ثم لما أقبل مضيت إلى البستان على جرى غادتى فوجدت الصبية فى انتظارى فجلسنا وأكلنا وشربنا وعملنا حظنا ثم نمنا إلى الصباح فلما أردت الانصراف أنشدتها ماقالته ابنة عمى فلما سمعت ذلك صرخت صرخة عظيمة وتضجرت وقالت والله إن قائلة هذا الشعر قد ماتت ثم بكت وقالت ويلك ماتقرب لك قائلة هذا الشعر قلت لها انها ابنة عمى قالت كذبت والله لو كانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل ماعندها لك فأنت الذى قتلتها قتلك الله كما قتلتها والله إن أخبرتنى أن لك ابنة عم ماقربتك منى فقلت لها ابنة عمى كانت تفسر لى الإشارات التى كنت تشيرين بى إلى وهى التى علمتنى ما أفعل معك وما وصلت إليك إلا بحس تدبيرها فقالت وهل عرفت بنا قلت نعم قالت حسرك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها ثم قالت لى رح انظر فذهبت وخاطرى متشوش ومازلت ماشيًا حتى وصلت إلى زقاقنا فسمعت عياطه فسألت عنه فقيل إن عزيزة وجدها خلف الباب ميتة ثم دخلت الدار فلما رأتنى أمى قالت إن خطيئتها فى عنقك فلا سامحك الله من دمها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٤٧)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم دخلت الدار فلما رأتنى أمى قالت : تبا لك من ابن عمى ثم إن أبى جاء وجهزناها وشيعنا جنازتها ودفناها وعملنا على قبرها الخيمات ومكثنا على القبر ثلاثة أيام ثم إنى اشتغلت بلذتى ولم أتذكر فى موت ابنة عمى لأنى كنت طائش العقل وكنت أود فى نفسى أن أكون طول ليلى ونهارى عند محبوبتى وما صدقت أن الليل أقبل ومضت إلى البستان فوجدت الصبية جالسة على مقالى النار من كثرة الانتظار فما صدقت أنها رأتنى فبادرت إلى و تعلقت برقبتى وسألتنى عن بنت عمى فقلت لها إنها ماتت وعملنا الذكر والختمات ومضى لها أربع ليالى وهذه الخامسة فلما سمعت ذلك صاحت وبكت وقالت أما قلت لك إنك قتلتها ولو أعلمتنى بها قبل موتها لكنت كافأتها على مافعلت معى من المعروف فأنها خدمتنى وأوصلتك إلى ولولاها ما اجتمعت بك وأنا خائفة عليك أن تقع فى مصيبة بسبب رزيتها فقلت لها إنها قد جعلتنى فى حل قبل موتها ثم ذكرت لها ما أخبرتنى به أمى فقالت بالله عليك إذا ذهبت إلى أمك فاعرف الحاجة التى عندها فقلت لها إن أمى قالت لى إن ابنة عمك قبل أن تموت أوصتنى وقالت لى إذا أراد ابنك أن يذهب إلى الموضع الذى عادته الذهاب إليه فقولى له هاتين الكلمتين (الوفاء مليح والغدر قبيح) فلما سمعت الصبية ذلك قالت رحمة الله عليها فإنها خلصتك منى وقد كنت أضمرت على ضررك فأنا لا أضرك ولا أشوش عليك فتعجبت من ذلك وقلت لها وما كنت تريدين قبل ذلك أن تفعليه معي وقد صار بينى وبينك مودة فقالت إنت مولع بى ولكنك صغير السن وقلبك خال من الخداع فأنت لاتعرف مكرنا ولاخداعنا ولوكانت فى قيد الحياة لكانت معينة لك فإنها سبب سلامتك حتى أنجتك من الهلكة والآن أوصيك أن لاتتكلم مع واحدة ولاتخاطب واحدة من أمثالنا لاصغيرة ولاكبيرة فإياك ثم إياك ذلك لأنك غير عارف بخداع النساء ولامكرهن والتى تفسر لك الإشارات قد ماتت وإنى أخاف عليك أن تقع فى رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (١٤٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم إن الصبية قالت فواحسرتاه على بُنت عمك وليتنى علمت بها قبل موتها حتى أكافئها على مافعلت معى من المعروف رحمة الله عليها فإنها كتمت سرها ولم تبح بما عندها ولولاها ما كنت تصل إلىّ أبدًا وإنى أشتهى عليك أمرًا فقلت ما هو قالت إن توصلنى إلى قبرها حتى أزورها فى القبر الذى هى فيه وأكتب عليه أبياتًا فقلت لها فى غد إن شاء الله تعالى ثم إنى نمت معها فى تلك الليلة وهى كل ساعة تقول لى ليتك أخبرتنى بابنة عمك قبل موتها فقلت لها مامعنى هذين الكلمتين اللتين قالتهما وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلم تجبنى فلما أصبح الصباح قامت وأخذت كيسًا فيه دنانير وقالت لى قم وأرنى قبرها حتى أزوره وأكتب عليها أبياتًا وأعمل عليها قبة وأترحم عليها وأصرف هذه الدنانير صدقة على روحها فقلت لها سمعا وطاعة ثم مشيت قدامها ومشت خلفى وسارت تتصدق حتى وصلنا القبر ونفد ما فى الكيس فلما عاينت القبر رمت روحها وبكت بكاء شديدًا ثم إنها أخرجت بيكارًا من الفولاذ ومطرقة لطيفة وخطت بالبيكار على الحجر الذى على رأس القبر خطًا لطيفًا ورسمت هذه الأبيات :

مـررت بقبر دارس وسـط روضة ... عليـه مـن النعمـان سبع شقائق

فقلت لمن ذا القبر جاوبنى الثرى ... تـأدب فهـذا القبـر بـرزخ عـاشـق

فقلت رعـاك الله يـا ميت الهـوى ... وأسكنك الفردوس أعلى الشواهق

مساكين أهل العشق حتى قبورهم ... عليها تـراب الـذل بيـن الخـلائـق

فـإن أستطع زرعـا زرعتك روضـة ... وأسـقيتها مـن دمعـى المتـدافـق

ثم بكت بكاء شديدًا وقامت وقمت معها وتوجهنا إلى البستان فقالت لى سألتك بالله أن لاتنقطع عنى أبدًا فقلت سمعًا وطاعة ثم إنى صرت أتردد عليها وكلما بت عندها تحسن إلى وتكرمنى سنة كاملة وعند رأس السنة دخلت الحمام وأصلحت شأنى ولبست بدلة فاخرة ولما خرجت من الحمام وشربت قدحًا من الشراب وشممت روائح قماشى المصمخ بأنواع الطيب وأنا خالى القلب من غدرات الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشاء اشتاقت نفسى إلى الذهاب إليها وأنا سكران لا أدرى أين أتوجه فذهبت إليها فمال بى السكر إلى زقاق يقال له

زقاق النقيب فبينما أنا ماش فى ذلك الزقاق وإذا بعجوز ماشية وفى إحدى يديها شمعة مضيئة وفى يدها الأخرى كتاب ملفوف . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٤٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب الذى اسمه عزيز قال لتاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذى يقال له زقاق النقيب فمشيت فبينما أنا ماش فى ذلك الزقاق إذا بعجوز ماشية وفى إحدى يديها شمعة مضيئة وفى يدها الأخرى كتاب ملفوف فتقدمت إليها وهى باكية العين وتنشد هذين البيتين :

لله در مباشرى لقدومكم فلقد أتى بلطائف المسموع
لوكان يقنع بالخليع وهبته قلبا تمزق ساعة التوديع

فلما رأتنى قالت لى ياولدى هل تعرف أن تقرأ فقلت لها نعم ياخالتى العجوز فقالت لى خذ هذا الكتاب واقرأه وناولتنى الكتاب فأخذته منها وفتحته وقرأت عليها مضمونه إنه كتابى من عند الغياب بالسلام على الأحباب فلما سمعته فرحت واستبشرت ودعت لى وقالت لى فرج الله همك كما فرجت همى ثم أخذت الكتاب ومشيت خطوتين وغلبنى حصر البول فقعدت فى مكان لأريق الماء ثم إنى قمت وتجمرت وأرخيت أثوابى وأردت أن أمشى وإذا بالعجوز قد أقبلت علىّ وقبلت يدى وقالت يامولاى تعالى الله يهنيك بشبابك ولا يفضحك أترجاك أن تمشى معى خطوات إلى ذلك الباب فإنى أخبرتهم بما أسمعتنى إياه من قراءة الكتاب فلم يصدقونى فامش معى خطوتين واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب فقلت لها سمعا وطاعة وتقدمت فمشت قدامى ومشيت خلفها قليلا حتى وصلت إلى باب دار عظيمة وذلك الباب مصفح بالنحاس الأحمر فوقفت خلف الباب وصاحت العجوز بالعجمية فما أشعر إلا والصبية قد أقبلت بخفة ونشاط فلما رأتنى قالت بلسان فصيح عذب ماسمعت أحلى منه ياأمى أهذا الذى جاء يقرأ الكتاب فقلت لها نعم فمدت يدها إلىّ بالكتاب وكأن بينها وبين الباب نحو نصف قصبة فمددت يدى لأتناول الكتاب وأدخلت رأسى وأكتافى من الباب لأقرب فما أدرى



إلا والعجوز قد وضعت رأسها فى ظهرى ويدى ماسكة الباب فالتفت فرأيت نفسى فى وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شغل إلا قفل الباب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .



(الشاب عزيز عندما أوقفه العجوز أمام الدار وخرجت الصبية وقالت : أهذا الذى جاء يقرأ الكتاب)

***

الليلة (١٥٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم إن الصبية لما رأتنى من داخل الباب بالدهليز أقبلت علىّ وضمتنى إلى صدرها ثم قالت لى ياعزيز أى الحالتين أحب إليك الموت أم الحياة فقلت لها الحياة فقالت إذا كانت الحياة أحب إلى فتزوج بى فقلت أنا أكره أن أتزوج بمثلك فقالت لى إن تزوجت بى تسلم من بنت الدليلة المحتالة فقلت لها ومن الدليلة المحتالة فضحكت وقالت كيف لاتعرفها وأنت لك اليوم فى صحبتها سنة وأربعة شهور أهلكها الله تعالى والله مايوجد أمكر منها وكم قتلت شخصًا قبلك وكم عملت عملة وكيف سلمت منها ولم تقتلك أو توشوش عليك ولك فى صحبتها هذه المدة فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها ياسيدتى من عرفك بها فقالت أنا أعرفها مثل مايعرف الزمان مصائبه لكن قصدى أن تحكى لى جميع ماوقع لك منها حتى أعرف ماسبب سلامتك منها فحكيت لها جميع ماجرى معها ومع ابنة عمى عزيزة فترحمت عليها ودمعت عيناها ودقت يدا على يد لما سمعت بموت ابنة عمى عزيزة وقالت عوضك الله فيها خيرًا يا عزيز فإنها هى سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة ولولا هى لكنت هلكت وأنا خائفة عليك من مكرها وشرها ولكن ما أقدر أن أتكلم فقلت لها والله إن ذلك كله قد حصل فهزت رأسها وقالت لايوجد اليوم مثل عزيزة فقلت وعند موتها أوصتنى أن أقول هاتين الكلمتين لاغير وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك منى قالت ياعزيز والله إن هاتين الكلمتين اللتين خلصتاك منها وبسببهما ما قتلتك فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة ثم إنها صفقت بيدها وقالت يا أمى أحضرى من عندك وإذا بالعجوز قد أقبلت بأربعة شهود عدول ثم إنها أوقدت أربع شمعات فلما دخل الشهود سلموا علىّ وجلسوا فقامت الصبية وأرخت عليها إزارًا ووكلت بعضهم فى ولاية عقدها وقد كتبوا الكتاب وأشهدت على نفسها أنها قبضت جميع المهر مقدمًا ومؤخرًا وأن فى ذمتها إلى عشرة آلاف درهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (١٥١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم إنها أعطت الشهود أجرتهم وانصرفوا من حيث أتوا فقلت لاحول ولاقوة إلا بالله فقالت وأى شىء يضرك وأنت تعرف صنعة الديك التى أخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت أنا وطاوعتها فيما قالت ومكثت عندها وأنا أعمل صنعة الديك آكل وأشرب وأنكح حتى مر علينا عام اثنى عشر شهراً فلما كملت السنة حملت منى ورزقت منها ولداً وعند رأس السنة سمعت فتح الباب وإذا بالرجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر فأردت أن أخرج فقالت اصبر إلى وقت العشاء ومثل مادخلت فاخرج فصبرت إلى وقت العشاء وأردت أن أخرج وأنا خائف مرجوف وإذا هى قالت والله ما أدعك تخرج حتى أحلفك أنك تعود فى هذه الليلة قبل أن يغلق الباب فأجبتها إلى ذلك وحلفتنى بالإيمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق أنى أعود إليها ثم خرجت من عندها ومضيت إلى البستان فوجدته مفتوحاً كعادته فاغتظت وقلت فى نفسى إنى غائب عن هذا المكان سنة كاملة وجئت على غفلة فوجدته مفتوحًا ياترى هل الصبية باقية على حالها أو لا فلابد أن أدخل وأنظر قبل أن أروح إلى أمى وأنا فى وقت العشاء ثم دخلت البستان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٥٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن عزيزاً قال لتاج الملوك ثم دخلت البستان ومشيت حتى أتيت إلى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة ورأسها على ركبتها ويدها على خدها وقد تغير لونها وغارت عيناها فلما رأتنى قالت الحمد الله على السلام وهممت أن تقوم فوقعت من فرحتها فاستحييت منها وطأطأت رأسى ثم تقدمت إليها وقبلتها وقلت لها كيف عرفت أنى أجىء فى هذه الساعة قالت لاعلم لى بذلك والله إن لى سنة لم أذق فيها نومًا بل أسهر كل ليلة فى انتظارك وأنا على هذه الحالة من يوم خرجت من عندى وأعطيتك البدلة القماش

الجديدة ووعدتنى أنك تجىء إلىّ وقد انتظرتك فما أتيت لا أول ليلة ولا ثانى ليلة ولا ثالث ليلة فاستمريت منتظرة لمجيئك والعاشق هكذا يكون وأريد أن تحكى لى ماسبب غيابك عنى هذه السنة فحكيت لها فلما علمت أنى تزوجت اصفر لونها ثم قالت لى مابقى فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد فأنت لاتصلح لعشرتى لأنه لاينفعنى إلا الأعزب ، وأما الرجل المتزوج فإنه لاينفعنى وقد بعتنى تلك العاهرة والله لأحسرنها عليك وتصير لا لى ولا لها ثم صاحت فما أدرى إلا وعشرة جوار أتين ورمييننى على الأرض فلما وقعت تحت أيديهن قامت هى وأخذت سكيناً وقالت لأذبحنك ذبح التيوس ويكون هذا أقل جزائك على مافعلت مع ابنة عمك فلما نظرت إلى روحى وأنا تحت جواريها وتعفر خدى بالتراب ورأيت السكين فى يدها تحقق الموت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٥٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم إن الشاب عزيز قال لتاج الملوك ثم استغثت بها فلم تزدد إلا قسوة وأمرتهن أن يكتفننى فكتفننى ثم صاحت على . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٥٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن عزيزاً قال وصاحت على الجوارى وقالت لهن اركبن عليه وأمرتهن أن يربطن رجلى بالحبال ففعلن ذلك ثم قامت من عندى وركبت طاجنًا من نحاس على النار وصبت فيه سيرجًا وقلت فيه جبنًا وأنا غائب عن الدنيا ثم جاءت عندى وحلت لباسى وربطت محاشمى بحبل وناولته لجاريتين وقالت لهما جرو الحبل فجرتاه فصرت من شدة الألم فى دنيا غير هذه الدنيا ثم رفعت يدها وقطعت ذكرى بموس وبقيت مثل المرأة ثم كوت موضع القطع وكبسته بذرور وأنا مغمى علىّ فلما أفقت كان الدم قد انقطع فأسقتنى قدحًا من الشراب ثم قالت لى روح الآن لمن تزوجت بها وبخلت علىّ بليلة واحدة رحم الله ابنة



عمك التى هى سبب نجاتك ولولا أنك أسمعتنى كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب فى هذه الساعة لمن تشتهى وأنا ماكان لى عندك سوى ماقطعته والآن مابقى لى فيك رغبة ولاحاجة لى بك فقم وملس على رأسك وترحم على ابنة عمك ثم رفستنى برجلها فقمت وماقدرت أن أمشى فتمشيت قليلاً قليلاً حتى وصلت إلى الباب فوجدته مفتوحًا فرميت نفسى فيه وأنا غائب عن الوجود وإذا بزوجتى خرجت وحملتنى وأدخلتنى القاعة فوجدتنى مثل المرأة فنمت واستغرقت فى النوم فلما صحوت وجدت نفسى مرميًا على باب البستان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (١٥٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم إن الشاب عزيز قال لتاج الملوك فلما صحوت وجدت نفسى مرميًا على باب البستان فقمت وأنا أتضجر وتمشيت حتى أتيت إلى منزلى دخلت فيه فوجدت أمى تبكى علىّ وتقول ياهل ترى ياولدى أنت فى أى أرض فدنوت منها ورميت نفسى عليها فقالت ماحصل لك فحكيت لها ماحصل لى فبكت ساعة ثم قامت وأحضرت لى شيئًا من المأكول فأكلت قليلا وشربت وأعدت لها قصتى وأخبرتها بجميع ماوقع لى فقالت الحمد لله حيث جرى لك هذا وما ذبحتك ثم إنها عالجتنى وداوتنى حتى برئت وتكاملت عافيتى فقالت لى ياولدى الآن اخرج لك الوديعة التى أودعتها أبنة عمك عندى فإنها لك وقد حلفتنى أنى لا أخرجها لك حتى أراك تتذكرها وتحزن عليها وتقطع علائقك من غيرها والآن رجوت فيك هذه الخصال ثم قامت وفتحت صندوقًا وأخرجت منه هذه الخرقة التى فيها صورة هذا الغزال وهى التى وهبتها لها أولا فلما أخذتها وجدت مكتوبًا فيها هذه الأبيات :

أقمتم عيونى فى الهوى وقعدتم ... وأسهرتموا جفنى القريح ونمتم

وقد حلتمو بين الفؤاد وناظرى ... فلا القلب يسلوكم ولوذاب منكم

وعاهدتمونـــى أنكم كاتمو الهوى　　فـأغــراكـم الـواشــى وقـال وقلتم

فبالله إخـوانى إذا مت فاكتبوا　　علـــى لـوح قبـرى إن هـذا متيـم

فلما قرأت هذه الأبيات بكيت بكاء شديداً ولطمت على وجهى وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة أخرى ففتحتها فإذا مكتوب فيها اعلم يابن عمى أنى جعلتك فى حل من دمى وأرجو الله أن يوفق بينك وبين من تحب لكن إذا أصابك شىء من الدليلة المحتالة فلا ترجع إليها ولا لغيرها وبعد ذلك فاصبر على بليتك ولولا أجلك المحتم لهلكت من الزمان الماضى ولكن الحمد لله الذى جعل يومى قبل يومك وسلامى عليكم واحتفظ على هذه الخرقة التى فيها صورة الغزال ولاتفرط فيها فإن تلك الصورة كانت تؤانسنى إذا غبت عنى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٥٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم إن الشاب عزيز قال لتاج الملوك إن ابنة عمى قالت لى إن قدرت على من صورت هذه الصورة ينبغى أنك تتباعد عنها ولاتخلها تقرب منك ولاتتزوج بها إن لم تقدر عليها ولاتجد لك إليها سبيلا فلا تقرب واحدة من النساء بعدها واعلم أن التى صورت هذه الصورة تصور فى كل سنة صورة مثلها وترسل إلى أقصى البلاد لأجل أن يشيع خبرها وحسن صنعتها التى يعجز عنها أهل الأرض وأما محبوبتك الدليلة المحتالة فأنها لما وصلت إليها هذه الخرقة التى فيها صورة الغزال صارت تريها للناس وتقول لهم إن لى أختا تصنع هذا مع أنها كاذبة فى قولها هتك الله سترها وما أوصيتك بهذه الوصية لأننى أعلم أن الدنيا قد تضيق عليك بعد موتى وربما تتغرب بسبب ذلك وتطوف فى البلاد وتسمعت بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك إلى معرفتها واعلم أن الصبية التى صورت هذه الصورة بنت ملك جزائر الكافور فلما علمت ذلك زادت بى الأشواق وغرقت فى بحر الفكر والاحتراق فبكيت على روحى لأنى بقيت مثل المرأة ولم تبق لى آلة مثل الرجال ولاحيلة ومن يوم فراقى لجزائر الكافور وأنا باكى العين حزين القلب ولى مدة على هذا الحال



وما أدرى هل يمكننى أن أرجع إلى بلدى وأموت عند والدتى أولا وقد شبعت من الدنيا ثم بكى وأنّ واشتكى ونظر إلى صورة الغزال وجرى دمعه على خده وسال وأنشد هذين البيتين :

وقائل قال لى لابد من فرج فقلت للغيظ كم لابد من فرج
فقال بعد حين قلت ياعجبى من يضمن العمر يابارد الحجج

وهذه حكايتى أيها الملك فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب وانطلقت فى فؤاده النيران حين سمع بجمال السيدة دنيا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٥٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم إن تاج الملوك قال للشاب والله لقد جرى لك شىء ماجرى لأحد مثله ولكن هذا تقدير ربك وقصدى أن أسأل عن شىء فقال عزيز وما هو فقال تصف لى كيف رأيت تلك الصبية التى صورت صورة الغزال فقال يامولاى إنى توصلت إليها بحيلة وهو أنى لما دخلت مع القافلة إلى بلادها وكنت أخرج وأدور فى البساتين وهى كثيرة الأشجار وحارس البساتين شيخ طاعن فى السن فقلت له ياشيخ لمن هذا البستان فقال لابنة الملك السيدة دنيا ونحن تحت قصرها فإذا أردت أن تتفرج فافتح باب السر وتفرج فى البستان فتشم رائحة الأزهار فقلت له اجلس فى هذا البستان فقال أجلس فبينما نحن جالسون إذا بالباب قد انفتح فقال لى اختف فقمت واختفيت وإذا بالسيدة دنيا طلعت من الباب فلما رأيتها ظننت أن القمر نزل فى الأرض فاندهش عقلى وصرت مشتاقًا إليها كاشتياق الظمآن إلى الماء بعد ساعة أغلقت الباب ومضت فعند ذلك خرجت أنا من البستان وقصدت منزلى وعرفت أننى لا أصل إليها ولا أنا من رجالها خصوصًا قد صرت مثل المرأة فقلت فى نفسى إن هذه ابنة ملك وأنا رجل تاجر فمن أين لى أن أصل إليها فلما تجهز أصحابى للرحيل تجهزت أنا وسافرت معهم وهم قاصدون هذه المدينة فلما وصلنا إلى هذا الطريق اجتمعنا بك وهذه حكايتى وماجرى لى والسلام فلما يسمع تاج الملوك ذلك الكلام اشتغل قلبه بحب السيدة دنيا ثم ركب جواده وأخذ معه عزيز وتوجه إلى مدينة أبيه وأفرد له

داراً ووضع له فيها كل مايحتاج إليه ثم تركه ومضى إلى قصره ودموعه جارية على خدوده لأن السماع يحل محل النظر والاجتماعُ مازال تاج الملك على تلك الحالة حتى دخل عليه أبوه فوجده متغير اللون فعلم أنه مهموم ومغموم فقال له ياولدى أخبرنى عن حالك وماجرى لك حتى تغير لونك فأخبره بجميع ماجرى له من قصة دنيا من أولها إلى آخرها وكيف عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين فقال ياولدى إن أباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل قصر أمك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٥٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن والد تاج الملوك قال له ياولدى أن أباها ملك بلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا فقال له ياوالدى لا أريد غيرها وهى التى صورت صورة الغزال التى رأيتها فلابد منها وإلا أهيج فى البرارى وأقتل روحى بسببها فقال له أبوه ياولدى امهل علىّ حتى أرسل إلى أبيها وأخطبها منه وأبلغك المرام مثل مافعلت لنفسى مع أمك وإن لم يرض زلزلت عليه مملكته وجردت عليه جيشاً يكون آخره عندى وأوله عنده ثم دعا الشاب عزيز قال ياولدى هل أنت تعرف الطريق قال نعم قال له أشتهى منك أن تسافر مع وزيرى فقال له عزيز سمعًا وطاعة ثم جهز عزيز مع وزيره وأعطاهم الهدايا فسافروا أيامًا وليالى إلى أن أشرفوا على جزائر الكافور فأقاموا على شاطىء نهر وأنفذ الوزير رسولا من عنده إلى الملك ليخبره بقدومهم وبعد ذهاب الرسول بنصف يوم لم يشعروا إلا وحجاب الملك وأمراؤه قد أقبلوا عليهم ولاقوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا فى خدمتهم إلى أن دخلوا بهم على الملك فقدموا له الهدايا وأقاموا عنده أربعة أيام وفى اليوم الخامس قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدثه بحديثه وأخبره بسبب مجيئه فصار الملك متحيراً فى رد الجواب لأن ابنته لاتحب الزواج وأطرق برأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى بعد الخدام وقال له اذهب إلى سيدتك دنيا وأخبرها بما سمعت وبما جاء هذا الوزير فقام الخادم وغاب ساعة ثم عاد إلى الملك وقال له ياملك الزمان إنى لما دخلت على السيدة دنيا أخبرتها بما سمعت فغضبت غضبًا شديداً ونهضت على بمسوقة



وأرادت كسر رأسى ففررت منها هاربًا وقالت لى إن كان أبى يغصبنى على الزواج فالذى أتزوج به أقتله فقال أبوها للوزير وعزيز سلما لى على الملك وأخبراه بذلك وأن ابنتى لاتحب الزواج . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٥٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد عند ذلك رجع الوزير ومن معه من غير فائدة ومازالوا مسافرين إلى أن دخلوا على الملك وأخبروه فلما علم بذلك قال لأبيه ياوالدى أنا لا أطيق الصبر عنها فأنا أروح إليها وأتسبب فى اتصالى بها ولو أموت ولا أفعل غير هذا فقال له أبوه وكيف تروح فقال أروح فى صفة تاجر فقال الملك إن كان ولابد فخذ معك الوزير وعزيز ثم إنه أخرج شيئًا من خزائنه وهيأ له متجرًا بمائة ألف دينار واتفقا معه على ذلك فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز إلى منزل الوزير وباتا هناك تلك الليلة وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ولم يطب له أكل ولا رقاد بل هجمت عليه الأفكار وغرق منها فى بحاره وهزه الشوق إلى محبوبته فأفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين :

ترى هل لنا بعد البعاد وصول فأشكو إليك صبوتى وأقول
تذكرتكم والليل ناء بصاحبه وأسهرتمونى والأنام غفول

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدًا وبكى معه عزيز وتذكر ابنه عمة ومازالا يبكيان إلى أن أصبح الصباح ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس أهبة السفر فسألته عن حاله فأخبرها بحقيقة الأمر فأعطته خمسين ألف دينار ثم ودعته وخرج من عندها ودعت له بالسلامة والاجتماع بالأحباب ثم دخل على والده واستأذنه أن يرحل فأذن له وأعطاه خمسين ألف دينار وأمر أن تضرب له خيمة عظيمة وأقاموا فيها يومين ثم سافروا مدة شهرين فطالت الطريق على تاج الملوك واشتد عليه الغرام وزاد به بالوجد والهيام فلما قربوا من المدينة فرح تاج الملوك غاية الفرح وزال عنه الهم والترح ثم دخلوها ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى سوق البر فلما رأت التجار تاج الملوك وشاهدوا حسنه وجماله تحيرت عقولهم وساروا يقولون هل رضوان فتح أبواب الجنة وسها عنها

فخرج هذا الشاب البديع الحسن وبعضهم يقول لعل هذا من الملائكة فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان شيخ السوق فدلوهم عليه فتوجهوا إليه فلما قربوا إليه قام ومن معه من التجار وعظموهم خصوصًا الوزير الأجل فإنهم رأوه رجلا كبيرًا مهابًا ومعه تاج الملوك وعزيز فقال التجار لبعضهم لاشك أن هذا الشيخ والد هذين الغلامين فقال الوزير من شيخ السوق فيكم فقالوا هاهو فنظر إليه الوزير وتأمله فرآه رجلا كبيرا صاحب هيبة ووقار وخدم وغلمان ثم إن شيخ السوق حياهم تحية الأحباب وبالغ فى إكرامهم وأجلسهم جنبه وقال لهم هل لكم حاجة نفوز بقضائها فقال الوزير أشتهى منك دكانا تكون فى أحسن المواضع حتى أجلس ولدى فيها ليتاجرا ويتفرجا على هذه المدينة ويتخلقا بأخلاق أهلها ويتعلما البيع والشراء والأخذ والعطاء فقال شيخ السوق لا بأس بذلك ثم نظر إلى الولدين وفرح بهما وحبهما حبا زائدًا وكان شيخ السوق مغرمًا بفاتك اللحظات ويغلب حب البنين على البنات ويميل إلى الخموصة فقال فى نفسه سبحان خالقهما ومصورهما من ماء مهين ثم قام واقفا فى خدمتهما كالغلام بين أيديهما وبعد ذلك سعى وهيأ لهما الدكان وكانت فى وسط السوق ولم يكن أكبر منها ولا أوجه منها عندهم وكانت متسعة مزخرفة فيها رفوف من عاج وأبنوس ثم سلم المفاتيح للوزير وهو فى صفة تاجر وقال جعلها الله مباركة على ولديك فلما أخذ الوزير مفاتيح الدكان توجه إليها والغلمان ووضعوا فيها أمتعتهم وأمر غلمانهم أن ينقلوا إليها ماعندهم من البضائع . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٦٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير لما أمر غلمانه أن ينقلوا البضائع والقماش وكان ذلك يساوى خزائن مال فنقلوا جميع ذلك إلى الدكان وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح أخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فلما دخلوا الحمام تنظفوا وأخذوا غاية حظهم وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر فصارا فى الحمام على حد قول الشاعر :

بشرى لقيته إذ لامست يده	جسمًا تولد بين الماء والنور
مازال يظفر لطفا من صناعته	حتى جنى المسك من تمثال كافور



ثم خرجا من الحمام وكان شيخ السوق لما سمع بدخولهما الحمام قعد فى انتظارهما وإذا بهما قد أقبلا وهما كالغزالين فأحدق بهما العينين وأنشد هذين البيتين :

يطالع القلب باب الاختصاص به ... وليس يقرأ فيه مبحث الشركه
لاغرو فى كونه يرتج من فول ... فكم لذا الفلك الدوار من حركه

فلما سمع هذا الشعر أقسما عليه أن يدخل معهما الحمام ثانيا وكانا قد تركا الوزير داخل الحمام فلما دخل شيخ السوق إلى الحمام ثانى مرة سمع الوزير بدخوله فخرج إليه من الخلوة واجتمع به وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فأمسك باحدى يديه تاج الملوك وبيده الأخرى عزيز ودخلا به خلوة أخرى فانقاد لهما ذلك الشيخ الخبيث فحلف تاج الملوك أن لايحميه غيره وحلف عزيز أن لايصب عليه الماء غيره فقال له الوزير إنهما أولادك فقال شيخ السوق أبقاهما الله لك لقد حلت البركة والعود بقدومكم وقدوم أتباعكم ثم أنشد هذين البيتين :

أقبلت فاخضرت لدينا الربا ... وقد زهرت بالزهر للمتجلى
ونادت الأرض ومن فوقها ... أهلا وسهلا بك من مقبلى

فشكروه على ذلك ومازال تاج الملوك يحميه وعزيز يصب عليه الماء وهو يظن أن روحه فى الجنة حتى أتما خدمته فدعا لهما وجلس جنب الوزير على أنه يتحدث معه ولكن معظم قصده بالنظر إلى تاج الملوك وعزيز ثم بعد ذلك جاءت لهما الغلمان بالمناشف فتنشفوا ولبسوا حوائجهم ثم خرجوا من الحمام فأقبل الوزير على شيخ السوق وقال ياسيدى أن الحمام نعيم الدنيا فقال شيخ السوق جعله الله ولأولادك عافية وكفاهما الله شر العين ثم إن شيخ السوق عزم عليهم فامتنعوا ومضوا إلى منزلهم فى أتم ما يكونوا من الحظ والسرور فلما صبح الصباح قاموا من نومهم وتوضؤوا وصلوا فرضهم وأصبحوا ولما طلع النهار وفتحت الدكاكين والأسواق وخرجوا من المنزل وتوجهوا إلى السوق وفتحوا الدكان وكان الغلمان قد هيؤها أحسن هيئة وفرشوها بالبسط الحرير ووضعوا فيها مرتبتين كل واحدة منهما تساوى مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة نطفا ملوكيا دائره من الذهب فجلس تاج الملوك على مرتبة وجلس عزيز على الأخرى وجلس الوزير فى وسط الدكان ووقف الغلمان بين أيديهم وتسامعت بهم الناس فازدحموا وباعوا

بعض أقمشتهم وشاع ذكر تاج الملوك فى المدينة واشتهر فيها خبر حسنه وجماله ثم أقاموا على ذلك أيامًا وفى كل يوم تهرع الناس إليهم فأقبل الوزير على تاج الملوك وأوصاه بكتمان أمره وأوصى عليه عزيز ومضى إلى الدار ليدبر أمرا يعود نفعه عليهم وصار تاج الملوك وعزيز يتحدثان وصار تاج الملوك يقول عسى أن يجىء أحد من عند السيدة دنيا ومازال تاج الملوك على ذلك أيامًا وليالى وهو لاينام وقد تمكن منه الغرام وزاد به النحول والإسقام حتى حرم لذيذ المنام وامتنع من الشرب والطعام وكان كالبدر فى تمامه فبينما تاج الملوك جالس وإذا بعجوز أقبلت عليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٦١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد بينما تاج الملوك جالس وإذا بعجوز أقبلت عليه وتقدمت إليه وخلفها جاريتان ومازالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده واعتداله وحسنه وجماله فتعجبت من ملاحته ورشحت فى سراويلها ثم قالت سبحان من خلقك من ماء معين سبحان من جعلك فتنة للعالمين ولم تزل تتأمل فيه وتقول ماهذا بشر وماهذا إلا ملك كريم ثم دنت منه وسلمت عليه فرد عليها السلام وقام لها واقفًا على الأقدام وتبسم فى وجهها هذا كله باشارة عزيز ثم أجلسها إلى جانبه وصار يروح عليها إلى أن استراحت ثم إن العجوز قالت لتاج الملوك ياولدى ياكامل الأوصاف والمعانى هل أنت من هذه الديار فقال تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح والله ياسيدتى عمرى مادخلت هذه الديار إلا مرة واحدة ولا أقمت بها إلا على سبيل الفرجة فقالت لك الإكرام من قادم على الرحب والسعة ما الذى جئت به معك من القماش فأرنى شيئًا مليحًا فقال لها تاج الملوك عندى كل ما تشتهى من الشىء الذى لايصلح إلا للملوك وبنات الملوك فلمن تريدين حتى أقلب عليك ما يصلح لأربابه وأراد بذلك الكلام أن يفهم معنى كلامها فقالت أريد قماشًا يصلح للسيدة دنيا بنت الملك شهرمان فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته فرح فرحًا شديدًا وقال لعزيز ائتنى بأفخر ماعندك من البضاعة فأتاه عزيز ببقجة وحلها بين يديه فقال لها تاج الملوك اختارى مايصلح لها فإن هذا الشىء لا



يوجد عند غيرى فاختارت العجوز شيئًا يساوى ألف دينار ثم أخذت القماش ومضت وهى باهتة فى حسنه وجماله وقده واعتداله ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا وقالت لها ياسيدتى جئت لك بقماش مليح فقالت لها أرينى إياه فقالت ياسيدتى هاهو فقلبيه وانظريه فلما رأته السيدة دنيا قالت لها يادادتى إن هذا قماش مليح ما رأيته فى مدينتنا فقالت العجوز ياسيدتى إن باعه أحسن منه كأن رضوان فتح أبواب الجنة وسها فضحكت السيدة دنيا من كلام العجوز . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .



(العجوز وهى تفرج السيدة دنيا على القماش الذى أتت به من عند تاج الملوك)

***

الليلـة (١٦٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السيدة دنيا حين ضحكت من كلام العجوز وقالت أخزاك الله ياعجوز النحس إنك خرفت ولم يبق لك عقل ثم قالت هات القماش حتى أبصره جيدًا فناولتها إياه فنظرته ثانيا فرأته شيئًا قليلا وثمنه كثيرًا وتعجبت من حسن ذلك القماش لأنها مارأت فى عمرها مثله فقالت لها العجوز ياسيدتى لو رأيت صاحبه لعرفت أنه أحسن مايكون على وجه الأرض فقالت لها السيدة دنيا هل سألتيه أن كان له حاجة يعلمنا بها فنقضيها له فقالت العجوز وقد هزت رأسها وقالت حفظ الله فراستك والله أن له حاجة وهل أحد يخلو من حاجة فقالت لها السيدة دنيا اذهبى إليه وسلمى عليه وقولى له شرفت بقدومكم مدينتنا ومهما كان لك من الحوائج قضيناها لك على الرأس والعين فرجعت العجوز إلى تاج الملوك فى الوقت فلما رآها طار قلبه من الفرح ونهض لها قائمًا وأخذ يدها وأجلسها إلى جانبه فلما جلست واستراحت وأخبرته بما قالت السيدة دنيا فلما سمع ذلك فرح غاية الفرج واتسع صدره وانشرح وقال فى نفسه قد قضيت حاجتى ثم قال للعجوز لعلك توصلين إليها كتابا من عندى وتأتينى بالجواب فقالت سمعا وطاعة فلما سمع ذلك منها قال لعزيز ائتنى بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أتاه بتلك الأدوات كتب هذه الأبيات :

كتبت إليك ياسؤلى كتابًا	بما ألقاه من ألم الفراق
فأول ما أسطر نار قلبى	وثانيه غرامى واشتياقى
وثالثه مضى عمرى وصبرى	ورابعه جميع الوجد باقى
وخامسه متى عينى تراكم	وسادسه متى يوم التلاق

ثم طوى الكتاب وختمه وأعطاه للعجوز وقال أوصليه إلى السيدة دنيا فقالت سمعا وطاعة ثم أعطاها ألف دينار وقال اقبلى منى هذه هدية فأخذتها وانصرفت داعية له ولم تزل ماشية حتى دخلت السيدة دنيا فلما رأتها قالت لها يادادتى أى شىء طالب من الحوائج حتى نقضيها له فقالت لهاياسيدتى قد أرسل معى كتابًا ولا أعلم بما فيه ثم ناولتها الكتاب فأخذته وقرأته وفهمت معناه ثم قالت من أين إلى أين حتى يراسلنى هذا التاجر ويكاتبنى ثم لطمت وجهها وقالت لولا خوفى من الله تعالى لصلبته على دكانه فقالت العجوز وأى شىء فى هذا الكتاب



حتى أزعج قلبك هل فيه شكاية مظلمة أو فيه ثمن القماش فقالت لها ويلك مافيه ذلك ومافيه إلا عشق ومحبة وهذا كله منك وإلا فمن أين يتوصل هذا الشيطان إلى هذا الكلام فقالت لها العجوز أنت قاعدة فى قصرك العالى وما يصل إليك أحد ولا الطير الطائر سلامتك من اللوم والعتاب وماعليك من نباح الكلاب فلا تؤاخذينى حيث أتيتك بهذا الكتاب ولا أعلم مافيه ولكن الرأى أن تردى إليه جوابه فقالت على بدواة وقرطاس وقلم نحاس فلما أحضروا لها تلك الأدوات كتبت هذه الأبيات :

يامدعى الحب والبلوى مع السهر | وما يلاقيه من وجد ومن فكر
أتطلب الوصل يامغرور من قمر | وهل ينال المنى شخص من القمر
إنى نصحتك عما أنت طالبه | فأقصر فإنك فى هذا على خطر
وإن رجعت إلى هذا الكلام فقد | أتاك منى عذاب زائد الضرر
وحق من خلق الإنسان من علق | ومن أنار ضياء الشمس والقمر
لئن عدت أنت ذاكره | لأصلبنك فى جذع من الشجر

ثم طوت الكتاب وأعطته للعجوز وقالت لها أعطيه له وقولى له كف عن هذا الكلام فقالت لها سمعا وطاعة ثم أخذت الكتاب وهى فرحانة ومضت إلى منزلها وباتت فى بيتها فلما أصبح الصباح توجهت إلى دكان تاج الملوك فوجدته فى انتظارها فلما رآها كاد أن يطير من الفرح فلما قربت منه نهض إليها قائماً وأقعدها بجانبه فأخرجت له الورقة وناولته اياها وقالت له اقرأ مافيها ثم قالت له إن السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكننى لاطفتها ومازحتها حتى أضحكتها ورقت لك وردت لك الجواب فشكرها تاج الملوك على ذلك وأمر عزيز أن يعطيها ألف دينار ثم قرأ الكتاب وفهمه وبكى بكاء شديداً فرق له قلب العجوز فقالت له العجوز وحيات شبابك لابد أنى أخاطر معك بروحى وأبلغك مرادك وأوصلك إلى مافى خاطرك ثم أخذ ورقة وكتب فيها هذه الأبيات :

أمست تهددنى بالقتل وا حزنى | والقتل لى راحة والموت مقدور
والموت أغنى لصب أن تطول به | حياته وهو ممنوع ومقهور
ياسادتى فارحمونى فى محبتكم | فكل من يعشق الأحرار معذور

ثم إنه تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز وبعد ذلك أخذت الورقة منه وقالت له طب نفسا وقر عينا فلابد أن أبلغك مقصودك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٦٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز قامت وتركت تاج الملوك على النار وتوجهت إلى السيدة دنيا فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فقالت لها السيدة دنيا اذهبى وقولى له إن راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها العجوز اكتبى هذا الكلام فى مكتوب وأنا آخذ المكتوب معى لأجل أن يزاد خوفه فأخذت ورقة وكتبت فيها هذه الأبيات :

أيا غافلا عن حادثات الطوارق ... وليس إلى نيل الوصال بسابق
أتزعم يامغرور أن تدرك السها ... وما أنت للبدر المنير بلا حق
فكيف ترجينا وتأمل وصلنا ... لتحظى بضم للقدود الرواشق
فدع عنك هذا القصد خيفة سطوتى ... بيوم عبوس فيه شيب المفارق

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فأخذته وأنطلقت به إلى تاج الملوك فلما رآها قام على قدميه وقال لا أعدمنى الله بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب مكتوبك فأخذا الورقة وقرأها وبكى بكاء شديدًا وقال إنى أشتهى من يقتلنى الآن فإن القتل أهون علىّ من هذا الأمرالذى أنا فيه ثم أخذ دواة وقلما وقرطاسًا وكتب مكتوبًا ورقم هذين البيتين :

فيا منيتى لاتبتغى الهجر والجفا ... فإنى محب فى المحبة غارق
ولاتحسبينى فى الحياة مع الجفا ... فروحى من بعد الأحبة طالق

ثم طوى الكتاب وأعطاه للعجوز وقال لها قد أتعبتك بدون فائدة وأمر عزيز أن يدفع لها ألف دينار وقال لها يا أمى أن هذه الورقة لابد أن يعقبها كمال الاتصال أو كمال الانفصال فقالت له ياولدى والله ما أشتهى لك إلا الخير ثم ودعته وطيبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشى حتى دخلت على السيدة دنيا وقد أخفت الورقة فى شعرها فلما جلست عندها حكت رأسها وقالت



ياسيدتى عساك أن تفلى شوشتى فإن لى زمانًا مادخلت الحمام فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلت شعر العجوز وصارت تفلى شوشتها فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت ماهذه الورقة فقالت كأنى قعدت على دكان التاجر فتعلقت معى هذه الورقة هاتيها حتى أوديها له ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت مافيها فاغتاظت غيظًا شديدًا وقالت كل الذى جرى لى من تحت رأس هذه العجوز النحس فصاحت على الجوارى والخدم وقالت أمسكوا هذه العجوز الماكرة واضربوها بنعالكم فنزلوا عليها ضربًا بالنعال حتى غشى عليها ثم أمرتهم أن يجروها ويرموها خارج الباب فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب فلما أفاقت قامت تمشى وتقعد حتى وصلت إلى منزلها وصبرت إلى الصباح ثم قامت وتمشت حتى أتت إلى تاج الملوك وأخبرته بجميع ماجرى لها فقال لها تاج الملوك اخبرينى ماسبب بغضها للرجال فقالت إنها رأت منامًا أوجب ذلك فقال لها وماذلك المنام فقالت إنها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيادًا نصب شركًا فى الأرض وبذر حوله قمحا ثم جلس قريبا منه فلم يبق شيئًا من الطيور إلا وقد أتى إلى ذلك الشرك ورأت فى الطيور حمامتين ذكرًا وأنثى وهى تنظر إلى الشرك وإذا برجل الذكر تعلقت فى الشرك وصار يتخبط فنفرت عنه جميع الطيور وفرت فرجعت إليه امرأته وحامت عليه ثم تقدمت إلى الشرك والصياد غافل فصارت تنقر العين التى فيها رجل الذكر وصارت تجذبه بمنقارها حتى خلصت رجله من الشرك وطارت الطيور وهى وإياه فجاء بعد ذلك الصياد وأصلح الشرك وقعدا بعيدًا عنه فلم تمض غير ساعة حتى نزلت الطيور وعلق الشرك فى الأنثى فنفرت عنها جميع الطيور ومن جملتها الطير الذكر ولم يعد لأنثاه فجاء الصياد وأخذ الطير الأنثى وذبحها فانتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر مثل هذا وما فيه خير والرجال جميعهم ماعندهم خير للنساء فلما فرغت من حديثها لتاج الملوك قال لها يا أمى أريد أن أنظر إليها نظرة واحدة ولو كان فى ذلك مماتى فتحيلى لى بحيلة حتى أنظر إليها فقالت اعلم أن لها بستانًا تحت قصرها وهو برسم فرجتها وأنها تخرج إليه فى كل شهر من باب السر وتقعد فيه عشرة أيام وقد جاء أوان خروجها إلى الفرجة فإذا أرادت الخروج أجىء إليك وأعلمك حتى

تخرج وتصادفها وأحرص على أنك لاتفارق البستان فلعلها إذا رأت حسنك وجمالك يتعلق قلبها بمحبتك فإن المحبة أعظم أسباب الاجتماع فقال سمعا وطاعة ثم قام من الدكان هو وعزيز وأخذا معهما العجوز ومضيا إلى منزلهما وعرفاه لها ثم إن تاج الملوك قال لعزيز يا أخى ليس لى حاجة بالدكان وقد قضيت حاجتى منها ووهبتها لك بجميع مافيها لأنك تغربت معى وفارقت بلادك فقبل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثات وصار تاج الملوك يسأله عن غريب أحواله وماجرى له وصار وهو يخبره بما حصل له وبعد ذلك أقبلا على الوزير وأعلماه بما عزم عليه تاج الملوك وقال له كيف العمل فقال قوموا بنا إلى البستان فلبس كل واحد منهم أفخر ماعنده وخرجوا خلفهم ثلاثة مماليك وتوجهوا إلى البستان فرأوه كثير الأشجار غزير الأنهار رأوا الخولى جالسًا على الباب فقال الوزير اخبرنى هذا البستان هل هو لك أم أنت مستأجره فقال الشيخ ماهو لى وإنما بنت الملك السيدة دنيا فقال الوزير أريد أن أعمل خيرًا تذكرنى به فقال وماتريد أن تفعل من الخير فقال خذ هذه الثلثمائة دينار فلما سمع الخولى بذكر الذهب قال ياسيدى مهما شئت فافعل ثم أخذ الدنانير فقال له إن شاء الله تعالى تفعل فى هذا المحل خيرًا ثم خرجوا من عنده وتوجهوا إلى منزلهم وباتوا تلك الليلة فلما كان الغد أحضر الوزير مبيضًا ونقاشًا وصانعًا جيدًا وأحضر لهم جميع مايحتاجون إليه من الآلات ودخل بهم البستان وأمرهم ببياض ذلك القصر وزخرفته بأنواع النقش ثم أمر بإحضار الذهب واللازورد وقال للنقاش اعمل فى صدر هذا الإوان آدمى صياد كأنه نصب شركة وقد وقعت فيه حمامة واشتبكت بمنقارها فى الشرك فلما نقش النقاش جانبًا وفرغ من نقشه قال له الوزير افعل فى الجانب الآخر مثل الأول وصور صورة الحمامة فى الشرك وأن الصياد أخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل فى الجانب الآخر صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام وانشب فى مخالبه ففعل ذلك فلما فرغ من هذه الأشياء التى ذكرها الوزير ودعوا البستانى ثم توجهوا إلى منزلهم وجلسوا يتحدثون هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر العجوز فإنها انقطعت فى بيتها واشتاقت بنت الملك إلى الفرجة إلى البستان وهى لاتخرج إلا بالعجوز فأرسلت إليها وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت إنى أريد



أن أخرج إلى البستان لأتفرج على أشجاره وأثماره وينشرح صدرى بأزهاره فقالت لها العجوز سمعا وطاعة ولكن أريد أن أذهب إلى بيتى وألبس أثوابى وأحضر عندك فقالت اذهبى إلى بيتك ولا تتأخرى عنى فخرجت العجوز من عندها وتوجهت إلى تاج الملوك وقالت له تجهز وألبس أفخر ثيابك واذهب إلى البستان وادخل على البستانى وسلم عليه ثم اختف فى البستان



(السيدة دنيا والعجوز فى صحبتها عندما رأيا تاج الملوك فى المكان الذى كان مختفيًا فيه)

فقال سمعا وطاعة وجعلت بينها وبينه إشارة ثم توجهت إلى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير وعزيز والبسا تاج الملوك بدلة من أفخر ملابس الملوك تساوى خمسة آلاف دينار وشد فى وسطه حياصة من الذهب مرصعة بالجواهر والمعادن ثم توجه إلى البستان فلما وصل إلى باب البستان وجد الخولى جالساً هناك فلما رآه البستانى نهض له على الأقدام وقابله بالتعظيم والإكرام وفتح له الباب وقال له ادخل واتفرج فى البستان ولم يعلم أن بنت الملك تدخل البستان فى هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبس إلا مقدار ساعة وسمع ضجة فلم يشعر إلا والخدم والجوارى خرجوا من باب السر فلما رآهم الخولى ذهب إلى تاج الملوك وأعلمه بمجيئها وقال له يامولاى كيف يكون العمل وقد أتت أبنة الملك السيدة دنيا فقال لابأس عليك فإنى اختفى فى بعض مواضع البستان فأوصاه البستانى بغاية الاختفاء ثم تركه وراح فلما دخلت بنت الملك هى وجواريها والعجوز فى البستان قالت العجوز فى نفسها متى كان الخدم معنا بأننا لاننال مقصود فقالت العجوز ياسيدتى أن هؤلاء الخدم لا حاجة لك بهم فى هذا الوقت ولاينشرح صدرك ماداموا معنا قاصر فيهم عنا فقالت السيدة دنيا صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر إليها وإلى حسنها وجمالها وهى لاتشعر بذلك وكلما نظر إليها يغشى عليه مما يرى من بارع حسنها وصارت العجوز تسارقها الحديث إلى أن أوصلتها إلى القصر الذى أمر الوزير بنقشه ثم دخلت ذلك القصر وتفرجت على نقشه وأبصرت الطيور والصياد والحمام فقالت سبحان الله إن هذه صفة ما رأيته فى المنام وصارت تنظر إلى صور الطيور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت يادادتى إنى كنت ألوم الرجال وأبغضهم ولكن انظرى الصياد كيف ذبح الطير الأنثى وتخلص الذكر وأراد أن يجيء إلى الأنثى ويخلصها فقابله الجارح وافترسه وصارت العجوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث إلى أن قربا من المكان المختفى فيه تاج الملوك فأشارت إليه العجوز أن يتمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك إذ لاحت منها التفاتة فرأته وتأملت جماله وقده واعتداله فقالت للعجوز يادادتى إن هذا الشاب مليح فقالت لها العجوز صدقت ياسيدتى ثم إن العجوز أشارت إلى ابن الملك أن يذهب إلى بيته وقد التهبت به نار الغرام وزاد به الوجد والهيام فسار وودع الخولى وانصرف إلى منزله ولم يخالف العجوز وأخبر



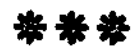
الوزير وعزيز بأن العجوز أشارت إليه بالانصراف فصار يصبرانه ويقولان له لولا أن العجوز تعلم أن فى رجوعك مصلحة ما أشارت عليك به هذا ما كان من أمر تاج الملوك والوزير وعزيز (وأما) ما كان من أمر ابنة الملك السيدة دنيا فإنها غلب عليها الغرام وزاد بها الوجد والهيام وقالت للعجوز أنا ما أعرف اجتماعى بهذا الشاب إلا منك فقالت لها العجوز أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أنت لاتريدين الرجال وكيف حلت بك من عشقه الأوحال ولكن والله مايصلح لشبابك إلا هو فقالت السيدة دنيا يا دادتى أسعفينى باجتماعى عليه ولك عندى ألف دينار وخلعة بألف دينار وإن لم تسعفينى بوصاله فإنى ميتة لامحالة ثم إن السيدة دنيا توجهت إلى قصرها وتوجهت العجوز إلى تاج الملوك فلما رآها نهض لها على الأقدام وقابلها باعزاز وإ كرام وأجلسها إلى جانبه فقالت له إن الحيلة قد تمت وحكت له ماجرى لها مع السيدة دنيا فقال لها متى يكون الاجتماع قالت فى غد فأعطاها ألف دينار وحلة بألف دينار فأخذتهما وانصرفت ومازالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها يادادتى ماعندك من خبر الحبيب شىء فقالت لها قد عرفت مكانه وفى غد أكون به عندك ففرحت السيدة دنيا بذلك وأعطتها ألف دينار وحلة بألف دينار فأخذتهما وأنصرفت إلى منزلها وباتت فيه إلى الصباح ثم خرجت إلى تاج الملوك وألبسته لبس النساء وقالت له امش خلفى وتمايل فى خطواتك ولاتستعجل ثم مشت وهو خلفها حتى وصلت إلى الباب الذى فيه الخادم الكبير فرأى معها تاج الملوك فى صورة جارية فقال لها ماشأن هذه الجارية التى معك فقالت له هذه جارية قد سمعت السيدة دنيا بأنها تعرف الأشغال وتريد أن تشتريها فقال لها الخادم أنا لا أعرف جارية ولاغيرها ولايدخل أحد حتى أفتشه كما أمرنى الملك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٦٤)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز قالت للبواب وقد أظهرت الغضب أنا أعرف أنك عاقل ومؤدب فان كان حالك قد تغير فإنى أعلمها بذلك وأخبرها أنك تعرضت لجاريتها ثم

زعقت على تاج الملوك وقالت له اعبرى ياجارية فعند ذلك عبر إلى داخل الدهليز كما أمرته وسكت الخادم ولم يتكلم ثم إن تاج الملوك عد خمسة أبواب ودخل الباب السادس فوجد السيدة دنيا واقفة فى انتظاره فلما رأته عرفته فضمته إلى صدرها وضمها إلى صدره ثم دخلت العجوز عليهما وتحيلت على صرف الجوارى ثم قالت السيدة دنيا للعجوز كونى أنت بوابة ثم اختلت هى وتاج الملوك ولم يزالا فى ضم وعناق والتفاف ساق على ساق إلى وقت السحر ولما أصبح الصباح غلقت عليهما الباب ودخلت مقصورة أخرى وجلست على عادتها وأتت إليها الجوارى فقضت حوائجهن وصارت تحدثهن ثم قالت للجوارى اخرجن الآن من عندى فإنى أريد أن أنشرح وحدى فخرج الجوارى من عندها ثم إنها أتت إليهما ومعها شىء من الأكل فأكلوا وأخذوا فى الهراش إلى وقت السحر فأغلقت عليهما مثل اليوم الأول ولم يزالا على ذلك مدة شهر كامل هذا ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا (وأما) ماكان من أمر الوزير وعزيز فإنهما لما توجه تاج الملوك إلى قصر بنت الملك ومكث تلك المدة علما أنه لايخرج منه أبدًا وأنه هالك لامحالة فقال عزيز ياوالدى ماذا نصنع فقال الوزير ياولدى أن هذا الأمر مشكل وإن لم نرجع إلى أبيه ونعلمه فأنه يلومنا على ذلك ثم تجهزا فى الوقت والساعة وتوجها إلى الأرض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه وسارا يقطعان الأودية فى الليل والنهار إلى أن دخلا على الملك سليمان شاه وأخبراه بما جرى لولده وأنه من حين دخل قصر بنت الملك لم يعلموا له خبر فعند ذلك قامت عليه القيامة واشتدت به الندامة وأمر أن ينادى فى مملكته بالجهاد ثم أبرز العساكر إلى خارج مدينته ونصب لهم الخيام وجلس فى سرادقه حتى اجتمعت الجيوش من سائر الأقطار وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله واحسانه ثم سار فى عسكر سد الأفق متوجهًا فى طلب ولده تاج الملوك هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ماكان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا فإنهما أقاما على حالهما نصف سنة وهما كل يوم يزدادان محبة فى بعضهما وزاد على تاج الملوك العشق والهيام والوجد والغرام حتى أفصح لها عن الضمير فقالت له وماتريد يانور عينى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (١٦٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن دنيا قالت لتاج الملوك وماتريد يانور عينى وثمرة فؤادى إن شئت غير الضم والعناق والتفاف الساق على الساق فافعل الذى يرضيك ثم باتا على هذا الاتفاق واتفق بالأمر المقدور أن النوم غلب عليهما فى تلك الليلة من دون الليالى واستمرا إلى أن طلعت الشمس وذلك الوقت كان الملك شهرمان جالسًا فى دست مملكته بين يديه أمراء دولته إذ دخل عليه عريف الصياغ وبيده حق كبير فتقدم وفتحه بين يدى الملك واخرج منه علبة لطيفة تساوى مائة ألف دينار لما فيها من الجواهر واليواقيت والزمرد مما لايقدر عليه أحد من ملوك الأقطار فلما رآها الملك تعجب من حسنها والتفت إلى الخادم الكبير الذى جرى له مع العجوز ماجرى وقال له ياكافور خذ هذه العلبة وامض بها إلى السيدة دنيا فأخذها الخادم ومضى وحتى وصل إلى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقًا والعجوز نائمة على عتبته فقال الخادم إلى هذه الساعة وأنتم نائمون فلما سمعت العجوز كلام الخادم انتبهت من منامها وخافت منه وقالت له اصبر حتى أتيك بالمفتاح ثم خرجت على وجهها هاربة هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الخادم فإنه عرف أنها مرتابة فخلع الباب ودخل المقصورة فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك وهما نائمان فلما رأى ذلك تحير فى أمره وهم أن يعود إلى الملك فانتبهت السيدة دنيا فوجدته فتغيرت واصفر لونها وقالت له ياكافور استر ماستر الله فقال أنا ما أقدر أن أخفى شيئًا عن الملك ثم قفل الباب عليهما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٦٦)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخادم لما قفل الباب عليهما رجع إلى الملك فقال له هل أعطيت العلبة لسيدتك فقال الخادم خذ العلبة هاهى وأنا لا أقدر أن أخفى عنك شيئا اعلم أنى رأيت عند السيدة دنيا شابًا جميلاً نائمًا معها فى فراش واحد وهما متعانقان فأمر الملك بإحضارهما فلما حضرا بين يديه قال لهما ماهذه الفعال واشتد به الغيظ فأخذ نمشة وهم أن

يضرب تاج الملوك فرمت السيدة دنيا روحها عليه وقالت لأبيها اقتلنى قبله فنهرها الملك وأمرهم أن يمضوا بها إلى حجرتها ثم التفت إلى تاج الملوك وقال له ويلك ومن أين أنت ومن أبوك وماجسرك على ابنتى فقال تاج الملوك اعلم أيها الملك إن قتلتنى هلكت وندمت أنت ومن فى مملكتك فقال له الملك ولم ذلك فقال اعلم أننى ابن الملك سليمان شاه وما تدرى إلا وقد أقبل عليك بخيله ورجاله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام أراد أن يؤخر قتله ويضعه فى السجن حتى ينظر صحة قوله فقال له وزيره ياملك الزمان الرأى عندى أن تعجل قتل هذا العلق فإنه تجاسر على بنات الملوك فقال للسياف اضرب عنقه فإنه خائن فأخذه السياف وشد وثاقه ورفع يده . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٦٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السياف رفع يده وأراد أن يضرب عنقه وإذا بزعقات عالية والناس أغلقوا الدكاكين فقال للسياف لاتعجل ثم أرسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاد إليه وقال رأيت عسكراً كالبحر العجاج المتلاطم بالأمواج وخيلهم فى ركض وقد ارتجت لهم الأرض وما أدرى خبرهم فاندهش الملك وخاف على ملكه أن ينزع منه فقال له الملك من هذا قال الوزير هو صاحب العدل والأمان الذى سارت بعلو همته الركبان السلطان سليمان شاه صاحب الأرض الخضراء والعمودين وجبال أصفهان وهو يحب العدل والإنصاف ويكره الجور والاعتساف ويقول لك إن ابنه عندك وفى مدينتك وهو حاشة قلبه وثمرة فؤاده فإن وجده سالمًا فهو المقصود وأنت المشكور المحمود وإن كان فقد من بلادك أو أصابه شىء فأبشر بالدمار وخراب الديار لأنه يصير بلدك قفرا ينعق فيها البوم والغراب وها أنا قد بلغتك الرسالة والسلام فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من الرسول انزعج فؤاده وخاف على مملكته وزعق على أرباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم انزلوا وفتشوا على ذلك الغلام وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ماحصل له من الفزع ثم إن الرسول لاحت منه التفاتة فوجد



ابن ملكه على نطع الدم فعرفه وقام ورمى روحه عليه وكذلك بقية الرسل ثم تقدموا وحلوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينه فعرف وزير والده وعرف صاحبه عزيز فوقع مغشيًا عليه من شدة فرحته بهما ثم إن تاج الملوك جلس يحدث وزير والدهُ عزيز بما وقع له فقال له الوزيرُ عزيز ونحن فى تلك المدة مضينا إلى والدك فأخبرناه بأنك دخلت سراية بنت الملك ولم تخرج والتبس علينا أمرك فحين سمع بذلك جهز العساكر ثم قدمنا هذه الديار وكان فى قدومنا الفرح والسرور فقال لهما مازال الخير يجرى على أيديكما أولا وآخراً وكان الملك فى ذلك الوقت قد دخل على ابنته السيدة دنيا فوجدها تبكي على تاج الملوك وأخذت سيفا وركزت قبضته وجعلت ذبابته على رأس قلبها بين نهديها وانحنت على السيف وصارت تقول لابد أن أقتل نفسى ولا أعيش بعد حبيبى فلما دخل عليها أبوها ورآها على هذه الحالة صاح عليها وقال لها ياسيدة بنات الملوك لاتفعلى وارحمى أباك وأهل بلدك ثم تقدم إليها وقال أحاشيك أن يصيب والدك بسبب سوء ثم أعلمها بالقصة وأن محبوبها ابن الملك سليمان شاه يريد زواجها وقال لها إن أمر الخطبة والزواج مفوض إلى رأيك فتبسمت وقالت له أما قلت إنه ابن سلطان فأنا أخليه يصلبك على خشبة لاتساوى درهمين فقال لها بالله عليك أن ترحمى أباك فقالت رح إليه وائتنى به فقال لها على الرأس والعين ثم رجع من عندها سريعًا ودخل على تاج الملوك وسار بهذا الكلام ثم قام معه وتوجها إليها فلما رأت تاج الملوك عانقته قدام أبيها وتعلقت به وقالت له أوحشتنى ثم التفتت إلى أبيها وقالت هل أحد يفرط فى مثل هذا الشاب المليح وهو ملك ابن ملك فعند ذلك خرج الملك شهرمان ورد الباب عليهما ومضى إلى وزير أبى تاج الملوك ورسله وأمرهم أن يعلموا السلطان سليمان شاه بأن ولده بخير وعافية ثم إن السلطان شهرمان أمر بإخراج الضيافات والعلوفات إلى عساكر السلطان سليمان شاه والد تاج الملوك فلما أخرجوا جميع ما أمر به أخرج مائة جواد من الخيل ومائة سرية ومائة عبد ومائة جارية وأرسل الجميع إليه هدية ثم بعد ذلك توجه هو وأرباب دولته وخواصه حتى صاروا فى ظاهر المدينة ولما علم بذلك السلطان سليمان شاه تمشى خطوات إلى لقائه وكان الوزير وعزيز أعلماه بالخبر ففرح وقال الحمد لله الذى بلغ ولدى مناه ثم إن الملك سليمان شاه أخذ الملك شهرمان بالحضن وأجلسه

بجانبه على السرير وصار يتحدث هو وإياه ثم قدموا لهم الطعام فأكلوا حتى اكتفوا ثم قدموا لهم الحلويات ولم يمض إلا قليل حتى جاء تاج الملوك وقدم عليه بلباسه وزينته فلما رآه والده قام له وقبله وقام له جميع من حضر وجلس بين أيديهم ساعة يتحدثون فقال الملك سليمان شاه إنى أريد أن أكتب كتاب ولدى على ابنتك على رؤوس الأشهاد فقال له سمعًا وطاعة ثم أرسل الملك شهرمان إلى القاضى والشهود فحضروا وكتبوا الكتاب وفرح العساكر بذلك وشرع الملك شهرمان فى تجهيز ابنته ثم قال تاج الملوك لوالده إن عزيزًا رجلاً من الكرام وقد خدمنى خدمة عظيمة وتعب وسافر معى وأوصلنى إلى بغيتى ولم يزل يصبرنى حتى قضيت حاجتى ومضى معنا سنتان وهو مشتت من بلاده فالمقصود أننا نهىء له تجارة لأن بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت ثم هيؤا له مائة حمل من أغلى القماش وأقبل عليه تاج الملوك ودعه ومضى إلى مدينته فوجد والدته بنت له فى وسط الدار قبراً وصارت تزوره ولما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرته على القبر وهى تسكب العبرات وتنشد هذه الأبيات :

مالى مررت على القبور مسلمًا قبر الحبيب فلم يرد جوابى
قال الحبيب وكيف رد جوابكم وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسنى فنسيتكم وحجبت عن أهلى وعن أحبابى

فما أتمت شعرها إلا وعزيز داخل عليها فلما رأته قامت إليه واحتضنته وسألته عن سبب غيابه فحدثها بما وقع له من أوله إلى آخره وإن تاج الملوك أعطاه من المال والأقمشة مائة حمل ففرحت بذلك وأقام عزيز عند والدته متحيراً فيما وقع له من الدليلة المحتالة التى خصته هذا ما كان من أمر عزيز (وأما) ما كان من أمر تاج الملوك فإنه دخل بمحبوبته السيدة دنيا وأزال بكارتها ثم إن الملك شهرمان شرع فى تجهيز ابنته للسفر مع زوجها وأبيه فأحضر لهم الزاد والهدايا والتحف ثم حملوا وساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلاثة أيام لأجل الوداع فأقسم عليه الملك سليمان شاه بالرجوع فرجع ومازال تاج الملوك ووالده وزوجته سائرين فى الليل والنهار حتى أشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (١٦٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك سليمان شاه لما وصل إلى بلده وجلس على سرير مملكته وابنه تاج الملوك فى جانبه ثم أعطى ووهب وأطلق من كان فى الحبوس ثم عمل لولده عرسًا ثانيًا واستمرت به المغانى والملاهى شهرًا كاملاً وازدحمت المواشط على السيدة دنيا وهى لا تمل من الجلاء ولا يمللن من النظر إليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد أن اجتمع على أبيه وأمه ومازالوا فى ألذ عيش وأهنأه فعند ذلك قال ضوء المكان للوزير دندان مثلك من ينادم الملوك ويسلك فى تدبيرهم أحسن السلوك هذا كله وهم محاصرون للقسطنطينية حتى مضى عليهم أربع سنين وما بلغنا مرامًا فازددنا غمًا وهمًا وقد أتينا لنخلص ثار الملك النعمان فقتل أخى شركان فصارت الحسرة حسرتين والمصيبة مصيبتين هذا كله من العجوز ذات الدواهى فإنها قتلت السلطان فى مملكته وأخذت زوجته الملكة صفية وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا وزيحت أخى وقد حلفت الإيام العظيمة أنه لابد من أخذ الثار فما تقولون أنتم فافهموا هذا الخطاب وردوا على الجواب فأطرقوا رؤوسهم وأحالوا الأمر على الوزير دندان فعند ذلك تقدم الوزير دندان إلى ضوء المكان وقال له أعلم يا ملك الزمان أنه ما بقى فى إقامتنا فائدة والرأى أننا نرحل إلى الأوطان ونقيم هناك برهة من الزمان ثم نعود ونغزوا عبدة الأصنام فقال الملك نعم هذا الرأى لأن الناس اشتاقوا إلى رؤية عيالهم وأنا أيضًا اقلقنى الشوق إلى ولدى كان ما كان ومازالوا مجدين السير بالليل والنهار حتى وصلوا إلى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم الناس وقد زال عنهم الهم والبأس ثم ذهب كل أمير إلى داره وطلع الملك إلى قصره ودخل على ولده كان ما كان وقد بلغ من العمر سبع سنين وصار ينزل ويركب ولما استراح الملك من السفر دخل الحمام هو وولده كان ما كان ثم رجع وجلس على كرسى مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه وطلعت الأمراء وخواص الدولة ووقفوا فى خدمته فعند ذلك أمر الملك ضوء المكان بإحضار صاحبه الوقاد الذى أحسن إليه فى غربته فحضر بين يديه فلما رآه ضوء المكان قادمًا عليه نهض له قائمًا وأجلسه إلى جانبه وكان الملك ضوء المكان قد أخبر الوزير بما فعل معه صاحبه الوقاد من

المعروف فعظم فى عينيه وفى أعين الأمراء وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الأكل والراحة وصار عنقه كعنق الفيل وبطنه كبطن الدرفيل وصار طائش العقل لأنه كان لا يخرج من المكان الذى هو فيه فلم يعرف الملك بسيماه فأقبل عليه الملك وبش فى وجهه وحياه أعظم التحيات وقال له ما أسرع ما نسيتنى فأمعن فيه النظر فلما تحققه وعرفه قام له على الإقدام وقال له يا حبيبى من عملك سلطانًا فضحك عليه فأقبل عليه الوزير بالكلام وشرح له بالقصة وقال له إنه كان أخاك وصاحبك والآن صار ملك الأرض ولابد أن يصل إليك منه خير كثير وها أنا أوصيك إذا قال لك ثمن على فلا تتمن إلا شيئًا عظيمًا قال الوقاد أخاف أن أتمنى شيئًا لا تقدر عليه فغضب السلطان وقال له تمن ما أردت فقال له تمنيت أن تكتب لى مرسومًا بعرافة جميع الوقادين الذين فى مدينة القدس فضحك السلطان وجميع من حضر وقال له ثمن غير هذا فقال الوقاد أنا ما قلت لك إنى أخاف أن أتمنى شيئًا لا تسمح لى به وما تقدر عليه فغمزه الوزير ثانيًا وثالثًا وفى كل مرة يقول أتمنى عليك أن تجعلنى رئيس الزبالين فى مدينة القدس أو فى مدينة دمشق فانقلب الحاضرون على ظهورهم من الضحك عليه وضربه الوزير فالتفت الوقاد إلى الوزير وقال له ما تكون حتى تضربنى وما لى ذنب فإنك أنت الذى قلت لى ثمن شيئًا عظيمًا ثم قال دعونى أسير إلى بلادى فعرف السلطان أنه يلعب فصبر قليلاً ثم أقبل عليه وقال له يا أخى تمن على أمرًا عظيمًا لائقًا بمقامى فقال له أتمنى سلطنة دمشق موضع أخيك فكتب له التوقيع بذلك وقال للوزير دندان ما يروح معه غيرك وإذا أردت العودة فأحضر معك بنت أخى قضى فكان فقال الوزير سمعًا وطاعة ثم أخذ الوقاد ونزل به وتجهز للسفر وأمر السلطان ضوء المكان أن يخرجوا للوقاد تختًا جديدًا وطقم سلطنة وقال للأمراء من كان يحبنى فليقدم إليه هدية عظيمة ثم سماه السلطان الزبلكان ولقبه بالمجاهد وبعد شهر كملت حوائجه وطلع الزبلكان وفى خدمته الوزير دندان ثم دخل على ضوء المكان ليودعه فقام ليودعه فقام له وعانقه وأوصاه بالعدل بين الرعية وأمره أن يأخذ الأهبة للجهاد بعد سنتين ثم ودعه وانصرف وسار الملك المجاهد المسمى بالزبلكان بعد أن أوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيرًا وقدمت له الأمراء والمماليك فبلغوا خمسة آلاف مملوك وركبوا خلفه وركب الحاجب الكبير وأمير الديلم بهرام وأمير الترك رستم وأمير العرب



تركاش وساروا فى توديعه ومازالوا سائرين معه ثلاثة أيام ثم عادوا إلى بغداد وسار السلطان الزبلكان هو والوزير دندان ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى دمشق وكانت الأخبار قد وصلت إليهم على أجنحة الطيور بأن الملك ضوء المكان سلطن على دمشق ملكًا يقال له الزبلكان ولقبه بالمجاهد فلما وصل إليهم الخبر زينوا له المدينة وخرج لملاقاته كل من فى دمشق ثم دخل دمشق وطلع للقلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الوزير دندان فى خدمته يعرفه منازل الأمراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبلون يديه ويدعون له فأقبل عليهم الملك الزبلكان وخلع وأعطى ووهب ثم فتح خزائن الأموال وأنفقها على جميع العساكر كبيرًا وصغيرًا وحكم وعدل وشرع الزبلكان فى تجهيز بنت السلطان شركان السيدة قضى فكان هذا ما كان من أمر السلطان الزبلكان (وأما) ما كان من أمر الوزير دندان فإنه لم يزل يقطع المراحل بقضى فكان حتى وصل إلى الرحبة بعد شهر ثم سار حتى أشرف على بغداد وأرسل يعلم ضوء المكان بقدومه فركب وخرج إلى لقائه فأراد الوزير دندان أن يترجل فأقسم عليه الملك ضوء المكان أن لا يفعل فسار راكبًا حتى جاء إلى جانبه وسأله عن المجاهد فأعلمه بقدوم قضى فكان بنت أخيه شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر ثلاثة أيام ثم بعد ذلك تعالى عندى فقال حبًا ثم دخل بيته وطلع الملك إلى قصره ودخل على ابنة أخيه قضى فكان وهى ابنة ثمان سنين فلما رآها فرح بها وحزن على أبيها وأعطاها حليًا ومصاغًا عظيمًا وأمر أن يجعلوها مع ابن عمها كان ما كان فى مكان واحد وكانت أحسن أهل زمانها وأشجعهم لأنها كانت صاحبة تدبير وعقل ومعرفة بعواقب الأمور وأما كان ما كان فإنه كان مولعًا بمكارم الأخلاق ولكنه لا يفكر فى عاقبة شىء ثم بلغ عمر كل واحد من الاثنين عشر سنين وصارت قضى فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها فى البر ويتعلمان الضرب بالسيف والطعن بالرمح حتى بلغ عمر كل منهما اثنتى عشرة سنة ثم إن الملك انتهت أشغاله للجهاد وأكمل الأهبة والاستعداد فأحضر الوزير دندان وقال له أعلم أنى عزمت على شىء وأريد إطلاعك عليه فأسرع فى رد الجواب فقال الوزير دندان ما هو يا ملك الزمان قال عزمت على أن أسلطن ولدى كان ما كان وأفرح به فى حياتى وأقاتل قدامه إلى أن يدركنى الممات فما عندك من الرأى فقبل الوزير دندان الأرض بين يدى الملك

ضوء المكان وقال له أعلم أيها الملك السعيد صاحب الرأى السديد كل ما خطر ببالك مليح غير أنه لا يناسب فى هذه الوقت لخصلتين الأولى أن ولدك كان ما كان صغير السن والثانية ما جرت به العادة من أن من سلطن ولده فى حياته لا يعيش إلا قليلاً وهذا ما عندى من الجواب فقال أعلم أيها الوزير أننا نوصى عليه الحاجب الكبير فإنه صار منا وعلينا وقد تزوج أختى فهو فى منزله أخى فقال الوزير افعل ما بدك فنحن ممتثلون أمرك فأرسل الملك إلى الحاجب الكبير فأحضره وكذلك أكابر مملكته فقال ضوء المكان أيها الحاجب إن ولدى كان ما كان وابنة أخى قضى فكان ولد أعم وقد زوجتها به وأشهد الحاضرين على ذلك ثم نقل لولده من المال ما يعجز عن وصفه اللسان بعد ذلك دخل على اخته نزهة الزمان وأعلمها بذلك ففرحت وقالت إن الاثنين ولداى والله تعالى يبقيك لهما مدى الزمان فقال يا أختى إنى قضيت من الدنيا غرضى وأمنت على ولدى ولكن ينبغى أن تلاحظيه بعينك وتلاحظى أمه ثم صار يوصى الحاجب ونزهة الزمان على زوجته ليالى وأياماً وقد أيقن بكاس الحمام ولزم الوساد وصار الحاجب يتعاطى أحكام العباد فصار يحكم ويؤمر وينهى واستمر على ذلك سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه ومازالت به الأمراض مدة أربع سنين والحاجب الكبير قائم بأمر الملك وارتضى به أهل المملكة ودعت له جميع البلاد هذا ما كان من أمر ضوء المكان والحاجب (وأما) ما كان من أمر كان ما كان فإنه لم يكن له شغل الأركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالنشاب وكذلك ابنة عمه قضى فكان وكانت تخرج هى وإياه من أول النهار إلى الليل فتدخل إلى أمها ويدخل هو إلى أمه فيجدها جالسه عند رأس أبيه تبكى فيخدمه بالليل وإذا أصبح الصباح يخرج هو وبنت عمه على عادتهما وطالت بضوء المكان التوجعات فبكى وأنشد هذه الأبيات :

تفانت قوتى ومضى زمانى	وهـا أنا قد بقيت كما ترانى
فيوم العز كنت أعـز قـومى	وأسـبقهم إلـى نيل الأمانى
وقد فارقت ملكى بعد عزى	إلـى ذلك تخلل بالهـوانـى
ترى قبل الممات أرى غلامى	يكون على الورى ملكًا مكانى
ويفتك بالعـداة لأخـذ ثـار	بضرب السيف أو طعن السنان
أنـا المغلوب فـى هزل وجد	إذا مولاى لا يشفـى جنانـى



فلما فرغ من شعره وضع رأسه على الوسادة ونام فرأى فى منامه قائلاً يقول له أبشر فإن ولدك يملك البلاد وتطيعه العباد فانتبه من منامه مسروراً ثم بعد أيام قلائل طرقه الممات فأصاب أهل بغداد لذلك مصاب عظيم وبكى عليه الوضيع والعظيم ومضى عليه الزمان وتغير حال كان ما كان وعزله أهل بغداد وجعلوه هو وعياله فى بيت على حدتهم فلما رأت أم كان ما كان ذلك صارت فى أذل الأحوال ثم قالت لابد لى من قصد الحاجب الكبير فقامت من منزلها إلى أن أتت بيت الحاجب الذى صار سلطانًا فوجدته جالسًا على فرشه فدخلت عند زوجته نزهة الزمان وقالت إن الميت ماله صاحب فلا أحوجكم الله مدى الدهور ولازلتم تحكمون بالعدل بين الخاص والعام قد سمعت أذناك ورأت عيناك ما كنا فيه من الملك والعز والجاه والمال وحسن المعيشة والحال والآن تقلب علينا الزمان وقصدنا بالعدوان وأتيت إليك قاصدة إحسانك بعد اسدائى للإحسان فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكرت أخاها ضوء المكان وابنه كان ما كان فقربتها وأقبلت عليها وقالت أنا والآن غنية وأنت فقيرة مع أن جميع ما نحن فيه من الخير منك ومن زوجك فبيتنا بيتك ولك مالنا وعليك ما علينا ثم خلعت عليها ثيابا فاخرة وأفردت لها مكانًا فى القصر ملاصقًا لمقصورتها وأقامت عندهم فى عيشة طيبة هى وولدها كان ما كان وخلعت عليه ثياب الملوك وأفردت لهما جوارى برسم خدمتهما ثم إن نزهة الزمان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة أخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال إن شئت أن تنظرى الدنيا بعدك فانظريها بعد غيرك فأكرمى مثواه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٦٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الحاجب الكبير لما صار سلطان ، ثم إنه بلغه حب كان ما كان لقضى فكان فندم على جعلهما معافى محل واحد .

ثم دخل على زوجته نزهة الزمان وقال إن الجمع بين الخلفة والنار لمن أعظم الأخطار وليست الرجال على النساء بمؤتمنين ما دامت العيون فى عج والمعاطف فى لين وابن أخيك كان ما كان

قد بلغ مبلغ الرجال فيجب منعه عن الدخول على ربات الحجال ومنع بنتك عن الرجال أوجب لأن مثلها ينبغى أن يحجب .

فقالت صدقت أيها الملك العاقل والهمام الكامل فلما أصبح الصباح جاء كان ما كان ودخل على عمته نزهة الزمان على جرى عادته وسلم عليها ، فردت عليه السلام وقالت له عندى لك كلام ما كنت أحب أن أقول لك ، ولكن أخبرك به رغمًا عني . فقال لها وما ذاك الكلام ، قالت إن الملك سمع بحبك لقضى فكان فأمر بحجبها عنك وإذا كان لك حاجة فأنا أرسلها إليك من خلف الباب ولا تنظر قضى فكان .

فلما سمع كلامها رجع ولم ينطق بحرف واحد وأعلم والدته بما قالته عمته فقالت له إنما نشأ هذا من كثرة كلامك وقد علمت أن حديث حبك لقضى فكان شاع وانتشر فى كل مكان وكيف تأكل زادهم بعد ذلك وتعشق بنتهم .

فقال إنى أريد الزواج بها لأنها بنت عمى وأنا أحق بها فقالت له أمه أسكت لئلا يصل الخبر إلى الملك سلسان فيكون ذلك سببًا لغرقك فى بحر الأحزان وهم يبعثوا لنا فى هذه الليلة عشاء ولو كنا فى بلد غير هذه لمتنا من ألم الجوع أو ذل السؤال .

فلما سمع كانا ما كان كلام أمه زادت بقلبه الحسرات وأنشد هذه الأبيات :

أقلى من اللـوم الـذى لا يفـارق	فقلى إلى من تيتمـى مفارقى
ولا تطلبـى عنـد الصـبر ذرة	فصبرى وبيت الله منـى طالق
إذا سـامنى اللوام نهيا عصيتهم	وها أنا فى دعـوى المحبة صادق
وقـد منعونـى عنـوة أن أزورهـا	وإنيى والرحمـن مـا أنا فاسـق
وإن عظامـى حـين تسمـع ذكـرها	تشـابـه طيرًا خلفهن بـواشـق
ألا قل لمن قد لام فى الحب إننى	وحق إلهى لبنت عمى لعاشق

ولما فرغ من شعره قال لأمه ما بقى لى عند عمتى ولا عند هؤلاء القوم مقام بل أخرج من القصر وأسكن فى أطراف المدينة بجوار قوم صعاليك ، ثم خرج وفعل كما قال وصارت أمه تتردد إلى بيت الملك سلسان وتأخذ منه ما تقتات به هى وإياه .



ثم إن قضى فكان اختلت بام كان ما كان وقالت لها يا امرأة عمى ، كيف حال ولدك فقالت إنه باكى العين حزين القلب ليس له من أسر الغرام فكاك ومقتنص من هواك فى إشراك .

فبكت قضى فكان وقالت والله ما هجرته بغضًا له ولكن خوفًا عليه من الأعداء وعندى من الشوق أضعاف ما عنده ولولا عثرات لسانه وخفقان جنانه ما قطع أبى عنه إحسانه وأولاد منعه وحرمانه ولكن أيام الورى دول والصبر فى كل الأمور أجمل ولعل من حكم بالفراق أن يمن علينا بالتلاق . ثم أفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين :

فعندى يا ابن عمى من غرامى	كأمثال الذى قد حل عندك
ولكن كتمت عن الناس وجدى	فهلا كنت أنت كتمت وجدك

فشكرتها أم كان ما وخرجت من عندها وأعلمت ولدها كان ما كان بذلك فزاد شوقه إليها وقال ما أبدلها من الحور بألفين وأنشد هذين البيتين :

فوالله لا أصغى إلى قول لائم	ولا بحت بالسر الذى كنت كاتما
وقد غاب عنى من أرجى وصاله	وقد سهرت عينى وقد بات نائما

ثم مضت الأيام والليالى وهو يتقلّب على جمر المقالى حتى مضى له من العمر سبعة عشر عامًا وقد كمل حسنه ، ففى بعض الليالى أخذه السهر وقال فى نفسه مالى أرى جسمى يذوب وإلى متى لا أقدر على نيل المطلوب ومالى عيب سوى عدم الجاه والمال .

ولكن عند الله بلوغ الآمال ، فينبغى أن أشرد نفسى عن بلادها حتى تموت أو تحظى بمرادها .

ثم أضمر هذه العزمات وأنشد هذه الأبيات :

دع مهجتى تزداد فى خفقانها	ليس التذلل فى الورى من شأنها
واعذر فإن حشاشتى كصحيفة	لا شك أن الدمع من عنوانها
ها بنت عمى قد بدت حورية	نزلت إلينا عن رضا رضوانها
من رام ألحاظ العيون معارضًا	فتكاتها لم ينج من عدوانها
سأسير فى الأرض الوسيعة منقذًا	نفسى وأمنحها سوى حرمانها

وأعـــود مســـرور الفـــؤاد بمطلبى وأقـاتـل الأبطـال فـــى ميدانـها
ولســـوف أشتاق الغنائـم عـائـدًا وأصـول مقتـدرًا علـــى أقـرانها

ثم إن كان ما كان خرج من القصر حافيًا فى قميص قصير الأكمام وعلى رأسه اللبدة لها سبعة أعوام وصحبته رغيف له ثلاثة أيام ، ثم سار فى حندس الظلام حتى وصل إلى باب بغداد فوقف هناك .

ولما فتحوا باب المدينة كان أول هو خارج منه ، ثم ثار يقطع الأودية والقفار فى ذلك النهار ولما أتى الليل طلبته أمه فلم تجده فضاقت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتذ بشىء من متاعها ومكثت تنتظر أول يوم وثانى يوم وثالث يوم إلى أن مضى عشرة أيام فلم ترَ له خبرًا .

فضاق صدرها وبكت ونادت قائلة : يا مؤنسى قد هيجت أحزانى حيث فارقتنى وتركت أوطانى يا ولدى من أى الجهات أناديك ويا هل ترى أى بلد يأويك .

ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات :

علمنا بأن بعد غيبتكم نبلى ومدت قسى للفراق لنا نبلا
وقد خلفونى بعد شد رحالهم أعالج كرب الموت إذ قطعوا الرملا
لقد هتف بى حين ليل حمامة مطوقة ناحت فقلت لها مهلا
لعمرك لو كانت كمثلى حزينة لما لبست طوقًا ولا خضبت رجلا
وفارقنى ألفى فألقيت بعده دواعى الهم لا تفارقنى أصلا

ثم إنها امتنعت عن الطعام والشراب وزادت فى البكاء والانتحاب وصار بكاؤها على رؤوس الأشهاد ، واشتهر حزنها بين العباد ، والبلاد وصار الناس يقولون أين عينك يا ضوء المكان وترى ما جرى على كان ما كان حتى بعد عن وطنه وخرج من المكان ، وكان أبوه يشبع الجيعان ويأمر بالعدل والإحسان ، ووصل خبر كان ما كان إلى الملك سلسان . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***







الجزء الأول